سلسلة وثائق الإسلام - ٧

الوثائق السياسية والإدارية
في
الأندلس وشمالي إفريقية
٦٤-٨٩٧هـ ٠ ٦٨٣-١٤٩٢م

«دراسة ونصوص»

تأليف
محمد ماهر حمادة
دكتور في علم المكتبات
أستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مؤسسة الرسالة

سلسلة وثائق الإسلام
٧

الوثائق السياسية والإدارية

في

الأندلس وشمالي إفريقية

٦٤ - ٨٩٧هـ ٠ ٦٨٣ - ١٤٩٢م

«دراسة ونصوص»

تأليف
محمد ماهر حمادة
دكتور في علم المكتبات
استاذ في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية



رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الطبعة الثانية

١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م



مؤسسة الرسالة بيروت ـ شارع سوريا ـ بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ ـ ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ادخل الله تعالى بدعوته الإنسانية إلى النور وأخرجها من الظلمات ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فــإن المؤلف ، في الوقت الذي يقدم فيه إلى القراء الاعزاء كتاب : الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية . يشكر الله جلت قــدرته على أن فسح في أجله وأمــده بسبب من عنده حتى تمكن من إنجاز سلسلة الوثائق الإسلامية التي أخــذ المؤلف على نفسه جمعهــا ودراستها ونشرهــا لتكمل الاستفادة فيها . والواقــع لقد انجز المؤلف الكتاب الأول من هذه السلسة سنة ١٩٧٠ م ، والآن ينتهي من إنجاز آخر حلقات هذه السلسلة الذي هو الجزء السابع . وإن الذي أمده بقوته ومتعه بعافيته وجعله يشاهد صدور الجزء الأول من هــذه السلسلة قادر على أن يكمل نعمته عليه ويريه بقية الأجزاء وقد صدرت واستفاد منها البحاثة والدارسون ، إنه على كل شيء قدير لارب سواه .

والمؤلف يتوجه بالشكر ، بعد أن أدى حق الشكر لمولاه ، إلى جميع من ساعدوه في إنجاز هذا المشروع الذي يرجو أن ينفع الله به ، وأن يجمله

خالصاً لوجهه الكريم، والله من وراء القصد. ونية المرء خير من عمله.
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وصحبه وسلم.

دمشق في: ١٢ جمادى الأولى ١٣٩٨هـ
٢٠ نيســـان ١٩٧٨م

محمد ماهر حمادة

فصل تمهيدي

المدخل إلى الوثائق ـــ دراسة وتعريف

للتاريخ الأندلسي مكانة خاصة في التاريخ الإسلامي ، ذلك ان الأندلس هي الفردوس المفقود بالنسبة للمسلمين ، وبلغت حضارة الإسلام في تلك البقعة من الأرض درجة عالية جداً من التطور والسمو ، وكانت الأندلس ، مع صقلية ، البوابة الرئيسية التي انتقل عبرها الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية إلى اوربا ، وكانت من أكبر العوامل في إيقاظ أوربا ونقلها من العصور الوسطى الى العصور الجديثة . وبالنسبة للمسلمين فإن التاريخ الأندلسي دليل حي على حيوية الإسلام وعظمته وقدرته على العطاء غير المحدود ، وعلى نزعته الإنسانية العالمية التي تتجاوز الحدود من أجل العقيدة ونشرها ، ونشر الحب والحق والعدل بين أعداد متزايدة من بني البشر . وإن مأساة إنهيار الحكم والوجود الاسلامي في الأندلس يثير في نفوسنا حتى الآن أسى عميقاً على ما أصاب ذلك القطر من آلام وانفصال عن العالم الاسلامي ، وأسىً أعمق على ما أصاب المسلمين من اضطهاد وقتل وتشريد وتعذيب ، والذي يزيد في ألمنا نحن هو الموقف المناقض لموقف الاسلام في الأندلس الذي تمثل في محاولة جادة لاستئصال الاسلام كدين وكحضارة من شبه الجزيرة الإيبرية ، واستئصال المسلمين كأفراد وكمجتمع له شخصيته المتميزة وكيانه في تلك البقعة من الأرض . وإن تسامح الاسلام العظيم في تلك البقعة قوبل بأشد وأعنف

موجات الاضطهاد والتعصب من قبل الاسبان. وإن الموازنة بين حال إسبانيا الاسلامية إبان ازدهار الحكم الاسلامي فيها، وحالها بعد إخراج المسلمين منها يكشف عن الهوة السحيقة التي انحدرت إليها إسبانيا، فكرياً وسياسياً وحضارياً، وذلك بعد أقل من قرنين من إنهاء حكم المسلمين فيها. وإن تدهور إسبانيا هذا يعزى بالدرجة الأولى إلى الحكم المتعصب الأعمى الذي استهدف القضاء على كل آثار المسلمين في شبه الجزيرة الايبرية. وقد نجح الإسبان المتعصبون في ذلك، ولكن اسبانيا دفعت ثمناً رهيباً لهذا النجاح تمثل في تدهور أحوال إسبانيا وتقهقرها إلى الوراء في كل المجالات — بعد فترة من الازدهار الموقت السطحي ـ هذا التدهور الذي ظل مرافقاً لها حتى أواخر القرن التاسع عشر.

وإن الكلام عن التاريخ الإسلامي في الأندلس يقودنا، بطبيعة الحال، للكلام عن الشمال الأفريقي.

ولقد ارتبط مصير إسبانيا الإسلامية بمصير شمالي إفريقية، وبخاصة المغرب الأقصى، كما يسمى أيضاً، مراكش، إرتباطاً عضوياً مصيرياً. فلم يكن من الممكن أن يفكر المسلمون بتحرير الأندلس قبل تحرير شمالي افريقية بكامله. فلما تم لهم تحرير شمالي افريقية تحريراً تاماً شاملاً نهائياً بدأوا يتطلعون لتحرير الأندلس وجعلها دار إسلام، وإن دواعي تحرير الأندلس هي دواعي تحرير غيرها من الأقطار التي حررها الإسلام، يضاف إليها دافع استراتيجي هام، ذلك أن مضيق جبل طارق الفاصل بين المغرب الأقصى والأندلس ليس حاجزاً لا يمكن اجتيازه، وقد أثبتت الأحداث والأيام صحة نظرية المسلمين في الدفاع عن شمالي أفريقية، ذلك أن المنطقة التي يمكن أن يأتي الخطر منها إلى شمالي إفريقية، وبخاصة المغرب الأقصى، هي الأندلس، ولذلك فأفضل خطة لحماية هذه المنطقة والدفاع عنها هو احتلال المنطقة التي

يتوقع قدوم الخطر منها ، وقد انتبه لهـذه الحقيقة سكان قرطاجة القدماء ، الذين احتـلوا قسماً من إسبانيا لأغراض دفاعية ، إلى جـانب الأغراض الأخرى . كما وأن الأحـداث أثبتت أن سقوط الأندلس بيـد الإسبان كان خطراً ماحقاً هدد المغرب الأقصى بخاصة ، والشمال الافريقي بعامة ، وظل هذا الخطر يتزايد حتى القرن التاسع عشر والقرن العشرين عندمـا تمـكنت الدولتان المستعمرتان فرنسا وإسبانيا من احتلال تونس والجزائر ومراكش والصحراء المغربية ، ولم يتم تحرر هذه الأقطار من الاستعمارين إلا مؤخراً وبعد حروب أشبه بالملاحم .

هذا التلازم العضوي المصيري بين الأندلس والمغرب الأقصى نتج عنه وحدة التاريخ بينهما ، وإن الجهود المستميتة التي بذلها بشكل خاص سكان المغرب الأقصى في نصرة إخوانهم مسلمي الأندلس كانت السبب الرئيسي في اطالة بقاء المسلمين في الجزيرة هذه الفترة الطويلة ، والواقع بذل سكان شمالي إفريقية جهـوداً رائعة جبارة في نصرة إخوانهم الأندلسيين بدافع الأخوة الدينية أولاً وبدافع المصلحة المشتركة ثانياً ، ولذلك لايمكن فهم تاريخ الأندلس دون فهم تاريخ شمالي أفريقية والمغرب الأقصى على الخصوص ، ذلك أننا نجد أحداث التاريخ الأندلسي منعكسة كل الانعكاس في تاريخ الشمال الافريقي ، والعكس أيضاً صحيح كل الصحة فكل قوة أحرزتهـا الأندلس كانت قوة للمغرب ، وكل تقـدم أحرزه المغرب نجد صداه في الأندلس بارزاً كل البروز . وكل نكسة حصلت هنا أو هناك خلفت آثاراً ملموسة في الجانب الآخر . ولذلك سنبحث هنا بايجاز كل مايتعلق بتاريـخ المنطقة ككل حسب ماتوحي به الوثائق المتوفرة دون تمييز .

أدوار التاريخ الأندلسي :

لسنا من أنصار تقسيم المجرى التاريخي الانساني الى أدوار ، كما صرحنا بذلك في عدد من كتبنا السابقة ، ولكن هناك أحداثاً معينة بارزة في تاريخ كل شعب وكل قطر ، تحمل سمات خاصة وتركت آثاراً خاصة يحسن أخذها بعين الاعتبار . ذلك لأن المجرى التاريخي عبارة عن جدول رقراق مستمر يتعرض للغزارة أحياناً وللقلة أحياناً اخرى حتى يكاد يصل إلى درجة الجفاف .

ولذلك عند تقسيم هذا الجدول التاريخي الى مراحل ، يجب الانتباه إلى جميع المؤثرات والقوى التي أثرت في ذلك الجدول ، سلباً وإيجاباً . ويجب ألا يغيب عن البال أن مثل هذا التقسيم اصطناعي هدفه تسهيل البحث والدرس وأن العوامل المؤثرة في التاريخ متداخلة متراكبة ، ومن الصعب فصلها عن بعضها ، وأن كثيراً من الشخصيات والأحداث والظروف تلعب دوراً ما في سير التاريخ .

بعـــد هذا الاحتياط الذي لابد منه نذكر أن التاريخ الأندلسي ـ ونستعمل هذا الاصطلاح هنا للدلالة على تاريخ الأندلس في عهد المسلمين منذ ضمها إلى جسم البلاد الاسلامية حتى سقوط آخر معقل من معاقلها بيد الاسبان ، يضاف الى ذلك تاريخ شمالي إفريقية ، وبخاصة المغرب الأقصى في نفس الفترة ـ يقسم إلى أدوار بارزة حسب المؤثرات والأحداث .

١ ـ الدور الأول زمن بني أمية ، ويمتد هذا الدور من تاريخ تحرير الشمال الافريقي والأندلسي حتى سنة ١٣٨ هـ .

٢ ـ الدور الأموي الذي بدأ بتأسيس دولة أموية منفصلة عـن جسم الدولة الاسلامية بعد سقوط الأمويين وحلول العباسيين محلهم بعـد سنة ١٣٢ هـ. وقد تم تأسيس الدولة الأموية في الأندلس سنة ١٣٨ هـ وافتتح العهد بعبد الرحمن الداخل .

كما وأنه تأسست بعد فترة بسيطة دولة الأدارسة في المغرب الأقصى وأسسها إدريس الأول العلوي وانفصلت عن جسم الدولة العباسية ودخلت في صراع مع الأمويين حتى تمكن الحكم المستنصر من القضاء عليها .

وفي زمن هارون الرشيد تأسست دولة الأغالبة التي أسسها ابراهيم بن الأغلب ولعبت دوراً مهماً جداً في نشر الاسلام في صقلية وجنوبي ايطاليا وظلت في الوجود حتى قضى عليها الفاطميون لما أسسوا دولتهم في تونس .

كذلك نبعت الدولة الفاطمية في المغرب الأدنى أو تونس وتأسست سنة ٢٩٥ هـ على يد أبي عبد الله الشيعي وحاولت التوسع غرباً وشرقاً حتى تمكن أحد خلفائها المعز لدين الله من احتلال مصر في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري .

ويقسم هذا الدور ، في الأندلس ، الى قسمين : الأول عهد الأمراء الأمويين الذي يمتد حتى سنة ٣١٦ هـ . والثاني عهد الخلفاء الأمويين الذي افتتحه عبدالرحمن الناصر سنة ٣١٦هـ عندما أعلن نفسه خليفة واستمر حتى سنة ٤٢٢هـ.

٣ ـ عهد ملوك الطوائف الذي بدأ سنه ٤٢٢ هـ وانتهى بحدود سنة ٤٨٦ هـ ، وذلك عندما سقطت الخلافة الأموية وتقسمت الأندلس الى عدد كبير من الدويلات الهزيلة أخذت اسم دول الطوائف .

٤ ـ عهد المرابطين الذي بدأ سنة ٤٥٣ هـ في المغرب الأوسط ثم شمل المغرب الأقصى والأندلس واستمر حتى منتصف القرن السادس الهجري ، وهو العهد الذي ضم الأندلس ومراكش والجزائر تحت حكم مركزي واحد مركزه المغرب الأقصى .

٥ ـ عهد الموحدين الذي قام على أنقاض عهد المرابطين واستمر حتى منتصف القرن السابع الهجري وشمل الأندلس والمغرب الأقصى والمغرب الأوسط .

٦ ـ مملكة غرناطة وهي قسم ضئيل من الأندلس بقي تحت حكم إسلامي بعد سقوط القسم الأكبر من الأندلس بيد الاسبان وظلت هذه المملكة في الحياة حتى سنة ٨٩٧ هـ عندما احتلها الاسبان .

٧ ـ العهد المريني في المغرب الأقصى والعهد الحفصي في المغرب الأدنى .

ونعود فنذكر بأن هذا التقسيم اصطناعي وأن لاحدود بين عهد وعهد وأن كثيراً من العهود تمتد جذورها في عهود سابقة ، وتستمر تأثيراتها في عهود لاحقة .

مصادر التاريخ والوثائق الأندلسية :

هناك غزارة وتنوع في مصادر التاريخ الأندلسي . وقد وجد كتاب ومؤلفون تخصصوا في التاريخ الأندلسي وشمالي أفريقية إما بشكل عام أو حسب عصر من العصور . أما الوثائق الأصلية فقد وجد عدد قليل منها ، ولكن ليس في خزائن المسلمين ، وإنما في بعض الكنائس والأديرة الإسبانية ، ذلك أن الجهل والتمزق الذي ران على المسلمين حتى مطالع العصور الحديثة جعل من الصعب جداً ، إن لم يكن من المستحيل ، حفظ مثل هذه المواد . ويحتاج الأمر إلى بحث عميق وشامل ومضني في مختلف المظان للكشف عن مثل هذه الوثائق في أرجاء العالم العربي وبخاصة في المغرب الأقصى ، على حين أن التعصب المسيحي الإسباني الذي رافق عملية إنهاء حكم المسلمين في الأندلس وتلاها في فترة طويلة مسؤول عن زوال القسم الأكبر لتراث العرب الفكري المخطوط في شبه الجزيرة الإيبرية .

هذا ، ويستمد المؤرخ والوثقي ، بشكل عام ، معلوماته عن الأندلس وشمالي إفريقية ، من مصادر ثلاثة :

١ ـ المصادر التاريخية الإسلامية العامة التي تقص حوادث المنطقة على اعتبارها إحدى مناطق العالم الاسلامي ، وأحداثها أحـداث قسم من العالم الاسلامي . وهذا النوع لايصرف إلا اهتماماً ضئيلاً إلى المنطقة ، إذ إن اهتمام المؤرخين المسلمين ، ولاسيما سكان سورية والعراق وماوراءهما كان موجهاً إلى مركز الخلافة العباسية ، ولذلك فالمعلومات التي تقدمها هذه المصادر معلومات سطحية جزئية لاتنقع غلة ولاتبل صدى . فالطبري العظيم الذي يروي أدق التفاصيل في تاريخه عن أحداث العراق والقسم الشرقي من الامبراطورية الاسلامية لايذكر إلا لمحة خاطفة قصيرة عن معركة بلاط الشهداء واستشهاد عبد الرحمن الغافقي . وعلى الرغم من أننا نجد اهتماماً أكبر بأحداث المنطقة لدى المؤرخين المتأخرين أمثال ابن الأثير وابن كثير ، إلا أن الصورة بشكل عام تظل قريبة مما كانت عليه في السابق .

٢ ـ المصادر الاسلامية المتخصصة التي تخصصت في قص سيرة وتاريخ المنطقة أو في سرد تاريخ قطر من أقطار المنطقة أو سلالة من السلالات أو حركة من الحركات . ولعل كتاب المقري العظيم **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** من أشمل الكتب التي تقص سيرة المسلمين في الأندلس من تاريخ فتحها حتى بعد إخراجهم منها : إذ يقص المؤلف أحداث مايقارب الثمان مئة سنة . وقد اعتمد المؤلف على كتب سابقة في تأليف كتابه ، وهو يذكر مصادره ، وبعضها معروف . كما وأنه معجب كل الاعجاب بالوزير الأندلسي الغرناطي الشهير لسان الدين بن الخطيب ، فخصص حيزاً كبيراً من كتابه لدراسة وسرد أعمال وحياة هذا الوزير . وقد رسم المقري في كتابه هـذا للأندلس صورة خلابة رائعة ، وصورها فردوساً مفقوداً وأبرز عظمتها ودورها الحضاري العظيم الذي قامت به . ويهتم في كتابه بالأدب والشعر

والعمران ، والفن وبكل القيم الانسانية ، ولايجعل النواحي السياسية تطغى على النواحي الحضارية ، بل العكس هو الصحيح ، ويترجم للبارزين في كل فن ، ويوضح توضيحاً تاماً الصلة العضوية بين الأندلس والمغرب بحيث يكاد يلمس القارىء اس اليد الدور الخطير الذي لعبه المغرب الأقصى في الدفاع عن الأندلس ونصرتها . كما وأن المؤلف يورد عدداً لابأس به من الوثائق فائقة الأهمية والتي تلقي ضوءاً على تاريخ الأندلس وعلاقتها بشمالي أفريقية . وعلى الرغم من أن الكتاب ألف بعد خروج المسلمين من الأندلس بأكثر من سبعين عاماً إلا أن ذلك لايقلل من أهميته لصدق المؤلف وحيويته وأصالته واعتماده على المصادر الأصلية بحيث يمكن اعتباره بسهولة مصدراً رئيسياً ، وهو مطبوع ومحقق وله عدة طبعات وقام بتحقيقه عدد من المحققين ، كما قام بدراسته عدد من الدارسين .

وأن ابن خلدون في كتابه الشهير : **العبر** ... قد خصص حيزاً جيداً لتاريخ الأندلس وشمالي افريقية باعتباره من أبناء المنطقة ، ولكن الملاحظ أن معالجته للتاريخ الأندلسي لاتمتاز بشيء ذي سمة مميزة ، بل هو عادي في معالجته تاريخ تلك المنطقة من العالم الاسلامي . وإنما اكتسب كتابه أهميته بسبب مقدمته التي وضعها لعلم التاريخ ، ثم من سرده لتاريخ البربر في شمالي افريقية والأندلس وماقاموا به من أحداث وما أسسوه من دول ، فهو ، بهذا الاعتبار ، مصدر لحياة البربر وأعمالهم ودولهم في شمالي إفريقية . وإذا عرفنا أن البربر لعبوا دوراً فائق الأهمية في تاريخ إسبانية الاسلامية ـ سلباً وإيجاباً ـ أمكننا تقدير أهمية تاريخ ابن خلدون من هذه الزاوية . أما الوثائق التي يوردها فهي قليلة بل نادرة ، إلى جانب معالجته لموضوعاته معالجة تقليدية ليس فيها تلك الأصالة التي يتمنى المرء لو يراها لديه .

وبمناسبة الكلام عن ابن الخطيب الذي كان سياسياً لامعاً وكاتباً من أكبر كتاب إسبانيا الاسلامية فإننا نقول إن هذا السياسي الداهية كان مؤلفاً خصب الانتاج متعدد الجوانب ألف في كثير من الموضوعات ومن جملتها التاريخ والتراجم . وقد ألف كتاباً أسماه **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام** . وقد خصصه للعالم الاسلامي ، ولكن تركيزه على الأندلس وشمالي إفريقية . ولايزال قسم من هذا الكتاب مخطوطاً على حين نشر ليفي بروفنسال القسم المتعلق بتاريخ الأندلس تحت إسم : **تاريخ اسبانيا الاسلامية** . وهو تاريخ جيد يبحث في الأمراء والحكام والخلفاء الذين تعاقبوا على حكم مختلف مناطق الأندلس حتى عهده (أواسط القرن الثامن الهجري) . كما وأن اثنين من مؤرخي المغرب الأقصى هما العبادي والكتاني نشرا القسم المتعلق بشمالي إفريقية من هذا الكتاب تحت عنوان **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط** . وهو يغطي نفس الفترة فيما يتعلق بشمالي افريقية . ويرد في هذا الكتاب وثائق مهمة كل الأهمية تساعد المؤرخ والباحث على إصدار الأحكام بدقة واطمئنان. هذا وإن ابن الخطيب رئيس مدرسة خاصة في أسلوب النثر العربي يمتاز بالسجع واستخدام المحسنات البديعية بشكل مفرط ، ولكن بشكل رشيق وعندما يقص الأحداث القريبة من عهده فهو يقصها بقلم أستاذ متمكن من مادته ونفسه ، ويمكن الاطمئنان الى أحكامه الى حد كبير .

وهناك كتاب هام كل الأهمية ألفه أمير من أمراء ملوك الطوائف هو الأمير عبد الله من آل زيري الذي كان حاكم غرناطة في الفترة التي سبقت ورافقت احتلال المرابطين للأندلس وخلعه المرابطون ونفوه الى الى شمالي افريقية لما احتلوا عاصمته غرناطة . يقص هذا الكتاب أحداث هذه الفترة . وقد سرده مؤلفه بشكل مذكرات شخصية مما دعا ليفي

بروفنسال الى نشره تحت اسم **مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة** . وهو يحمل انطباعاته عن تلك الفترة وماحدث وماجرى له ولغيره على الساحة الأندلسية . أما أسلوبه فعادي واهتمامه بالوثائق قليل ، وهو يسمي كتابه : **التبيان** .

أما الكتاب العظيم في تاريخ الأندلس والذي لايزال قسم كبير منه مخطوطاً ، ولم ينشر منه الا أجزاء ضئيلة فهو كتاب ابن حيان مؤرخ الأندلس العظيم ، الذي ألفه وسماه **المقتبس في أخبار بلد الأندلس** ، وهو كتاب مفصل كل التفصيل موثوق كل الثقة ، وثقي من الطراز الممتاز اذ يحوي عدداً كبيراً جداً من الوثائق الهامة المفردة . وقد نشر قسمان ضئيلان منه أحدهما عن حكم عبد الرحمن الأوسط والثاني عن فترة قصيرة من حكم الحكم المستنصر بالله . وتدل الأقسام التي نشرت على شخصية المؤلف وأسلوبه واهتماماته أحسن دلالة ، فهو شامل في نظرته ، وهو موثوق كل الثقة ، وهو يهتم بكل صغيرة وكبيرة ، ولاسيا فيما يتعلق بالعلاقات السياسية والوفود والحروب وماشاكل . وهو يدعم أقواله بوثائق تثبت مايقول ، الى جانب أنه مفصل كل التفصيل . والأمل كبير أن يتم نشر المخطوط بكامله نشراً علمياً محققاً حتى تتم الفائدة منه .

كذلك هناك كتاب مجهول المؤلف اسمه **أخبار مجموعة في فتح الأندلس** . وعلى الرغم من عدم معرفتنا بشكل يقيني ثابت شخصية المؤلف واسمه ، الا أن المعلومات التي حواها هذا الكتاب معلومات جيدة واسعة موثوقة وتدل على حس تاريخي منتظم .

ولعل أقدم كتاب يقص سيرة فتح الأندلس هو كتاب ابن القوطية المسمى **تاريخ افتتاح الأندلس** ويعتبر هذا الكتاب ، من بعض الوجوه أقدم تاريخ لفتح الأندلس وربما أوثقها .

وهناك كتب مشتركة بين المغرب والأندلس تقص سيرة البلدين معاً . ولعل أهمها الكتب التالية: **المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** لابن عذاري ، وهو كتاب جيد موثوق يقص سيرة وتاريخ البلدين حتى أواخر القرن الخامس الهجري وأوائل السادس ، وقد حقق أقساماً منه ليفي بروفنسال واكتشف قسماً ضائعاً منه . وقد سد هذا الكتاب ثغرة في الدراسات المغربية والأندلسية ، وهو مهم خاصة من أجل حركة المرابطين وعلاقتها بالأندلس . أما الوثائق الواردة فيه فقليلة . واذا ذكرنا الموحدين الذين ورثوا المرابطين وبنوا دولتهم على أنقاضهم لاحظنا وجود عدد من المصادر الأصلية التي تقص سيرتهم وتاريخهم ، الى جانب تواريخ غيرهم ، كما فعل المراكشي في كتابه : **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، اذ يلخص تاريخ المنطقة ويركز على الموحدين لأنه ألف الكتاب في عهد أوائلهم ، ولذلك فهو موثوق فيما يتعلق بالفترة التي يسردها ، ووثائقه ليست كثيرة . كما وأن هناك مصادر تخصصت بالموحدين مثل كتاب **المن بالامامة على المستضعفين** . الذي ألفه ابن صاحب الصلاة عن الحركة الموحدية وقيامها زمن المهدي وعبد المؤمن وأبي يعقوب . وهو كتاب مفصل ينظر الى التاريخ الموحدي من وجهة نظر دينية . وهو مليء بالوثائق المهمة بشكل رسائل بين ملوك الموحدين وولاتهم في الأندلس حول مختلف المسائل . ولسوء الحظ لم يصل الى يدنا الا الجزء الثاني من هذا الكتاب الهام .

وهناك كتاب ، أو بالأحرى ، قسم من كتاب خاص بالموحدين ألفه ابن القطان ، اسمه **كتاب نظم الجمان** ، وهو يقص سيرة عدد من سنوات حياة المهدي مؤسس حركة الموحدين ، وفيه وثائق مهمة . ويرد في هذا المجال كتاب ألفه ابن الأبار اسمه **الحلة السيراء** الذي يقص سيرة تلك الفترة في كل من الأندلس وشمالي أفريقية ، وهو كتاب تاريخي كما هو

كتاب تراجم ويحوي عدداً من الوثائق المهمة . وختاماً لابد أن نذكر أن هناك عدداً لا بأس به من الوثائق المتعلقة بالأندلس والشمال الافريقي أتى من كتب الثقافة العامة والوثائق العامة التي ذكرناها سابقاً في كتبنا وأهمها كتاب **صبح الأعشى في صناعة الانشا** للقلقشندي ، وكتاب النويري : **نهاية الأرب في فنون الأدب** . فقد حوى الأول بشكل خاص عدداً من المراسلات بين ملوك مصر من المماليك وبين ملوك غرناطة وملوك الشمال الإفريقي ، وهي مهمة كل الأهمية في كشف طبيعة العلاقات بين الطرفين خلال تلك الفترة من الزمن . ولقد فصلنا القول في هذا النوع من الكتب في مؤلفاتنا السابقة ، فلايفيد أن نعيد ماسبق أن ذكرناه ، ولكن نقول إن هذه الوثائق التي وردت في **صبح الأعشى** بخاصة جيدة وموثوقة ، على الرغم من عدد من الأخطاء التي وردت فيها .

٣ ـ أما النوع الثالث من المصادر التاريخية الهامة فهو كتب التراجم التي تقص سير الشخصيات البارزة في المنطقة ككل أو في قطر معين أو في عصر معين ، أو تقص سيرة فئة من الناس كالقضاة مثلاً . هذا ولابد من القول أن أغلب كتب التاريخ التي ذكرناها تخصص حيزاً من محتوياتها للترجمة لمشاهير الرجال في العصر الذي تقص سيرته بشكل وفيات أو أخبار أو غير ذلك . وقد ذكرنا سابقاً كتاب **الحلة السيراء** لابن الأبار وقلنا إنه كتاب تاريخ كما وأنه كتاب تراجم .

ولابد من القول إن قسماً من المعلومات عن الأندلس والشمال الافريقي ترد في كتب التراجم العامة التي ألفها المشارقة ، على الرغم من ضآلتها وعدم شمولها وسطحيتها . ولكن هناك استثناء واحداً من هذا الحكم يتمثل في كتاب **وفيات الأعيان** ... لابن خلكان الذي حوى أخباراً جيدة جداً وربما فريدة في بابها عن الأندلس والمغرب الأقصى ، وتراجمه

لعدد من مشاهير تلك المنطقة كابن تاشفين والمنصور الموحـــدي مصدر رئيسي لا يستغني عنه دارس لدراسة حياة وأعصر هؤلاء المشاهير ، بجانب ايراده عدداً من الوثائق الهامة .

وقد ألف الأندلسيون أنفسهم عدداً مهماً من كتب التراجـم مـدى العصور ، ولكن بعضها مفقود والبعض الآخر نادر إما مخطوط أو مطبوع ولكن المؤلف لم يتمكن من الاطلاع عليه . من أمثـال هـذه الكتب كتاب ابن بشكوال المسمى باسم **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس** وعلمائهم ومحدثيهم . وهو كتاب جيد موثوق يترجم للمشاهير في الأندلس في كل نواحي الحياة . وقد أكمل هذا الكتاب عدد من المؤلفين بعـــد موت صاحبه وجعلوا له ذيولاً كابن الأبار الذي ألف كتاباً أسماه **التكملة لكتاب الصلة** سار فيه على منواله وأكمل التراجم حتى عهده ؟ وكأبي جعفر الذي أكمل عمل ابن الأبار فأصدر كتاباً أسماه **كتاب صلة الصلة** . وقد ألف أحمد ابن يحيى الضبي كتاباً جيداً في تراجم رجال الأندلس سماه **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس** حوى عدداً من الوثائق الهامة النادرة . وحذا حذوه الحميدي في كتابه **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ولعـل أشهر من ترجم لرجالات الأندلس ، عدا من ذكرنا ، ثلاثة مؤلفين هم : ابن بسام صاحب كتـاب **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، والفتـح بن خاقان في كتابيه : **قلائد العقيان في محاسن الأعيان** ، وكتاب : **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس** ، ولسان الدين بن الخطيب في كتابه : **الإحاطة في أخبار غرناطة** . ولسوء حظ المؤلف لم يتمكن من الاطلاع ، من عهد قريب ، على كتب المؤلفين الأولين على الرغم من أنها مطبوعة . وقد ألف ابن بسام كتابه **الذخيرة** على منوال كتاب الثعالبي **يتيمة الدهر** ، ليثبت للمشارقة بشكل خاص تفوق أهل الأندلس في كل

الميادين . والكتاب ذو صبغة أدبية فنية . وكذلك الحال في كتب الفتح ابن خاقان المملوءة سجعاً ثقيلاً يصل إلى درجة الاملال . أما الكتاب الذي ألفه لسان الدين بن الخطيب فقد طبع الجزء الأول منه وحققه الأستاذ عنان ، وهو كتاب جيد يقص تاريخ غرناطة من الفتح الاسلامي حتى عهد المؤلف ويقص سيرة أشهر رجالاتها . وهو مؤرخ جيد ومطلع وكان في مركز يمكنه من الاطلاع على الوثائق الأصلية ولذلك حوى كتابه هذا كثيراً من الأخبار النادرة وعدداً لابأس به من الوثائق المهمة .

ولابد من القول ان قسماً مهماً من المعلومات عن الأندلس وشمالي إفريقية في تلك الفترة موجودة في كتب الرحالة وكتب الجغرافيا كقاموس البكري ومؤلفات الادريسي والحلل الموشية والروض المعطار وغيرها ، وبعضها يحوي عدداً لابأس به من الوثائق .

كذلك لابد من التنبيه إلى أن مصادر معلوماتنا عن المرحلة الأخيرة من حياة غرناطة وسقوطها ومارافق ذلك من مفاوضات ، ومعاهدة التسليم ، وذيولها موجودة في مصادر إسبانية نصرانية بشكل مفصل إذ ان المصادر العربية المعاصرة لاتعطي كثيراً من التفاصيل عن هذا الحادث المؤلم والخطب الجلل .

هذا بالنسبة لمصادر تاريخ الأندلس والمغرب في تلك الفترة . أما الدراسات الحديثة التي قام بها مؤلفون محدثون عن تلك الفترة بالذات فكثيرة وغزيرة وبعضها جيد . وقد استند أغلب المؤلفين إلى المصادر التي ذكرناها آنفاً . ونحب أن نذكر أن الأوربيين سبقونا إلى دراسة التاريخ الأندلسي دراسة علمية ، ولكن من وجهة نظرهم . فقد درس الاسبانيون في القرن الماضي التاريخ الإسلامي في الأندلس ، واعتمدوا على مصادر لاتينية ومصادر عربية ، ولكن أتت مشوهة نتيجة للتعصب القومي المسيحي

الذي صبغ تلك الدراسات وأعطى صورة شوهاء عن تلك الفترة من تاريخنا الحضاري . ولعل المؤرخ الهولندي الشهير دوزي هو أول أوربي استطاع أن يأتي بدراسة مفصلة واسعة للإسلام في الأندلس ، معتمداً على المصادر الأولية العربية واللاتينية والقشتالية ، وذلك في كتابه المسمى **تاريخ مسلمي إسبانيا** ، وقد نقل الكتاب إلى عدد من اللغات الأوربية ونقل قسماً منه إلى العربية حسن حبشي . وعلى الرغم من ادعاء المؤلف الحياد ، إلا أنه لم يتمكن من أن يتخلص من عواطفه الشخصية ، ولارواسب دينه وعقليته الإستعمارية ، نلمس ذلك واضحاً في ثنايا ما كتب ، وأصبح كتابه قديماً الآن وظهرت دراسات أحدث . ولعل أحدث وأهم من درس تاريخ الأندلس بتفصيل وافٍ شافٍ ، وبشيء من الموضوعية هو الباحث الفرنسي اليهودي المتخصص بتاريخ المسلمين في الأندلس وشمالي إفريقية ، فقد حقق ونشر عدداً من كتب التراث الأندلسي وألف عدداً من الكتب عن الأندلس نقل أهمها إلى اللغة العربية السيد عبد العزيز سالم . وعلى الرغم من اعتبار الباحثين أبحاث بروفنسال جيدة عميقة رضية ، وعلى الرغم من ادعائه الحياد العلمي ومحاولته الجادة أن يكون كذلك ، إلا أنه لم ينجح في ذلك إلا بمقدار ضئيل .

ولقد ألفت كتب كثيرة عن تاريخ الأندلس والمغرب ألفها عدد من المؤرخين العرب المعاصرين ، فقد اهتم المغاربة في الآونة الأخيرة بتاريخ بلدهم إبان تلك الحقبة وأصدروا عدداً من الكتب عنها . كما وأن عدداً من المؤرخين تخصصوا في دراسة التاريخ الأندلسي ، ويأتي على رأس هؤلاء الأستاذ محمد عبد الله عنان الذي ألف أفضل ما كتب في العربية عن تاريخ الأندلس من تاريخ افتتاحها حتى سقوطها ، بل وبعد

سقوطها . وقد اطلع الأستاذ عنان على أغلب كتب التراث مطبوعة ومخطوطة ، واطلع على ما ألف في الانكليزية وغيرها من اللغات في هذا الموضوع ، وارتحل في بلاد المغرب وإسبانيا وإيطاليا في سبيل جمع المادة ، فأتت كتبه ثمرة جيدة جداً لجهود فائقة بذلت في سبيل جلاء هذه الحقبة من تاريخنا الاسلامي . وقد زود كتبه بعدد مهم جداً من الوثائق البالغة الأهمية ، وذكر ، في أغلب الأحيان ، المصادر التي استقى منها هذه الوثائق ، ولذلك أتت كتبه تحفاً فنية تاريخية وثقية وسدت فراغاً في حقل الدراسات الاسلامية الأندلسية . ولقد بدأ الاستاذ حسين مؤنس بداية جيدة في حقل الدراسات الأندلسية وذلك في كتابه **فجر الأندلس** ، ولكن هذا الكتاب خلا أو كاد من الوثائق ، ولم يتبعه بغيره لنتمكن من الحكم له أو عليه وتقويمه تقويماً موضوعياً .

هذا وأن الباحث السوري الكبير الاسلامي المرحوم الأمير شكيب أرسلان اهتم بالأندلس إهتماماً فائقاً وارتحل إليها وألف عنها كتاباً لا بأس به اعتمد في تأليفه على مصادر أصلية وعلى مؤلفات فرنسية ، ولكنه اهتم بالآثار الباقية ووصفها أكثر من اهتمامه بالتاريخ وتقصيه ، وله فضل نشر وثائق بالغة الأهمية أرسلها له أحد أصدقائه من المغرب ، وهي رسائل أرسلها ملوك غرناطة الى ملوك أراغون ، وهي تكشف عن مدى وطبيعة العلاقات السياسية التي سادت بين الطرفين إبان تلك الفترة .

ولا بد لنا في الأخير ، من أن نذكر بما سبق أن ذكرناه في كتبنا السابقة ، من أننا نعرض الوثائق هنا على مسؤولية أصحابها ، وأننا نقدم نصوصها وأماكن وجودها للباحثين ، آملين أن يتكرموا بدراستها ونقدها وتمحيصها وبيان صدقها من زيفها . ذلك أن مهمتنا هنا أن نقدم مادة التاريخ التي هي الوثائق مصنفة مرتبة ليصار إلى دراستها من قبل الدارسين

ولقد اتبعنا في عرض الوثائق الطريقة التي اتبعناها سابقاً في عرض الوثائق في كتبنا السابقة ، فنأتي بذكر الوثيقة تحت اسم الملك أو الأمير الحاكم أو الخليفة الذي صدرت هذه الوثيقة في عهده ، ونصدرها بنبذة توضح مضمونها ونوعها ، ما إذا كانت رسالة أم عهداً أم خطبة ... ونذكر الأطراف المعينة بها ، والمناسبة ونوعها وتاريخها إن أمكن ذلك . ثم بعد ذلك نذكر المصدر الذي أخذنا منه نص الوثيقة واسم المؤلف والجزء والصفحات ، وذلك بعد أن نكون أوردنا نص الوثيقة ، وفي حال ورود نفس الوثيقة في أكثر من مصدر ، فإننا جهدنا لاقتباس النص الذي نعتقد أنه أكمل وأوضح من غيره ، وأشرنا في أسفل الصفحة إلى أماكن وجود النصوص المشابهة لنصنا المذكور أعلاه مع ذكر أسماء المصادر وأسماء مؤلفيها وأماكن وجودها . كذلك حاولنا توضيح معاني بعض الكلمات أو الأسماء أو التواريخ التي ترد في الوثائق ، كما حاولنا تصحيح بعض الوقائع والتواريخ والأسماء . واتبعنا في تأليفنا التقسيم المألوف المعروف لأدوار التاريخ الأندلسي الذي ذكرناه سابقاً ، وأعطينا لكل حاكم اسمه ولقبه وتاريخ توليه وتاريخ تركه الحكم بالهجري والميلادي ، ومهدنا للوثائق بفصل تمهيدي هو مدخل وتعريف بها ، وهو هذا الفصل الذي نكتبه الآن .

بعد أن انتهينا مما ذكرناه سابقاً لابد من إبداء بعض الملاحظات عن مختلف عصور الأندلس كما تتراءى لنا من خلال الوثائق العائدة لكل عصر من عصور تاريخ الأندلس .

أ ـ العصر الأول : زمن بني أمية الذي ينتهي سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م

من الملاحظ أن فتح المسلمين لشمالي إفريقية بكامله استغرق وقتاً

طويلاً ، إذ بدأ منذ عهد الخليفة الراشدي عثمان رضي الله عنه ، وانتهى زمن عبد الملك بن مروان ، في أواخره ، على حين أن فتح الأندلس لم يستغرق إلا وقتاً قصيراً كل القصر بالموازنة مع الزمن الذي احتاجه تحرير شمالي إفريقية هذا ، وقد بدأ عمرو بن العاص رحمه الله يفكر في تحرير شمالي إفريقية بعد تحريره مصر ، ولكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يسمح له بـذلك ، فلما أتى عثمان سمح بمتابعة المشروع وحرر المسلمون مايسمى ليبيا اليوم وتونس التي كانت تسمى إفريقية ، وفي زمن معاوية رحمه الله تمكن عقبة بن نافع من احتلال شمالي إفريقية بكامله حتى وردت خيوله الأطلسي وأسس مدينة القيروان ، ولكن الفتح لم يستقر ، وحدثت ثورات كثيرة واستشهد عقبة رحمه الله ، واضطر المسلمون لاخلاء القسم الأكبر مما حرروه سابقاً من المنطقة . وصرف الأمويون اهتمامهم عن المنطقة بسبب الاضطرابات التي حدثت عقب وفاة يزيد بن معاوية وما رافقها من صراع على الخلافة ، فلما استقرت الأوضاع وصفا الجو لعبد الملك قرر إعادة تلك المنطقة من جديد لحظيرة الاسلام ، ولذلك عهد لأخيه وواليه على مصر عبد العزيز أن يهتم بالموضوع ، فعين قائداً عاماً للجيش المحارب في المنطقة هو موسى بن نصير ، وأثبت عبد العزيز أنه مصيب في هذا الإختيار ، وأثبت موسى أنه أكفأ من تسند إليه قيادة الجيوش ، وتمكن موسى ، بعد جهود قاسية وحروب مضنية أن يعيد المنطقة دار إسلام وأن يثبت بها دعائم العروبة والاسلام تثبيتاً نهائياً إن شاء الله .

ولم يكتف موسى بما أنجز وإنما قرر اجتياز المضيق الفاصل بين أوربا وإفريقية والمعروف باسم جبل طارق ، واحتلال المنطقة المعروفه الآن باسم اسبانيا والبرتغال والتي عرفها المسلمون باسم الأندلس ، وذلك لدواعي كثيرة ، ولعل أولها رغبة موسى رحمه الله في نشر الاسلام وإيصال تعاليمه

العظيمة إلى نفوس بشر لم يسمعوا بـه من قبل وإنقاذ أنفسهم وأرواحهم وتحريرهم في الدنيا والآخرة . كذلك اتبع موسى المبدأ العسكري القائل ان أحسن وسيلة للدفاع هي الهجوم ، والحرب الوقائية .

ذلك أن حماية شمالي إفريقية حماية جيدة يقتضي احتلال شبه جزيرة إيبريا ، لأن الشقة الضيقة من البحر الفاصلة بين المنطقتين لاتشكل حاجزاً طبيعياً لايمكن اجتيازه ـ بمفاهيم وإمكانات تلك الأيام في النقل البحري بخاصة ـ هذا إلى جانب اغراض أخرى أقل أهمية بكثير مما سبق ذكره .

لقد كانت عملية احتلال الأندلس عملية سهلة أو نزهة عسكرية كما يقال ، وذلك بسبب كفاءة القواد وحذرهم ، وشجاعة المسلمين المحاربين وتشبعهم بالمثل العليا الاسلامية ، وبسبب ضعف الحكم الاسباني آنذاك وتخلخل المجتمع الاسباني وتفككه ، ولذلك لم تمض فترة طويلة حتى تمكن المسلمون من ضم أغلب شبه الجزيرة الايبرية إلى حكمهم وأن يجعلوها دار إسلام ، وبدأت عملية استيطان إسلامية واسعة ، وبعد فترة بدأ التفاعل الحضاري وانتقال الحضارة الاسلامية إلى أوربا بشكل نشط كل النشاط .

هذا ويتألف سكان المغرب العربي بكامله ، من البربر ، الذين يتشابهون في كثير من عاداتهم وأخلاقهم وسلوكهم مع العرب ، بقدر ما يختلفون عنهم . وبعد انضمام المنطقة إلى دنيا الاسلام بدأ سيل القبائل العربية في التدفق إلى المنطقة وبدأت عملية الاستيطان ، لقد قاوم البربر ، أول الأمر ، هـذه الهجرة العربية وثاروا بزعامة الكاهنة وقاوموا الاسلام بشدة حتى جعلوا المسلمين ينسحبون من قسم كبير من المنطقة . ولكن بعد فترة ، عاد المسلمون إلى المنطقة وبدأوا يتفاعلون مع البربر الذين اعتنقوا الاسلام وأصبحوا من أكبر رعاته والمدافعين عنه ، وشكلوا نسبة كبيرة من الجيش الاسلامي الذي

حرر الأندلس ، حتى أن معاون القائد العام كان بربرياً ، وأعني بذلك طارق ابن زياد .

ولما فتحت الأندلس انتقل إليها العرب والبربر واستقروا فيها جنباً إلى جنب ، ولكن ، لسوء الحظ ، لم يشكل الطرفان جبهة واحدة متماسكة ، فقد انقسم سكان إسبانيا الاسلامية إلى اقسام اربعة : العرب ، البربر ، السكان الأصليين الذين اهتدوا الإسلام ، المستعربين ، وهم النصارى الاسبان الذين ظلوا على دينهم وعاشوا تحت ظل الحكم الاسلامي . وكان المفروض أن يشكل الأقسام الثلاثة الأولى جبهة متماسكة متحدة ، بموجب تعاليم الدين الاسلامي العظيم وبحسب مصلحتهم الذاتية ، ولكن ذلك لم يحدث ، واختلف القوم أشد اختلاف وتحاربوا وأدى ذلك إلى تمزق الأندلس ، وكان ذلك من أكبر أسباب ضعف الأندلس وسقوطها فيا بعد . كما وأن العرب أنفسهم لم يكونوا جبهة واحدة ، فقد حملوا معهم إلى شبه الجزيرة خلافاتهم وانقساماتهم وعصبياتهم بين قيس ويمن وشمال وجنوب . كما وأن البربر أنفسهم لم يكونوا جبهة متراصة ، وبدأت عملية التقسم والصراع تعمل عملها في المجتمع الأندلسي منذ أواخر العصر الأموي ، وظلت مستمرة حتى أواخر أيام بقاء المسلمين في شبه الجزيرة .

ولقد ظهر في تلك المنطقة المضطربة عدد من الشخصيات العظيمة التي تمكنت أن تسيطر على الوضع وأن تخمد جذوات الفتنة والاضطراب ، دون أن تتمكن من استئصال عواملها ، من أمثال : عبد الرحمن الداخل ، وعبد الرحمن الناصر ، والمنصور بن أبي عامر ، ويوسف بن تاشفين ، وعبد المؤمن الموحدي ، والمنصور الموحدي وغيرهم ، ولكن قوى الانقسام والتمزق كانت أقوى من الشخصيات ، أضف إلى ذلك أن بقايا الاسبان ، وضعوا لهم هدفاً

محدداً ثابتاً وهو استرجاع بلادهم من المسلمين وبدأت عملية الاسترجاع هذه منذ زمن مبكر ، ووضعت أوربا كلها ثقلها المادي والبشري والعسكري والاقتصادي إلى جانب الاسبان ، وشن القوم حرباً صليبية حقيقية ضد الاسلام والمسلمين في الأندلس كدين وكدولة ومجتمع وافراد ، همهم استئصال الدين الاسلامي والمسلمين استئصالاً تاماً ، وقد بدأ ذلك من قبل عهد شارلمان واستمر حتى بعد إخراج المسلمين من الأندلس ، على حين لم يقدم الشرق الاسلامي إلى الأندلس مساعدة تذكر ، واضطلع الأندلسيون ، يساعدهم سكان المغرب الأوسط والأقصى بمهمة مقاومة الهجمة الأوربية الشرسة المستمرة على بلادهم . ولما لم يكن هناك تكافؤ بين قوى الطرفين ، لذلك وصل الصراع إلى نهايته المحتومة ، واضطر آخر ملوك بني نصر أبو عبد الله الصغير إلى تسليم مفاتيح الحمراء إلى فرناندو وايزابيلا والنزوح إلى المغرب .

وإن الدراسة لشخصية موسى بن نصير تدل على أنه شخص كفء متواضع حذر فيه كل الصفات الضرورية للقائد الناجح ، فهو يعتبر نفسه كأحد أفراد جيشه ، وهو يخطىء ويصيب ، وهو مستعد لتقبل النقد ، وهو مستعد لتلبية وقضاء حاجات من لهم حاجات من أفراد جيشه : وإنما أنا رجل كأحدكم فمن رأى مني حسنة فليحمد الله وليحض على مثلها ، ومن رأى مني سيئة فينكرها فاني أخطىء كما تخطئون ، وأصيب كما تصيبون . . . ومن كان له حاجة فليرفعها إلينا ، وله علينا قضاؤها على ما عز وهان مع المواساة إن شاء الله[1] .

---

(1) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ـ الإمامة والسياسة ـ تحقيق محمد محمود الرافعي . القاهرة ، مطبعة النيل ، ١٩٠٤ م . ٢/٩٨ — ٩٩ .

كذلك تدل خطبته الثانية التي خاطب بها جيشه لما استلم قيادته ، وهو الجيش الذي انهزم أمام الكاهنة وتمركز في افريقية على نظرة عسكرية ثاقبة وحزم وعزم شديدين . فقد كان الوضع صعباً في إفريقية بسبب قرب العدو ، فلما استلم موسى القيادة وأدرك الوضع الصعب ونظر إلى جبال إفريقية وماحولها جمع جنده وشرح لهم خطته ، وأخبرهم أنه سيسعى أول ما يسعى لاحتلال هذه الجبال وشعابها ، لأن العدو يأتي منها ، ثم تطرق إلى شرح الصفات الواجب توافرها في رجل الحرب والتي اعتزم اتباعها : وليس أخو الحرب إلا من اكتحل السهر ، وأحسن النظر ، وخاض الغمر ، وسمت به همته ، ولم يرض بالدون من المغنم ، لينجو ويسلم ، دون أن يكلم أو يكلم ، ويبلغ النفس عذرها في غير خرق يريده ، ولا عنف يقاسيه ، متوكلاً في حزمه جازماً في عزمه ، مستزيداً في علمه ، مستشيراً لأهل الرأي في إحكام رأيه ، متحنكاً بتجاربه ، ليس بالمتجابن إقحاماً ولا بالمتخاذل إحجاماً ، وإن ظفر لم يزده الظفر إلا حذراً ، وان نكب أظهر جلادة وصبراً . راجياً من الله حسن العاقبة ... [1] وبعد : فإن كل من كان قبلي كان يعمد الى العدو الأقصى ويترك منه الأدنى ، فينتهز منه الفرصة ويدل منه على العورة ، ويكون عوناً عليه عند النكبة ، وايم الله لأأريم هذه البقاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله أرفعها ويذل أمنعها ويفتحها على المسلمين بعضها أو جميعها ، أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين (٢) .

ولقد تمكن موسى بإخلاصه وشجاعته وذكائه وقيادته الحكيمة الحذرة أن يحقق ما أمله فيه عبد العزيز بن مروان لما عينه والياً على شمالي إفريقية

(١) نفس المصدر ٢/٩٩ — ١٠٠ .
(٢) نفس المصدر .

بكامله ، فأعاد المنطقة إلى دينا الاسلام ، وقضى على الفتن ووردت خيوله المحيط الأطلسي من جديد وأرسل يبشر عبد العزيز بما فتح الله على يديه الذي سر بذلك كل السرور وأرسل يخبر الخليفة بما فتح الله على يدي موسى فما كان من الخليفة إلا أن أعلن شكره وسروره ، وتعبيراً عن امتنانه من موسى رد عليه مبلغ مائة ألف درهم كان قد أغرمه إياها سابقاً : إن أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة ألف التي أغرمها لك فخذها من قبلك من الأخماس [1] .

صفا شمالي إفريقية بكامله لحكم المسلمين ، فبدأ موسى بن نصير يتطلع إلى فتح الأندلس [2] . وكان الوليد بن عبد الملك قد أصبح خليفة في دمشق مكان والده عبد الملك ، فأرسل موسى يستشيره بالأمر ويهون عليه العملية ، وأن البحر الفاصل بين الأندلس والمغرب الأقصى إنما هو خليج يبين ماوراءه ، ولكن الوليد أصر على ضرورة الحذر ، وأنه لابد من اختبار هذا الخليج بالسرايا قبل اقتحامه [3] .

ولقد تم الأمر كما رسم الوليد وخطط للعملية بعد درسها واختبار البلاد المزمع فتحها ، واتفق المسلمون مع عناصر إسبانية وأدركوا ضعف الحاكم وتفسخ المجتمع الإسباني ، ولذلك أقدموا ، وكانت النتيجة فتحاً ليست كالفتوح ، ولكنه الحشر [4] ، كما ورد في رسالة موسى بن نصير

---

(١) نفس المصدر ٢/ — ١٠٩ .

(٢) الأندلس كلمة أطلقها المسلمون على ما احتلوه من شبه جزيرة إيبريا ، وهي تشويه وتعريب لكلمة ***Vandal*** وهي اسم شعب من القوط احتل الأندلس في القرن السادس الميلادي وانتقل إلى شمالي إفريقية فأعطى المنطقة اسمه .

(٣) المقري ، أحمد بن محمد التلمساني ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ... تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٤٩م ١/ ٢٣٧ .

(٤) ابن قتيبة المصدر المذكور آنفاً . ٢/ ١١٣ .

إلى الوليد بن عبد الملك مبشراً بالفتح الجليل .

ولقد استدعى الوليد موسى بن نصير إلى دمشق حتى يراه ويكافئه مع أبطاله على ماحقق من انتصار وأنجز من فتح تفتح أبواب السماء له فلبى الطلب بعد أن ترك ابنه عبد العزيز والياً على الأندلس مكانه ، وأغذ السير إلى دمشق ، وفي تلك الأثناء مرض الخليفة ، فأرسل أخوه وولي عهده سليمان يطلب من موسى أن يبطىء في سيره لعل الخليفة يموت ويحل سليمان محله في الخلافة فينسب فضل هذه الفتوح إلى سليمان ، ولكن موسى لم يلب طلب سليمان ، وأسرع خطاه حتى وافى الوليد وهو حي ، فكان ذلك مما زاد في غضب سليمان عليه .

ولقد عامل سليمان بن عبد الملك ـ لما أصبح خليفة ـ قواد أخيه العظام ، موسى بن نصير ، وقتيبة بن مسلم الباهلي ، ومحمد بن القاسم الثقفي ، معاملة سيئة ، وعزا بعض المؤرخين ذلك إلى كونهم رفعوا اسم أخيه عالياً وحققوا كثيراً من الانجازات التي كان يتمنى لو تحققت في عهده هو . ولكن هذا التعليل ناقص مبتور ، ولعل السبب الحقيقي في حقده على هؤلاء القواد يعود بالدرجة الأولى لموافقتهم أخاه الوليد على تأخير سليمان عن ولاية العهد ونصب ابن الوليد ولياً للعهد مكانه ، وهو مشروع هم به الوليد ، ولكن القدر عاجله قبل إتمامه ووافقه عليه قواده ، ولم يكن بإمكانهم إلا فعل ذلك . كما وأن سياسة سليمان القبلية عامل آخر من عوامل حقده على هؤلاء القواد ، فقد كان ضلع سليمان مع آل المهلب ، وهم من الأزد ـ أي اليمن ـ على حين أن أغلب هؤلاء القواد كانوا من قيس ، ولذلك فعل بهم مافعل . ولقد صب حقده وغضبه على موسى بن نصير ولم يرع له شيخوخته ولا بلاءه وخدمته للإسلام والأمويين ودبر على ابنه عبد العزيز مؤامرة أودت بحياته ونقل رأسه إلى دمشق حيث أراه لأبيه الشيخ الذي تحلد كل التجلد ودافع عن ابنه أعظم دفاع ... فوالله

ماكان بالحياة شحيحاً ولامن الموت هائباً ، وليعز على عبد الملك ، وعبد العزيز ، والوليد أن يصرعوه هذا المصرع ، ويفعلوا به ما أراك تفعل [1] ..
وأخيراً توسط بعض الوسطاء بين الخليفة وبين موسى وعقد بين الطرفين عقد تراض يدفع موسى بموجبه للخليفة مبلغاً ضخماً من المال لقاء الكف عنه وعن أولاده [2] . وعلى الرغم من أن كثيراً من الشكوك والتساؤلات أثيرت حول هذا العقد وحول مصير موسى وأولاده ، إلا أن الرأي مجمع على أن سليمان أساء كل الإساءة إلى موسى وأولاده ، وأنه عاملهم بما لا يستحقونه لقاء خدماتهم للإسلام وللبيت الأموي ، مهما تكن أخطاؤهم ونقيصاتهم .

ولقد استمر تيار الفتح بعد ذهاب موسى وعودته إلى دمشق ، وقاد ابنه عبد العزيز هذه الفتوح وضم مملكة أريولة في شمالي إسبانيا إلى ديار الاسلام وضرب على صاحبها تدمير الجزية وعقد معه عقداً بهذا الشأن [3] .

ولقد تابع عدد من ولاة الأندلس الغزو في بلاد الفرنجة [فرنسا الحالية] ، ومن أشهرهم عبد الرحمن الغافقي الذي عينه عبيدة بن عبد الرحمن القيسي والي شمالي إفريقية والياً على الأندلس ، فغزا فرنسا وغنم مغانم كثيرة جداً ، ومن جملتها رجل من ذهب مفضضة بالدر والياقوت فكسرها ووزعها بين المحاربين ، فساء ذلك عبيدة كل السوء وأرسل يهدد عبد الرحمن ويتوعده لأنه لم يرسلها له خالصة من دون أفراد

---

(١) نفس المصدر . ٢/١٥٣-١٥٤ .

(٢) نفس المصدر . ٢/١٤٦-١٤٨ .

(٣) الضبي ، أحمد بن يحيى ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس . دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ م . ص ٢٤٧

الجيش فأجابه عبد الرحمن بلهجة المؤمن الواثق من ربـه : إن السموات والأرض لو كانتا رتقاً لجعل الرحمن للمتقين منها مخرجاً (٢) .

ولقد ذر قرن العصبية بين العرب في الأندلس من عهد هشام بن عبد الملك ، وانقسم القوم إلى قيس ويمـن ، وكانت تعاود الطرفين ذكريات مرج راهط والثارات والدماء والأحقاد ، حتى أن هذا الوضع المضطرب الذي كان سائداً في الأندلس كان أحد العوامل التي ساعدت عبد الرحمن الداخل في تأسيس ملكه هناك .

فقد اعتقل عبيدة بن عبد الرحمن والي هشام الجديد على شمالي إفريقية عمال بشر بن صفوان الوالي القديم المعزول ، لأن الأول قيسي والثـاني يمني ، ومن جملة المعتقلين أبو الخطار الكلبي ، فتحيـل في إرسال رسالة إلى هشام بن عبد الملك يخبره بما حدث ، وهي رسالة شعرية تتهم الأمويين أنهم عمـداً سلطوا القيسيين على اليمنيين الذين نصروهم في معركة مرج راهط الشهيرة ، وأنهم نسوا ذلك وأن الأيام بين الطرفين ، وعندئذ سيدفـع الأمويون ثمن أخذهم جانب القيسيين ضد اليمنيين (٣) .

ولذلك اشتعل الصراع في شمالي إفريقية والأندلس بين قيس ويمن ، وكان البربر مستاءين من الأمويين وسياستهم القاضية بتفضيل العـرب على غيرهم ، ولم يحسن أواخر الأمويين السياسة وضعفوا عن قيادة دفـــة السفينة ، فنشب في الأندلس صراع رهيب مرير بـين العرب والبربر ، وبين العرب أنفسهم بين قيس ويمن ، وفي هذه الظروف الحالكة السواد سقطت الدولة الأموية وحلت محلها الدولة العباسية .

---

(٢) نفس المصدر - ٣٦٦ .

(٣) دوزي ، رينهارد - تاريخ مسلمي إسبانيا : الجزء الأول الحروب الأهلية . تعريب حسن حبشي . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٣ م ص ١٣٧ .

ب ـ عهد أمراء بني أمية في الأندلس ١٣٨ ـ ٤٢٢ هـ/٧٥٦ ـ ١٠٣١ م .

١ ـ عبد الرحمن الداخل ١٣٨ ـ ١٧٢ هـ/٧٥٦ ـ ٧٨٨ م .

تمكن أبو مسلم الخراساني ، بدعايته الذكية وتنظيمه الدقيق وذكائه واستغلاله نواحي الضعف في الدولة الأموية ، أن ينهي حكم الأمويين وأن يحل محلهم العباسيين . وقد افتتح الخليفة العباسي السفاح الخلافة العباسية سنة ١٣٢ هـ وافتتح معه عهداً من أظلم عهود التاريخ قتلاً وحقداً وانتقاماً وإراقة للدماء ، فقد قتل العباسيون الأمويين أينما ثقفوهم ونبشوا قبور خلفائهم ، ولم ينجُ من هذا المصير إلا قبر عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وتتبع العباسيون الأمويين بحقدهم وانتقامهم ولم يفوا بعهد ولم يوفروا شيخاً ولا طفلاً ، وكانت هذه الوحشية في الانتقام دافعاً قوياً لعدد من الأشداء للهرب إلى أقصى الأرض ، وكان ممن هرب من هذه المجزرة عبد الرحمن حفيد هشام بن عبد الملك الذي تمكن بشجاعته وصبره وذكائه وشخصيته الفذة من الهرب من بلاد الشام إلى المغرب الأقصى وهناك استغل الظروف المواتية التي كانت سائدة آنذاك ، وتألف اليمنيين وضمهم إلى جانبه وحارب معهم ومع من انضم إليه من أنصار الأمويين والبربر أخواله حاكم الأندلس يوسف الفهري وهزمه وتمكن من تأسيس مملكة استمرت في الوجود قرابة ثلاثة قرون . ولقد حاول عبد الرحمن ، الذي لقب بالداخل فيما بعد ، لأنه أول من دخل الأندلس من الأمويين سيداً وحاكماً ، أن يتصالح مع يوسف الفهري ، قبل أن تبدأ الحرب بينهما ، وقد جنح الفهري إلى الصلح معه وإلى تبني عبد الرحمن وإحياء ملك بني أمية في الأندلس ، ولكن الصميل الحاكم الفعلي للأندلس خاف من مثل هذا التحالف ، وخاف من طموح عبد الرحمن وجبروته ،

فنكل بوعده إياه في نصرته وقال للرسولين اللذين أرسلها عبد الرحمن يستنجزانه وعده إياه بالنصرة : تأملت الأمر فوجدته صعب المرام ، فبارك الله لكما في رأيكما وقولكما فإن أحب غير السلطان فله عندي أن يواسيه يوسف ويزوجه ويحبوه ، انطلقا راشدين [1] .

ولقد حاول يوسف الفهري ثني عبد الرحمن عن عزمه فلم يفلح ، واصطدم الطرفان في معركة المصارة الحاسمة سنة ١٣٨ هـ ، وهنا نجد عبد الرحمن الداخل قائداً فذاً وبطلاً شجاعاً عرف كيف يقود رجاله في هذه المعركة الحاسمة ، فخاطبهم بقوله : هذا يوم هو أس ما يبنى عليه ، إما ذل الدهر وإما عز الدهر ، فاصبروا ساعة فيما لاتشتهون تربحوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون [2] .

وقد صبر عبد الرحمن وأتباعه هذه الساعة فربحوا حكم الأندلس ، وانتصر عبد الرحمن وأعاد تأسيس ملك أسلافه هناك .

وقد تكشف عبد الرحمن عن حاكم قوى كل القوة يفهم أصول الحكم ويعد للحادثات مايلائمها ، ويتوقع التوقعات . فقد منع أصحابه من الاثخان في أنصار الفهري بعد انتصاره عليهم : لاتستأصلوا شأفة أعداء ترجون صداقتهم ، واستبقوهم لأشد عداوة منهم [3] .

وقد أثبت عبد الرحمن الداخل أنه صنو للمنصور العباسي ولشارلمان اللذين حاولا مقارعته ولكنهما لم ينالا منه .

---

(١) ابن عذاري المراكشي . البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب . تحقيق ج. ش. كولون و أ. ليفي بروفنسال . بيروت ، دار الثقافة ٢/٤٤ .

(٢) الشمراوي ، أحمد ابراهيم . الأمويون أمراء الاندلس الأول . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩ م . ص ٧٥ .

(٣) المقري المصدر المذكور آنفاً .

وبالمناسبة فإن الأندلس لم تخضع قط للدولة العباسية إذ انفصلت عنها منذ قيامها ، وحاول المنصور جاهداً استرجاعها والقضاء على الحكم الأموي فيها ولكنه عجز ، وهو الذي لقب عبد الرحمن الداخل بصقر قريش . وكان عبد الرحمن ذا ثقة بنفسه واعتداد وشعور كبير بتفوقه وقيمة وسمو وعظمة ما أنجزه من إعادة ملك بني أمية في الأندلس . ويبدو هذا الاعتداد في رسالة جوابية رد بها على شخص قرشي وفد عليه وكتب إليه يستعظم حقه عليه في النسب ويستقل حظه منه بالمطمع ، فوقع له على ظهر كتابه عدداً من أبيات الشعر أكثر ماتكون دلالة على ما ذكرناه .

شتان من قام ذا امتعاض   منتضي الشفرتين نصلاً
فجاب قفراً وشق بحراً   مسامياً لجة ومحلاً
فشاد مجداً وبز ملكاً   ومنبراً للخطاب فصلاً
ثم دعا أهله جميعاً   حيث انتأوا ، أن هلم أهلاً
فجاء هذا طريد جوع   شريد سيف أباد قتلاً
ألم يكن حق ذا على ذا   أعظم من منعم ومولى [1]

ولقد حارب عبد الرحمن الأعداء الإسبان في الشمال وهزمهم حتى اضطروا إلى عقد صلح معه مدته خمس سنين لقاء جزية ثقيلة من الذهب والفضة والخيل والسلاح والدروع [2] .

---

(١) ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي . كتاب الحلة السيراء.. تحقيق حسين مؤنس . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ م . ١/٣٩-٤٠

(٢) عنان ، محمد عبد الله . دولة الاسلام في الاندلس . طبعة رابعة منقحة مزيدة القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٩ م . جـ ١ ، ق١-١٩٩ .

كما كان أديباً ذواقة ، وتدل توقيعاته وأشعاره والأقوال المنسوبة إليه على أدب رفيع ونفس طموحة حساسة واعتداد بالنفس . وقد توفي عبد الرحمن سنة ١٧٢ هـ بعد أن ترك دولة قوية مرهوبة الجانب في الخارج ، موطدة الحكم في الداخل ، وورث أبناءه حكمها من بعده .

وليس لدينا سوى وثيقة واحدة من عهد ابنه هشام الذي حكم بين سنتي ١٧٢ - ١٨٠ هـ هي وصيته لابنه الحكم الربضي التي أوصاه بها قبيل وفاته . وتدل هذه الوصية على نفس طيبة مؤمنة نزاعة للسلم والخير ، محبة للشعب . فقد أوصاه بتقوى الله تعالى وأن يذكر دائماً أن الملك لله يعطيه من يشاء وينزعه عمن يشاء ، لذلك يقضي واجب الشكر لله النظر لعباده بالرحمة والعدل وعدم التمييز بين الناس حسب غناهم أو فقرهم ، ويطلب إليه أن يعاقب الظالم ، ولو كان وزيراً أو حاكماً ، كما يطلب إليه أن يراقب جيشه ، ويضبط جنده ، وأن يجعلهم حماة الدولة لا مخربيها [1] .

٢ - الحكم الربضي ١٨٠ - ٢٠٦ هـ/٧٩٦ - ٨٢٢ م .

الحكم الربضي شخصية متناقضة فيه قوة جده عبد الرحمن وحزمه وجبروته ، وفيه رقة أبيه هشام وشيء من خصاله ، وقد امتاز عهده بثورة شعبية رهيبة قام بها الفقهاء والعامة ضده شخصيا ، وكان مركزها ربض قرطبة (أي ضاحيتها) . وكانت حركة رهيبة عارمة كادت تودي بالحكم وحكمه ، ولكنه عالجها بكل هدوء أعصاب وبكل برود ، ولكن بشدة دونها شدة أي شخص آخر . وتمكن من القضاء على الحركة ، واضطر زعماؤها إلى الخروج ، بمن بقي من أتباعهم ، من الأندلس وركبوا البحر المتوسط بحثاً عن ملجأ بقيادة أبي حفص أحد زعمائهم ، فاستقروا

---

(١) الشمراوي ، المصدر المذكور آنفاً ، ٢٠٤ - ٢٠٥ .

في الاسكندرية ، ولكن عبد الله بن طاهر أخرجهم منها فذهبوا إلى كريت (أقريطش) وانتزعوها من الدولة البيزنطية واستقروا فيها وظلوا حكامها قرابة قرن ونصف حتى استرجعها البيزنطيون منهم . وقد وزع الأمير الحكم ، الذي استمد لقبه الربضي من هذه الواقعة الرهيبة ، منشوراً على الولاة يقص عليهم ظروف الثورة وما حدث وكيف قمعها . وهو يقلل من شأن المشتركين فيها كل التقليل ، فهو يصفهم بأنهم فسقة أهل قرطبة وسفلتهم وأذنبتهم[1] ... كما ويذكر أنهم ثاروا بقصد خلعه عن غير مكروه سيرة ولاقبيح أثر ولانكر حادثة كان منافيهم [2] ... ثم يذكر أنه لما ظفر بهم قتلهم قتلاً ذريعاً ، ولكنه أمسك عن نهب الأموال وسبي الذرية والعيال وعن قتل من لاذنب له من أهل البراءة والاعتزال [3] .

كذلك حدثت محاولة في سرقسطة قام بها جماعة من البربر بقصد الاستقلال بذلك الثغر وطرد والي الحكم منه ، ولكن الوالي بمساعدة عدد من زعماء العرب والبربر ، تمكن من القضاء على هذه الحركة واعتقال زعيمها وإبقاء الثغر في طاعة الحكم . وقد دارت عدد من المراسلات بين الحكم وبين الفرقاء المعنيين حول هذه الحادثة يظهر فيها الحكم سروره وامتنانه بهذه النتيجة[4] .

ولما اقتربت وفاة الحكم أوصى ابنه عبد الرحمن بوصية جيدة هي دستور للحكم ، وهي أن يكون حكمه خليطاً بين الشدة والرأفة ، وبين

---

(١) عنان ، المصدر المذكور آنفاً ، جـ١ ، ق١ ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الخشني ، أبو عبد الله محمد بن حارث . قضاة قرطبة . القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م . ص ٤٢ - ٤٣ .

الحزم واللين ، وأن يعرف أين وكيف يضع هذا ومتى وكيف يضع ذاك . ويبدو أنه كان معجباً بابنه عبد الرحمن ، فإنــــه بعدما أوصاه وذكر له أنه وطد له الأمور قال له : فقد هان علي الموت إذ خلفني مثلك[1]

٣ ــ عبد الرحمن الأوسط ٢٠٦ ـ ٢٣٨ هـ/٨٢٢ ـ ٨٥٧ م .

نصل الآن إلى عصر الزهو الأول في عهد الحكم الأموى للأندلس ، ذلك أن عبد الرحمن الثاني أو الأوسط كما يلقب كان حاكماً صالحاً واستفاد من توطيد المملكة الذي حققه أبوه له فجنى ثمر ذلك استقراراً في الداخل ودفاعاً عن الحدود ، وقد حدثت في عهده حادثتان مهمتان في تاريخ الأندلس ، ذلك أن النورمانديين الذين يعرفون أيضاً باسم الفايكينغ **Vikings** هاجموا شواطىء الأندلس بعنف وقتلوا وسلبوا وفعلوا الأفاعيل فتصدى لهم عبد الرحمن وتمكن من ردهم عن سواحل الأندلس ، وبني لذلك الأساطيل . وهؤلاء النورمنديون هم الذين يسميهم المؤرخون المسلمون « الأرذمانيون » .

كما وأن السمعة الطيبة التي تمتع بها عبد الرحمن وحكمه وقوة الدولة في عهده جعلت امبراطور بيزنطة ثيوفلس الذي عاصر المأمـون والمعتصم في الشرق يحاول كسب وده ، فأرسل له الوفود والرسائل وقد جمع بين الطرفين العداء للعباسيين وعلى الرغم من أن عبد الرحمن لم يكن في وضع يمكنه من مساعدة الامبراطور البيزنطي ضد خصومه العباسيين ، إلا أنه حاول هذه المحاولة لاعتقاده أنها إن لم تنجح فليس فيها خسارة .

وعلى الرغم من أننا لانمتلك إلا رسالة عبد الرحمن الجوابية ليثوفلس إلا أنها وحدها تكفي لنعرف مضمون رسالة الامبراطور له ، فقد لخص عبد الرحمن رسالة ثيوفلس له ورد على كل بند من بنودها بما يناسب المقام .

---

(١) الشمراوي . المصدر المذكور آنفاً ، ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

فقد ذكر الامبراطور رغبته الأكيدة في إقامة علاقات ود وصداقة بينه وبين عبد الرحمن ، وإن ذلك امتداداً للصداقة التي كانت موجودة بين أسلاف الطرفين إبان الدولة الأموية . ثم يطلب من عبد الرحمن أن يرسل اليه رسلاً من عنده توكيداً لهذه المودة .

ثم ينتقل حاكم بيزنطة ليطرق موضوعاً عاطفياً حساساً لدى الأمويين هو ذكر جدهم مروان وقرابتهم منه ، وأسف الامبراطور لما حل به وبأهل بيته ، وبنفس الوقت يطعن على أبي جعفر المنصور لأنه كان المحرك والسبب الرئيسي لما حل بالأمويين ، ويسميه عبد الرحمن باسم الفاجر أبي جعفر تربه الله[1] .

بعد ذلك يتطرق الامبراطور إلى ذكر المأمون والمعتصم وسوء حكمها لرعيتها وانحرافها وشدة وطأتها ، وهنا يسمي عبد الرحمن المأمون والمعتصم باسم أمها احتقاراً لهما فسمى المأمون ابن مراجل لأن أمه جارية اسمها مراجل ، والمعتصم باسم ابن ماردة[2] لأن أمه جارية اسمها ماردة . ثم تختتم الرسالة الامبراطورية بذكر أمر أبي حفص أمير الأندلسيين الذين غادروا الأندلس عقب وقعة الربض ولجوئهم إلى الاسكندرية ، ثم تركهم إياها ومهاجمتهم كريت البيزنطية واحتلالهم إياها ، وكيف أن الامبراطور عجز عنهم ويطلب من عبد الرحمن التدخل بينه وبينهم علّه يستعيد كريت منهم .

وبعد أن لخص عبد الرحمن رسالة الامبراطور بهذا الشكل ردّ على كل بند من بنودها .

---

(1) طرخان ، ابراهيم علي . المسلمون في أوربا في العصور الوسطى . القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٦ م ص ٢٧٥ – ٢٧٨ .

(2) نفس المصدر .

فقد ذكر أنه يرغب في مودته كما يرغب الامبراطور في مودته ، وأنه يتمسك بذلك إحياء لذكر مودة كانت بين الأسلاف .

كذلك يشكره لأسفه وألمه لما حل بذرية مروان من قتل وتشريد ، وانتهاك للمحارم ، وينحي باللائمة على أبي جعفر على جرأته على الله وسوء سيرته وظلمه وبطشه .

وعند الحديث عن المأمون والمعتصم يخصها أيضاً بلعناته وتمنياته بقرب زوال ملكها . أما أمر أبي حفص فخارج عن اختصاصه لأنه طرد من الأندلس وانضم إليه السفلة والأوشاب ، وقد اضطروا إلى الدخول تحت طاعة ابن ماردة لقربهم من بلده ، ولم نكن نحسبك تعجز عنهم ولاتصعب عن نكايتهم ، ولاتتوقف عن إخراجهم عما تطرقوه من بلدك [1] .

ثم يعده أنه إذا رد الله سبحانه وتعالى سلطان الأمويين في المشرق إليه فإنه سينظر بعطف في مطالب ثيوفلس بما فيه صلاح الطرفين .

وأخيراً يخبره أنه أدخل رسولة عليه وقربه وحياه وسمع منه ، وأن جوابه هذا قد أرسل مع رسولين من رسله [2] .

٤ ـ محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨ ـ ٢٧٣ هـ/٨٥٨ ـ ٨٨٦ م .

ثارت الفتنة في الأندلس بعد وفاة عبد الرحمن الأوسط ، وعجز الأمراء الذين أتوا بعده عن السيطرة على الوضع الأمني في البلاد ، وانتزى الثوار في أماكن كثيرة ، ولم يعد للأمير سلطة إلا على قرطبة نفسها وضواحيها ، ولعل أخطر هذه الثورات وأشدها ثورة ابن حفصون التي اشتعلت زمناً طويلاً وهددت لأندلس تهديداً حقيقياً .

---

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

هذا وإن السبب في ذلك يكمن أولاً في ضعف الحكم ، ذلك أن الولاة بعد عبد الرحمن كانوا ضعفاء ولذلك استغل الثوار الفرصة وحاولوا تحقيق أغراضهم .

كذلك هناك انقسام أهل الأندلس ، إلى عرب وبربر ومولدين ومستعربين وتضارب مصالحهم ، وهناك أيضاً انقسام العرب إلى قيس ويمن والعصبية بين الطرفين ، وهناك الانتهازيون الذين يريدون تحقيق مآربهم تحت شعارات براقة لاتخدم إلا مصالحهم . وهناك الأعداء الخارجيون الذين بدأوا تحركهم الواسع ضد الأندلس وبدأوا يغذون الثورات والحركات الإنفصالية والنزعات الإقليمية فيها .

فقد بلغ ضعف الأمراء الحكام أن أصبح الثوار يهددونهم بإحراق المدن وإضرامها بالنار إن حاولوا التعرض لهم كما فعل عبد الرحمن الجليقي لما ثار واعتصم بحصن منت شافر وأرسل إلى الأمير محمد يهدده بإضرام بطليوس بالنار إن وجه حملة ضده[1] . ولقد بلغ من ضعف الحكم المركزي أن أحد الثوار في الشمال تمكن من هزيمة جيش أرسله الأمير محمد لحربه بقيادة وزيره هاشم بن عبد العزيز وأسر الوزير نفسه [2] . وناهيك بهذا الشيء دليلاً على ضعف الحكم والحاكم .

ولقد استغل بعض الثائرين أمثال ابن حفصون سوء إدارة بعض الحكام وحاول استغلال العصبية ، فأذاع في الناس بياناً ذكر الناس فيه بالمظالم السابقة وأنه يريد إنصافهم : طال ماعنف عليكم السلطان وانتزع أموالكم وحملكم

---

(١) ابن القوطية . تاريخ افتتاح الاندلس . مجريط ، ١٨٦٧ م ص ١٠٨ — ١٠٩

(٢) ابن حيان . المقتبس من أنباء أهل الاندلس . تحقيق محمود علي مكي . بيروت دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣ م ص ٣٨٩ — ٣٩٢

فوق طاقتكم وأذلتكم العرب واستبعدتكم ، وإنما أريد أن أقوم بثأركم وأخرجكم من عبوديتكم [1] .

وقد ظلت الأندلس تتخبط في دياجير هذه الفتن حتى أنقذها الله تعالى بحكم عبد الرحمن الناصر .

٥ - عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ/٩١٢ - ٩٦١ م .

نصل الآن إلى عصر الزهو في تاريخ الأندلس ، ذلك أن حكم عبد الرحمن الناصر قد أزال قسماً كبيراً من المتناقضات في المجتمع الأندلسي وفجر الطاقات الخلاقة لدى هذا الشعب . وهو مثل حي على قدرة بعض بني البشر على القيادة الخلاقة والعطاء وبناء الحضارات . فقد تمكن هذا العبقري أن يعيد توحيد الأندلس تحت قيادته ، وأن يقضي على الثوار جميعاً وأن يعيد توطيد هيبة الحكم وأن يشعر المواطن الثقة بنفسه وقيادته ولما تمكن أن يحقق الأمن والاستقرار ، وهما نعمتان من أجل النعم ، اطمأن الناس إليه وإلى مستقبلهم وتم التفاعل بين الحاكم والمحكوم ، فأدى الأمر إلى تلك المساهمة الحضارية التي ساهمت بها الأندلس في الحضارة الاسلامية تحت حكمه ، وحكم خلفائه من بعده .

كذلك حارب عبد الرحمن الناصر الإسبان في الشمال وكسرهم ورد كيدهم وتمكن من فرض هيبته عليهم حتى أن ملوك الاسبان المتنافسين بدأوا يفدون إلى بلاطه وبلاط ابنه من بعده ، يلتمسون العون ضد بعضهم بعضاً .

ولقد حارب الناصر الأدارسة في المغرب الأقصى ، الذين تحالفوا مع الفاطميين ضده ، وكانت له اليد العليا عليهم .

---

(١) ابن عذاري ، المصدر المذكور آنفاً ٢/ ١١٤

وفي حقل الدبلوماسية ، فقد وصلت الخلافة الأندلسية في عهده إلى ذروة رفيعة عالية جعلت كثيراً من الدول تخطب ودها ، وعلى رأسها الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة زمن أوتو الكبير .

كذلك اهتم الناصر بالآداب والعلوم ، وانتشرت في عهده المدارس والجامعات وجذبت إليها العلماء والطلاب من جميع الأصقاع ، حتى من أوربا نفسها ، وبلغ من سمعة الناصر وبعد صيته أن بدأ أدباء المشارقة يفدون عليه كما فعل أبو علي القالي الأديب واللغوي البغدادي الذي وفد على الخليفة واختص بابنه الحكم ولي العهد .

واهتم الناصر بالعمران فشيد الحصون والمدن ووسع جامع قرطبة وعمر مدينة الزهراء التي يقرن اسمها باسمه ، وتدل أوصافها وبقاياها المادية على أنها بناء ضخم رشيق جميل ذو تصميم هندسي رائع وجمال أخاذ وحدائق غناء . وكل ذلك دليل حي على غنى الدولة وحضارتها وتقدمها الفني والمادي .

وبالجملة استلم الناصر دولة متهدمة بكل معاني الكلمة ، داخلياً وخارجياً وسلم ابنه من بعده دولة مزدهرة كل الازدهار ، قوية ، داخلياً وخارجياً يهابها الأعداء ويخطب ودها الأصدقاء ، ونافست في عهده قرطبة بغداد والقسطنطينية ، بل وبزتها .

ويظهر أن دلائل النجابة كانت لائحة على عبد الرحمن من صغره ، وهذا ما جعل جده يعينه ولياً لعهده على الرغم من وجود أعمام له أكبر منه في العمر ، كما وأن الأسرة الأموية ، وعلى رأسها أعمامه انقادت له بسهولة وبايعته طواعية وتعاونت معه تعاوناً صادقاً . وقد تجلى ذلك في

الكلمة التي وجهها للناصر ، بعد أن بويع بالإمرة ، عمه أحمد بن عبد الله الذي خاطبه باسم الأسرة الأموية قائلاً : والله لقد اختارك الله على علم الخاص منا والعام ، ولقد كنت أنتظر هذا من نعمة الله علينا . فاسأل الله إيزاع الشكر ، وتمام النعمة وإلهام الحمد [١] .

ولقد كان الناصر عند حسن الظن به وكان على ثقة تامة بربه وبنفسه وبشعبه فحقق المستحيل . وقد بدأ بالأمور الأكثر أهمية وهي مسألة الثوار . وقد تمكن بمزيج من القوة والدهاء وحسن السياسة الرائعة أن يستنزل أكثرهم من حصونهم وأن يشحن هذه المعاقل برجاله ، وأن يستقدم الثوار إلى مأمنه حيث أمنهم ووفى لهم بما وعدهم به ، كما فعل لما استأمن حفص بن عمر بن حفصون واستلم منه حصن بيشتر ، فقد أمر بهدم الحصن ، وأحضر إليه حفصاً هذا ووفي له بما وعده به ، بل وأنعم عليه وسكن نفاره وأصدر بياناً إلى جميع الولاة يخبرهم بما تم ويطلب إليهم إذاعة ذلك في الناس [٢] .

ولقد كان لهذه السياسة الحكيمة أثرها ، إذ أقبل الثوار يستأمنون إلى الأمير القوي الذي يفي بما يعد ، والذي لايطلب الاستئمان إلا وهو قادر على الحرب ، فلحق بقية الثوار بشيخهم ابن حفصون ، أمثال محمد بن هاشم في سرقسطة وغيره من الثائرين .

ولما تمكن الناصر من توطيد الأمن في بلده سمت به همته إلى المزيد فتطلع إلى أمر لم يفعله أسلافه من قبل وهو التلقب بلقب أمير المؤمنين .

لم تخضع الأندلس قط للعباسيين ، ولكن لم يشأ أمراؤها الأول أن

---

(١) عنان ، المصدر المذكور آنفاً ، ٣٧٤ .

(٢) نفس المصدر ٣٨٧ - ٣٨٨ .

يتلقبوا بلقب أمير المؤمنين لقوة الخلافه العباسية آنذاك ورغبتهم في عدم الاصطدام معها ، وكان أمراء بني أمية يلقبون أبناء الخلائف والأمراء. فلما أتى عبد الرحمن وتمكن أن يعيد للدولة هيبتها ، ولاحظ ضعف الخلافة العباسية وهزال الخلفاء العباسيين ، كما ولاحظ كيف اتخذ الخلفاء الفاطميون لقب خليفة ، وقد اعتزم أن يدخل في صراع معهم من أجل المغرب الأقصى ، لذلك فقد قرر أن يتخذ لقب خليفة وأمير المؤمنين أواخر سنة ٣١٦ هـ ، لأن ذلك أكثر جلباً للهيبة له ، وينص المرسوم الذي أصدره بذلك صراحة على أن اتخاذ هذا اللقب واجب عليه ، وأن ترك هذا الواجب هو ترك لحق أضاعه ، وترك لاسم ثابت أسقطه (١). كذلك ينص ذلك المرسوم على أن : كل مدعو بهذا الاسم [أي أمير المؤمنين] غيرنا منتحل له ودخيل عليه ومتسم بما لا يستحقه (٢).

وقد أثبتت الأيام والأحداث أن قلائل من الخلفاء هم الذين استحقوا هذا اللقب بمثل الجدارة التي استحقها الناصر لدين الله.

ويدل الخطاب الذي وجهه الناصر إلى قواده وأنصاره وولاته يشرح الظروف التي أدت إلى هزيمته في غزوة الخندق سنة ٣٢٧ هـ على نفسية صافية خالية من العقد والزيف الذي يحيل الهزائم إنتصارات وهمية ، فقد قص الحادثة كما وقعت ، وإن يكن قد حاول تخفيف آثارها حتى لاتحدث ردة فعل سيئة لدى الناس . فهو يقص رحلته إلي بلاد الاسبان وحربه إياهم وكيف هزمهم بعد حرب شديدة . وهنا تقص الرسالة بشكل مفصل وأسلوب أدبي بليغ سير المعركة وهجوم الفرسان واستبسال المسلمين في

(١) ابن عذاري . المصدر المذكور آنفاً ٢/١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) نفس المصدر .

حربهم ضد الاسبان ، ويذكر أسماء من صرع من زعماء الاسبان ومشاهيرهم وقوادهم ، بعد ذلك يقص كيف سار في بلادهم يدك الحصون ، وينتسف الزروع ، ويقتل الفرسان ، ثم يقص كيف أن جيشه في منصرفه إلى بلاده نصب له الأعداء كميناً قرب خندق عميق وكيف أصيب عدد من أفراد الجيش ، ولكن الله سلم الغالبية ورجع الجيش سالماً إلي مأمنه [1].

ولقد امتازت علاقة الناصر بوزرائه وولاته بالود الخالص ، وكانوا يعرفون رغباته فيتسابقون لتلبيتها ، كما فعل الوزير ابن شهيد عندما أهدى إلى الناصر هديته المشهورة ، فقد أهداه عدداً عظيماً من الحجارة والخشب ومواد البناء لعلمه بغرام الخليفة بالبناء [2] .

وباعتباره أميراً للمؤمنين فقد رأى أن من واجبه أن يحمي عقائد الناس من الانحرافات الضالة والأفكار المنحرفة ، فأصدر بياناً عاماً شاملاً ضد تعاليم ابن مسيرة التي انتشرت في الأندلس بعد أن زار مؤسسها الشرق وتتلمذ على يد فئات معينة ذات اتجاهات مخالفة ، ففند تعاليمه وحذر من اتباعها وأنذر وأوعد [2] .

وكما سبق وقلنا آنفاً ، ارتفعت سمعة الأندلس وسمعة خليفتها المظيم ارتفاعاً عظيماً جعل الدول الأجنبية تخطب وده وكان فيمن خطب وده امبراطورا القسطنطينية قسطنطين ورومانوس اللذان أرسلا الوفود لحضرته ومعها الهدايا ، وكان بعض هذه الهدايا كتباً طبية وكتباً في التاريخ الروماني . ولقد حدثت حادثة طريفة أثناء استقبال الناصر لوفد الروم ، ذلك أنه أراد أن يكون

(٢) عنان . المصدر المذكور آنفاً ، ٧١١ ـ ٧١٤ .
(٣) المقري . المصدر المذكور آنفاً ١/٣٣٩-٣٣٧ .
(٣) عنان . المصدر المذكور آنفاً ٧٠٨ ـ ٧١٠ .

الاحتفال معبراً ومناسباً لعظمة الدولة والخليفة ، وقد تقرر أن يلقي خطبة الافتتاح أبو علي القالي الوافد من بغداد ، ولقد ساء ذلك الأندلسيين وعلى رأسهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي . فلما انعقد المجلس وقام القالي ليتكلم أصابه البهر وأرتج عليه فلم ينبس ببنت شفة بعد حمد الله والصلاة على نبيه ، فأخذ مكانه حالاً القاضي البلوطي وأكمل الخطبة كأحسن مايكون ، وهي خطبة بليغة تشيد بمناقب الناصر العظيمة وكيف أن الله تعالى جمع به الأندلس ، وأخمد الفتنة وأحل القوة محل الضعف وجعل الناس يرفلون في حلل السعادة . كل ذلك بفضل الناصر وهمته (١).

وقد ختم القاضي خطبته الرائعة هذه التي سرت الخليفة وخلصته من مأزق حرج بأبيات من الشعر فيها تعريض أنه مبخوس الحق في بلده وان الغرباء هم أصحاب الحظوة ، وهذا تعريض صريح بالناصر واعتماده على أبي علي القالي وإطراحه أهل الأندلس وهم أحق من الآخرين :

هذا المقال الذي ما عابه فند ... لكن صاحبه أزرى به البلد
لو كنت فيهم غريباً ماكنت مطرحاً ... لكنني منهم فاغتالني النكد
لولا الخلافة أبقى الله بهجتها ... ماكنت أبقى بأرض مابها أحد(٢)

ولما مات الناصر سلم ابنه وولي عهده الحكم الثاني المستنصر بالله دولة آمنة قوية مزدهرة مهابة الجانب عالية البنيان ونام قرير العين أنه أدى واجبه نحو ربه ودينه ووطنه فاستحق أن يسجل اسمه مع أعظم عظماء الاسلام ومن مؤسسي الحضارة الاسلامية العظيمة .

وعند تقريرنا لشخصية الناصر ولإنجازاته نقول إن شخصيته مزيج

---

(١) المقري . المصدر المذكور آنفاً ١/٣٤٥-٣٤٨ .
(٢) الضبي . المصدر المذكور آنفاً ٤٦٥ .

من شخصية جده الأعلى عبد الملك بن مروان وجده الأدنى عبد الرحمن الداخل ، يضاف إلى ذلك استشراف داخلي ، وأصالة ذاتية ، تمكنت من قيادته أفضل قيادة عبر حياته الطويلة وكفاحه الشاق الطويل .

٦ ـ الحكم الثاني المستنصر ٣٥٠ ـ ٣٦٦ هـ/٩٦١ ـ ٩٦٧ م .

الحكم شخصية محببة إلى النفس ، فهو شخص رضي الطباع ليس عنده تلك الشدة والصرامة اللتان توفرتا عند والده ، كما وأنه فاقه في حبه للعلم والأدب والكتب ، إلى جانب حزم وعزم مكنانه من أن يقف بوجه الأعداء الخارجين بشكل جيد ،ولقد زرع عبد الرحمن الناصر أفضل زرع فحصد الحكم أجود حصاد ، وكانت حصيلة ذلك الحصاد حضارة سامية باسقة ، وعلوماً سامية ، وآداباً رفيعة ، ومؤلفات قيمة في شتى ميادين العلم ، إلى جانب مدارس كثيرة ، وجامعات راقية ، ومكتبة تعتبر من أعظم مكتبات العالم على مر العصور . فقد كان الحكم ، قبل كل شيء وفوق كل شيء ، مغرماً بالكتب جمع في قصره مكتبة حافلة نافت على الأربع مئة ألف مجلد وأحسن الاستفادة منها ، وكان له وكلاء يجوبون أرجاء العالم الاسلامي ، بحثاً عن المخطوطات وشرائها وإرسالها إلى الأندلس . وربما كان الحكم أعلم حاكم في دينا الإسلام ، ويوصف بالفضل وسعة الصدر والحلم والعلم والذكاء الحاد وبكل الصفات التي يتصف بها أحد بناة الحضارة .

وكان عهد الحكم عهد رخاء وهدوء ، لم تتخلله ثورات عنيفة ولا اضطرابات خطيرة ، وإنما وجه بالحرب التي كان أبوه بدأها ضد بقايا الأدارسة في المغرب الأقصى ، وهم الحسينيون الذين تحالفوا مع الفاطميين ضد الأمويين في الأندلس ، فأرسل الناصر الحملات ضدهم إلى

وكان على الحكم أن يسير بالحرب ضدهم إلى نهايتها المحتومة ، وهي الظفر وقـــد فعل .

وقد أثبت القائد غالب مولى الحكم أنه قائد جيد وأنه أهل للمهمـة التي ندبه لها مولاه للقضاء على حكم الأدارسة في المغرب ، فأرسله الحكم إلى هناك للقضاء على زعيم الأدارسة المتحالف مع العزيز الفاطمي الحسن ابن قنون ، وخوله صلاحيات كبرى وأطلق يده في العمل ، ولم يجعـل يداً فوق يده إلا يد الخليفة نفسه . وتدل رسائل الحكم إلى قواده ، إبان اشتداد المعارك بينهم وبين الحسن بن قنون على فهـــم تام للموقف وضرورة الحذر واليقظة ، كما أمرهم باستعمال الحلم والأناة ، والعفو عـن من يظفر بهم من العصاة . كل ذلك كدليل على شكر الله تعـالى على ما أنعم من ظفر[1] . كذلك يطلب من قواده إشاعة ذلك بين جميع أفراد القبائل الخاضعة لابن قنون حتى يكونوا : على علم برأي أمير المؤممنين في استصلاح أحوالهم وبتقبل إنابة منيبهم ، وإجارتهم من الظالم المستحل لمحارمهم ، المستهلك لنعمهم ، المنتهك لحرمهم ، وإن أمير المؤمنين غير مقلع عنه ولاصارف بأس عزمـه دونه ، واستعانته على ذلك كلـه بالله تعالى حتى يأخذ له بناصيته ، فهو من ورائه محيط ، تعالى جدُّه[2] .

كذلك في رسالة تالية منه إلى مولاه غالب الذي أرسل له يشكـو غلاء الأسعار عنده لوفرة الجيش ، ويذكر له لجوء الأدارسة اليه بأعداد غفيرة ، نجد الحكم يتبع نفس الخط من الحلم المشوب بالحذر ، فهو يخبر

---

(١) ابن حيان المقتبس في أخبار بلد الاندلس . تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٥ م ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٧ .

قائده ألا يهتم بالأطعمة والأرزاق ، فسيلها اليه متصل ، وموادها موصولة بك ، متلاحقة لديك (١) . وأن عليه أن يجعل همه الأول الحرب حتى يظفر بالمارق ابن قنون .

وقد أنتجت هذه السياسة ثمارها ، فقد عرض عبد الكريم بن يحيي الإدريسي صاحب عدوة فاس على الحكم خضوعه واستسلامه بعد أن هزم ، فقبل الحكم ذلك منه وبايع الحكم بالخلافة هو وأهله وأتباعه وأصدر وثيقة بذلك ، يعلن استسلامه وبيعته وتبرأه من الحسن بن قنون (٢) .

ثم توج ذلك بظفره بحسن بن قنون نفسه وأصدر بذلك كتاباً إلى الآفاق يبشر بذلك وانتهاء الحرب في المغرب الأقصى بزوال هذا الخطر عن الأندلس ، وأصبحت تلك البقعة مكاناً يخضع لحكم الحكم بعد أن كان مصدر خطر عليه وعلى سلطته (٣) .

هذا وإن الفضل في هذه النهاية الموفقة يعود إلى مقدرة غالب العسكرية وإلى سياسة الحكم الحكيمة القائمة على التسامح والعفو وأخذ الأمور بالمعروف واصطناع العدو أكثر من تدميره .

ومما يدل على روح الحكم العالية وأخلاقه الرفيعة هو جوابه لوزيره جعفر بن عثمان الذي مرض مرضاً شديداً أشفى منه على الموت فأرسل إلى الخليفة كتاباً يسأله أن يخلفه في أهله . ولقد كان جواب الخليفة قطعة رائعة من النبل والكرم والتفضل ، فقد أبدى ألمه لما حل به من بأس وانقطاع رجاء ، ثم يذكر له أن كل ماسأله ورغب فيه لنفسه وأهله

---

(١) نفس المصدر.ص ١٣٠ .

(٢) نفس المصدر . ص ١٧٤-١٧٥ .

(٣) نفس المصدر . ص ١٧٨ - ١٨٢ .

ومن يتخلف ، فملى أفضل الذي رغبته وأردته وأملته ورجوته ، فما أعلم رزية أعظم من رزيتك لدينا لما بلوناه من شكرك ومجهود حرمتك ومحمود صحبتك (١) ...

كذلك أصدر الحكم أوامره إلى قضاته ، أن ينادوا في الناس بضرورة إخراج الزكوات وإعطائها للفقراء والمساكين (٢) . ولما ارتاح من الحرب في المغرب الأقصى أسقط عن الناس سدس مغرم الحشد سنة ٣٦٤ هـ (٣) وكل ذلك يؤكد الصورة الكريمة السمحة التي رسمناها له.

ولقد وصلت خلافة الأندلس في عهد هذا الخليفة إلى درجة لم تبلغها من قبل ولم تبلغها من بعد ، وقد تقاطرت اليه وفود الاسبان تلتمس عفوه وصفحه وتحالفه ، مع هذا الفريق دون الفريق الآخر ، فقد بلغ ملك الجلالقة أردون عزم الحكم على غزو بلاده فحضر بنفسه إلى بلاط الحكم مع عشرين شخصاً من أكابر دولته ليثني الحكم عن عزمه وليعقد معه صلحاً . وقد استقبله الحكم أفضل استقبال وأعطاه ما سأله . وإن المرء ليعجب لرفعة الحكم عندما نرى ملك الجلالقة يقبل بساطه ويقول : أنا عبد أمير المؤمنين المتورك على فضله ، القاصد إلى مجده ، المحكم في نفسه ورجاله (٤) ..

ثم يذكر الملك للحكم أن الخليفة الناصر كان أحسن استقبال ابن عمه شانجة لما أتى لاجئاً اليه من أردون الذي اختارته الرعية على ابن عمه لظلمه ، وولته ملكاً عليه ، ولكن الناصر أكرم وفادة شانجة وأعاده إلى العرش وخلع أردون ، ولكن شانجة كفر النعمة . أما أردون

---

(١) نفس المصدر . ص ١٤٩ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر . ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٤) المقري . المصدر المذكور آنفاً . ١/٣٦٧-٣٦٨ .

فهو خاضع للحكم محكم له في نفسه وولده وماله وأهله . وقد هدأ الحكم روعه ووعده النصرة وأنه سيعيده إلى ملكه : وسنصرفك مغبوطاً إلى بلدك ، ونشد أواخي ملكك ونملكك جميع من أنحاس اليك من أمتك ، ونعقد لك بذلك كتاباً يكون بيدك ، نقرر بـه حـــد ما بينك وبين ابن عمك (١) .

وهكذا نجد الحكم يقف على قمة المجد في التاريخ الأندلسي كلـه ، داخلياً وخارجياً ، ولكن الفضل في ذلك بالدرجـة الأولى لحكم والده العظيم وجهوده المباركة ، ومن ثم لشخصية الحكم وسياسته الراشدة الحكيمة ، ولانعتقد أن هناك عزاً أعز أو مجداً أمجد من أن يصبح الخليفة الأموي في قرطبة ملجأ لملوك الاسبان ، وموئلاً وحكماً يحكم بين الاخوة وأبناء العم المتنازعين ، ويصدر المراسيم الناظمة لعلاقاتهم بعضهم ببعض ، ويرسم الحدود بين المتنازعين ، وكفى بذلك مجداً وعزاً .

٧ ــ هشام المؤيد بن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر ٣٦٦ ــ ٣٩٩ هـ/٩٧٦ ــ ١٠٠٩ م :

توفي الحكم وخلف طفلاً صغيراً قاصراً هو هشام المؤيد ، وقد خضع الحكم لعواطفه الشخصية فجعل ابنه القاصر ولياً لعهده ، فأدى الأمر إلى تدهور الوضعين الداخلي والخارجي ، وإلى صراع حاد حول الوصاية على الخليفة الصغير ، ولو أنه لم يخضع لعواطفه الشخصية ، وعين ولياً لعهده أحد إخوته الراشدين لتغير الوضع ، ولكن هذا ماحدث . ولايمكن الحكم على شخصية هشام البتة لأنه تولى الحكم صغيراً ثم سقط تحت

---

(١) نفس المصدر .

وصاية المنصور بن أبي عامر القاسية التي سحقته ولم تسمح له أن يتحرك إلا ضمن حدود مرسومة مدى حكمه وحكم ابنه من بعده ، فلما زال كابوس العامريين عنه لم يكن بحالة عقلية أو نفسية تمكنه من حسن التصرف بزمام نفسه ، بله زمام الأمور في بلده ، فأدى الأمر إلى أوخم العواقب له وللأسرة الأموية وللأندلس عامة .

كان هناك فريقان يتنازعان السيطرة على الخليفة الصغير : الحاجب المصحفي يساعده ابن أبي عامر والقائد غالب . ولقد دار صراع بين الطرفين خسر فيه غالب المعركة ، وصفا الجو للمصحفي ولكن إلى فترة ، إذ نازعه السلطة المنصور بن أبي عامر وتمكن من التغلب عليه واعتقاله حتى الموت .

والمنصور بن أبي عامر شخصية فذة ، وهو مزيج من طموح لا يعرف حدوداً وشجاعة لاتهاب وقسوة لاترحم ، وسياسة ثابتة . إنه يعرف مايريد ويعرف الطريق إلى تحقيقه ، ويعرف مالايريد ويعرف الطريق إلى منعه ، وقد نبع من أصل وضيع ، وتمكن ، بوسائله البعيدة عن الأخلاق ، أن يصل إلى مايصبو اليه ، وأصبح حاكم الأندلس الأوحد ، وتغلب على الخصوم الداخليين والخارجيين ، وأن سياسته الداخلية تثير الاعجاب ، كما وأن حروبه وانتصاراته ، ولاسيا ضد الإسبان ، تثير أقصى عوامل الفخر والعزة في نفوسنا هذه الأيام . ولكن خطأ المنصور الأكبر أتي من إضعافه الخلافة الأموية ، القاعدة الشرعية لكل حكم في الأندلس ، بشكل رهيب ، دون أن يحاول إحلال نفسه محلها ، لعلمه باستحالة ذلك . ولقد سارت الأمور بشكل جيد طوال حياته ، لأن يده القوية كانت تمسك بكل شيء ، وعينه اليقظة كانت تراقب كل شيء . ولكن من يضمن

استمرار الأمور بعد زوال اليد القوية ؟ ولذلك ماإن زال المنصور من الوجود حتى ورثه ابنه عبد الملك المظفر في الحكم وفي السيطرة على الخليفة المستضعف ، وقد سارت الأمور سيراً جيداً خلال حياته القصيرة لأن في عبد الملك لمحات من شخصية أبيه ، ولكن ماإن حل في الحكم عبد الرحمن بن المنصور الذي تلقب بلقب ناصر الدولة حتى بدأ الاضطراب الذي أودى به وبالخليفة وبالخلافة وبالأندلس . فقد حاول الحصول على مالم يجرؤ على التفكير فيه أبوه ولا أخوه ، حاول الحصول على منصب الخلافة بعد هشام المستضعف ولم يكن هشام في وضع عقلي أو نفسي أو مادي يمكنه من رفض أي طلب للشخص المسيطر عليه ، فأصدر مرسومه الشهير بجعل عبد الرحمن هذا ولياً لعهده .

وهذا يعني انتقال الخلافة إلى أبي عامر . لقد صبر شعب قرطبة والأندلسيون والأمويون على احتكار آل عامر للحكم ، وصبروا على حجر الخليفة والتحكم في مصائر العباد والبلاد ، ولكنهم لم يكونوا مستعدين ، بحال من الأحوال ، أن يصبروا على انتقال الخلافة لغير آل أمية ، فقد ارتبط مجد الأندلس ومجد قرطبة بهذه الأسرة العظيمة ، ولم ينس الشعب أمجاد عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر ، ولم تنس قرطبة أنها مدينة بعظمتها وقوتها وجاهها لهذين الخليفتين العظيمين ، وحتى عندما كان المنصور يضيف أمجاده إلى الأمجاد السابقة ، اعتبر الشعب ذلك امتداداً لعمل الناصر والحكم وباسميهما تم ماتم من فتوح . لذلك ثار الشعب ثورة عارمة انتهت بالقضاء على آل أبي عامر كلياً وعلى الخليفة العاجز ولكن هذا الشعب الثائر عجز عن إيجاد البديل للعامريين ، ذلك أن المنصور أضعف جميع الأطراف ، وكان هو وحده كفوءاً للقيام بمهام الدولة

وتصريف الأمور ، فلما زالت اليد القوية التي كانت ملجمة لكل الأطراف انفجرت الأحقاد وثارت النعرات وحارب القوم بعضهم بعضاً ، وكان ذلك من أكبر الكوارث التي أصابت المسلمين في الأندلس ، فسقطت الأسرة الأموية وانقسمت الأندلس إلى عدد كبير من الدويلات التي سميت دول الطوائف ، واستغل الاسبان هذه الفرصة فشنوا حرباً لاهوادة بها على الأندلس وبدأوا يحققون ما يصبون اليه من استرجاع البلاد وإذلال العباد .

وليس لدينا وثائق كثيرة عن عهد المنصور بن أبي عامر ، ولكن الرسائل التي دارت بينه وبين المصحفي الذي كان أستاذه ثم صار أسيره تكشف عن بعض نواحي شخصيته ، فقد أرسل المصحفي من سجنه رسالة استعطاف إلى المنصور لعله يرق لحاله ويطلق سراحه ، ولكن النتيجة كانت عكسية إذا زاد سخطه عليه وأجابه بأشعار منها مايلي :

نفسي إذا سخطت ليست براضية ولو تشفع فيك العرب والعجم[1]

كذلك كان المنصور قاسياً على نفسه وعلى من بخدمته أشد القسوة إذا احتاج الأمر إلى ذلك ، وهو الذي غزا الإسبان أكثر من خمسين غزوة لم تنكس له في خلالها راية قط وكان النصر حليفه في كل معاركه ضد الإسبان ، وكانت قسوته هذه ، إلى جانب قيادته الرائعة ، من أهم مقومات شخصيته . ولقد برزت قسوته هذه كل البروز في رسالته التي وجهها إلى قواد وأفراد جيشه سنة ٣٩٠ هـ عندما خاض آخر معاركه ضد الإسبان وربما أشرسها ، وفي تلك المعركة ولي قسم كبير من جنده الأدبار ، ولكن المنصور استلم القيادة بنفسه وصبر بشخصه مع حرسه

---

(١) نفس المصدر ١/٣٨٤ .

الخاص وأثير غلمانه وفريق من الجند فخول الهزيمة الماحقـــة إلى نصر مؤزر ، ووجه بعد المعركة رسالة قاسية مرة إلى أفراد جيشه يقرعهم على تخاذلهم وفرارهم ويصفهم باليعافير والرئال : ... فحين جاءكم شانجة بالأمنية وقاتلكم بالشريطة أنكرتم ماعرفتم ، ونافرتم ما ألفتم حتى فررتم فرار اليعافير من آساد الغيل وأجفلتم إجفال الرئال عن المقتنصين ، ولولا رجال منكم دحضوا عنكم العار وحرروا رقابكم من الذل لبرئت من جماعتكم وشملت بالموجدة كافتكم [1] .

وتدل وصيته التي أوصى بها ابنه عبد الملك ، لما خلفه في منصبه ، على فهم لأصول الحكم المستبد المستنير المطلق الذي آمن بـــه المنصور وطبقه ، فهو يوصيه بالحذر وعدم الاسراف في الانفاق ، وأن لايهيج العامة لأنها تريد الأمن وخفض العيش وقد حقق المنصور لهـــا ذلك . كذلك يطلب اليه أن ينفرد بالتدبير دون صاحب القصر وألا يسمح له بالتدخل في شؤون الحكم وأن يستمر في الحجر عليه ، مع إعطائـــه مايكفيه من المال ومع الحفاظ على المظاهر . كذلك أوصاه بالإحسان إلى أقربائه وصلة رحمهم وبر أخيه وغلمانه . ويختم وصيته بتحذيره وتحذير غلمانه من التحالف مع بني أمية والركون اليهم بحال من الأحوال : وإياك أن تضع يـــدك في يد مرواني ماطاوعتك بنانك ، فإني أعرف ذنبي إليهم [2] .

ولقد استمر عبد الملك بن المنصور الذي لقب بالمظفـــر في سياسة

---

(1) ابن الخطيب ، لسان الدين . تاريخ اسبانيا الاسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويـــع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام . تحقيق ا. ليفي بروفنسال . بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٥٦ م . ص ٧٢

(٢) نفس المصدر ص ٨١ - ٨٢ .

والده على جميع الأصعدة داخلياً وخارجياً . كذلك استمر على حجبه الخليفة مع التوسعة عليه ، فقد دعا عبد الملك هشاماً المستضعف الى نزهة في قصره وهناك خدمه حق الخدمة ، فسر ذلك هشاماً ووجه لعبد الملك كتاباً يشكره على ذلك ويلقبه بالمظفر [١] .

ولكن الولد الثاني للمنصور واسمه عبد الرحمن طمح إلى أكثر من ذلك ، طمع في الخلافة ، وكان ضعيفاً عاجز الرأي أساء إلى الجند وإلى أنصاره ، وإلى العامة ، فطلب من هشام أن يجعله ولي عهده ، فاستجاب له هشام وأصدر مرسوماً بذلك ، هو من أشأم المراسيم في تاريخ الأندلس كله ، يولي بموجبه عهده : المأمون الغيب ، الناصح الجيب ، النازح عن كل عيب ، ناصر الدولة أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور أبي عامر محمد ابن أبي عامر [٢] .

ولكن شعب الأندلس عامة وشعب قرطبة بخاصة كان له رأي آخر في الموضوع ، ولم يصبر على نقل الخلافة من البيت الأموي فثار ثائرهم وقتلوا الناصر العامري والخليفة الأموي ، وانقسم القوم إلى عرب وبربر ، وإلى يمن وعدنان ، وإلى عامريين وسواهم . ولم يتمكن من حل محل هشام في منصب الخلافة أن يفعل شيئاً ، وأزيلت رسوم العامريين في الأندلس وقتل أفرادهم وطوردوا وهدمت الزاهرة رائعة الحسن ، واستقل كل متنزٍ في ناحية من نواحي الأندلس ليبدأ مايعرف بالتاريخ الأندلسي بعصر ملوك الطوائف ، وهو عصر من أحلك عصور التاريخ الاسلامي صورة .

---

(١) نفس المصدر – ٨٨ .

(٢) نفس المصدر ٩١ – ٩٣ .

جـ - عصر ملوك الطوائف ٤٢٢ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣١ - ١٠٩٤ م .

امتد هذا العصر أكثر من نصف قرن وقسمت فيه الأندلس إلى عدد كبير من الدويلات الهزيلة ، وكانت كلها تدفع الجزية إلى الطاغية ملك قشتالة كما يسميه المؤرخون المسلمون المعاصرون ، وقد سيطرت على الحياة السياسية في الأندلس آنذاك ثلاث قوى : عربية ، بربرية ، عامرية فقد أوجد العرب عدداً من الدويلات كان أقواها دويلة آل عباد في إشبيلية ، وهم عرب من أصل قحطاني ، كما أوجد البربر عدداً من الدويلات في عدد من مدن الأندلس كآل زيري في غرناطة . وهناك العامريون أو بالأحرى غلمان العامريين وأتباعهم الذين تمركزوا في عدد آخر من الدويلات كخيران العامري وكغيره الذين تمركزوا في جزيرتي ميورقة ومنورقة .

وكما قلنا سابقاً : كانت هذه الدويلات تدفع الجزية لملوك الاسبان دفعاً لشرهم وجلباً لنفعهم ، وكانت تحارب بعضها بعضاً وتستعين ، في كثير من الأحيان ، بجنود مرتزقة من الاسبان للتغلب على هذا الرئيس أو ذاك . كذلك ازدهرت الحياة الأدبية في هذه الدويلات ازدهاراً رائعاً وكان قسم من حكامها أدباء وشعراء أمثال المعتصم بن صمادح والمعتضد بن عباد وابنه المعتمد ، وكان كل حكامها يشجعون الأدباء والشعراء فقامت للأدب سوق رائجة كل الرواج ونشطت حركة التأليف بشكل رائع أخاذ .

كذلك امتازت الحياة السياسية بين تلك الدويلات بلا أخلاقياتها ، إذ لم يكن يتحرج أحدهم عن عقد مودة وصداقة مع الآخر ، وفي نفس الوقت يتحالف مع خصمه أو أخصامه أو يفسد أتباعه عليه أو يدبر ضده إنقلاباً أو يثير عداء الاسبان عليه .

وامتاز قسم كبير من الحكام بقسوتهم المفرطة على أعدائهم حتى تجاوزوا

حد المعقول الانساني . فقد ذكر كثير من المؤرخين أن آل عباد في إشبيلية كان لديهم خزانة ، أو حديقة حسب رواية أحد المؤرخين ، نصبت فيها رؤوس أعدائهم التي قطعوها ، وعلقوا في أذن كل رأس رقعة كتب عليها اسم صاحب الرأس والمناسبة التي أدت إلى قطعه ، وكانت تسمى حديقة الرؤوس ، ويجدون متعة في ذلك .

ولقد افتتح هذا العهد القاضي ابن عباد لما استبد بحكم إشبيلية بمسرحية ظن أنها تثبت سلطانه وتسبغ الشرعية على حكمه ، فأعلن « اكتشافه » الخليفة المنكود البائس هشام المؤيد ، وأنه أصبح في خدمة الخليفة الشرعي : فهذا مولاكم أمير المؤمنين قد صرفه الله عليكم وجعل الخلافة ببلدكم لمكانه فيكم[1] .

ولقد فسدت العلاقات بين الحكام ولم يعد أحد منهم يثق بالآخر لأنه يعلم أنه يخدعه ويمالىء عليه وإذا وجد فرصة خانه وغدر به ، كما فعل المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية بابن ذي النون لما خدعه عن قرمونة ومناه بقرطبة فوثق به ابن ذي النون وسلمه قرمونة ، فكانت النتيجة أنه خسر قرمونة وقرطبة[2] حتى إنه لم يكن من المستغرب أن يغدر الولد بأبيه أو يتآمر ضده ، كما فعل إسماعيل بن المعتضد بن عباد لما تآمر ضد أبيه وحاول قتله وانتزاع الملك منه ، ولكن الوالد نجا من المؤامرة وقتل ابنه وأذاع بياناً وجهه إلى ملوك الأندلس آنذاك يخبرهم بما حدث ، ويشبه فعل ابنه به بفعل المنتصر بأبيه المتوكل ، وبفعل أحد ملوك الفرس بأبيه

---

(1) عنان ، محمد عبد الله . دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي . طبعة ثانية مزيدة منقحة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٩ م ص ٣٨ ،

(2) ابن عذاري ، المصدر المذكور آنفاً . ٣/٢٨٣ .

دون ذكر الأسماء [1] . ثم يذكر أنه نفذ حـــكم العدل في المتآمرين بما يستحقونه [2] . وأخـيراً يطلب من الجميع الاعتبار بما حدث وكيف أن أبناء هذا الزمان عاقون لآبائهم [3] .

ووسط هذا الحلك من انحطاط الحياة السياسية والأخلاقية نرى بعض اللمعات التي تشبه لمعات البرق في ليلة حالكة السواد ، فقد اغتصب وكلاء المعتصم بن صمادح حاكم المرية قطعة أرض لشيـــخ وضموها للحدائق التي أنشأها المعتصم وسماها باسمه الصمادحية . ولم يتمكن المسكين من عرض ظلامته على الحاكم ، فاحتال بأن كتب رقعة ووضعها ضمن قصبـة جوفاء وألقاها في الساقية التي تمر أمام المعتصم فعلاً فأخذها فوجد فيها الشكوى من اغتصاب أرضه : أنت ملك قد وسع الله تعالى عليك ومكن لك في الأرض ، ويحملك الحرص على مايفنى أن تضم إلى جنتك الواسعة العظيمة قطعة أرض لأيتام حرّمت بها حلالها [4] ... ويبـدو أنه كانت لاتزال في نفس المعتصم هذا بقية من خير فبحث الأمر فوجده كما ذكر الشيخ فأمر بإعادتها اليه .

ولقد اغتنم الاسبان فرصة ضعف الأندلس وتقسمها إلى عدد كبير من الدويلات فألحوا عليها بالهجوم ، واسترجعوا قسماً مهما من الأراضي الأندلسية وتوجوا عملهم هذا باحتلال طليطلة عاصمة القوط القديمة . وقد أدرك الاسبان سقوط أخلاق الأندلسيين وفسادهم آنذاك ، وأدركوا أن ذلك من أهم أسباب ضعفهم وانتصار الاسبان عليهم ، نجد ذلك واضحاً في

---

(1) عنان . المصدر المذكور آنفاً ٥٠ ـ ٥١ .

(2) نفس المصدر .

(3) نفس المصدر .

(4) المقري المصدر المذكور آنفاً . ٢٣٨/٤ - ٢٣٩ .

رسالة فردلند ملك قشتالة إلى أهل طليطلة لما حاصرها أشد حصار ، وحاول الطليطليون دفعه دون جدوى عن مدينتهم ، ودارت بين الطرفين مراسلات كثيرة ، وأخيراً أخبرهم أنه لن يرحل عنهم حتى يحكم الله بينه وبينهم : وقد نصرنا الآن عليكم برداءتكم ... ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم (١) .

ولقد سقطت طليطلة بيد فردلند ووضعت بنود لحماية السكان المسلمين ولكن عبثاً ، إذ لم يف الاسبان منها بشيء واستباحوها وفعلوا بها الأفاعيل .

وقد وجه الفونسو السادس رسالة تهكمية ملؤها الصلف والوعيد إلى المعتمد بن عباد ، ولقب نفسه فيها الأنبيطور ذا الملتين . ولقد حاول المعتمد أن يرد عليه ، ولكن كيف يرد الضعيف العاجز الذي يدفع الجزية على القوى ذي اليد العليا (٢) ؟ كذلك وجه الفونسو رسالة تهديدية تقريعية إلى المتوكل على الله حاكم بطليوس فكان الجواب جواب العاجز الجبان .

ولعل أروع تصوير لحال ملوك الطوائف آنذاك هو الرسالة الشفهية التي وجهها الفونسو إلى المعتمد قبل معركة الزلاقة : كيف أترك قوماً مجانين تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمرائهم : المعتضد والمعتمد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون ، وكل واحد منهم لايسل في الذب عن نفسه سيفاً ، ولايرفع عن رعيته ضيماً ولاحيفاً ، قد أظهروا الفسوق والعصيان ، واعتكفوا على المغاني والميدان وكيف يحل لبشر أن يقر منهم على رعيته أحداً ، وأن يدعها بين أيديهم شدأ (٣) .

---

(١) ابن عذاري . المصدر المذكور آنفاً ، ٢/٢٨٢ .
(٢) عنان . المصدر المذكور آنفاً ٧٥ - ٧٦ .
(٣) نفس المصدر — ٧٤ .

قد لاتكون هذه الرسالة صحيحة ، ولكنها تصور الوضع أصدق تصوير . ولقد ظلت الأندلس تتخبط بين شقي الرحا : الفساد الداخلي والانقسام ، والعدو الخارجي المهدد بالابتلاع حتى أنقذها الله بالمرابطين .

والمرابطون جماعة من البربر سكان شمالي إفريقية اعتنقوا الاسلام ، وهم قوم على الفطرة ، فتأثروا به كل التأثر وتفاعلت نفوسهم مع مبادئه السامية ، ورزقهم الله قائداً فذاً هو يوسف بن تاشفين فتمكنوا من تأسيس امبراطورية ضمت الجزائر ومراكش الحاليتين ، إلى جانب قسم كبير جداً من الصحراء الجنوبية ، وبرزت هذه الدولة كأقوى دولة في المنطقة ، وجعلت شعارها الجهاد في سبيل الله . ولم يكن أمام الأندلسيين خيار : إما أن يرعوا الخنازير في جبال قشتالة أو أن يرعوا الجمال في صحاري إفريقية وقد اختار القوم المصير الثاني ، فأثبتوا أنهم ، برغم كل ما أصابهم من انحراف وتشوه وفساد، في صميمهم مسلمون ، يغارون على الاسلام ومصيره وغفر هذا الموقف لهم كثيراً من سيئآتهم .

وقد أجمع القوم على توكيل ابن عباد في استصراخ ابن تاشفين لنصرة الأندلس ، وكانوا يعرفون تقصيرهم وعجزهم وانهم جنوا على أنفسهم وشعبهم وبلادهم ودينهم ، وقد انعكس ذلك في الرسالة التي وجهها المعتمد بن عباد باسمه واسم ملوك الأندلس الي يوسف بن تاشفين يستصرخه لنجدة المسلمين في الاندلس: أما بعدفإنك إن أعرضت عنا نسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عجز وإن أجبنا داعيك نسبنا إلى عقل ولم ننسب إلى وهم ، وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبتينا فاختر لنفسك أكرم نسبتيك[1] .

---

(١) ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨م ٦/١١٢ - ١١٣ .

ولقد لبى يوسف بن تاشفين نداء الأندلس ونداء الأندلسيين واصطدم بجيوشه ، تؤازره جيوش أهل الأندلس ، بجيوش الاسبان بقيادة الفونسو السادس ، في معركة الزلاقة الشهيرة التي أدت إلى انتصار المسلمين وهزيمة الاسبان وتراجع المد الاسباني إلى جزر ولو إلى حين .

ولقد دارت بين يوسف بن تاشفين والفونسو السادس مراسلات كثيرة قبيل المعركة ، وحاول الفونسو خداع ابن تاشفين ، ولكن ذلك كله لم يجده نفعاً ، ونشبت المعركة بين الطرفين ، والتي تعتبر من أروع معارك الاسلام وأمجدها يوم الجمعة العشرين من رجب سنة ٤٧٩ هـ ، وهي معركة الزلاقة . وتمكن المسلمون بتآزرهم وتعاونهم وثباتهم وشجاعتهم ، وقبل كل شيء بإيمانهم العظيم بدينهم ومبادئه ، من تحطيم الجيش الاسباني تحطيماً يكاد يكون تاماً كاملاً وأصيب قائده الفونسو بجراح وهرب مع قلة من أفراد جيشه تحت جنح الظلام . وقد صور ذلك أجمل تصوير المعتمد في رسالته لابنه يصف المعركة : كتابي هذا ... وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين ... وهزم الكفرة المشركين وأذاقهم العذاب الأليم والخطب الجسيم فالحمد لله على مايسره وسناه من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة في تشتيت شمل الأذفونش والاحتواء على جميع عساكره ... بعد إتيان النهيب على محلاته واستئصال القتل في جميع أبطاله وحماته ، حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها [1] ...

ولقد أبلى المعتمد نفسه في هذه المعركة أحسن البلاء وأعظمه ، وذلك بشهادة يوسف بن تاشفين نفسه الذي أرسل رسالة يشرح المعركة وظروفها إلى تميم بن المعز بن باديس في المهدية بعد انتهائها : ... ولجأ

(١) المقري . المصدر المذكور آنفا ، ٦/١٠٢ .

(أي المعتمد بعد أن هاجم جيش الفونسو جيشه وتخلى عنه الجميع) في الأخبية بعد أن عاين المنية ، وتخلصه الله بنيته في المسلمين وبلغه أمنيته ، بعد أن وقف وقفة بطل مثله ، لا أحد يرد عليه ، ولافارس من فرسانه وعبيده يرجع اليه ، لايروعه أحد منهم فيهزم ، ولا يهابهم فيسأم[1] .. ثم يقص يوسف ماجرى بعد ذلك من وصول الصريخ اليه وهجومه بجيشه على الفونسو والتحام المعركة . وانظر إلى قوله لنفسه وأتباعه : هذا آخر يومنا من الدنيا فلتموتوا شهداء [2] ... فثبت الله أقدامنا وقوي أفئدتنا والملائكة معنا ، والله تعالى ولي النصر لنا ، فولوا هاربين وفروا ذاهبين [3] . وانظر إلى تواضعه واعتماده على الله تعالى ونسبة الظفر الذي حازه المسلمون على الاسبان إلى الله تعالى لا إلى نفسه أو جيشه أو شجاعته مع أنهم بذلوا أقصى مايتوقع بذله من إنسان في تلك المعركة الضارية حتى تمكنوا من تحقيق النصر : ... وتساقط أكثرهم بقدر الله تعالى دون دون طعنة تلحقه ولاضربه تثخنه [4] .

ولكن معركة الزلاقة ، والنصر الذي حازه المرابطون والأندلسيون لم يحل مشكلة الأندلس ، ذلك أن معركة الزلاقة كانت معركة مهمة ولكنها لم تكن حاسمة ، فقد أصابت الاسبان بجروح عميقة ولكنها غير قاتلة كما وإن العلاقات ساءت بين المرابطين وبين ملوك الطوائف ، وبين ملوك الطوائف بعضهم بعضاً ، وخشي يوسف على جيوشه ، إن بقيت في الجزيرة الخضراء ، أن تصبح في جزيرة وسط

(1) عنان . المصدر المذكور آنفاً ٤٤٦ – ٤٥٠ .

(2) نفس المصدر .

(3) نفس المصدر .

(4) نفس المصدر .

بحر من الأعداء • وأثار بعض الناس ، ولاسيا بعض قواده ، طمعه في احتلال الأندلس كلها وضمها إلى سلطانه . ولم يحسن ملوك الطوائف من جهتهم التصرف فأدت تلك الظروف كلها إلى أن قرر يوسف بن تاشفين إحتلال الأندلس كلها وضمها إلى ملكه ، وأن يقوم هو وجيشه بعبء الجهاد والدفاع عن الأندلس. ولقد نفذ يوسف فكرته هذه واحتلت جيوشه الأندلس بكاملها . ولقد اختلف مصير حكام الأندلس ، فأغلبيتهم كان مصيرهم القتل والأسر والنفي كما حدث للمعتمد بن عباد الذي احتل المرابطون مملكته ونفوه مع أسرته في القيود إلى أن مات في أقصى المغرب الأقصى حيث أمضى ماتبقى من حياته . أما الذين لم يقاوموا يوسف بن تاشفين وسلموا له ممالكهم طواعية أمثال الأمير عبد الله بن زيري أمير غرناطة ، فقد كان مصيره أفضل من مصير المعتمد بن عباد ، فقد خير في النزول في أي مكان أراده باستثناء غرناطة ووسع عليه وعومل معاملة أفضل [1] . أما الحاكم الوحيد الذي نجا من هذا المصير فهو المستعين بالله بن هود حاكم سرقسطة ، ذلك أنه سلك سلوكاً حسناً وأرسل إلى يوسف بن تاشفين يبدي ولاءه وخضوعه واستعداده ليكون سداً بين يوسف وبين الأعداء الاسبان وتمهد بتقديم الهدايا والطرف: ونحن بينكم وبين العدو سد لا يصل إليكم منه ضرر ومناعين تطرف وقد قنعنا بسالمتكم فاقنعوا منا بها إلى مانعينكم به من نفيس الجواهر [2]. ويبدو أن يوسف بن تاشفين رأى أن من الأفضل له وللأندلس وللخطة الدفاعية عنها أن يترك ابن هود في سرقسطة التي هي الثغر الأعلى سداً

(1) عبد الله . مذكرات الامير عبدالله آخر ملوك بني زيري في غرناطة المسماة بكتاب التبيان ، تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٥ م ص ١٤٩ .

(٢) ابن عذاري ، المصدر المذكور آنفاً ، ٤/١٤٥ .

منيعاً بينه وبين الاسبان وأن يعمل على تقويته في ذلك تقوية له وللأندلس وللجهاز الدفاعي بكامله ، فذلك خير من ضمها مباشرة إلى ملكه والقيام بجيوشه بهذه المهمة ، ولذلك نراه يجيب ملتمس ابن هود أفضل إجابة وأكرمها ، ويرسل له رسالة تفيض بأنبل العواطف : وأما الذي عندنا ففؤاد صريح وعقد في ذات الله تعالى صحيح [1] ... وأصغينا في تفصيل جمله إلى تلخيصها [رسولا ابن هود] فألقينا اليها مراجعة عن ذلك مالقناه ، وسفرنا لهما عن وجه مقصدنا فيه حتى يستبيناه ، من جملة الوفاق وجماع الانتظام في سلك مايرضي الله تعالى والاتساق [2] ... وبالجملة فقد انتهى عهد ملوك الطوائف في الأندلس إلى نهايته المنطقية إذ لم يكن بإمكان حاكم قوي كيوسف أن يسمح لهؤلاء الحكام بالانتزاء والتآمر والتقاتل والتخاصم ، مما قد يؤدي إلى تهديد جيوشه وسلامة الأندلس وسلامة القضية التي يدافع عنها ، ففعل مافعل وهو تحت تأثير المصلحة العامة أكثر مما هو تحت تأثير النوازع الشخصية . ولكنه يلام بعض اللوم لسوء معاملته لبعض ملوكهم كالمعتمد بن عباد الذي أبلى أروع البلاء وأعظمه في معركة الزلاقة ، وكان لموقفه المشهور في الدفاع عن الاستنجاد بالمرابطين أثر كبير في ترجيح كفة المطالبين بهذه النجدة . وكنا نود لو أنه رعى له هذه المواقف السابقة فأحسن معاملته واحترم فيه شيخوخته وأدبه وأريحيته وكرمه وجهاده وإخلاصه .

---

(1) ابن الخطيب ، المصدر المذكور آنفا ١٧٣ - ١٧٤ .

(2) نفس المصدر .

د - المرابطون ٤٥٣ - ٥٤١ هـ/١٠٦١ - ١١٤٥ م :

نبعت حركة المرابطين في المغرب الأوسط ، وجعلت شعارها نشر الاسلام والدفاع عنه عن طريق التبشير به بين الوثنيين ، كما جعلت شعارها المرابطة في الثغور للدفاع عن بلاد الاسلام ، ومن هنا أتى إسم المرابطين ولقد كان لروادها الأوائل فضل كبير في نشر الاسلام بين القبائل الوثنية جنوبي الصحراء الجزائرية ، كما كان لهم فضل الدفاع عن الاسلام وحماية المسلمين من الأعداء الداخليين والخارجيين . وقد برز من زعمائها الأوائل يوسف بن تاشفين الذي تمكن أن يرأب الصدع في الحركة المرابطية وأن يعيد توحيد المرابطين تحت قيادته ، وأن يسير في بناء الدولة المرابطية إلى الغاية المنشودة ، وهي تأسيس دولة قوية ضمت القسم الأكبر من شمالي إفريقية ، مع التوسع نحو الجنوب والجنوب الغربي والجنوب الشرقي ، ونشر الاسلام والدفاع عنه .

وإن الدارس لشخصية يوسف بن تاشفين ليعجب للبساطة التي تحلى بها هذا القائد . فقد كان بسيطاً في حياته الخاصة والعامة ، سليم الطوية صافي السريرة ، ظاهره كباطنه ، وظل هكذا حتى أواخر أيام حياته ، لم يغيره الغنى والجاه والنفوذ . كذلك يمتاز بإيمانه العميق بمبادئه التي أعلنها ونذر نفسه من أجل تحقيقها ، حتى ذاع صيته في جميع أقطار الاسلام ، واشتهر بصلابته في إيمانه وإخلاصه في تقواه . هذا وإن هذه البساطة وهذا الايمان وهذا الاخلاص هي صفات النفس المؤمنة التي فطر الله الناس عليها ، ولذلك حببته هذه الصفات من أتباعه البربر الذين اعتنقوا المبادىء التي نادى بها وأطاعوه وساروا تحت لوائه . ذلك أن البربر كانوا آنذاك قوماً أقرب إلي الفطرة فاستجابوا لدعوة الفطرة يقودهم

رجل فطرته سليمة وطويته صافية . وهذا يعلل إلى حد كبير ، نجاح يوسف في دعوته .

ولقد ظل يوسف ثابتاً على مبادئه حتى نهاية حياته ومخلصاً لها ماعاش من عمر ، على الرغم من الدنيا العريضة التي أتته والترف الذي أصاب حياة المرابطين بعد احتكاكهم بالأندلسيين وبعد أن أصبحت الأندلس قسماً من امبراطوريتهم . ولكن الوضع تغير بعد يوسف ولم يكن ابنه وخليفته من بعده على مثل أبيه ، فأخذ القوم بأسباب الترف وركنوا إلى الراحة والدعة ، وتقاعسوا عن أداء الواجب المفروض عليهم في الدفاع عن الأندلس وأصيبوا بعدد من الهزائم المروعة أمام الأعداء الاسبان ، وتفشى بينهم الترف والفساد ، ونبعت في عهد علي الحركة الموحدية التي قدر لها أن تدمر المرابطين وأن تحل محلهم . ولقد كان علي أقرب إلى الخير والصلاح منه إلى الشر والفساد ، ولكن الظروف كانت أقوى منه ، وحاول إيقاف التيار فعجز ، واضطربت إدارته وأوضاعه داخلياً وخارجياً . وبعد وفاته واستلام ابنه تاشفين مكانه تسارعت عوامل الهدم في البنيان المرابطي حتى تمكن الموحدون من القضاء عليهم والحلول محلهم .

١ ـ يوسف بن تاشفين ٤٥٣ ـ ٥٠٠ هـ/١٠٦١ ـ ١١٠٧ م .

لما شعر يوسف بن تاشفين بقوته وصلابة الأرض التي يقف عليها اتخذ لقباً مهماً ذا مغزى هو لقب أمير المسلمين ، وهو لم يتخذ لقب أمير المؤمنين ، وكان بإمكانه أن يفعل ذلك لأنه كان آنذاك أقوى من الخليفة العباسي أو الخليفة الفاطمي . ولكن اتخاذ هذا اللقب يعني القطيعة مع النظامين العباسي والفاطمي . وكانت الدعوة المرابطية أقرب بكثير ، بمبادئها ومثلها ، إلى الدعوة العباسية وإلى السنة والجماعة من الدعوة الفاطمية

والحركة الشيعية . ولم يكن في نية المرابطين وزعيمهم يوسف أن يقطعوا علاقتهم بالعباسيين ، على العكس كانوا يريدون تعزيزها ، وحاولوا الاعتراف بشرعية حركتهم وشرعية دولتهم عن طريق الحصول على تقليد من الخليفة العباسي الموجود آنذاك . لذلك أصدر يوسف مرسوماً إلى جميع ولاته يطلب منهم أن يلقبوه بلقب : أمير المسلمين وناصر الدين [١] ، وذلك : لنمتاز به على سائر أمراء القبائل [٢] . وكان ذلك في منتصف محرم سنة ٤٦٦ هـ .

كذلك لجأ يوسف ، بعد أن صلب عوده وشاع ذكره وعرف أثره ، الى الخليفة العباسي القائم بأمر الله يطلب منه تقليداً يجعل ولايته شرعية على المناطق التي سيطر عليها . وقد كان الخليفة عند حسن ظن يوسف به ، وأرسل له تقليداً شرعياً يعدد فيه الوصايا ويوجه الوجهة الشرعية في حكم البلاد والرعايا . وهو يذكر أنه حين انتهى اليه [إلى أمير المؤمنين] ماهو عليه من ادراع جلابيب الرشاد في الأصدار والايراد ، واتباع سنن من أبدى وأعاد ، فيما يجمع خير العاجلة والمعاد ... واتضح ماهو متشبث به من صحة الدين واليقين ... في ضمن ماطوى عليه ضلوعه ، وأدام لهجه به وولوعه ، من موالاة لأمير المؤمنين يدين الله تعالى بها ، ويرجو النجاة من كل مخوف باستحكام سعيها ... فولاه الصلاة بأعمال المغرب والمعاون ، والأحداث والخراج والضياع والأعشار والجبذة والصدقات والجوالي وسائر وجوه الجبايات والعرض والعطاء والنفقة في الأولياء ، والمظالم وأسواق

---

(١) حركات ، ابراهيم . المغرب عبر التاريخ . الدار البيضاء ، مطبعة دار السلمي ، ١٩٦٥ م . ص ٢٠٨

(٢) نفس المصدر .

الرقيق ، والعيار في الضرب والطرز والحسبة ... سكوناً إلى استقلاله بأعباء ما استكفاه إياه ، واستقباله النعمة عليه في ذلك بكل ماينشر ذكره ويطيب رياه [1] ...

بعد ذلك ينتقل الخليفة إلى الوصايا المتنوعة المعروفة ، فيوصيه أول مايوصيه بتقوى الله تعالى في الاعلان والاسرار [2] ، ثم يوصيه بالائتمام بكتاب الله تعالى والإستضاءة بمصباحه [3] . وأن يحافظ على الصلوات ، وأن يسعى في أيام الجمع إلى المساجد الجامعة ، وأن يقيم الدعوة على منابرها لأمير المؤمنين ، ولولي عهده العدة للدين القاسم بن عبد الله بن محمد بن أمير المؤمنين أدام الله تعالى به الامتاع ... ثم لنفسه ، جارياً في ذلك على ما ألف من مثله [4]. ثم يوصيه بإخراج الزكاة على الوجه الشرعي ، بعد ذلك يوصيه بحسن السيرة والبعد عن الرذيلة وفعل الخير ، وأن يحسن لأتباعه وأنصاره وأن يعدل في الرعايا قبله ، وأن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، وأن يحمي الطريق ، وأن يلقي القبض على إباق العبيد وإعادتهم إلى أصحابهم ، وأن يختار للشرطة رجالاً أكفاء أقوياء ، حتى يقتلعوا الشر من جذروه ، وحتى يدعموا أحكام القضاة خير دعم وأقواه ، وأمره بتفقد السجون ،وضبط النفقات ، وقطع دابر الرشوة والسرقات ، وأمره بالاستعداد الدائم والدائب للحرب والجهاد وأمره أن يختار عمال الخراج والعشور والصدقات من الأتقياء البررة ، وكذلك الحال في أمر الحسبة والطراز ودور الضرب والرقيق [5] . وبالجملة رسم الخليفة

(١) القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي . صبح الأعشى في صناعة الإنشا . القاهرة دار الكتب المصرية ، ١٩١٤ - ١٩١٩ م . ١٠/٣١ - ٤٥

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

ليوسف برنامج عمل كاملاً ودستوراً للسير بموجبه لوسار بموجبه أي حاكم لغدت بلاده جنة الله في أرضه .

ولم يكتف يوسف بما حقق من شرعية ، وإنما لجأ أيضاً إلى حجة الاسلام الغزالي الذي كان معاصراً له فأرسل له أحد الفقهاء في حضرته فقص على الامام الغزالي سيرة يوسف في تقواه ، ودينه ، وجهاده ، ورسم له صورة مشرقة كل الاشراق ، فأصدر الامام الغزالي فتوى شرعية تثبيت شرعية ولاية يوسف وتجعل الخروج عليه خروجاً عن الدين ومروقاً من الاسلام والايمان . والملاحظ في هذه الفتوى أن الغزالي يجعل الاعتراف بالخليفة العباسي شرطاً أساسياً وركناً رئيسياً من أركان شرعية الحاكم الذي يعترف بالخليفة العباسي : ... وإذا نادى الملك المشمول بشعار الخلافة العباسية وجبت طاعته على كل الرعايا والرؤساء ، ومخالفته مخالفة للإمام ، وكل من تمرد واستعصى فحكمه حكم الباغي ، ومن حق الأمير أن يرده بالسيف وأن يقاتل الفئة المتمردة على طاعته (٥) ... وأن يستمر في قتالهم حتى يعودوا إلى طاعة الأمير العادل المتمسك بطاعة الخلافة العباسية ، ومتى تركوا المخالفة وجب الكف عنهم (١) ...

ويبدو أن بعضاً من مناوئي يوسف احتجوا بعدم وصول تقليد من الخليفة العباسي ، ويرد الغزالي هذا القول بمايلي : ... وحكمهم بالجملة في البغي على الأمير المتمسك بطاعة الخلافة المستولي على المنابر والبلاد بقوة الشوكة ، حكم الباغي على نايب الامام ، فإنه وإن تأخر عنه صريح التقليد لاعتراض العوايق المانعة من وصول المنشور بالتقليد ، فهو نايب

---

(١) عنان ، محمد عبد الله . عصر المرابطين والموحدين في الاندلس . القاهرة ، لجنة التأليف ، ١٩٦٤ م . ١/٤٢ - ٤٣ .
(٢) نفس المصدر .

بحكم قرينة الحال ، إذ يجب على إمام العصر أن يأذن لكل مسلم عادل استولى على قطر من أقطار الأرض ، أن يخطب له وينادي بشماره ويحمل الخلق على العدل والنصفة .

ولاينبغي أن يظن بالامام توقف في الرضا بذلك والإذن فيه ، وإن توقف في كتبه المنشور ، فالكتب قد يعوق عن إنشائها وإيصالها المعاذير [1].

كذلك وجه الامام الغزالي خطاباً إلى يوسف بن تاشفين يفيض مدحاً وشكراً على مافعله في نصرة المسلمين في الأندلس ، وقد افتتح الخطاب بلقب من المستغرب كل الاستغراب أن يطلقه الغزالي نفسه على يوسف وهو : أمير المؤمنين [2] . وهذا ولاشك خطأ من النساخ ، لأن الغزالي نفسه يلقب يوسف في نفس الرسالة بلقب ظهير أمير المؤمنين [3] . وواضح كل الوضوح من الرسالة أن الغزالي لايلقبه قطعاً بأمير المؤمنين وإنما أمير المؤمنين الخليفة العباسي ويوسف أحد ولاته . ويبدو لنا أن أصل اللقب هو أمير المسلمين ، ولكن حصل خطأ أو التباس أدى إلى هذا . ويظهر أن سمعة يوسف وماقام به من أعمال في شمالي إفريقية والأندلس قد انتشرت في أرجاء العالم الاسلامي حتى وردت العراق وبغداد ، فيذكر الغزالي : ولقد استطارت في الآفاق محامدُ سيره ومحاسن أخلاقه على الاجمال (٤) . بعد ذلك ورد إلى العراق رسول يوسف وهو الفقيه أبو محمد عبد الله بن عمر بن العربي فأحسن نشر مناقب يوسف ومنجزاته ، وحدث القوم عن جهاده في نشر الاسلام في شمالي إفريقية ، وعدله في

---

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر ١/٥٣٠ - ٥٣٣ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

الرعية وحالة الأندلس قبل معركة الزلاقة واستنجاد القوم بيوسف ونجدته إياهم وهزيمة الاسبان ، ثم ماحدث بعد ذلك من تخاذل القوم وكيف اضطر يوسف إلى أن يعبر الأندلس مجدداً ، وأن ينهي حكم ملوك الطوائف وأن يضم الأندلس إلى مملكته ، وباشر الجهاد بنفسه وجيشه في الأندلس نجد ذلك كله مبسوطاً في رسالة الغزالي ليوسف ، مع إعجاب شديد به وبرسوله الذكي الألمعي ، ودعاء للأمير أن يوفقه الله تعالى ويسدد خطاه ، ويختم رسالته بقوله : ونسأل الله أن يخلد ملك الأمير ويؤيده تخليداً لاينقطع أبد الدهر . ولعل القلوب تنفر عن هذا الدعاء وتستنكر لملك العباد التأبيد والبقاء ، وليس كذلك ، فإن ملك الدنيا إذا زين بالعدل فهو شبكة الآخرة ، فإن السلطان العادل إذا انتقل من الدنيا انتقل من سرير إلى سرير أعظم منه ، ومن ملك الى ملك أجل وأرفع منه (١) ...

ولما توطد الملك ليوسف وشعر باقتراب أجله بايع ابنه علياً بولاية العهد من بعده وأصدر عهداً وكتاب تولية بذلك سنة ٤٩٦ هـ ، وهو يعلن أنه ، في اختيار ولده لهذا المنصب من بعده ، لم يأل جهداً ولا نصيحة لله ورسوله في هذا الاختيار واستنصح أولي الحل والعقد من قومه ، فكلهم أشار عليه بولده علي أن يكون ولي عهده وأميراً للمسلمين من بعده ، لذلك ولاه ولاية عهده ، وعهد اليه أن يتقي الله ما استطاع ، ولايعدل عن سمت العدل وحكم الكتاب والسنة (٢) . ثم يوصيه بعد ذلك بحسن الدفاع عن المظلومين ، وأن يداوم الجهاد وأن يحسن الدفاع عن العباد والبلاد . ثم يذكر أنه دعا لمبايعته من دنا ونأى من المسلمين فلبوا مسرعين

---

(١) نفس المصدر .

(٢) القلقشندي ، المصدر المذكور آنفاً ١٠ ,١٦١ - ١٦٢ .

وأتوا مهطعين وأعطوا صفقة أيمانهم متبرعين متطوعين ، وبايعوه على السمع والطاعة والتزام سنن الجماعة [1] ...

وبعد صدور هذا التقليد أصدر يوسف كتاباً إلى جميع ولاته يعلن توليته لعهده من بعده لولده علي .

ويعيد في الكتاب ماسبق أن ذكره في التقليد من ضرورة الولاية بالعهد وعدم ترك الأمر فوضى ، وأن هذا الأمر مسؤولية على الحاكم ، وأن يوسف استشار واستخار ، ثم اختار ولده علياً ، وإن علياً أهل لملء هذا المنصب ، وأن أمير المسلمين استدعاه اليه مشترطاً عليه الشروط الجامعة بينها وبين الشروط فقبل ورضي [2] ...

٢ ـ علي بن يوسف بن تاشفين ٥٠٠ ـ ٥٣٧ هـ/١١٠٧ ـ ١١٤٣ م .

ولقد افتتح علي عهده بأن أرسل الى الخليفة العباسي المستظهر بالله يخبره باستلامه إمرة المسلمين ويجدد ولاءه له ويطلب تقليداً ، وكان الخليفة عند حسن الظن به فأرسل له تقليداً مختصراً جعل ولايته شرعية [3] .

ولقد امتاز عهد علي بعمليات عسكرية في الأندلس كان التوفيق حليفه في أول الأمر ، ولكن قلب الحظ له وللمسلمين ظهر المجن ، وحدثت بعهده كوارث حقيقية وسقطت بيد الاسبان معاقل رئيسية مثل سرقسطة وغيرها .

فقد امتلأ المرابطون فخراً لما تمكنوا من احتلال قلعة شنترين في بلاد البرتغال ، وهي من أمنع القلاع وأقواها ، ونجد ذلك الفخر بارزاً في رسالة قائد جيش المرابطين سير بن أبي بكر بن تاشفين إلى علي بن

---

(١) نفس المصدر .

(٢) حركات ، المصدر المذكور آنفاً ١/٢٠٣ .

(٣) نفس المصدر ١/٢٠٢ .

يوسف بن تاشفين عن القلعة وكيفية احتلالها : ولما رأينا هذه القلعة الشريفة المناسب في القلاع المنيفة المناصب على القاع ، قد استشرى داؤها وأعيا دواؤها ، استخرنا الله تعالى على صمدها ، وضرعنا اليه في تسهيل قصدها [1] ... فقصدنا اليها وهجمنا هجوم الردى عليها ، في وقت انسدت فيه أبواب السبل ، وأعيت أهلها بحول الله وجوه الحيل [2] ... ولما ضمهم لضيق ولاجه الحصار ، وغشيهم بتفريق أمواجه البوار ، ... اختاروا الدنية على المنية ورضوا بالاستسلام للعبودية وإسلام الأهل والذرية [3] . وهذه القلعة التي انتهينا الى قرارها واستولينا على أقطارها أرحب المدن أمداً للعيون وأخصبها بلداً على السنين [4] .

ولكن هذا العهد القصير من الانتصارات انتهى ليحل محله عهد أسود من الانهزامات وتسليم المدن ، وكان السبب الأكبر في ذلك سوء قيادة القوة المرابطيـــة وتخاذل أفرادها أكثر مما هو قلة في عدد أفرادها أو سوء تجهيزها . فقد هاجم الفونسو المحارب مدينة سرقسطة ، وحاول إنجادها أخو أمير المسلمين حاكم الاندلس وقائد جيشها الأمير أبو طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين ، ولكنه لم يفعل شيئاً وهاب لقاء العدو ونكص عن حربه ، وتخلى عن البلدة وتركها لمصيرها المؤلم . ولقد حاصر العدو سرقسطة ، وأرسل أهلها وقاضيها وأعيانها رسالة تهز الوجدان وتذيب الصخر يعلنون ولاءهم وطاعتهم ويطلبون حمايتهم وانقاذهم ولكن ذهبت تلك الرسالة صرخة في واد .

---

(١) المراكشي ، عبد الواحد . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الاسلامي ، ١٩٦٣م ٢٢٩ - ٢٣٢

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

فقد خاطبت الرسالة الأمير أجمل مخاطبة ، واعترف القوم بطاعته واستنجدوه على أعداء الله . ثم ينتقل القاضي والجماعة الى ذكر حالهم : فنحن في كرب عظيم وجهد أليم ، قد جل العز والخطب ، وأهلنا لهلاك والعطب ، فيساغوثاه ثم ياغوثاه الى الله [1] ... ويالله وياللاسلام ، لقد انتهك حماه وفضت عراه ... وياحسرتا على حفرة قد أشفت على شفي الهلاك ، طال ماعمرت بالايمان ، وازدهت بإقامة الصلوات وتلاوة القرآن ترجع مراتع الصلبان ومشاهد ذميمة لعبدة الاوثان [2] ... وياويلاه على مسجد جامعها المكرم ، وقد كان مأنوساً بتلاوة القرآن العظيم تطؤه الكفرة الفساق بذميم أقدامها ... ثم ياحسرتاه على نسوة مكنونات عذارى يعدن في أوثاق الأسارى [3] ... فإلى الله بك المشتكا ، ثم الى رسوله المصطفى ، ثم الى ولي عهد أمير المسلمين المرتضى [4] ... ثم يذكرون له خيبتهم الكبرى لما قدم بعساكره التي ملأتهم فخاراً وأملاً ، ثم انثنى دون حرب ولايحزنون : ... فما أوليتنا غناء بل زدتنا بلاء وعلى الداء داء بل أدواء [5] ... ثم يذكر له نتائج نكوصه هذا : ... بل أذللت الاسلام والمسلمين واجترأت فضيحة الدنيا والدين ، فيالله ويالاسلام لقد اهتضم حرمه وحماه أشد الاهتضام اذ أحجمت أنصاره عن إعزازه أقبح إحجام [6] ... ثم ينتقل القاضي الشجاع الى تحذير المرابطين بأنه ان حم

---

(١) عنان ، المصدر المذكور آنفاً ، ١/٥٣٨ - ٥٤١ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

(٦) نفس المصدر .

القضاء على سرقسطة فإنهم سيجلون عن الأندلس كلها : ... أتحسبون يامعشر المرابطين ... ان سبق على سرقسطة القدر . . . أنكم تبلعون بعدها ريقاً وتجدون في سائر بلاد الأندلس ـ عصمها الله ـ مسلكاً من النجاة وطريقاً ؟ كلا والله ليسومنكم الكفار عنها جلاء وفراراً ، وليخرجنكم منها داراً فداراً . . . [1] ثم يختم كتابه هذا بتحميل الأمير تميم المسؤولية عند الله وعند المسلمين : ولن يسعك عند الله ولاعند مؤمن عذر في التأخر والأرعوا ، عن مناجزة الكفار والأعدا ... [2] ويقول له : ومهما تأخرتم عن نصرتنا فالله ولي الثأر لنا منكم ورب الانتقام ، وقد بريتم بإسلامنا للأعداء من نصر الاسلام ... [3] .

ولقد تركت سرقسطة لمصيرها الرهيب فاحتلها الفونسو المحارب ، ولقد كان لسقوطها رد فعل في مجال آخر ، ذلك أن خبر سرقسطة وكيفية سقوطها وصل الي علي بن تاشفين فتألم لذلك كل الألم ووجه الى جيش بلنسية الذي نكل عن نجدة سرقسطة رسالة قاسية كل القسوة كلها تقريع وإهانة وتوبيخ على مافعلوه . ولكن هل يفيد هذا الشيء وحده دون عقوبة زاجرة تمنع أمثال هذا العمل وتعاقب الجناة والمقصرين الذين تسببوا في حدوث ماحدث ؟ وهل اتخذت الترتيبات اللازمة التي تمنع تكرار ماحدث ؟! فقد افتتح رسالته لهم بهذه الجملة الرهيبة : يافرقة خبثت سرايرها وانتكثت مرايرها [4] ... فقد آن للنعم أن تفارقكم ، وللأقدام أن تطأ مفارقكم حين ركبتموها جلواء عارية [5] ... أي بني اللئيمة وأعيار الهزيمة الى

---

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر ١/٥٤٥ - ٥٤٦ .

(٥) نفس المصدر .

ما يريعكم الناقد ويردكم الفارس الواحد [1] . ثم ينتقل الى تهديدهم بالقتل ان عادوا للفرار : وأيم الله نقسم إنذاراً بكم وإعذاراً لكم : لنوردن الفار منكم الزحف ماعافه من موارد التلف ، ولنتجاوزن السوط الى السيف [2] ...

ولكن ذلك لم يجد نفعاً لأن عوامل الترف بدأت تعمل عملها في النفوس وأحب القوم الدنيا وفضلوها على الاخرى ، لذلك نرى المرابطين يصابون بهزيمة أخرى شنيعة في معركة القلعة سنة ٥٢٣ هـ ، وأدت هذه الهزيمة الى مراسلات مريرة بين أمير المسلمين وقواد جيشه . وقد قرعهم مرة ثانية على هذه الهزيمة ووصفهم بأنهم أشجع الناس أقفاء وظهوراً وأجبنهم وجوهاً ونحوراً [3] ...

ولقد أحدثت هذه الهزائم ذعراً مميتاً لدى سكان الأندلس ، ولاسيما في الثغور ، حتى أن سكان بلنسية خافوا أن يتخلى المرابطون عنهم كما تخلوا عن أهل سرقسطة ، فأرسلوا رسالة استغاثة إلى سلطان المرابطين يناشدونه الله والاسلام ألا يتخلى عنهم ، ويصفون له ما أصابهم من ذعر وخوف لما رأوا جيوش المرابطين تولى الأدبار أمام الفونسو المحارب . وقد أجابهم علي بن يوسف جواباً لطيفاً مطمئناً إياهم إلا أنه لن يتركهم وحدهم وأنه سيدافع عنهم : ... وبعد فإنا لاندعكم بحول الله لضياع ، ولا نألوكم إلا اهتبالاً نذهب بمشيئة الله مانالكم من توقع وارتياع [4] . ثم

---

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر ١/٥٤١ - ٥٤٢ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر ١/٥٤٣ .

يخبرهم أنه أصدر أوامره الى جميع ولاة الأندلس بضرورة إمداد بلنسية بالأقوات والأمداد وأنه لن ينساهم ولايزالون من باله (١) .

ولاينسى في هـذه الرسالة أن ينحي باللائمة على أفراد جيشه ويذكر أنه ذكرهم ووعظهم فما ازدادوا الا جبناً ولم تنجع فيهم الموعظة ولانفعتهم الذكرى (٢) .

ولم يتكشف بقية حكام المرابطين عن أي أصالة أو مقـدرة سياسية أو عسكرية ، وانما انصرفوا الى الترف ، وشغلوا أنفسهم بتوافه كثيرة وانصرفوا عن العدوين الخارجي الاسبان ، والداخلي الموحدين الذين تناوشوهم في الداخل والخارج حتى أتتهم الضربة المميته من الموحدين بزعامة عبـد المؤمن الذي ورث زعامة الحركة الموحدية بعد وفاة مؤسسها المهـدي بن تومرت ، وأصبح قائد الموحدين ، وتمكن من القضاء على المرابطين والحلول محلهم وتأسيس دولة جديدة في شمالي افريقية والأنـدلس عرفت باسم الدولة الموحدية .

هـ ـ الموحدون ٥١٥ ـ ٦٦٨ هـ/١١٢١ ـ ١٢٦٩ م .

والحركة الموحدية حركة نبعت في السوس الأقصى من المغرب الأقصى قادهـا شخص تسمى باسم المهدي وزعم لنفسه النسب القرشي ، وأنشأ مدرسة وأتباعاً . وأوجد لها جهازاً متقناً لحماية الدعوة ونشرها ، وتمكن بذكائـه وصرامتـه وشجاعته ، واستفادته من كل الظروف التي أحاطت بالمرابطين أن يثبت أقدام الدعوة الموحدية ، وأن يترك لخليفته من بعده

---

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

عبد المؤمن أن يصل بالحركة الى نهايتها المحتومة المعروفة وهي القضاء على المرابطين والحلول محلهم في شمالي افريقية والأندلس .

ومبدأ الموحدين ، كما هو ظاهر من اسمهم ، التوحيد الخالص لله تعالى ، وذلك واضح كل الوضوح في صيغة التوحيد التي وضعها المهدي والتي كانت الدستور الذي سار عليه أوائل الموحدين وبنيت عليه الدعوة الموحدية : لا اله الا الذي دلت عليه الموجودات ، وشهدت عليه المخلوقات بأنه جل وعلا وجب عليه الوجود على الاطلاق ، من غير تقييد ولاتخصيص بزمام ولامكان ، ولاجهة ولاحد ، ولاجنس ولاصورة ولاشكل (١) ...

ولقد وسم الموحدون المرابطين ونبذوهم باسم المجسمين ، لأن في رأيهم ، وهو الرأي الإسلامي الصواب ، أن الله تعالى موجود قبل الأمكنة والجهات ، فمن جعله في جهة ومكان فقد جسمه ، ومن جسمه فقد جعله مخلوقاً ، ومن جعله مخلوقاً فهو كعابد وثن ، فمن مات على ذلك فهو مخلد في النار (٢) . وفي رأيهم وزعمهم أن المرابطين يعتقدون بوجود مكان لله تعالى ولذلك دعوهم بالمجسمين ، ومن هنا نستطيع تفسير العداء المرير الذي كنوه لهم . ولم يهدأ هذا الحقد وهذا العداء حتى زال المرابطون . كذلك هذا يفسر قسوة الموحدين على أعدائهم ومخالفيهم من المسلمين ، لأنهم اعتبروهم وثنيين ، وأهل الكتاب أولى بالرحمة والرأفة من الوثنيين والمجسمين .

ولقد بذر البذور الأولى المهدي ثم تبعه تلميذه وصفيه عبد المؤمن الذي قضى على المرابطين ووطد دعائم الدولة الموحدية في المغرب ، ثم عبر

---

(١) نفس المصدر ، ١/١٥٥ .

(٢) علام ، عبد الله علي . الدعوة الموحدية بالمغرب . القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦٤م . ص ٣٤٩ - ٣٥٥ .

الى الأندلس ورفع علم الجهاد ضد المرابطين وضد الاسبان ، وتمكن من احتلال قسم كبير من إسبانيا الاسلامية . ثم تبعه ابنه أبو يعقوب يوسف الاول الذي وطد الدولة الموحدية وقضى على عـــدد كبير من الثورات الداخلية ، وانتصر على الاسبان في عدد من المعارك الهامة . ولقد بلغت دولة الموحدين ذروتها زمن المنصور الموحدي المعاصر لصلاح الدين الأيوبي والذي انتصر انتصاره العظيم على الاسبان في معركة الارك وطار صيتـه في كل أرجاء العالم الاسلامي حتى أن صلاح الدين رجا نصره ضد الصليبين في بلاد الشام وأرسل له رسالة مع مبعوث خاص يستنجده ويستمده العون ضد الصليبيين .

ولكن هذا البناء الشامخ مالبث أن انهار دفعة واحدة في عهد ابنه الناصر الذي أصيب بهزيمة ماحقة أمام الاسبان بمعركة العقاب التاريخيـة التي كانت المفتاح الذي فتح أبواب إسبانيا الاسلامية أمام الاسبان ، فلم تلبث حواضر الاندلس الكبرى كبلنسية واشبيلية وقرطبة أن سقطت بيد الاسبان ، وقامت ثورة عارمة فيما تبقى من الاندلس ضد الموحدين فأخرجوا منها وتشكلت مملكة غرناطة التي لبثت منارة للحضارة الاسلاميـة في تلك البقعة من الارض أكثر من قرنين من الزمان بعد سقوط الموحدين . كما وأن الموحدين ضعفوا كل الضعف في المغرب موطنهم الاصلي وقضي عليهم وحل محلهم بنو مرين .

ولقـد قامت الحركة الموحـدية أصلاً لهدفين رئيسيين ؛ القضاء على الفساد والانحراف الذي أصاب الحركة المرابطية وتوحيد القبائل كلها تحت هذا الهدف الواضح الصريح ، ورفع راية الجهاد خفاقـــة ، ليس لحماية ماتبقى من بلاد المسلمين في الاندلس فحسب ، بل لاسترجاع ما ضاع منها . وعلى الرغم من النجاح الجزئي الذي حققته الحركة أول أمرها في تحقيق

هذين الهدفين ، الا أنها لم تلبث أن سقطت في وهـدة الفساد الداخـلي والترف والصراع القبلي: وسجل التاريخ أن القسم الاكبر من اسبانيـا الاسلامية سقط بيد الاسبان في عهد هذه الاسرة الحاكمة.

١ – المهدي بن تومرت ٥١٥ - ٥٢٤ هـ/١١٢١ – ١١٣٠ م.

المهدي شخصية قوية ذكية عرف كيف يستغل الامكانات المتوفرة لديه وعرف كيف يستغل الظروف المحيطة به وأخطاء المرابطـين حتى حقق نجاحه المنقطع النظير . وقد أحسن انتقاء تلاميذه ومريديه بشكل جيد وخاصة تلميذه الأثير لديه وخليفته من بعده عبد المؤمن الذي تعهـــده بعنايته وأعده إعداداً جيداً لاستلام الحركة الموحدية من بعده . وهو الذي وضع للحركة الموحدية مبادئها العامة وعقائدها ونظمها مما مكنها أن تقارع المرابطين وأن تتغلب عليهم . وقد ادعى أنه المهدي المنتظر ، وأنه من سلالة الرسول عليه السلام واسمه كاسمه ومكانه المغرب الاقصى وأنه بعث ليملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً [١] . ولما توطدت دعوته ووثق من نفسه وقوته وأرسل رسالة الى سلطان المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين ينذره بالحرب وأن المرابطين كفار دماؤهم وأموالهم حلال [٢] ...

وقد خاض المهدي عدداً كبيراً من المعارك ضد المرابطين ، انتصر في أكثرها ، ولكن أصابه الخذلان في بعضها ، وتدل رسائله التي وجهها الى أتباعه يحرضهم على قتال المرابطين على ثقة بالنفس عظيمة ، وعلى ايمان بالمبدأ والعقيدة لا يتزعزع ، وعلى مقدرة عالية وكفاءة رفيعة في فن قيادة الرجال .

---

(١) ابن القطان . جزء من كتاب نظم الجمان لابن القطان . تحقيق محمود علي مكي . الرباط ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ص٧٥ .

(٢) علام . المصدر المذكور آنفاً ، ص ٣٤٧ – ٣٤٨ .

وعنده أن جميع مخاليفه كفار مجسمون ، وأن واجب الموحدين دعوتهم الى التوبة والانابة ، فإن قبلوا : فخلوا سبيلهم ، وهم اخوانكم في دين الله وسنة رسوله ، وان عاندوا الحق وأصروا على معونة أهل الباطل والفساد فاقتلوهم حيث وجدتموهم ... وكل من قتل من الكفرة والمجسمين فهو مخلد في نار جهنم وبئس المهاد . وكل من قتل من المؤمنين فهو من أهل الجنة (١) .

ولما أحس بدنو أجله أوصى أتباعه وصية شاملة ، وبين لهم فضل الله عليهم الذي قيضه لهم فهداهم به الى التوحيد الخالص وأزال به البدع والمنكرات ، وأن الله تعالى سيورث الموحدين أرض المرابطين وسلطانهم فعليهم أن يجددوا لله شكراً ، ثم يحذرهم الفرقة والخلاف ويطلب منهم أن يمزجوا الرأفة بالغلظة واللين بالعنف . ثم يخبرهم أنه استخلف عليهم من بعده رجلاً منهم هو عبد المؤمن بعد أن بلا أحواله واختبره ، فعليهم أن يسمعوا له ويطيعوه مادام سامعاً مطيعاً لربه ، فإن بدل أو نكص على عقبيه أو ارتاب في أمره ، ففي الموحدين ـ أعزهم الله ـ بركة وخير كثير (٢) .

٢ ـ عبد المؤمن بن علي ٥٢٤ ـ ٥٥٨هـ / ١١٣٠ ـ ١١٦٣ م .

وضع المهدي أساس الدولة الموحدية ، وأكمل البناء عبد المؤمن وأعلاه حتى حقق أحلام المهدي في القضاء على المرابطين ودولتهم ، ولكن ذلك تم بعد حروب كثيرة ومعارك ضارية ودماء غزيرة أهرقت بغير ماسبب وقد امتاز عبد المؤمن بقسوته الشديدة في معاملة أعدائه ، وفي صرامته

---

(١) نفس المصدر ، ٣٤٩ ـ ٣٥٥ .

(٢) المراكشي . المصدر المذكور آنفاً . ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

وشدته في تطبيق مبادىء الموحدين . كما وأنه عبر البحر إلى الأندلس وبدأ الجهاد ضد الإسبان ، ولكن لم يصف له حكم الأندلس . وقد اعتقد هو واعتقد خلفاؤه من بعده أن المهدي معصوم عن الخطأ ، وقد ورد ذلك في كثير من رسائلهم ؛ وهذا ولاشك انحراف خطير في عقيدتهم عن العقيدة الاسلامية الحقيقية . وظل هذا الاعتقاد سائداً لديهم حتى ألغاه أحد متأخري خلفائهم وهو المأمون الموحدي (٦٢٦ ـ ٦٣٠ هـ) . كما وأن عبد المؤمن اتخذ لقب أمير المؤمنين ، وتبعه في ذلك بقية حكام الموحدين حتى زوال ملكهم . ولقد كان لعبد المؤمن شواغل ثلاث : القضاء على المرابطين نهائياً ، وقد تم له ذلك ؛ القضاء على الثوار في الأندلس وحرب الإسبان ، وهذا لم يحقق فيه إلا نجاحاً جزئياً ، توطيد أركان الدعوة الموحدية في أرجاء امبراطوريته الواسعة وحمل الكافة على السير بموجب ذلك . فأوجد نظام الطلبة والأشياخ الموحدين الذين يساعدون الحكام في تطبيق أحكام القانون ، ويقومون بعملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي العملية التي يسميها الموحدون التمييز أي تمييز الموحد عن المجسم .

وقد افتتح عبد المؤمن ملكه بتوجيه إنذار نهائي إلى المرابطين بضرورة الاستسلام ملأه بالوعيد والتهديد : ياعضد الفجار وعباد الفساق الأشرار فقد كاتبناكم بالبنان ، وخاطبناكم بالبيان . . . فلم تجيبوا ولا أطعتم بل تثاقلتم عن الحق وعصيتم ... وهذه خيل الله قد أظلكم وبلها وطمى عليكم سيلها ، فتأهبوا للموت[1] ... ولقد اعتصم بقايا المرابطين في السوس ،

---

(١) ابن القلانسي ، أبو يعلي حمزة ذيل تاريخ دمشق . تحقيق أمدوز بيروت ، مكتبة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م ، أعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه بالأوفست ص٢٩٢

واصطر عبد المؤمن أن يوجه الجيوش إليهم أكثر من مرة حتى تمكن من القضاء على بقاياهم وبقايا ثوارهم في تلك المنطقة سنة ٥٤٢ هـ .

ولما استقر لعبد المؤمن الأمر في المغرب الأقصى ، بعد حروب هائلة ومعارك دموية ، بات يترقب ويتأهب للعبور من جديد إلى الأندلس للغزو والجهاد ، وأرسل إلى ابنه وواليه على أشبيلية رسالة يصف فيها حروبه في السوس ومالاقاه الموحدون من شده وقوة أعدائهم ، وكيف تغلبوا عليهم ، ويفتخر بما أنجزوا وما حققوا ، وهو يصم مخالفيه بالكفر : فأما من ظلم نفسه واعتزل الحق وأهله ، فسيذوق من العذاب الأدنى مراً ، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً (١) ...

ولقد انتشر الظلم والتعسف في دولة الموحدين في الأندلس زمن عبد المؤمن ، ووصل إلى سمعه مايفعله بعضهم من ظلم الناس وعسفهم واستصفاء أموالهم واستباحة حرماتهم بل ودمائهم ؛ وهم : كما يبدو من رسالة عبد المؤمن إلى الموحدين في الأندلس ، من الطبقة الحاكمة من الموحدين . ولذلك يتوجه إليها عبد المؤمن بالوعيد والإعذار والإنذار ، ويمزج وعظاً بشدة ويحذرهم عاقبة البغي والعدوان ضد الآمنين ، ويقسم أنه لوعلم الفاعل لسه من أليم عقابه مايجعله عبرة للمعتبرين . كذلك يحذر من المكوس وأخذها وجبايتها كل التحذير ، ويبرأ إلى الله مما يعملون ويستعيذ به من شر مايتصرفون . بعد ذلك يتوجه بخطابه إلى الموحدين ، ويطلب إليهم ألا يكلوا تنفيذ الأحكام إلى أحد سواهم ، فلا تكلوا النظر فيها إلى أحد سواكم ، ولاتبعدوا بغلظ الحجاب عن قصدكم من الخير ونواياكم ،

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك . تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين . تحقيق عبد الهادي التازي بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٤ م . ٢/١٣١ - ١٣٥ .

وباشروا الأحكام هناك مباشرة المتعهد المتفقد ، وعليكم بالتواضع لأمر الله تعالى وترك الاستعلاء المنتقد ، وتحفظوا في جانب المسلمين من كل خفيف المقال كثير الاضطراب في الباطن والانتقال [1] . ثم يطلب إلى الحكام والموحدين أن يبحثوا عمن باشر مثل هذه الأمور بحثاً دقيقاً ، وأن يرفعوا أمرهم إليه حتى ينالهم العقاب الرادع . كذلك يطلب إليهم ألا ينفذوا حكماً بالإعدام بأي فرد كان ، دون الرجوع إلى الخليفة شخصياً في ذلك مهما يكن ذنبه ، حتى يدرس الخليفة قضيته ويصدر حكمه فيها . ويطلب إليهم أيضاً البحث عن الخمور وإهراقها ومنع صنعها ومعاقبة معاقريها . ثم يطلب إليهم التقيد التام الشامل الكامل الصارم بما ورد في تعاليمه في رسالته هذه الموجهة إليهم ، وأن يطلعوا الجمهور عليها وأن يعمموها على جميع مراكز الادارة ، وأن يأخذوا أنفسهم والآخرين بها ؛ ويحذرهم أنه بمرصد لما يكون منهم ، وأنه سيقابل بالواجب مايصدر عن الجميع [2] .

ولقد حاول عبد المؤمن جعل ولده محمداً ولياً لعهده ووجه الرسائل لقبائل الموحدين وزعمائهم في هذا الشأن ، ولكن الأمر لم يتم لمحمد وإنما تم لأخيه أبي يعقوب يوسف الأول ، وكان ذلك من حسن حظ الموحدين

٣ – أبو يعقوب يوسف الأول بن عبد المؤمن ٥٥٨ – ٥٨٠ هـ / ١١٦٣ – ١١٨٤ م .

ولقد افتتح أبو يعقوب ملكه برسالة وجهها إلى أخيه أبي سعيد واليه

---

(١) علام ، عبد الله علي . الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١ م ص ٣٩٤ – ٤٠٥ .

(٢) نفس المصدر .

في قرطبة ، تتضمن طائفة من النصائح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ يبدو أن عبد المؤمن لم يتمكن من استئصال دابر الفساد والرشوة التي تفشت بين حكام الموحدين في الأندلس ، ولذلك اضطر الخليفة الجديد إلى إعادة تذكيرهم بما ذكرهم به أبوه عبد المؤمن من قبل بوجوب العدل وتحرى الصدق وتجنب الظلم . وهو يبدأ رسالته بالرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم[1] ، ثم يوالي الدعاء لأمير المومنين القائم بأمره والداعي إلى سبيله[2] . بعد ذلك يذكرهم بأهمية التقوى في الاسلام وأن البناء الموحدي كله قائم على التقوى ، لذلك يطلب إلى الجميع ألا يحكموا في الدماء من تلقائهم ، وأنه لابد من رفع هذه القضايا إلى الخليفة ليفصل بها بنفسه ، ثم يذكرهم بضرورة العدل والاستقصاء واتباع الشرع الشريف فيما دون ذلك من الأحكام كالقطع والأرش والجلد وماشابهه ، ويملأ رسالته وعظاً وتذكيراً (٣) .

ولقد ووجه أبو يعقوب بفتنتين كبيرتين إحداهما في الأندلس والثانية في المغرب الأقصى وتمكن من التغلب عليها .

فقد ثار ابن مردانيش من بقايا المرابطين في المنطقة الشرقية من الأندلس وتحالف مع الاسبان ضد الموحدين وجرت بين الطرفين معركة الجلاب سنة ٥٦٠ هـ وانتصر فيها الموحدون على ابن مردانيش وحلفائه الاسبان ، فوجه أخو الخليفة في الأندلس رسالة تفيض سروراً وبشراً وانشراحاً . وقد ملئت بالمبالغات التي لاداعي لها لأن التغلب ، في معركة ، على ثائر ، دون إنهاء ثورته أو قتله ، لايستحق أن يوصف بأنه :

(١) ابن صاحب الصلاة . المصدر المذكور آنفاً . ٢/٣٠٢ – ٣٠٦

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به   نظم من الشعر أو نثر من الخطب[1]

وأنه : كيوم ذي قار انتصف فيه الموحدون والعرب من العجم[2]؟ فإذا كان هذا شعور القوم لدى انتصارهم في معركة جانبية ، فكيف يكون شعورهم لو انتصروا في معركة حاسمة ؟ وهذا وحده كاف للدلالة على ضعف تفكير وتفاهة مرسلي مثل هذه الرسائل .

كذلك ثار ثائر في أقصى بلاد السوس اسمه سبع بن منخفاد ، ويبدو أن الثورة كانت تهديداً خطيراً لسلطان الموحدين حتى اضطر الخليفة أن يركب بنفسه وجنده لإخمادها ، وتمكن بعد حرب ضروس من قتل زعيمها وإخماد أوار الثورة ، والقضاء على الفتنة .

فقد وجهت الرسالة إلى طلبة الموحدين ، وأشياخهم ، وأعيانهم في قرطبة تخبرهم بصنع الله العظيم في القضاء على هـــذه الفتنة ، وتصف الحركة إلى ميدان المعركة ، والطريق إليها ، وتصور المعركة أنها معركة بين الشرك والتوحيد ، والكفر والايمان ، وأن الله تعالى نصر حزبه ، وأعز جنده ، ويظهر أنها كانت حركة خطيرة ، حتى اهتم بها الخليفة كل هذا الاهتمام ، وطلب إشاعة هذا الخبر في كل مكان : ... وعرفناكم بذلك مشروحاً لتحمدوا الله تعالى عليه ، وتأخذوا بحظكم منه ، وتعطوه حقه من الاشاعة ، وتوفوه واجبه من النشر والاذاعة ، فقد انحسمت به أدواء كانت في حد الإعضال ، وأخمدت نيران من الفتن في اصطدام واشتعال ، وستكون آياتها منبهة ، وعبرها مذكرة ، يصلح بها الفاسد ويستقيم بها المائل[3] ...

---

(١) نفس المصدر ٢/٢٧٦ – ٢٨٣

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر ٢/٣١٠ - ٣٢١

ويبدو أن بيعة أهل الأندلس ، أو على الأقل ، بيعة أهل أشبيلية لأبي يعقوب بأمرة المؤمنين قد تأخرت بعض الوقت لسبب ما ، فإنه تولى الخلافة سنة ٥٥٨ هـ ولم يبايعه أهل إشبيلية إلا سنة ٥٦٣ هـ ، ولا ندري كيف نفسر ذلك . ولكن الوارد في نص البيعة هو تجديد البيعة : ... على تجديد البيعة المباركة لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، خلد الله ملكهم وأعز نصرهم [١] ... فبايعنا على السمع والطاعة بيعة إيمان وأمانة ، وعدل وعبادة ، والتزمناها في العسر واليسر والمنشط والمكره ، واعتقدناها عصمة ديننا وذخر معادنا [٢] ... وقد فعل نفس الشيء أهل غرناطة وأرسلوا بيعتهم لأبي يعقوب يعلنون أنها بيعة رضوانية وأنهم بايعوه بيعة إيمان وأمانة في السراء والضراء [٣] .

ولما تم لأبي يعقوب القضاء على فتنة غمارة ، وتوطد مركزه في المغرب والأندلس قرر الالتفات للمهمة الكبرى وهي الجهاد في الأندلس ، ورد عادية الاسبان عنها . وقد أرسل بهذا المعنى رسالة إلى واليه على غرناطة يخبره بعزمه على الحضور بنفسه إلى الجزيرة للجهاد ويخبره أنه أرسل أخاه بجيش قوي كمقدمة لتحقيق هذا الهدف : وإن أمر تلكم الجزيرة ، مهدها الله ، لمن أكد ماتوجه إليه نظرنا ، وتوكل به اعتناؤنا واشتغل به فكرنا لمصاقبة الأعداء الروميين ، والجسمين لبلاد الموحدين بها ، وإلحاحهم على جنباتها [٤] ... وقد اتفقنا في هذه الأيام على أن يتوجه إليها أخونا أبو إسحاق . . في عسكر مبارك ... ليكون بقرطبة ... ورجونا من

---

(١) نفس المصدر ٢/٣٤٠ - ٣٤١

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر ٢/٣٤٢ - ٣٤٤

(٤) نفس المصدر ٢/٣٥٤ - ٣٥٦ .

تعاونه مع إخوانه الذين باشبيلية ... أن تظهر عليهم بركة سيدنا أمير المؤمنين وآثارهم [1] ...

ولكن أحوال المغرب المضطربة منعت الخليفة من الجواز المباشر إلى الأندلس ، على الرغم من أنه فعل ذلك فيما بعد ، وقد انتصرت جيوشه في الأندلس في عدد من المعارك ضد الاسبان ، وانضم إلى صفوف الموحدين أحد بقايا زعماء المرابطين إبراهيم بن همشك ، بناء على وعد بالعفو وعده إياه الخليفة . وإذا كان أبو يعقوب قد عجز عن تحقيق إنجاز ضخم ضد الاسبان في الأندلس فقد ترك هذه المهمة لابنه وخليفته المنصور .

٤ ـ أبو يوسف يعقوب المنصور ٥٨٠ ـ ٥٩٥ هـ/١١٨٤ ـ ١١٩٩ م .

أبو يوسف هو أول من تلقب من خلفاء الموحدين بلقب فاختار لقب المنصور ، وبلغت في عهده دولة الموحدين ذروتها ، فقد تمكن من تحقيق إنجاز ضخم في تاريخ الأندلس بانتصاره العظيم على الاسبان في معركة الأرك المشهورة . ويبدو أن هذا النصر الذي حازه أصابه بالغرور ، وأعتقد أنه يستحق إمامة المسلمين في كل مكان وخلافتهم ، ولذلك لم يتنازل بالرد على صلاح الدين الأيوبي رحمه الله عندما أرسل إليه رسالة مع رسول يطلب منه أن يمد المسلمين في بلاد الشام في صراعهم ضد الصليبيين ، واحتج بأن صلاح الدين لم يخاطبه بلقب أمير المؤمنين . ولكنا نعتقد أن المنصور لم يكن قادراً على أي عمل من شأنه مساعدة مسلمي الشام ضد الصليبيين ولولقبه صلاح الدين بالخليفة وأمير المؤمنين وغير ذلك من الألقاب الفارغة ، وذلك بسبب عجزه عن الإمداد ، ولكنه غطي عجزه وعزوره بهذا السبب الواهي ، ناسياً أن صلاح الدين بطل عظيم من أبطال الاسلام

(١) نفس المصدر .

وأن انجازاته أعظم بكثير من إنجازات المنصور ، وأن صلاح الدين لا يمكن أن ينسلخ عن ولائه للخليفة العباسي من أجل الخليفة الموحدي .

ومهما يكن من شيء ، فإن هذا لا يقدح في المنصور ومقدرته العسكرية والتنظيمية ، وإنجازه الضخم في التغلب على عدو رهيب كالإسبان ، كما وأن رغبته في الجهاد كانت ملتهبة ، وكان مخلصاً في نواياه ، وكان شخصاً مثقفاً آوى إليه ابن الطفيل وابن رشد . ولم يطل عهده ، وذلك لأن جسمه كان ضعيفاً وتواترت عليه العلل حتى قضى نحبه بعد فترة ولاية لم تستمر أكثر من خمس عشرة سنة .

ويدل نص البيعة التي بايع بها الناس المنصور على رغبة في التشبه برسول الله ، فقد ذكرت أنهم يبايعونه على ما بايع به أصحاب رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره واليسر والعسر ، والنصح له ولولاته ولعامة المسلمين ... ولكم عليه ألا يجمر بعوثكم ، وألا يدخر عنكم شيئاً مما تعمكم مصلحته ، وأن يعجل لكم عطاءكم ، وألا يحتجب دونكم [1] .

ولقد اقترن اسم المنصور بمعركة الأرك الشهيرة التي حطم بها قوى الأذفونش وأوقف المد الاسباني ولو إلى فترة . فقد استغل الأذفونش فرصة انشغال الخليفة بمشاكل المغرب فأرسل له رسالة مليئة بالتهديد ، والتهكم والتحدي : وأنتم تزعمون أن الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ، فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً . ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعاً ولا تملكون امتناعاً ... وقد حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال ، وأشرفت على ربوة القتال ، وتماطل نفسك

(1) حركات . المصدر المذكور آنفاً ١/٣٢٩

عاماً بعد عام ، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى . فلا أدري أكان الجبن قد أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك (١) . ثم يقترح عليه ، زيادة في التهكم ، أن يرسل إليه المراكب لتنقله إلى المغرب ليحارب المنصور هناك .

فلما وصل هذا الخطاب إلى المنصور أجابه على ذلك بالآية الكريمة (إرجع إليهم فلنأتينهم بجنودٍ لاقبل لهم بهـا ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) ثم أضاف : الجواب ماترى لاما تسمع (٢) .

ولعل هذه الرسالة كانت حافزاً للمنصور الذي حشد قواه ، واصطدم مع قوى الأذفونش ٥٩١ هـ في معركة الأرك . وقبل المعركة مباشرة أرسل الخليفة منادياً ينادي بالجند : إن أمير المؤمنين يطلب أن يغفروا له ، فإن هذا موضع غفران ، وأن يتغافروا فيما بينهم ، وأن يطيبوا نفوسهم وأن يخلصوا نياتهم له (٣) . فبكى الناس وصاحوا من جانبهم نطلب الغفران من الخليفة وأنهم بيمن نيته ، وصدق طويته يرجون الخير من الرحمن (٤) .

ولقد كانت نتيجة هذه النفوس الطيبة في تلك الساعة الحاسمة نصراً رائعاً على الأعداء .

ولم تطل حياة المنصور بعد هذا النصر العظيم ، إذ تعاورت عليه العلل والأمراض حتى أنهكته . ولما شعر بدنو أجله جمع أشياخ الموحدين ورؤساء البلاد ، ونعى لهم نفسه ، وهم من جهتهم أعادوا توكيد البيعة بولاية العهد لولده الأمير عبد الله . ثم أوصى المنصور الحضور بالسادات ،

---

(١) ابن خلكان . المصدر المذكور آنفاً ٦/٦ ـ ٧

(٢) نفس المصدر .

(٣) عنان . المصدر المذكور آنفاً . ٢٠٣/٢

(٤) نفس المصدر .

وبعض الأشياخ . ثم قال الخليفة للمنصور بعد ذلك وعيناه تذرفان الدمع :

أوصيكم بتقوى الله ، وبالأيتام ، واليتيمة .

فسأله الشيخ أبو محمد عبد الواحد .

ياسيدنا يا أمير المؤمنين ، ومن الأيتام واليتيمة ؟

فقال : اليتيمة جزيرة الأندلس والأيتام سكانها المسلمون . وإياكم والغفلة فيما يصلح بها من تشييد أسوارها وحماية ثغورها وتربية أجنادها وتوفير رعيها ، ولتعلموا أنه ليس في نفوسنا أعظم من همها [1] ...

رحم الله المنصور الموحدي ، لكأنه استشف حجب الغيب ، وأدرك مايخبيئه القدر لتلك البقعة المنكودة من بلاد الاسلام والمسلمين ، فأراد بوصيته هذه أن ينبه الغافلين ويشحذ الهمم للخطر الداهم ، ولكن لا راد لما أراد الله . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

٥ ـ الناصر الموحدي أبو عبد الله محمد ٥٩٥ ـ ٦١١ هـ/١١٩٩ ـ ١٢١٣ م

كما يقرن اسم المنصور الموحدي بانتصاره العظيم في معركة الأرك ، كذلك يقرن اسم ابنه الناصر بانهزامه الفاجع البالغ الأثر في معركة العقاب التاريخية . ذلك أن إسبانيا النصرانية ، ومن ورائها البابوية وأوربا كلها ، حشدت قواها من جديد لتحطيم الاسلام في الأندلس ، واصطدم الناصر بجيوش الإسبان في معركة العقاب ، ولم يحسن الناصر القيادة ، وأساء إلى شيوخ الموحدين وزعمائهم ، فكانت النتيجة خسارة مروعة لمعركة فاصلة من معارك التاريخ ، وخلف الموحدون زهرة جيوشهم في ساحة المعركة ، وفروا هاربين إلى مأمنهم وبلادهم وتركوا الأندلس لمصيرها . ومنذ تلك المعركة بدأت حواضر الأندلس الكبرى في السقوط بيد الاسبان مثل

---

(١) نفس المصدر . ٢ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧

بلنسية وقرطبة وإشبيلية ، ومابقى من الأندلس تمكن من طرد الموحدين وأعلن قيام مملكة غرناطة التي ظلت في الوجود حتى سنة ٨٩٧ هـ عندما احتلها الاسبان وأنهوا مجداً تليداً دام قرابة ثمانية قرون .

ولم يتميز من خلفاء الموحدين من هو جدير بالذكر ، إذ أغلبهم نكرات وحكموا مدداً قصيرة وقضوا معظم وقتهم في إخماد الثورات في بلادهم ، ولكن يجب أن نذكر الخليفة المأمون الموحدي الذي أصدر مرسوماً ألغى بموجبه عصمة المهدي ، ذلك أن أئمة الموحدين وخلفاءهم كانوا يعتقدون بعصمة مؤسس حركتهم ، وكانوا يفتتحون كتبهم بالدعاء للمهدي المعصوم الامام المعلوم ، فأصدر مرسومه وبعث به إلى الجميع وأخبرهم بمايلي : ولتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق وأن لامهدي إلا عيسى ... فتلك بدعة قد أزلناها ... وقد أسقطنا اسمه ولم تثبت له عصمة [1] . كذلك يجب أن نذكر الخليفة الموحدي المرتضى الذي حكم بين سنتي ٦٤٠ و ٦٤٦ هـ لا لشيء إلا لكتابه الذي وجهه إلى البابا أنوصان الرابع. وهذا ، بحسب علمنا ومعرفتنا ، أول خليفة مسلم يرسل رسالة إلى رأس الملة المسيحية في أوربا ، والمهم في هذه الرسالة هو إصرار مرسلها على تذكير البابا بوحدانية الله تعالى وتنزيهه عن أن يكون له ولد أو يدعى أنه والد : فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو ، حمد من علم أنه الرب الواحد الذي دلت على وحدانيته البراهين القاطعة والشواهد ، ونزهته العقول الراجحة عن أن يكون له ولد أو يدعى أنه الوالد ، تعالى الملك الرحمن عما يقول المثلث والمشبه والجاحد [2] .

---

(١) حركات . المصدر المذكور آنفا . ١ / ٣٢٠ – ٣٢١

(٢) عنان . المصدر آنفاً . ٢ / ٧٣٩ – ٧٤١

ومن رسالته هذه تعرف أنه كانت بينه وبين البابا مراسلات سابقة ، وأن البابا أرسل أحد كبار أساقفته إلى الموحدين ومملكتهم في مهمة من المهات ، ونفهم من هذه الرسالة أن الموحدين كانوا يستخدمون عدداً من النصارى لديهم كمرتزقة ، وأن الخليفة كان بحاجة إلى من يوجه ولاء هؤلاء النصارى له ليخلصوا في خدمته ، وهذا في رأينا ، السبب الأهم في تراسله مع البابا ، وفي استقباله مبعوثه . وهو يخبر البابا باستقباله مبعوثه بإكرام ويقول له : ومتى سنح لكم ... أن توجهوا ولاء النصارى المستخدمين ببلاد الموحدين ... من ترونه برسم مايصلحهم في دينهم ، ويجريهم على معتاد قوانينهم ، فيتخيروه من أهل الفضل الراجح ، والسمت الحسن ، وممن يستلذ في النزاهة على واضح السنن [1] ...

و ـ مملكة غرناطة وبنو حفص وبنو مرين وبنو هود ٦٢٥ ـ ٨٩٧ هـ/١٢٣٢ ـ ١٤٩٢ م .

تمكن بعض الزعماء كابن هود وابن الأحمر من إنقاذ قسم ضئيل من الأرض الأندلسية من براثن الإسبان في غمرة الهزائم القاصمة التي مني بها الموحدون ضد الاسبان ، وفي غمرة الاضطراب والفوضى اللذين شملا الامبراطورية الموحدية من أقصاها إلى أدناها ، وفي غمار الثورة العارمة التي اجتاحت الأندلس ضدهم ، وتمركزوا في بقعة صغيرة من الأرض جعلوا عاصمتها مدينة غرناطة التي قدر لها أن تبقى صامدة في وجه غزوات الاسبان لها أكثر من قرنين ونصف من الزمان ، هذا وإن صمود مملكة غرناطة هذه الفترة الطويلة من الزمن في وجه قوى تفوقها ،

---

(١) نفس المصدر .

وتغمرها يعود في رأينا إلى أسباب ثلاثة : أولها الدعم غير المحدود والمطلق الذي قدمه لها بنو مرين في المغرب الأقصى بشكل خاص ، وكان ذلك من أكبر الأسباب التي مكنت غرناطة أن تقف على قدميها هذه الفترة الطويلة . وثانيها الشجاعة والذكاء اللذان امتاز بها عدد من ملوك غرناطة سواء على الصعيد المحلي ، أم الصعيد السياسي ، أم الصعيد العسكري أمثال السلطان إسماعيل ، والسلطان محمد الرابع ، والسلطان يوسف الأول والسلطان محمد الخامس الغني بالله ، الذين تمكنوا بذكائهم وشجاعتهم ودهائهم أن يمدوا مملكتهم الصغيرة بأسباب الحياة فترة طويلة من الزمن . وثالثها الخلاف الذي كان ناشئاً بين مملكتي الإسبان الرئيستين قشتالة وأراغون ذلك الخلاف الذي كان أحد الأسباب في إطالة عمر مملكة غرناطة . ولقد استثمر ملوك غرناطة هذا الخلاف أفضل استثمار ، وأبدوا مقدرة سياسية رائعة حتى تمكنوا من الحفاظ على وطنهم في وجه أقسى عدو وأشرسه عرفه المسلمون في شبه الجزيرة الإيبرية . فلما اندمجت المملكتان الاسبانيتان في مملكة واحدة ، وضعف بنو مرين وعجزوا عن إمداد مملكة غرناطة بالقوى اللازمة ، ولما استلم العرش ملوك هزيلون ضعيفون فاسدون عاجزون أتت النهاية المحتومة لمملكة غرناطة التي سقطت بعد كفاح بطولي ملحمي أشبه بالأساطير ، وكما يسقط الفارس الشجاع المعلم عن جواده بعد حرب ضروس ضد أعداء غير متكافئين ، وبعد أن أثخن بالجراح القاتلة ، فلم يستسلم ولم يهن حتى سقط إلى الأرض ميتاً وسيفه في يده .

ولقد ثار ضد الموحدين في شرقي الأندلس ابن هود ، وأعلن خلاصه من سلطان الموحدين ، وتلقب بملك المسلمين ، وأرسل إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٣٠ هـ خطاباً يعترف بتبعيته له ويطلب تقليداً شرعياً

منه . وكان الخليفة العباسي عند حسن الظن به وأرسل لابن هود تقليداً شرعياً مزهواً ، ملأه بالثناء على عمه العباس وعلى خلفاء بني العباس وأن النبي عليه السلام بشر عمه العباس أن الخلافة في عقبه الى يوم القيامة [١] بعد ذلك ينتقل التقليد الى ذكر صفات ابن هود الخارقة ، ويلقبه مجاهد الدين . وأول هذه الصفات ولاؤه للخليفة العباسي ، ولذلك قلده الخليفة حكم بلاد الأندلس ومايجري مجراها ومايفتتحه من ممالك أهل الشرك والعناد تقليداً صحيحاً شرعياً [٢] ثم ينتقل التقليد الى الوصايا المعروفة المألوفة في مثل هذه العهود : من تقوى الله عز وجل والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [٣] ...

وان المرء ليعجب من هؤلاء القوم كيف كانوا يتمسكون بمثل هذه الأمور البسيطة التافهة ، على الرغم من معرفتهم بتفاهتها . فابن هود يعلم أن تقليد الخليفة لايقدم ولا يؤخر ، وكذلك يعلم شعب الأندلس أنه لايمكن أن تأتيه مساعدة ما من الخليفة ، كما وأن الخليفة نفسه يعلم أن تقليده عبارة عن كلمات جوفاء ، والكل يعلم ذلك ، ولكن الجميع يصرون على التمسك بهذه المظاهر التي ليس لها في ميزان القوى وزن يعادل وزن جناح بعوضة . فهذا القاضي أبو المطرف يرسل رسالة ، هي عبارة عن قطعة أدبية رائعة ، إلى ابن هود يهنئه بوصول هذا التقليد العظيم وكأنما وصلته قوة ضاربة تستطيع تعديل ميزان القوى المنهار لصالح المسلمين ضد الاسبان [٤] . ولكن الأمر لم يطل بابن هود ، إذ انتهى أمره وأمر

---

(١) ابن الخطيب ، المصدر المذكور آنفاً ، ٢٨٠ - ٢٨٥

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) المقري . المصدر المذكور آنفاً ١/ ٢٨٩-٣٠٠ .

أسرته بعد فترة ، وحل محله آل نصر ـ ويسمون أيضاً آل الأحمر ـ في حكم ماتبقى من الأندلس .

ولقد تلقب ملوك آل نصر بلقب أمير المسلمين . وقد أدركوا الوضع الصعب الذي وجدت فيه مملكتهم ، ولذلك كيفوا سياستهم الخارجية حسب الوضع الذي وجدوا فيه . فقد أقاموا علاقات ود وصداقة مع ملوك المغرب الأقصى وخاصة بني مرين . كذلك حاولوا أن يوجدوا توازناً بعلاقاتهم الخارجية بين مملكتي قشتالة وأراغون ونجحوا في ذلك إلى حد مدهش . ولقد ذكر الأستاذ المرحوم الأمير شكيب أرسلان في كتابه : **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** أن المرحوم الحاج محمد العربي بنونة من تطوان أهداه عدداً كبيراً من الوثائق الأندلسية هي رسائل وجهها ملوك غرناطة إلى ملوك أراغون . وقد نشر الأمير شكيب أرسلان عدداً مهماً من هذه الرسائل في كتابه سالف الذكر وأثبتناها نحن في كتابنا هذا . ويذكر أن عدد الرسائل التي وصلته أكبر بكثير مما نشر ، إلا أن تقادم العهد طمس خط أكثرها ، وعبث الأرضة جعل قراءتها صعبة متعذرة ، وبعد الجهد المضني تمكن السيد محمد العربي من نسخ هذا العدد القليل من المراسلات الكثيرة التي اتضح له خطه وتسنى له ضبطه .

وكما قلنا سابقاً : أغلب هذه الوثائق رسائل وجهها ملوك غرناطة إلى ملوك أراغون ، وقليل منها يوجهه أحد وزراء سلاطين غرناطة إلى ملك أراغون أو أحد أبنائه ، كما فعل رئيس جند غرناطة عثمان بن ادريس زمن السلطان اسماعيل بن فرج عندما وجه رسالة الى ملك أراغون خايمي الثاني ، وكما فعل رضوان وزير السلطان يوسف الأول عندما وجه رسالة الى الفونسو ملك أراغون ، هذا وتغطي هذه الرسائل التي

ينوف عددها على السبعة والعشرين عهد أربعة من ملوك غرناطة هم محمد الثالث (٧٠١ - ٨٠٧) وإسماعيل الأول (٧١٣ - ٧٢٥) ، ومحمد الرابع (٧٢٥ - ٧٣٣) ، ويوسف الأول (٧٣٠ - ٧٥٥) ، يقابلهم من ملوك أراغون خايمي الثاني والفونسو الرابع ودون بترة . والغريب في الأمر أن أسماء هؤلاء الملوك ترد في هذه الرسائل بأشكال مختلفة : مثل : ذون جقمي ، دون جايم ، الفنش ، الهنشو ، بطرة ، بترة ، وهكذا .

هذا وإن أسلوب هذه الرسائل واحد وديباجتها متماثلة : تفتتح بالبسملة والصلاة على رسول الله عليه السلام ثم تنتقل الى ذكر سلطان أراغون وتحرص على ذكر ألقابه وشيء من الدعاء له ، ثم تنتقل الى ذكر اسم السلطان الغرناطي ، وأحياناً تذكر اسم البلدان التابعة له ، بعد ذلك تنتقل الرسالة الى ذكر الغرض والهدف منها : السلطان المعظم ، الملك المرفع الأدنى الأكرم ، المبرور المشكور ، الأخلص ذون جاقمي ملك أراغون وبلنسية وسردانية وقرسفة وقمط برجلونة ، وصل الله عزه بتقواه وأسعده بطاعة الله ورضاه ، مكرم جانبه ، وشاكر مقاصده في الوفاق ومذاهبه ، وحافظ عهده عملاً بواجبه الأمير عبد الله إسماعيل بن فرج بن نصر . أما بعد : فإنا كتبناه اليكم ... من حمراء غرناطة - كلأها الله - وليس بفضل الله سبحانه الا الخير الأكمل واليسر الأشمل ، والحمد لله كثيراً ، وجانبكم مبرور وعهدكم بالوفاء محفوظ ، وقصدكم في الصحبة مشكور ، ومنصبكم في ملوك النصرانية معلوم مشهور [1] ...

بعد ذلك تنتقل الرسالة الى ذكر الغرض منها . والخاتمة أيضاً موجزة

---

(١) أرسلان شكيب ، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، بيروت ، مكتبة دار الحياة ٢/ ٢٩٠-٢٩١ .

وهي عبارة عن دعاء للملكين ثم تاريخ الرسالة : والله يقضي الخير لنا ولكم وهو سبحانه يصل اعزازكم بتقواه ويحملكم على مايحبه ويرضاه ، ويوالي لكم أسباب عنايته ويوضح لكم طريق هدايته ، والسلام يراجع سلامتكم كثيراً أثيراً . وكتب في يوم كذا من تاريخ كذا (١) .

وبعض هذه الرسائل اقتراح بعقد معاهدة صداقة ومودة بين الطرفين وبعضها شكايات من خرق بنود ونصوص اتفاقات سابقة ، وطلب في إعادة الحق إلى نصابه ، فقد وجه السلطان إسماعيل إلى دون خايمي ملك أراغون رسالة يخبره فيها أن رسوله الذي أرسله برسالة منه يقترح عقد صلح ومودة بين الطرفين مدتها خمس سنين قد وصل وأبلغه اقتراح الملك وأن السلطان موافق على ذلك ، وأن رسالته هذه الموقعة بيده وبتوقيعه وشعاره السلطاني دليل على ذلك . وشروط الصلح ذكرها السلطان في رسالته وهي الأمان للطرفين براً وبحراً ، وحرية التجارة ، والتبادل التجاري بين الطرفين ، وتبادل الأسرى . وهناك شرط خاص بالأندلس ذكره الملك محمد الثالث وكذلك ذكره بقية ملوك غرناطة في معاهداتهم مع ملوك الإسبان ، وهو الإصرار على السماح للمدجنين المقيمين في أراضي الملك الاسباني بحرية الإنتقال إلى بلاد الإسلام ، مؤمنين على أرواحهم وأنفسهم وأهليهم وأموالهم : ومنها أن لاتمنعوا من أراد الخروج إلى أرض المسلمين المدجنين الساكنين بأرضكم بأهلهم وأولادهم ، وأن يباح لهم الوصول إلى أرضنا سالمين ، مرفوعاً عنهم الاعتراض من غير شيء يلزمهم ، إلا الغرم المعتاد على ماجرت به العادة من غير زيادة على ذلك (٢) .

---

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر ٢٩٤/٢ - ٢٩٦ .

وبعضها شكاية من غارة أطلقت من طرف أحد الجانبين على الآخر ، أو طلب بإخلاء سبيل أفراد أسرهم الفريق الآخر ، قصداً أو دون قصد ، أو تعويض عن خسارة تجارة أو ماشابه ذلك . في إحدى هذه الرسائل يطلب السلطان محمد الرابع من الدون خايمي ملك أراغون أن يبذل جهده لإطلاق سراح عدد من المسلمين أسرهم إسبانيون تابعون للملك أراغون ، وباعوهم في مملكته : وقد وجهنا إليكم صحبة رسوليكم أربعة من النصارى من أرضكم ، فقصدنا منكم ، أيها السلطان ، أن توجهوا إلينا المسلمين الذين أخذتهم أجفانكم في سلوة ... ثم بيعوا بميورقة ، وتعملوا في ذلك مايقتضيه ، وفاءكم الصادق . ونحن قد أمرنا أن يبحث عما أخذ من أرضكم من النصارى في الصلح ، ويعمل في ذلك ماهو الواجب . ومما نعرفكم به أنه في هذه الأشهر السالفة أخذ عمر بطره أغرد من سكان أريولة شبطياً [1] في المدور ، وأخذ بطرف الغيطة اثني عشر شخصاً من أهل المرية ، فنريد منكم ، أيها السلطان ، أن يعز عليكم هذا الحال ، وتعملوا مايعمله سلطان مثلكم ، وتوجهوا إلينا هؤلاء المسلمين ، وتأمروا رجالكم بكف الضرر عن أرضنا على المعلوم من وفائكم وحفظكم للعهد [2] .

هذا هو محتوى الغالبية العظمى من هذه الرسائل ، وهي تلقي ضوءاً ساطعاً على العلاقات الدبلوماسية بين ملوك أراغون وملوك غرناطة ، ولاتخرج بقية الرسائل عن هذا المحتوى .

وهناك سلطان من سلاطين غرناطة لابد من ذكره والتنويه بـه ، وتخصيص حيز له ، وللوثائق الصادرة عنه . هذا السلطان هو محمد الخامس

(١) الشبطي هو رئيس العصابة أو الغازي على رأس مجموعة من الشجعان .
(٢) نفس المصدر ٣٠٦/٢ - ٣٠٨ .

الغني بالله ، الذي حكم بين سنتي ٧٧٥ و ٧٩٣ ، مع فترة انقطاع بين سنتي ٧٦٠ و ٧٦٣ هـ حيث جرت ضده مؤامرة خلع على إثرها عن العرش ، ثم عاد بعد ذلك ، وظل في الحكم حتى وفاته . يمتاز هذا السلطان بذكائه ونشاطه وشخصيته القوية ، ودهائه وعلاقاته السياسية مع ملوك الإسبان ، وملوك بني مرين في المغرب الأقصى ومع حكام مصر وملوكها من المماليك ، وقد منح مملكته فترة من الاستقرار النسبي ، ونبغ في كنفه الأديب والوزير المشهور لسان الدين بن الخطيب الذي كان علماً من أعلام النثر العربي وذا مدرسة خاصة هي امتداد وتطوير لمدرسة كبار الكتاب الذين نبغوا زمن الأيوبيين والمماليك أمثال القاضي الفاضل ، والعماد الأصفهاني وابن عبد الظاهر وغيرهم . ويمتاز أسلوبه بالنفس الطويل والسجع المرصع ، واستعمال المحسنات البديعية ، واللفظية بكثرة هائلة ، ولكن ، مع ذلك ، يبقى أسلوبه رشيقاً غير ممل ، وإن تكن الأفكار تختنق تحت مثل هذا الغطاء اللفظي الهائل . وهو مؤلف غزير ، وترك عدداً كبيراً من الكتب وعاش حياة حافلة ومضطربة ، وأخيراً فقد حظوة سلطانه ، ونفي إلى المغرب الأقصى ، وهناك قتل ودفن .

هذا وإن أغلب أو كل الوثائق الموجودة عندنا من زمن السلطان الغني بالله هي من إنشاء ابن الخطيب ، وبعضها مراسيم . والأندلسيون يسمون المرسوم ظهيراً ، أصدرها السلطان لشؤون داخلية ، مثل ذلك مرسومه الذي أصدره يعين بموجبه ابنه الأمير يوسف مشيخة الغزاة في الأندلس [1] .

وتبرز في هذا المرسوم صفات ابن الخطيب ، ومميزات أسلوبه .

---

(١) المقري المصدر المذكور آنفاً . ٢/٤٩ - ٥٢ .

فالإطناب بالوصف والمبالغة المفرطة والتشابيه ، والاستعارات ، والكنايات ، والترصيع ، والسجع أشياء شائعة كل الشيوع . وإن الموضوع الرئيسي يختفي كل الاختفاء تحت ظل هذه الأشياء . فهو عندما يصف الأمير يوسف يصفه بمايلي : فهو الفرع الذي جرى فضله على أصله ، وارتسم نصره في نصله ، واشتمل حده على فضله ، وشهدت ألسن خلاله برفعة جلاله ، وظهرت دلائل سعادته ، في بدء كل أمر وإعادته ، لما صرف وجهه إلى ترشيحه ، لافتراع هضاب المجد البعيد المدى وتوشيحه ، بالصبر والحلم والبأس والندى[1] ...

ولاتخرج بقية مراسيمه عن هذا المضمار .

ولقد أرسل السلطان الغني بالله رسالتين : الأولى إلى السلطان المملوكي الملك المنصور محمد بن حاجي الأول بن محمد الناصر بن قلاوون ، والثانية إلى أمير مملوكي هو الأمير يلبغا الخاصكي . وإن الألقاب التي يطلقها ابن الخطيب على السلطان المملوكي تملأ صفحة كاملة ، ولوصدق لقب واحد منها لجعله أعظم من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولكنها ألقاب لاتسمن ولاتغني من جوع . وقد أخطأ ابن الخطيب باسم السلطان فأسماه باسم أحمد ، على أن الصواب ما أثبتناه أعلى . والغاية من الرسالة هي شرح أوضاع الأندلس ، وكيف أنها تحارب حرباً لاهوادة بها ضد عدو يفوقها أضعافاً كثيرة ، وأن لاناصر لها إلا الله ، ويتطرق ابن الخطيب في رسالة سلطانه هذه إلى التاريخ الأندلسي من أوله حتى زمانه هو ، ويذكر شيئاً من الحروب التي دارت بين سلطانه وبين الاسبان ، وكيف أن الحرب كانت سجالاً بين الطرفين ثم انتصر المسلمون .

---

(1) نفس المصدر .

ويختم رسالته هذه بأن هذه الرسالة هي تجديد لعلاقات مودة كانت قائمة بين جد السلطان الغرناطي ووالد السلطان المملوكي ، ويأمل أن تتجدد العلاقات وتتطور [1] .

ولايخرج مضمون رسالته إلى يلبغا الخاصكي عن مضمون الرسالة السابقة

وفي إحدى رسائله ، يخبر الغني بالله أحد رؤساء تونس بمحاولة خلعه عن العرش ، تلك المحاولة التي قام بها أخوه ، وتمكن من خلعه ، والحلول محله فترة ثلاث سنوات ثم استعاد الغني عرشه بمساعدة آل مرين وقضى على المتآمرين ، واسمعه يقول : وربما اتصلت بكم الحادثة التي أكفأها على دار ملكنا من لم يعرف غير نعمتها غاذياً . . . متيمم حجرها الكافل ، ورضيع درها الحافل ، الشقي الخاصر الخائن الغادر ، محمد بن إسماعيل المستجير بنسبنا من لؤم غدره ، الخفية عنا حيل مكره لخمول قدره ... [2] ثم يذكر له كيف فاجأه أخوه في الليل وكيف هرب إلى مراكش ، ومن هناك جمع جموعه ، وعاد ظافراً إلى دار ملكه وأن عودته كانت برداً وسلاماً على الأندلس ، وإنقاذاً لها من الدمار : فلولا أن الله عز وجل تدارك جزيرة الأندلس بركابنا ، وعاجل أوارها بانسكابنا لكانت القاضية ... [3]

ولاتختلف رسائله إلى سلطان بني مرين عن تلك التي وجهها إلى الآخرين ، علماً أن بني مرين لهم مكانة خاصة لدى سلاطين غرناطة لإمدادهم الدائم لهم بالمال والرجال والعتاد ،

ولقد وجدت علاقات ود وصداقه أيضاً بين بنى مرين في مراكش ، وبين

---

(1) نفس المصدر ١/ ٣٠٠ - ٣٠٥ .

(2) نفس المصدر ٩/ ٣٦ - ٤١ .

(3) نفس المصدر .

حكام مصر من المماليك ، وقد سبق للسلطان المريني أبي الحسن أن تبادل الرسائل مع السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون وقد استمرت هذه العلاقة زمن ابنه السلطان إسماعيل ، فقد أرسل السلطان المريني رسالة إلى السلطان المملوكي كال لنفسه ولنظيره المملوكي الألقاب الفارغة ، وحدثه عن والده وعن الصداقة التي كانت بينهما ، وكيف أنه أرسل وفداً مغربياً إلى الحج عن طريق مصر ، ومع الوفد مصحفان خطتهما يد السلطان المغربي ، وكيف أن السلطان الناصر أحسن استقبال الوفد ، وسهل طريقه ، وحاطه بالرعاية والحماية ، والاكرام ، والانعام ، وسمح لأعضاء الوفد بشراء أوقاف في المدينة المنورة من أجل رعاية المصحفين ، وكيف أن ذلك وقع من السلطان المغربي أحسن موقع وأجمله ، ثم ينتقل السلطان المغربي إلى تعزية السلطان إسماعيل بوفاة والده وتهنئته بالملك الذي ورثه عن والده . مع أجمل التهاني وأعذب الأمنيات . بعد ذلك يطلب إليه أن يسهل طريق موفده إليه إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج ولتفقد أحوال الأوقاف التي تم شراؤها زمن أبيه الناصر .

هذا ، وإن من أشق الأمور على النفس الانسانية ، أن تتحدث بصراحة وصدق عن معركة خاضتها ضد خصم شرس وهزمت فيها . وهذا ما فعله هذا السلطان العظيم المجاهد ، إذ أنه اعترف بخسارته المروعة أمام الاسبان براً وبحراً . ذلك أن ملك قشتالة جمع قواته ، وأمدته أوربا كلها ، وهاجم مملكة غرناطة ، وكان قصده قطع اتصالها مع المغرب ، وقد تم له ذلك وهزم القوات الاسلامية في معركة طريف هزيمة منكرة ، وخسر الأسطول المغربي سبعاً وستين قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر [1] . كذلك أرسل جيشاً

(1) نفس المصدر ٦/١٢٠ - ١٢٩ .

ضخماً للأندلس ، ولكن هـــذا الجيش حوصر في الجزيرة الخضراء بعد هزيـــة الأسطول . غير أن السلطان المغربي تمكن من استعادة جبل طارق من القشتاليين ، وبذلك أمن نقطة اتصال مع الأندلس ، وقد : كتب إلينا سلطان الأندلس يرغب في الاذن له في عقد الصلح ، ووقع الاتفاق على أنه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجح ، فاذنا له فيه الاذن العام ... (١) هنالك دعى النصارى إلى السلم فاستجابوا ... فتم الصلح إلى عشر سنين ، وخرج من بها [الجزيرة الخضراء] من الفرسان ورجال وأهل وبنين ، ولم يرزؤا مالا ولا عدة ، ولالقوا في خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شدة (٢) .

رحم الله السلطان أبا الحسن المريني ، فقد كان ، إلى جانب جهاده العظيم ، وتقواه ، وبلائه في نصرة الأندلس ، عظيماً في تواضعه ، عالياً في هزيمته صادقاً مع نفسه ومع من حوله فاستحق ثناءنا وثناء كل من يفتقدون هذه الصفات لدى هؤلاء الحكام في هذه الأيام .

ولقد رد السلطان إسماعيل بن الناصر التحية بأحسن منها ، وأجاب برسالة محكمة مدبجة رد فيها على كل ماورد في رسالة السلطان المغربي ، وتقبل عزاءه في والده وشكره لتهانيه القلبية على تسنمه عرش المملكة ، وأخبره أن الود الذي كان قائماً بين السلطان المغربي ووالد السلطان إسماعيل سيستمر وسيزداد قوة في عهد ولده إسماعيل ، وأنه استقبل الوفد ، وقد سهل مهمته وطريقه ، ثم أبدى ألمه لما حل بالسلطان من هزيمة وما أصابه من خسائر ، وتمنى لو أمكن النجدة لفعل ثم يذكر له أن أجر ذلك مدخر له عند

(١) نفس المصدر .
(٢) نفس المصدر .

الله تعالى[1] .

نصل الآن إلى نهاية القصة ، وهي نهاية محزنة مؤلمة لقصة مجيدة ، تقص علينا كيف انتهى ذلك المجد العظيم ، وكيف هوى ذلك الصرح الباذخ من صروح الاسلام المجيدة . فقد توحدت مملكتا أراغون وقشتالة تحت عرشي فرناند وإزابيلا ، وضعف ملوك بني مرين كل الضعف ، وحل محلهم آل وطاس ، كما وأن قوى الأندلس استنزفت في هذا الصراع الطويل الدامي المنهك غير المتكافىء ، ومزقتها الفتن والحروب والدسائس والصراع على العرش فاضطر آخر ملوك غرناطة أبو عبد الله الصغير أن يطلب السلم من المتصرين الذين قطعوا كل اتصال للأندلس من كل الجهات ، وحاصروا غرناطة حصاراً لايمكن فكه إلا بالاستسلام . وقد تم ذلك ووقعت وثيقة الاستسلام في الحادي والعشرين من محرم سنة ٨٩٧ هـ الموافق ١٤٩١/١١/٢٥ م .

وقد أخذ أهل غرناطة لأنفسهم من المواثيق والعهود أشدها وما اعتقدوا أنه يحميهم ويحمي أعراضهم وأرواحهم وأنفسهم وأولادهم وأموالهم وعقيدتهم من الاضطهاد ، ولكن كل ذلك كان سدى ، إذ أن المتنصرين نقضوا عرى هذا الاتفاق عروة عروة . ومتى كانت أوربا ترعى ذمة أو تحفظ عهداً بل العكس تماماً هو الصحيح ، ولكن المغلوب العاجز لاحيلة له سوى الركون إلى مثل هذه الأمور ، لأنه إن لم يفعل ذلك تطور الوضع إلى أسوأ .

فقد نصت معاهدة التسليم على أن تسلم قلاع الحمراء والحصن وأبواب غرناطة والبيازين إلى الملكين الإسبانيين خلال ستين يوماً من تاريخ توقيع الاتفاق ، وأن يقدموا رهائن من علية أهل غرناطة ضماناً لحسن تنفيذ هذا الاتفاق . ويتعهد الملكان الإسبانيان ومن سيأتي بعدهما من الحكام الآن والى الأبد أن يتركوا الشعب الأندلسي يحكم بموجب شريعته ، وأن تترك لهم

(1) نفس المصدر ٦/١٢٩–١٣٥ .

مساجدهم ، وأن تترك لهذه المساجد أوقافها . كما وأن الملكين يسمحان لمن يريد العبور إلى المغرب أن يعبر بأمواله وأهله ، ويمنحهم الملـــكان الحماية والرعاية حتى يصلوا إلى مأمنهم ؛ وأن يعـامل الجميع على أساس أنهم رعايا خاضعون لملك إسبانيا ، وأن لايلزموا بوضع شارة تميزهم عن غـيرهم ، وألا يجبروا على التنصر ، وأن يحكم بينهم حكام وقضاة مسلمون بموجب الشريعة الإسلامية . هذه هي أهم بنود الاتفاق ، وقد ذيل الاتفاق بتعهد خطي من ملك وملكة إسبانيا ووقع عليه ولي العهد والعظماء ، يؤكد بموجبه الملكان ويضمنان بدينهما وشرفهما الملكي القيام والوفاء بكل مايحويه هذا العهد من نصوص ... الآن وإلى الأبد[1] .

كما وأن هذا العهد ذيل بذيل يضمن بموجبه الملكان حقوق وامتيـازات أبي عبد الله الصغير وحقوق نسوته وأولاده وأمه ، ويضمنـــــان مايملكونه الآن والى الأبد ، مع الاعفاء من الضرائب ، ولهم حق بيعهـــا وهبتها والتصرف بها وتوريثها لأعقابهم من بعـدهم ، وإذا أحب الملك أبو عبد الله ونسوته وأمه العبور الى المغرب فلهم ذلك ، ولهم الحق في الاحتفاظ بأملاكهم أو بيعهـا [2] .

ولقد ظن أبو عبد الله الصغير أنه يستطيع البقاء في الأندلس بعد سقوطها بيد الاسبان وبعد أن أصبح تابعاً بعد أن كان متبوعاً ولكنه كان واهماً وبدأت المضايقات ، كذلك وأصبـح وجوده مصدر ازعاج للملكين الـكاثوليكيين ، وأخيراً تفاوض الطرفان وتقرر أن يتنازل ابو عبد الله الصغير عن كل حقوقه وامتيازاته وأملاكه للملكين لقاء مبلغ من المال دفـع اليه [3] ، وانتقل الى

---

(١) عنان ، محمد عبد الله . نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين . الطبعة الثالثة . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦ م . ص ٢٤٥ — ٢٥٠

(٢) نفس المصدر ص ٢٥١ — ٢٥٢ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٧٧ .

المغرب مع أسرته ، مسجلاً بذلك انتهاء عهد من أمجد عهود الحضارة الاسلامية ومفتتحاً عهداً من أسوأ عهود التاريخ الاسباني الأسود المتعصب هو عهد اضطهاد الموريسكيين الذين ظلوا في صراع مستميت مع حكام اسبانيا ومع الكنيسة الكاثوليكية المتعصبة في إسبانيا مدة تنوف على القرن حتى أخرجهم الاسبان من الأندلس جملة واحدة في مفتتح القرن السابع عشر .

ز ـ المدجنون والموريسكيون

المدجنون : لفظ أطلق على المسلمين الذين بقوا في بلاد الأندلس التي احتلها الاسبان وحافظوا على دينهم وعاداتهم فيها ، وذلك في جميع الأمكنة التي احتلها الاسبان قبل سقوط غرناطة بيدهم . أما الموريسكيون : فلفظ أطلق على المسلمين الذين بقوا في مملكة غرناطة بخاصة وظلوا متمسكين بدينهم وعاداتهم على الرغم من الاضطهاد الرهيب الذي تعرضوا له .

ولقد اكتشف عدد كبير من الوثائق المدجنية المحفوظة بدار المحفوظات التاريخية بمدريد ، وأغلبها عقود تمت بين المستعربين أو بينهم وبين المدجنين بأسلوب عربي لا بأس به ، وكلها تستهل بالبسملة ، مقرونة أحياناً بعبارة « وبه نستعين » أو « الحمد لله وحده » وعلى كثير منها شهود مدجنون مسلمون إلى جانب النصارى .

ولقد ترك الموريسكيون لمصيرهم الفاجع ، ولم يستطيع أحد أن يقدم لهم عوناً لقوة اسبانيا المسيحية آنذاك وضعف الدول الاسلامية المجاورة لها . ولم يستطع العثمانيون ، القوة الاسلامية الوحيدة الموجودة آنذاك في البحر المتوسط ، باستثناء المماليك المنحدرين نحو التحلل والانهيار ، أن تعمل شيئاً لانقاذ هذا الشعب التعس أو تخفيف آلامه . وقد تمكن أحد فقهاء مراكش أن يسرب إلى الموريسكيين ، ويسميهم الغرباء ، رسالة يبين لهم الطرق الشرعية

التي يمكن أن يلجأوا إليها حتى يتمكنوا من ممارسة شعائر الاسلام خفية: فالصلاة ولو بالايماء، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم . . . والغسل من الجنابة ولو عوماً في البحور [1] . . . وإن أكرهوكم على كلمة الكفر، فإن أمكنكم التورية والإلغاز فافعلوا، وإلا فكونوا مطمئني القلوب بالايمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك . . . [2]

وهناك قصيدة موريسكية قالها شاعر مسلم اسمه محمد بن محمد يصف آلام شعبه التي تذيب الصخر ويصور الاضطهاد الذي يصب عليهم، أروع تصوير وأبشعه: . . . ومن عبد الله بلغته قضي عليه بالهلاك، ومن ضبط ألقي في السجن، وعذب ليل نهار حتى يرضخ لباطلهم [3]. ثم يختم قصيدته بما يلي: ونحن إذ نيأس من عدل الانسان نستغيث بالنبي معتمدين على ثواب الآخرة، وقد حثنا شيوخنا على الصلاة والصوم، وأن نقصد وجه الله فهو الذي يرحمنا في نهاية الأمر [4].

رحم الله هؤلاء الأبطال المجهولين الذين ضحوا بحياتهم وتحملوا أقسى ما يتحمله انسان في سبيل عقيدته، وقد سجل هؤلاء الأبطال أنهم مشاعل تنير الطريق أمام الأجيال الصاعدة تعلمها كيف يكون الثبات على العقيدة وكيف تكون التضحية في سبيل المبدأ. وفي نفس الوقت دمغ هذا العمل إسبانيا بالوحشية والفظاظة والعداء للجنس البشري الذي كلف كثيراً من البشر أرواحهم وكان نقمة على الملايين من بني الانسان، وأثبت أنه كان أكبر نقمة أصيبت بها إسبانيا المسيحية المتعصبة نفسها

---

(١) نفس المصدر ص ٣٤٢ – ٣٤٤ .
(٢) نفس المصدر .
(٣) نفس المصدر ص ٣٦٢ – ٣٦٣ .
(٤) نفس المصدر .

الوثـــائق

أ ــ زمن بني أمية حتى سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م

١ ـ خطبة زهير بن قيس في الناس .

لما تمكن البربر من النفوذ إلى مدينة القيروان ـ زمن مروان بن الحكم ـ وعزم الناس على الفرار ، عظم البلاء على المسلمين فقام زهير بن قيس خطيباً فقال :

يامعشر المسلمين : إن أصحابكم قد دخلوا الجنة ، وقد منَّ الله عليهم بالشهادة ، فاسلكوا سبيلهم ، ويفتح الله لكم دون ذلك .

فقام إليه حنش الصنعاني فقال :

لا والله ما نقبل قولك ولالك علينا ولاية ، ولاعمل أفضل من النجاة بهذه العصابة من المسلمين إلى مشرقهم ثم قال .

يامعشر المسلمين : من أراد منكم القفول إلى مشرقه فليتبعني .

البيان المغرب لابن عذاري ١ / ١٨

٢ ـ خطبة موسى بن نصير في ذات الجماجم من مدن شمالي إفريقية .

عزل عبد العزيز بن مروان ـ والي مصر من قبل أخيه عبد الملك ـ حسان بن النعمان عن إمرة إفريقية ، وولي مكانه موسى بن نصير ، فذهب

إلى بلدة ذات الجماجم ، حيث الجموع محتشدة والجيوش مجتمعة وهناك خطب في الجند فقال :

إن أمير المؤمنين رأى رأياً في حسان بن النعمان فولاه ثغركم ، ووجهه أميراً عليكم ، وإنما الرجل في الناس بما أظهر ، والرأي فيما أقبل ، وليس فيما أدبر . فلما قدم حسان بن النعمان على عبد العزيز ـ أكرمه الله ـ كفر النعمة ، وضيع الشكر ، ونازع الأمر أهله ، فغير الله ما به . وإنما الأمير ـ أصلحه الله ـ صنو أمير المؤمنين ، وشريكه من لا يتهم في عزمه ورأيه . وقد عزل حسان عنكم وولاني مكانه عليكم ، ولم يأل أن أجهد نفسه في الاختيار لكم ، وإنما أنا رجل كأحدكم ، فمن رأى مني حسنة فليحمد الله ، وليحض على مثلها . ومن رأى مني سيئة فلينكرها فأني أخطىء كما تخطئون ، وأصيب كما تصيبون . وقد أمر الأمير ـ أكرمه الله ـ لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثاً فخذوها هنيئاً مريئاً ، ومن كانت له حاجة فليرفعها إلينا وله علينا قضاؤها على ماعز وهان مع المواساة إن شاء الله . ولاحول ولاقوة إلا بالله .

الامامة والسياسة لابن قتيبة ٢ / ٩٨ - ٩٩

٣ ـ خطبة موسى بن نصير في الناس بعد خطبته الأولى .

كان الوضع صعباً في إفريقية بسبب قرب العدو من المسلمين ، فلما قدم موسى بن نصير والياً على إفريقية ونظر إلى جبالها وماحولها ، جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس : إنما كان قبلي على إفريقيه ، أحد رجلين . مسالم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية ويكره أن يكلم ، ويحب أن يسلم ، أو رجل ضعيف العقيدة ، قليل المعرفة ، راضٍ بالهوينا ، وليس أخو الحرب إلا من اكتحل السهر ، وأحسن النظر ، وخاض الغمر ، وسمت به همته ، ولم يرض

بالدون من المغنم ، لينجو ويسلم ، دون أن يكلم أو يكلم ، ويبلغ النفس عذرها ، في غير خرق يريده ، ولا عنف يقاسيه ، متوكلاً في حزمه ، جازماً في عزمه ، مستزيداً في علمه ، مستشيراً لأهل الرأي في إحكام رأيه، متحنكاً بتجاربه ،ليس بالمتجابن إقحاماً ولا بالتخاذل إحجاماً ، إن ظفر لم يزده الظفر إلا حذراً ، وإن نكب أظهر جلادة وصبراً ، راجياً من الله حسن العاقبة ، فذكر بها المؤمنين ورجاهم إياها لقوله الله تعالى : (إن العاقبه للمتقين [1]) أي حذرين ، وبعد : فإن كل من كان قبلي كان يعمد إلى العدو الأقصى ويترك منه الأدنى ، فينتهز منه الفرصة ، ويدل منه على العورة ، ويكون عوناً عليه عند النكبة . وأيم الله : لا أريم هذه البقاع ، والجبال المتنمة ، حتى يضع الله أرفعها ، ويذل أمنعها ، ويفتحها على المسلمين بعضها ، أو جميعها ، أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين .

الإمامة السياسية لابن قتيبة ٢ / ٩٩ ـ ١٠٠

٤ ـ رسالة عبد الملك بن مروان إلى حسان بن النعمان لما ولاه إفريقية

ولى عبد الملك بن مروان حسان إفريقيه وأطلق يده في أموال مصر من أجل احتلال إفريقية كلها

إني قد أطلقت يدك في أموال مصر ، فأعط من معك ومن ورد عليك ، وأعط الناس واخرج إلى بلاد إفريقية على بركة الله وعونه .

البيان المغرب لابن عذاري ١ / ٢٢

٥ ـ رسالة حسان بن النعمان إلى عبد الملك بن مروان لما تراجع أمام الكاهنة :

ان أمم المغرب ليس لها غاية ، ولا يقف أحد منها على نهاية ، كلما بادت

(١) سورة هود الآية ٤٩ .

أمة خلفتها أمم، وهم من الحفل والكثرة كسائمة الغنم.

البيان المغرب لابن عذاري ١ / ٣٦

٦ ـ رسالة عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز واليه على مصر يوافقه على عزله حسان بن النعمان عن إفريقية وتولية موسى ابن نصير مكانه

أما بعد: فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك من عزل حسان وتوليتك موسى مكانه، وعلم الأمر الذي عزلته، وقد كنت أنتظر منك مثلها في موسى وقد أمضى لك أمير المؤمنين من رأيك ما أمضيت وولايتك من وليت، فاستوص بحسان خيراً فإنه ميمون الطائر، والسلام[1].

٧ ـ رسالة جوابية من عبد العزيز بن مروان إلى أخيه عبد الملك عن نفس الموضوع

أما بعد فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين في عزل حسان وتوليتي موسى ابن نصير، وقد كان لمثلها مني منتظراً في موسى، ويعلمني أنه قد أمضى لي من رأيي ما أمضيت وولايتي من وليت: وقد علمت أن أمير المؤمنين يتفاءل بحسان للذي فتح الله على يديه. ولم أعد ـ مع نظري لأمير المؤمنين ـ بأن عزلت حسان ووليت موسى في يمن طائره وحسن أثره. فأما قول أمير المؤمنين قد كنت أنتظرها منك في موسى. فلعمري لقد كنت لها فيه مرصداً، ولأمير المؤمنين أن يسبق بها إليه منتظراً، حتى حضر أمر جهدت فيه نفسي لأمير المؤمنين، ولنفسي الرأي والنصيحة. والسلام.

الامامة والسياسة لابن قتيبة ٢ / ١٠٢ ـ ١٠٣

---

(١) ورد نص هذه الرسالة بشكل أكثر إيجازاً في البيان المغرب لابن عذاري ١/٣٣.

٨ ـ رسالة عبد العزيز بن مروان إلى موسى بن نصير يستوضحه حقيقة رقم السبي الذي أخبره به .

فتح موسى بن نصير مدينة زعوان ، وأرسل الى عبد العزيز بن مروان يبشره بالنصر وأن خمس السبي بلغ ثلاثين ألفاً ، وكان ذلك خطأ من الكاتب ، إذ إن خمس السبي بلغ على الحقيقة ستين ألفاً لا ثلاثين ألفاً ، فلما وصل الخطاب إلى عبد العزيز استكثر الرقم ، وظن أن ذلك وهم من الكاتب فأرسل إلى موسى يستوضحه حقيقة الرقم ويقول :

إنه بلغني كتابك وتذكر فيه أنه قد بلغ خمس ما أفاء الله عليك ثلاثين ألف رأس فاستكبرت ذلك وظننت أن ذلك وهم من الكاتب ، فاكتب إلي بعد ذلك على حقيقة واحذر الوهم .

٩ ـ رسالة جوابية من موسى بن نصير إلى عبد العزيز بن مروان حول نفس الموضوع السابق .

بلغني أن الأمير ـ أبقاه الله ـ يذكر أنه استكثر ما جاءه من العدة التي أفاء الله علي وأنه ظن أن ذلك وهم من الكاتب ، وقد كان ذلك وهماً على ما ظنه الأمير ، والخمس ـ أيها الأمير ـ ستون ألفاً حقاً ثابتاً بلا وهم [1] .

الامامة والسياسة لابن قتيبة ٢ / ١٠١ ـ ١٠٢

١٠ ـ رسالة عبد العزيز بن مروان إلى أخيه الخليفة عبد الملك بالفتح ومعها الرسالة التي أرسلها موسى بن نصير إلى عبد العزيز يبشره بالفتح .

أما بعد : فإني كنت وأنت ياأمير المؤمنين ، في موسى وحسان ، كالمتراهنين ،

---

(١) ورد نص هاتين الرسالتين في البيان المغرب لابن عذاري ١/٣٣ .

أرسلا فرسيهما إلى غايتيهما فأتيا معاً . وقد مدت الغاية لأحدهما ، ولك عنده مزيد إن شاء الله . وقد جاءني ، ياأمير المؤمنين ، كتاب من موسى ، وقد وجهته إليك لتقرأه وتحمد الله عليه ، والسلام .

١١ - رسالة جوابية من الخليفة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز .

أما بعد : فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك وفهم المثل الذي مثلته في حسان وموسى ، ويقول لك عند أحدهما مزيد ، وكل قد عرف الله على يده خيراً ونصراً ، وقد أجريت وحدك ، وكل مجر بالخلاء مسرور ، والسلام .

الإمام والسياسة لابن قتيبة ٢ / ١٠٣

١٢ - رسالة من الخليفة عبد الملك بن مروان الى موسى بن نصير إثر انتصارته هذه يرد عليه مائة ألف درهم كان قد صادره عليها ، وذلك تعبير عن سروره وشكره له وامتنانه منه لافتتاحه شمالي إفريقية كله حتى وردت خيوله المحيط الأطلسي .

أن أمير المؤمنين قد أمر لك بمئة ألف التي أغرمها لك ، فخذها من قبلك من الأخماس .

الإمامة والسياسة ٢ / ١٠٩

١٣ - خطبة طارق بن زياد قبل معركة وادي بكة مباشرة في جيشه الذي حشده لمحاربة الاسبان وملكهم لوذريق .

أيها الناس : أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه في أسلحته ، وأقواته موفورة . وأنتم لاوزر لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم . وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم امراً ذهبت

ريحكم، وتعوضت القلوب في رعبها منكم الجراءة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم، بمناجزة هذا الطاغية. فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وإن إنتهاز الفرصة فيه لممكن، إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوةٍ، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس، إلا وأنا أبدأ بنفسي. واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفر من حظي. وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنـــات اليونان، الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك، ذوي التيجان، قد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عزباناً، واختاركم لملوك هـــذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان، ليكون حظكم منه ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون نميمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم. والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين. واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه. واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ـ إن شاء الله تعالى ـ فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه، وإن هلكت دون وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فإنهم بعده مخذولون [1].

نفح الطيب للمقري ١ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦

---

(١) إن النص الوارد في وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ / ٤٠٤-٤٠٥ يكاد يكون مطابقاً للنص أعلاه، على حين أن النص الوارد في الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢، ١١٧-١١٨ أكثر اختلافاً وأقصر.

١٤ ـ خطبة موسى بن نصير في جنده أثناء حصاره حصناً من حصون سرقسطة

استعصى أحد الحصون الواقعة شمالي سرقسطة على جند موسى ، فجملهم وخطبهم فقال بعد أن حمد الله

أيها الناس : إني متقدم أمام الصفوف فإذا رأيتموني قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا .

الامامة والسياسة لابن قتيبة ٢ / ١٢٥

١٥ ـ رسالة من الوليد بن عبد الملك إلى موسى بن النصير لما طلب منه الإذن بغزو الأندلس

خضها بالسرايا حتى ترى ، وتختبر شأنها ، ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال [1] .

نفح الطيب للمقري ١ / ٢٣٧

١٦ ـ رسالة جوابية من موسى بن نصير الى الوليد بن عبد الملك :

انه ليس ببحر متسع ، وإنما هو خليج يبين ما وراءه .

الكامل في التاريخ لابن الاثير ٤ / ١٢٢

١٧ ـ رسالة جوابية من الوليد بن عبد الملك الى موسى بن نصير

وإن كان ، فلابد من إختباره بالسرايا قبل اقتحامه .

نفح الطيب للمقري ١ / ٢٣٧

---

(١) ورد نص مشابه في الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٢٢/٤ .

١٨ - رسالة موسى بن نصير الى مولاه طارق بن زياد ، الذي أصاب ست سفن يأمره بإتمامها سبعاً وشحنها والتوجه إلى الأندلس :

أتممها سبعاً ثم سر بها إلى شاطئ البحر ، واستمد لشحنها ، واطلب قبلك رجلاً يعرف شهور السريانيين ، فإذا كان يوم أحد وعشرين من شهر آذار بالسرياني فاشحن على بركة الله ونصره في ذلك اليوم . فإن لم يكن عندك من يعرف شهور السريان فشهور العجم فإنها موافقة لشهور السريان ، وهو شهر يقال له بالأعجمية مارس فإذا كان يوم أحد وعشرين منه فاشحن على بركة الله كما أمرتك إن شاء الله . فإذا أجريت فسر حتى يلقاك جبل أحمر وتخرج منه عين شرقية إلى جانبها صنم فيه تمثال ثور . فاكسر ذلك التمثال وانظر فيمن معك إلى رجل طويل أشقر بعينيه قبل[1] ، وبيده شلل فاعقد له على مقدمتك ثم أقم على مكانك حتى أغشاك إن شاء الله .

١٩ - رسالة جوابية من طارق بن زياد الى موسى بن نصير :

إني منته إلى ما أمر الأمير ووصف ، غير أني لم أجد صفة الرجل الذي أمرتني به إلا في نفسي .

الامامة والسياسة لابن قتيبة ٢/١١٥ - ١١٦

٢٠ - رسالة طارق إلى موسى لما اتصل بالجبل المذكور في رسالة موسى السابقة .

إني فعلت ما أمرتني به وسهل الله سبحانه وتعالى الوصول .

وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/٤٠٤

٢١ - رسالة طارق بن زياد إلى موسى بن نصير يطلب منه المدد

(1) القبل : إقبال السواد في العين على الأنف أو مايشبه الحول .

بعد قتله لذريق وانتصاره في معركة وادي بكة .

إن الأمم قد تداعت علينا من كل جانب فالغوث الغوث .

الإمامة والسياسية لابن قتيبة ١١٨/٢

٢٢ ـ رسالة موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يبشره بفتح الأندلس ويقول :

إنها ليست كالفتوح يا أمير المؤمنين ، ولكنه الحشر .

الإمامة والسياسية لابن قتيبة ١٢٣/٢

٢٣ ـ عهد عبد العزيز بن موسى بن نصير إلى تدمير ملك أوريولة في شمالي الأندلس :

بسم الله الرحمن الرحيم : كتاب عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن عيدوش أنه نزل على الصلح ، وأن له عهد الله وذمته وذمة نبيه ﷺ ألا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر ولا ينزع عن ملكه ، وأنهم لا يقتلون ولا يسبون ولا يفرق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم ولا يكرهون على دينهم ولا تحرق كنائسهم ، ولا ينزع عن ملكه ماتعبد ونصح وأدى الذي اشترطنا عليه ، وأنه صالح على سبع مدائن : أوريولة **Oriluela** ، وبلنتة **Baltna** ، ولقنت **Alicante** ، ومولة **Mula** ، وبلانة **Villena** ، ولورقة **Lorca** ، واله **Ella** ، وأنه لا يؤوي لنا آبقاً ، ولا يؤوي لنا عدواً ، ولا يخيف لنا آمناً ، ولا يكتم خبر عدو علمه ، وأن عليه وعلى أصحابه ديناراً كل سنة وأربعة أمداد قمح وأربعة أمداد شعير ، وأربعة أقساط طلاء ، وأربعة أقساط خل وقسطي عسل وقسطي زيت ، وعلى العبد نصف ذلك . شهد على ذلك عثمان بن أبي عبدة

القرشي ، وحبيب بن أبي عبيدة بن ميسرة الفهري ، وأبو قائم الهذلي . وكتب في رجب سنة أربع وتسعين من الهجرة[1] .

بغية الملتمس للضبي ص ٢٧٤

٢٥ ـ خطبة موسى بن نصير بين يدي سليمان بن عبد الملك لما أراه رأس ابنه عبد العزيز :

حنق سليمان بن عبد الملك على موسى بن نصير وابنه عبد العزيز الذي خلفه في حكم الأندلس ، فدبر للابن أشخاصاً قتلوه وأحضروا رأسه إلى سليمان ، فأرى سليمان الرأس إلى موسى وقال له : أتعرف رأس من هذا الرأس ، فقام موسى خطيباً بين يدي سليمان فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

هذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين ، فرحمة الله تعالى عليه ، فلعمر الله ماعلمته نهاره إلا صواماً وليله إلا قواماً ، شديد الحب لله ورسوله ، بعيد الأثر في سبيله ، حسن الطاعة لأمير المؤمنين ، شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين . فإن يك عبد العزيز قضى نحبه فغفر الله له ذنبه . فوالله ما كان بالحياة شحيحاً ولا من الموت هائباً ، وليعز على عبد الملك ، وعبد العزيز ، والوليد ، أن يصرعوه هذا المصرع ويفعلوا به ما أراك تفعل ، ولهم كانوا أعظم رغبة فيه ، وأعلم بنصيحة أبيه أن

(١) ورد نص هذا العهد الشهير في عدد من المصادر والكتب الثانوية ، فقد ذكره السيد عبد العزيز سالم في تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ـ ١١٦ وذكر أنه نقله عن الروض المعطار للحميري ـ ٦٣ . كذلك ذكره محمد عبد الله عنان في دولة الإسلام في الأندلس القسم الأول الجزء الاول ٥٥ ـ ٥٦ وذكر أنه نقله عن معجم الغزيري ومعه ترجمة لاتينية كا ذكره حسين مؤنس في فجر الاندلس ١١٤ ـ ١١٥ وعبد الرحمن الحجي في أندلسيات المجموعة الثانية ٢٥ ـ ٢٦ وإبراهيم علي طرخان في المسلمون في أوربا في العصور الوسطى ١٣٢ ـ ١٣٣ .

يسمعوا فيه كاذبات الأقاويل ، ويفعلوا به هذه الأفاعيل .

فرد عليه سليمان قال :

بل ابنك المارق من الدين ، والشاق عصا المسلمين ، المنابذ لأمير المؤمنين ، فمهلاً أيها الشيخ الخرف .

فقال موسى :

والله مابي من خرف ، ولا أنا عن الحق بذي جنف ، ولن ترد محاورة الكلام ، مواضع الحمام . وأنا أقول كما قال العبد الصالح : (فصبرٌ جميلٌ ، والله المستعان على ماتصفون)[1] . أفتأذن في رأسه يا أمير المؤمنين ؟ فأذن له سليمان :

الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢/١٥٣ - ١٥٤

٢٤ - عهد سليمان بن عبد الملك بمقاضاة موسى بن نصير :

غضب سليمان بن عبد الملك على موسى بن نصير ، ونكبه وصادره ، وطالبه بأموال كثيرة ، حتى توسط بينهما بعض الرؤساء ، فتم الاتفاق على أن يفتدي موسى نفسه بمبلغ أربعة آلاف ألف دينار ونيف ، وفيما يلي نص هذا العهد .

هذا ماقاضي عليه عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين موسى ابن نصير : قاضاه على أربعة آلاف ألف دينار وثلاثين ألف دينار وخمسين ديناراً يؤديها إلى أمير المؤمنين . وقد قبض منها أمير المؤمنين مائة ألف وبقي على موسى سائر ذلك ، أجله أمير المؤمنين إلى سير رسول أمير المؤمنين إلى ابن موسى الذي بالأندلس يمكث شهراً بالأندلس ، وليس له أن يمكث

---

(١) سورة يوسف الآية ١٨ .

وراء ذلك يوماً واحداً حتى يقفل راجعاً بالمال ، إلا ما كان من إفريقية ومادونها . وليس لموسى أن يتكثر بشيء مما كان عليه من العمل منـــذ استخلف الله أمير المؤمنين من ذمة ، أو فيءٍ أو أمانةٍ فهو لأمير المؤمنين يأخذه ويقتضيه ولايحسبه موسى من غرامته . فإن أدى موسى الذي سمى أمير المؤمنين في كتابه هذا من المال إلى ماقد سمى أمير المؤمنين من الأجل فقد برئ موسى وبنوه وأهله ومواليه ، وليست عليهم تبعة ولا طلبة في المال ، ولافي العمل ، يقرون حيث شاؤوا . وماكان قبض موسى أو بنوه من عمال موسى إلى قدوم رسول أمير المؤمنين إفريقية فهو من الذي على موسى من المال يحسب له من الذي عليه ، ما لم يقبض قبل وصول رسول أمير المؤمنين فليس منه في شيء ؛ وقد خلى أمير المؤمنـين بين موسى وبـين أهله ومواليه ، ليس له ظلم أحد منهم . غير أن أمير المؤمنين لايدفع إليه طارقاً مولاه ولا شيئاً من الذي قـد أباه عليه أول يـــوم .

شهد أيوب ابن أمير المؤمنين ، وداود ابن أمير المؤمنين ، وعمـر بن عبـــد العزيز ، وعبد العزيز بن الوليد ، وسعيد بن خالد ، ويعيش بن سلامة ، وخالد بن الريان ، وعمر بن عبد الله ، ويحيى بن سعيد ، وعبد الله بن سعيد ، وكتبه جعفر بن عثمان في جمادى سنة تسع وتسعين[1] .

الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢/١٤٦ - ١٤٨

---

(١) أورد هذا النص عبد الكريم التواني فيمأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس ص٩٣ وذكر أنه أخذه عن كتاب ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٧٥ . والنص المثبت أعلاه أوضح وأكمل وفيه أسماء الشهود .

رسائل سليمان بن عبد الملك إلى عدد من الناس من أجل أبناء موسى بن نصير .

قرر سليمان التخلص من أولاد موسى بن نصير ، إذ كان أحدهم والياً على إفريقية والمغرب وهو عبد الله ، والآخر ، وهو عبد العزيز كان والياً على الأندلس ، ولذلك لجأ إلى الحيلة بأن أرسل أشخاصاً من قبله إلى عبد العزيز بن موسى في الأندلس يحوزون ثقته ، فإذا تم الأمر وثبوا به وقتلوه . ولذلك فاوض كلاً من حبيب بن عبيد ، وابن وعلة التميمي ، ومسمد بن عثمان بن مياسر ، وعمرو بن زيال اليحصبي ، وعمرو بن كثير ، وعمرو بن شرحبيل ، وكتب إليهم يحرضهم على عبد العزيز ويذكر لهم أن من قتله حل محله والياً على الأندلس ، وفي نفس الوقت طلب من عبد الله بن موسى واليه على المغرب أن يرسل هؤلاء الأشخاص من قبله إلى أخيه عبد العزيز في الأندلس لمساعدته في حفظ البلاد وجهاد الأعداء .

٢٦ ـ رسالة سليمان بن عبد الملك إلى عبد الله بن موسى بن نصير

إني نظرت فإذا عبد العزيز بإزاء عدو يحتاج فيه إلى الغناء والبلاء ، فسأل أمير المؤمنين فأخبر أن معك رجالاً منهم فلان وفلان ـ عنى بهم الأشخاص المذكورين أعلاه ـ فأشخصهم إلى عبد العزيز .

٢٧ ـ رسالة سليمان الى عبد العزيز بن موسى بن نصير

أما بعد : فإن : أمير المؤمنين علم ما أنت بسبيله من العدو وحاجتك إلى الرجال أهل النكاية والغناء فذكر له أن بإفريقية رجالاً منهم فكتب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن موسى يأمره بإشخاصهم إليك فولهم أطرافك وثغورك واجعلهم أهل خاصتك ،

٢٨ - رسالة سليمان إلى كل فرد من أفراد الفريق المرسل إلى الأنـــدلس :

إني قد بعثت لكم بكتاب إلى أهل الأندلس بالسمع والطاعة لكم والعذر في قتله ، فإذا أولاكم أطرافه فاقرأوا عهدي على من قبلـــكم من المسلمين ثم ارجعوا إليه حتى تقتلوه .

الإمامة والسياسة لابن قتيبه ٣/ ١٥٠ - ١٥١

٢٩ - خطبة يزيد بن أبي مسلم لما أصبح واليا على إفريقية من قبل يزيد بن عبد الملك وقد عزم على أن يسم إسم حراسه على أيديهم .

إني رأيت أن أرسم اسم حرسي في أيديهم . كما تصنع ملوك الروم بحرسها ، فأرسم في يمين الرجل اسمه . وفي يساره حرسي ليعرفوا بـذلك بين سائر الناس ، فإذا وقفوا على أحد أسرع لما أمرت به .

ولكن ذلك أساء لأفراد الحرس وكان أحد الأسباب الرئيسية في الثورة عليه وقتله .

البيان المغرب لابن عذاري ١ / ٤٦

٣٠ - رسالة أهل إفريقية إلى يزيد بن عبد الملك لما ثاروا بعامله يزيد بن أبي مسلم وقتلوه وولوا مكانه العامل السابق محمد بن يزيد ، وذلك لأنه سار فيهم سيرة قبيحة .

إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك .

٣١ - جواب يزيد بن عبد الملك لأهل إفريقية .

إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم[١] .

---

(١) أورد الطبري في تاريخ الامم والملوك ٥/٣٥٤ والجهشياري في كتاب الوزراء والكتاب ٣٦ نصين مطابقين .

وأقر محمد بن يزيد والياً على إفريقية .

وفيات الأعيان لابن خلكان ٥ / ٣٥٤

٣٢ ـ رسالة من أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي الى هشام بن عبد الملك لما أخذ عبيدة بن عبد الرحمن والي افريقية والمغرب الجديد عمال بشر بن صفوان الوالي القديم المعزول في القيروان ، ومن بينهم أبو الخطار ، فحبسهم وعذبهم ، وأغرمهم ، وقد احتال في إرسالها الى كاتب هشام الأبرش الكلبي الذي قرأها أمامه ، وهي شعر ، وهذا نصها :

أفأتم بني مروان قيساً دماءنا	وفي الله، إن لم تنصفوا ، حكم عدل
كأنكمو لم تشهدوا مرج راهط	ولم تعلموا من كان ثم له الفضل
وقيناكمو حــــرّ الوغي بصدورنا	وليست لكم خيل تعد ولا رحل
فلما رأيتم واقد الحرب قد خبا	وطاب لكم منا المشارب والأكل
تغافلتمو عنا كأن لم يكن لنا	بـــلاء وأنتم ما علتم لنا فعل
فلا تجزعوا إن عضت الحرب مرة	وزلت عن المرقاة بالقـدم النعل
وقدرث حبل الوصل وانقطع التوى	ألا ربما يلوى فينقطع الحبل[1] .

تاريخ مسلمي إسبانيا لدوزي ١ / ١٣٧

٣٣ ـ رسالة جوابية من عبد الرحمن الغافقي إلى عبيدة بن عبد الرحمن القيسي :

ولي عبيدة بن الرحمن القيسي والي شمالي إفريقية عبد الرحمن الغافقي الأنـــدلس ، فغزا بلاد فرنجة وغـــنم غنائم كثيرة جداً ، ومن جملتها

---

(١) وردت هذه الرسالة في بغية الملتمس للضبي ص ٢٧٧ ، وكذلك وردت في الحلة السيراء لابن الأبار ١/ ٦٤ ، وفي البيان المغرب لابن عذاري ١/ ٥٠ . وبين نصوصها خلافات كثيرة ، ولكن النص المثبت أعلاه أكملها .

رجل من ذهب مفضضة بالدر والياقوت فكسرها ووزعها بين المحاربين بعد إخراج الخمس. وبلغ ذلك عبيدة فغضب غضباً شديداً ، وأرسل إلى عبد الرحمن يتوعده فأجابه عبد الرحمن بقوله :

إن السموات والأرض لو كانتا رتقاً لجعل الرحمن للمتقين منها مخرجاً .

بغية الملتمس للضبي ص ٣٦٦

ب ـ عهد أمراء وخلفاء بني أمية ١٣٨ ـ ٤٢٢ هـ / ٧٥٦ ـ ١٠٣١ م

١ ـ عبد الرحمن الداخل ١٣٨ ـ ١٧٢ هـ / ٧٥٦ ـ ٧٨٨ م

٣٤ ـ رسالة الصميل إلى عبد الرحمن الداخل .

لما عبر عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس أرسل رسولين إلى الصميل حاكم الأندلس الفعلي الى جانب يوسف الفهري يدعوه إلى نصرته ، فوعده ذلك واتفق مع الأمويين المقيمين في الأندلس على نصرته . ثم رجع عن رأيه وقوله ووعده وقال للرسولين :

تأملت الأمر فوجدته صعب المرام . فبارك الله لكما في رأيكما ومولاكما ، فإن أحب غير السلطان فله عندي أن يواسيه يوسف ويزوجه ويحبوه ، إنطلقا راشدين .

البيان المغرب لابن عذاري ٢ / ٤٤

٣٥ ـ رسالة زوجة يوسف الفهري له تخبره بنزول عبد الرحمن الداخل ساحل الأندلس عند المنكب وتقدمه الى مـــدينة طرش واسمها بالإسبانية **Torrox**

كان يوسف الفهري حاكم الأندلس غائباً عن قرطبة في شمالي البلاد في معسكره ، ولما نزل عبد الرحمن المنكب وتقدم إلى طرش انضم إليه

بنو أمية واليمانية . ووصل الخبر إلى زوجة يوسف الفهري فأرسلت له رسالة مختصرة على جناح السرعة تخبره بالأمر وتقول :

ابن معاوية قد دخل ، ونزل طرش عند الفاسق عبيد الله بن عثمان وأصفقت معه بنو أمية . وإن خليفتك على البيرة زحف إليه بمن خف من أهل الطاعة ليخرجه فهزم وضرب أتباعه . ولم يقع قتل . فالرأي رأيك [1] .

تاريخ المسلمين في الأندلس لسالم ـ ١٨٤

٣٦ ـ فصول من رسالة يوسف الفهري إلى عبد الرحمن الداخل قبل الحرب بينهما يعرض عليه الرعاية ويحاول خداعه .

أما بعد ، فقد أنتهى إلينا نزولك بساحل المنكب ، وتأبش من تأبش إليك ونزع نحوك من السراق وأهل الختر والغدر ونقض الأيمان المؤكدة التي كذبوا الله فيها وكذبونا . وبه ـ جل وعلا ـ نستعين عليهم ، ولقد كانوا معنا في ذرى كنف ورفاهية عيش حتى غمصوا ذلك واستبدلوا بالأمن خوفاً وجنحوا إلى النقض ، والله من ورائهم محيط ، فإن كنت تريد المال وسعة الجناب فأنا أولى لك ممن لجأت إليه ، إكنفك وأصل رحمك وأنزلك معي إن أردت وبحيث تريد . ثم لك عهد الله وذمته في ألا أغدر لك ، ولا أمكن منك ابن عمي صاحب إفريقية ولا غيره [2]

في كلام كثير .

البيان المغرب ٢ / ٤٥ ـ ٤٦

---

(١) ورد نص مشابه بشكل كبير لنصنا المثبت أعلاه في كل من : الامويون أمراء الاندلس الأول للشمراوي ص٧٥ وتاريخ مسلمي إسبانيا لدوزي ص٢٠٠ ولم يذكرا مصادرهما.

(٢) ورد نص مطابق للنص أعلاه في كل من ، دولة الإسلام في الاندلس لعنان ص١٠ ق١ - ١٥٣ وتاريخ المسلمين في الأندلس لسالم ١٨٤ ـ ١٨٥ وقد أخذ الإثنان نصيها عن ابن عذاري .

٣٧ ـ خطبة عبد الرحمن الداخل أمام جنده يوم معركة المصارة التي حدثت بينه وبين جند يوسف الفهري .

هذا يوم هو أمسُ مابنى عليه : إما ذل الدهر، وإما عـــز الدهر ، فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تربحوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون .

الأمويون أمراء الأندلس الأول تأليف أحمد إبراهيم الشعراوي ـ ٧٥

٣٨ ـ خطبة عبد الرحمن الداخل في جيشه قبل المعركة الحاسمة مع جيش الفهري أمام قرطبة .

إنا لم نجىء للمقام ، وقد دعانا هذا الرجل إلى ما علمتم وعرض ما سمعتم ، ورأيي لرأيكم تبع ، فإن كان عندكم صبر وجلد وحب للمكافحة فأعلموني ، وإن يكن فيكم جنوح إلى السلم فأعلموني .

فاتفق القوم على القتال .

فقال الأمير :

أي يوم هذا ؛

قالوا : يوم الخميس يوم عرفة .

فقال :

لنعبر البحر اليوم . فالأضحى غداً الجمعة ، وهو يوم فأل طيب لعائلتي . فيه سيقت الخلافة لها . والمتزاحفان أموي وفهري ، والجندان قيس ويمن ، قد تقابل الأشكال . جدد . أرجو أنه أخو مرج راهط فأبشروا وجدوا .

تاريخ مسلمي إسبانيا لدوزي ـ ٢١٠

٣٩ ـ قول عبد الرحمن الداخل لأنصاره يكفهم عن الإثخان في قتل أصحاب الفهري بعد انتصارهم عليهم يوم قرطبة .

لا تستأصلوا شأفة أعداء ترجون صداقتهم واستبقوهم لأشد عداوة منهم .

نفح الطيب للمقري ٤ / ٤١

٤٠ - رسالة أرسلها عبد الرحمن الداخل ، بعد تغلبه على الفهري وتلقبه بالإمرة ، إلى سليمان بن يقظان الأعرابي الذي أرسل يراوغ في البيعة لعبد الرحمن ، فوقع له بمايلي :

أما بعد : فدعني من معاريض المعاذير والتعسف عن جادة الطريق ، لتمدن يداً إلى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة ، أو لأزوين بنانها عن وصف المعصية نكالاً بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد [1] .

نفح الطيب للمقري ٣٩/٤

٤١ - رسالة أرسلها إلى عبد الرحمن الداخل مولاه بدر بعد أن اطرحه وهجره وجفاه ، وذلك لإكثاره الدالة عليه :

أما كان جزائي في قطع البحر وجوب القفر ، والإقدام على تشتيت نظام مملكة ، وإقامة أخرى غير الهجر ، الذي أهانني في عيون أكفائي ، وأشمت بي أعدائي ، وأضعف أمري ونهيي عند من يلوذ بي ، وبتر مطامع من كان يكرمني ويحفدني [2] على الطمع والرجاء . وأظن أعداءنا بني العباس لو حصلت بأيديهم مابلغوا بي أكثر من هذا . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

٤٢ - جواب عبد الرحمن الداخل مولاه بدراً على رسالته السابقة وقد احتدم غيظاً :

وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك ، وسوء خطابك ، ودناءة أدبك ولئيم معتقدك . والعجب أنك متى أردت أن تبني لنفسك عندنا متاتاً ،

---

(١) ذكر كل من ابن عذاري في البيان المغرب ٥٨/٢ والشمراوي في . الأمويون أمراء الاندلس ١٢٥ نصاً قريباً كل القرب من نصنا أعلاه .

(٢) حفد خدم .

أتيت بما يهدم كل مثات مشيد بما تمن به ، مما قد أضجر الأسماع تكراره وقدحت في النفوس إعادتـه ، مما استخرنا الله تعالى من أجـله على أمرنا باستئصال مالك ، وزدنا في هجرك وإبعادك ، وهضنا جناح إذلالك ، فلعل ذلك يقمع منك ، ويردعك حتى نبلغ منك مازيد إن شاء الله تعـالى ـ فنحن أولى بتأديبك من كل أحد إذ شرك مكتوب في مثالبنا ، وخيرك معدود في مناقبنا .

نفح الطيب للمقري ج ٤/٣٩ ـ ٤٠

٤٣ ـ رسالة أخرى من بدر إلى مولاه عبد الرحمن يشكو ويدل بعد أن صادر ماله وسلبه نعمته وسلطانه ، واطرحه وأقصاه .

قد طال هجري ، وتضاعف همي ، وفكري ، وأشد ماعلي كوني سلبيـاً من مالي ، فعسى أن تأمر لي بإطلاق مالي ، واتحد به في معزل لا أشتغل بسلطان ، ولا أدخل في شيء من أموره ماعشت .

٤٤ ـ جواب عبد الرحمن الداخل إلى بدر عن رسالته السابقة :

إن لك من الذنوب المترادفة مالو سلب معها روحك لكان بعض ما استوجبته ، ولاسبيل إلى رد مالك ، فإن تركك بمعزل في بلهنية الرفاهية وسعة ذات اليد ، والتخلي من شغل السلطان ، أشبه بالنعمة منه بالنقمة ، فايأس من ذلك فإن اليأس مريح .

نفح الطيب للمقري ٤/٤٠

٤٥ ـ رسالة أخرى من بدر إلى مولاه عبد الرحمن الداخل يتوسل إليه وذلك عندما حضره عيد ولم يكن معه ماينفق على نفسه وأهله .

... وقد أتى هذا العيد الذي خالفت فيه أكثر من أساء إليك وسمى

في خراب دولتك ، ممن عفوت عنه ، فتبنك (١) النعمة في ذراك واقتعد ذروة العز . وأنا على ضد من هذا سليباً من النعمة ، مطرحاً حضيض الهوان ، أيأس مما يكون ، وأقرع السن على ما كان .

٤٦ - جواب الداخل إلى بدر وقد امتلأ غيظاً وغضباً منه فأمر بنفيه إلى الثغر الأعلى وكتب على رقعته :

لتعلم أنك لم تزل بمقتك حتى ثقلت على العين طلعتك ، ثم زدت إلى أن ثقل على السمع كلامك ، ثم زدت إلى أن ثقل على النفس جوارك ، وقد أمرنا بإقصائك إلى أقصى الثغر . فبالله إلا ما أقصرت ، ولا يبلغ بك زائد المقت إلى أن تضيق معي الدنيا . ورأيتك تشكو لفلان وتتألم من فلان ، وماتقولوه عليك . ومالك عدو أكبر من لسانك فما طاح بك غيره فاقطعه قبل أن يقطعك .

نفح الطيب للمقري ٤/٤٠

٤٧ - حوار عبد الرحمن الداخل مع جندي من جنود جيشه :

ثار ضد عبد الرحمن الداخل شخص اسمه الحسين الأنصاري واعتصم بسرقسطة ، فسار إليه عبد الرحمن وحاربه وانتصر عليه واحتل منه سرقسطة ، فلما تم هذا أقبل جندي من جنود عبد الرحمن فهنأ الأمير بصوت عال وبلا مبالاة ، فقال له الداخل :

والله لولا أن هذا اليوم يوم أسبغ عليّ فيه النعمة من هو فوقي فأوجب علي ذلك أن أنعم فيه على من دوني لأصليتك ماتعرضت له من سوء النكال . من تكون حتى تقبل مهنئاً رافعاً صوتك غير متلجلج

(١) اي تمكن .

ولامتهيب لمكان الإمارة ولاعارف بقيمتها ؟ حتى كأنك تخاطب أباك أو أخاك !
وإن جهلك ليحملك على العود لمثلها فلا تجد مثل هذا الشافع في مثلها
من عقوبـــة .

فقال الجندي :

ولعل فتوحات الأمير يقترن اتصالها باتصال جهلي وذنوبي ، فتشفع لي
متى أتيت بمثل هذه الزلة ، لا أعدمنيه الله تعالى .

فسر الأمير بذلك الجواب وقال :

ليس هذا باعتذار جاهل .

ثم قال :

نبهونا على أنفسكم إذا لم تجدوا من ينبهنا عليها .

ورفع مرتبته .

نفح الطيب للمقري ٤/٤١

٤٨ - رسالة من عبد الرحمن الداخل إلى أحد عماله وقد قصر في عمله :

أما بعد : فإن يكن التقصير لك مقدماً ، فمع الاكتفاء أن يكون
لك مؤخراً ، وقد علمت بما تقدمت ، فاعتمد على أيها أحببت .

البيان المغرب لابن عذاري ٢/٥٨

٤٩ - رسالة جوابية ، من عبد الرحمن الداخل ، في هيئة توقيع وصيغة شعرية ، لشخص قرشي وفد عليه وكتب إليه ، يستعظم حقه
عليه بالرحم ويستقل حظه منه بالمطمع . فوقع في ظهر جوابه .

شتان من قام ذا امتعاض	منتضى الشفرتـــين نصلاً
فجاب قفراً وشق بحـراً	مساميـاً لجـــة ومحـــلاً
فشاد مجـــداً وبزملكاً	ومنـــبراً للخطاب فصلاً

وجند الجند حين أودى ... ومصر المصرحين أخلى
ثم دعا أهله جميعاً ... حيث انتأوا ، أن : هلم أهلاً
فجاء هذا طريد جوع ... شريد سيف أباد قتلاً
فنال أمنا ونال شبعاً ... وحاز مالاً وضم شملاً
ألم يك حق ذا على ذا ... أعظم من منعم ومولى

كتاب الحلة السيراء لابن الأبار ١/٣٩ ـ ٤٠

٥٠ ـ كتاب أمان وصلح أصدره عبد الرحمن الداخل لجيرانه نصارى قشتالة :

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب أمان الملك المعظم عبد الرحمن ، للبطارقة والرهبان والأعيان والنصارى والأندلسيين أهل قشتالة ومن تبعهم من سائر البلدان . كتاب أمان وسلام . وشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب وعشرة آلاف رطل من الفضة ، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل ، ومثلها من البغال ، مع ألف درع وألف بيضة ومثلها من الرماح ، في كل عام إلى خمس سنين . كتب بمدينة قرطبة ثلاث صفر عام اثنين وأربعين ومائة[1] .

دولة الاسلام في الأندلس لعنان حـ ١ ، ق ١ ـ ١٩٩

٥١ ـ وصية عبد الرحمن الداخل لابنه عبد الله البلنسي لما حضرته الوفاة .

مرض الداخل مرض الموت ، وكان ابناه هشام وسليمان غائبين ، فأوصى

---

(١) نقل عنان النص اعلاه من مخطوطة الإحاطة لابن الخطيب في الأسكوريال كما وان الغزيري نقل هذا النص في فهرسه . ويشك الاستاذ عنان على الأقل في صحة الارقام الواردة في هذا العهد .

ابنه عبد الله بمايلي :

من سبق إليك من أخويك ، فابرأ إليه بالخاتم والأمر ، فإن مبق إليك هشام فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه . وإن سبق إليك سليمان فله فضل سنه ونجدته وحب الناس له .

تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب ـ ١١

٢ ـ هشام بن عبد الرحمن الداخل ١٧٢ ـ ١٨٠ هـ / ٧٨٨ ـ ٧٩٦

٥٢ ـ وصية هشام لابنه وولي عهده الحكم قبيل وفاته :

يابني يجب أن لاتنسى أن الملك لله يعطيه من يشاء ويأخذه ممن يشاء . وقد منحنا الله السلطة ، ووضع في أيدينا صولجان الملك برحمته الواسعة ، فعلينا أن نقدم له الحمد والشكر على نعمائه ، وأن ننفذ إرادته بالمعاملة الطيبة لكل الناس ، خاصة أولئك الذين يلجأون إلينا طالبين حمايتنا .

كن عادلاً سوياً مع الفقراء والأغنياء ، ولاتترك للظلم سبيلاً إلى دولتك فالظلم طريق الضياع ، وكن في ذات الوقت رحيماً عطوفاً على من يعتمد عليك فكلهم خلق الله .

إمنح حكم أقاليمك ومدنك لأناس طيبي الأخلاق ذوي تجربة .

أنزل العقاب بالوزراء والحكام ممن يميلون مع الهوى ، ولايعدلون في شعبك ؛ وكن معهم حازماً قوياً .

كن رقيقاً حازماً مع قواتك وجيوشك حينما تعوزك الضرورة إلى وضع السلاح في أيديهم ، واجعلهم حماة الدولة لامخربيها ، وادفع إليهم رواتبهم واجعلهم واثقين دائماً من وفائك بوعودك . لاتتوان عن كسب إرادة شعبك في تعاطفهم يكمن أمان الدولة ، وفي خوفهم يكمن الخطر ، وفي كرههم يكمن الانهيار المحقق .

كن عطوفاً على الفلاحين الذين يعملون ليوفروا لنا القوت الضروري ولاتسمح بتخريب زروعهم .

وختم هشام وصيته ونصائحه لابنه الحكم بقوله :

وعلى الجملة فاحكم بطريقة تجعل ألسنة شعبك تلهج بشكرك وهم يعيشون سعداء في ظل حمايتك وعطفك ، يجنون مباهج الحياة في ثقة وهدوء ، ففي كل هذا يكون الحكم الصالح ، فإذا استطعت تحقيق ذلك كنت سعيداً وجنيت الشهرة كأعظم أمير في العالم(١) .

الأمويون أمراء الأندلس الأول للشعراوي ٢٠٤ ـ ٢٠٥

٥٣ ـ رسالة وجهها إدريس الأول العلوي الذي أسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى إلى المصريين يدعوهم لطاعته .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فالحمد لله رب العالمين لاشريك له الحي القيوم ، والسلام على جميع المرسلين ، وعلى من اتبعهم وآمن بهم أجمعين .

أيها الناس : إن الله بعث نبيه محمداً ﷺ بالنبوة ، وخصه بالرسالة وحباه بالوحي ، فصدع لأمر الله ، وأثبت حجته ، وأظهر دعوته ، وإن الله ـ جل ثناؤه ـ خصنا بولايته ، وجعل فينا ميراثه ووعده فينا وعداً سيفي له به ، فقبضه إليه محموداً لاحجة لأحد على الله ولاعلى رسوله ﷺ ، فالله الحجة البالغة ، فلو شاء لهداكم أجمعين .

فخلفه الله جل ثناؤه بأحسن الخلافة ، غذانا بنعمته صغاراً ، وأكرمنا

---

(١) يذكر المؤلف أنه نقله عن الإسبانية من كتاب كونديه ص ١١٥
Conde, T.A. Historia de la dominacion de les Arabes en Espana.. Parie, 1840, P – 115

بطاعته كباراً ، وجعلنا الدعاة إلى العدل القائمين بالقسط المجانين للظلم ، ولم نمل - إذ وقع الجور - طرقه عين من نصحنا أمتنا والدعاء إلى سبيل ربنا ، جل ثناؤه .

فكان مما خلفته أمته فينا أن سفكوا دماءنا ، وانتهكوا حرمتنا ، وأيتموا صغيرنا ، وقتلوا كبيرنا ، واثكلوا نساءنا ، وحملونا على الخشب ، وتهادوا رؤوسنا على الأطباق ، فلم نكل ، ولم نضعف ، بل نرى ذلك تحفة من ربنا - جل ثناؤه - وكرامة أكرمنا بها ، فمضت بذلك الدهور واشتملت عليه الأمور ، وربي منا عليه الصغير وهرم عليه الكبير ...[1] في كلام طويل .

تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط لابن الخطيب - ١٨ حاشية

٥٤ - مقتطفات من رسالة وجهها إدريس الأول إلى ابراهيم الأغلب مؤسس دولة الأغالبة يدعوه لطاعته .

أرسل إليه رسالة يدعوه إلى طاعته أو الكف عن ناحيته ، ويذكره قرابته من رسول الله ﷺ ، وفي أسفل كتابه هذان البيتان :

اذكر إبراهيم حق محمد ... وعترته ، والحق خير مقول

وادعوه للأمر الذي فيه رشده ... وما هو لولا رأيه بجهول

فإن آثر الدنيا فإن أمامه ... زلازل يوم للعقاب طويل

الحلة السيراء لابن الأبار ١/٥٥

---

(١) يذكر محققا الكتاب أن هذه الرسالة أخذت من مخطوطة محفوظة في مكتبة الإمبروزيانا بميلانو بإيطاليا تحت رقم ١١٥ ورقة ٢٨١ - ٢٧٥ بعنوان سيرة الإمام المؤيد بالله محمد ابن القاسم (إمام اليمن) .

٥٥ ـ رسالة خريش بن عبد الرحمن الكندي إلى إبراهيم بن الأغلب.

كان خريش من أبناء العرب المقيمين في تونس فخلع المسودة، وأتاه العرب والبربر من كل ناحية، فلما كثر جمعه كتب إلى ابراهيم بن الأغلب يقول:

من خريش القائم بالعدل إلى ابراهيم بن الأغلب.

أما بعد: فإني أقمت عن الخروج قبل يومي هذا لأني كنت أنتظر أن تفنيكم الحرب، فلعمري لقد أرانا الله فيكم ماقوي به أهل دعوة الحق عليكم. فلما وليت أنت وعلمت أنهم مقسومون بين خوف منك ورجاء لك، عرفت قلة طمعهم فيك. ولوكان أحد ممن ولي هذا الثغر ممن لانرى طاعته يستحق أن نرضى ولايته لكنت أنت ذلك. وقد كان علي ابن أبي طالب. رحمة الله عليه، يقول: إذا ولى عنكم عدوكم من أهل الملة فلاتتبعوهم، ولست أطلبك أن خرجت من الثغر، فلا ترد أن تصلى بحربي، وليكن رأيك طلب سلمي، والسلام:

وكتب في آخر كتابه:

قل جهرة لأبي إسحاق تنصحه	هذا فراقكم للغرب قد حانا
فلايعود إليكم منه أحـــد	حتى يعود من الأجداث موتانا
فارجع عن الغرب أوالق السوادبه	لاتخترمك المنايا حين تلقانا
وسوف تعلم أن الموت يسمع لي	إذاالتقت بنواحي الفحص خيلانا

٥٦ ـ جواب إبراهيم بن الأغلب إلى خريش.

من إبراهيم بن الأغلب إلى خريش رأس الضلال.

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإن مثلك مثل البعوضة التي قالت للنخلة إذ سقطت عليها: استمسكي

فأني أريد الطيران ، فقالت النخلة : ماشعرت بسقوطك فيكرمني طيرانك فأما انتظارك في الحرب فناء ، فلو لم يبق في المغرب من أهـل الطاعـة غيري ، ماوصلت أنت ومن معك بخلافكم إليه ، ولرجوت أن أظفر بطاعتي ونصرة دولة أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ فكيف وعندي من شيعته وأبناء أنصاره من يعلم الله أني أرجوه أن ينتقم منك على يدي ؟ وأمـا ماذكرت عن علي بن أبي طـالب ـ رضوان الله عليه ـ فذاك أمر غاب عنك ، وإن كان كما ذكرت فلست منهم ، لأن أهل الملة خلافهم خلاف هـــدى في نقمة على جور ، وخلافكم خلاف فرقة دين وشق عصا المسلمين ، ونقمتهم ماهو لله رضا ، وستعلم أنت وأصحابك إن لقيناكم غداً أنا سنتبعكم ، وإن صبرتم أنا سنفنيكم . وأما ذكرك الفحص فإن تركتك حتى تصير إليه فأنا في مثل جلدك .

وكتب إليه شعراً في آخر رسالته :

بلغ خريشاً بأني سوف أصبحه	كأساً سيقرع منها سن حيرانا
تهدي الطعان له سمر مثقفـــة	تغرى أسنتها في الحرب أعدانا
من كل أزرق يغتال النفوس به	يضحي به من دم الأجواف ملآنا
وسوف تعلم هل ألقي السواد إذا	أرست إليك المنايا حين تلقانا
اني سأهدي إليك الموت في عطب	فاشرب منيته من كف عمرانا

الحلة السيراء لابن الأبار ١/١٠٢ ـ ١٠٤

٣ ـ الحكم الربضي بن هشام ١٨٠/٢٠٦هـ/٧٩٦ ـ ٨٢٢ م

٥٧ ـ كتاب وجهه الحكم الأول الربضي الى جميع عماله في جميع نواحي الأندلس وكورها يشرح فيه واقعة الربض وظروفها.

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن الله ذو الفضل والمن والطول والعدل ، إذا أراد إتمام أمر ، وتهيمه لمن جعله أهله وكفيه ، سدده وأعزه ، وأنفذ قضاءه بفلحه ، ولم يجعل لأحد من خلقه قوة على عناده ودفاعه ، حتى يمضي فيه حكمه له ، وعليه كما شاء ، وختم في أم الكتاب ، لامبدل لكلماته عز وجل . وأنه لما كان يوم الأربعاء لثلاث عشرة من رمضان ، تداعى فسقة أهل قرطبة وسفلتهم ، وأذنبتهم من الشرطانيين ، الدفئة ، المملوجي شراً وبطراً ، عن غير مكروه سيرة ولا قبيح أثر ، ولا نكر حادثة ، كان منا فيهم ، فأظهروا السلاح وتلينوا الكفاح ، وهتفوا بالخلعان ، وتأنقوا بالخلاف ، ومدوا عنقاً إلى مالم يجعله الله له أهلاً من التأمير على خلقه والتسور في حكمه . فلما رأيت ذلك من غدرهم وعدوانهم ، أمرت بشد جدار المدينة فشد بالرجال والأسلحة ثم أنهضت الأجناد خيلاً ورجالاً ، إلى من تداعى من الفسقة في أرباضها فأقحموا الخيل في شوارعهم وأزقتهم ، وأخذوا بفوهاتها عليهم ، ثم صدقوهم الحملات ، وكوروهم بالسدات المتواليات ، فما صبر العبدان أن كشفوا السوءات ، ومنحوا أكتافهم المتواليات ، وأمكن الله منهم ذوي البصائر المؤيدات ، فأسلمهم الله بجريرتهم ، وصدعهم ببغيهم ، وأخذهم بنكثهم فقتلوا تقتيلاً ، وعموا تدميراً ، وعروا تشويهاً وتمثيلاً ، جزاء عاجلاً على الذي نكثوه من بيعتنا ، ودفعوه من طاعتنا . ولعذاب الآخرة أخزى وأشد تنكيلاً .

فلما قتلهم الله بجرمهم فيها ، وأحسن العون عليهم لنا ، أمسكت عن نهب الأموال وسبي الذرية والعيال ، وعن قتل من لاذنب له من أهل البراءة والاعتزال ، إزدلافاً إلى رضى الله ناصري عليهم ذي العزة والجلال ، تهنأت صلحه وفلحه ، واستوزعت حمده وشكره . فاحمدوا الله ذا الآلاء والقمع ، معشر الأولياء والرعية ، الذي أتاح لنا ولجميع المسلمين في قتلهم وإذلالهم ، وقمعهم وإهلاكهم ، مما أعظم به علينا المنة ، وخصنا فيه بالكفاية ، وتم علينا وعليكم به النعمة ، فقد كانوا أهل جرأة مقدم ، وذعرة ضلالة ، واستخفاف بالأئمة ، وظهير إلى المشركين ، وحطوط إليهم وتحنن لدولتهم . فلله الحمد المكرور والاعتراف المذخور ، على قطع دابرهم وحسم شرهم ، أحببت إعلامك بالذي كان من صنع الله عليهم لولائك بنا ومكانك منا ، لمشاركتنا في نصرته ، وتحمد الله ومن قبلك من شيعتنا ومعتقدي طاعتنا على جميل صنعه فيه ، وتشيعوا شكره عليه إن شاء الله [1] .

دولة الإسلام في الأندلس لعنان حـ ١ ، ق ١ ٢٤٥ - ٢٤٦

٥٨ ـ رسالة الحكم الرابضي الجوابية إلى الفرج بن كنانة واليه على سرقسطة الذي أخبره أن شخصاً اسمه عمارة استمال قوماً من البربر وهاجم سرقسطة فملكوها ، ثم تداعى العرب والبربر الى معونة فرج الوالي ، فهزموا عمارة ومن معه وعادوا إلى طاعة الحكم وأرسل فرج إلى الحكم يخبره بما تم ، فكتب إليه يقول :

أما بعد : فقد بلغنا كتابك تذكر الذي زاولت من صلاح ماقبلك وشغلك عن الكتاب إلينا بأمر عمارة ، وما كان من أمره ، وأمر من خرج معه ،

---

(١) ذكر المؤلف أنه نقل هذا النص عن مخطوط ابن حيان المقتبس ص ١٠٣-١٠٤

ونقص الذي اختلف عليك من أمر أهل المدينة ، بدخول من داخلهم من البربر ، وما كان من نفير من نفر إليك من خيارهم ، ووجوههم ، وأهل الدعة والصلاح منهم ، نصرة لك ومعرفة بمـا فيه الطاعه من العافية والسعادة .
ووثوب من وثب عليك من شرارهم ، وأهل السفه منهم ، وحسن مراجعتهم بعد الذي كان منهم ، وممن تذممهم على ما فرط من فعلهم وزل عن رأيهم .
وقد كان من استجماع كلمة خيارهم ووجوههم ، وصالحيهم على نصرتك، ومدافعة من وثب عليك من سوادهم ، ماعفا من ماركب من رعاعهم ومن شذ من سفائهم ، ودعا ذلك إلى العفو عنهم ، والصفح عن زللهم ، وإنا كاتبون إلى عامتهم مع رسلك إلينا بما سألته ومعجل ذلك إليهم ، أصبت رأيك فيما جمعت من كلمة الفريقين ، وأصلحت من أمرهم . وقد عرفنا حسن رأيك وصواب سياستك فيما حملناك من أماناتهم وعصبنا بك من أمرهم ، ووقع لك منا موقع المعرفة والســـــلام .

٥٩ ـ رسالة الحـــــكم إلى الفرج بن كنانة عن نفس المناسبة في مدرجـــــة .

قد كان من أمر عمارة وابنه واستجماع من قبلك من العرب على دفعهما إليك ماقد عرفت ثقة بك وبنصيحتك ومابلوا من طاعتك فاحتفظ بهما في ليلك ونهارك واحذر الضيعة فيهما والغفلة عنهما إلى قدوم المغيرة ذلك الثغر إن شاء الله . واعلم أنك ضامن لهما إن فاتا من يديك ، فانظر لنفسك بالاحتفاظ بهما أبلغ التحفظ إن كانت لك بمـا قبلنا حاجة . ولاتلومن إلا نفسك إن ضيعت ، والسلام .

قضاة قرطبة للخشني ٤٢ ـ ٤٣

٦٠ - رسالة جوابية من الحكم الربضي إلى الفرج بن كنانة في أمر وجوه من العرب ساعدوه في القضاء على حركة عمارة وما كان منها .

أما بعد : فقد قرأت كتابك بما ذكرت من حال عامة من قبلك من العرب في طاعتهم ومناصحتهم ، وخاصة من قد سميت من أهل البلاء منهم . وقد وقع ذلك لهم موقع جزاء ومعرفة ، وصرفنا إليك رسلك بجوابات كتبك وكتبهم ، وأجزناهم على وفادتهم بأوسع الجائزة ، والسلام .

٦١ - رسالة الحكم الربضي إلى حبيش بن نوح ومن معه من وجوه العرب في سرقسطة أثر حركة عمارة .

أما بعد : فقد بلغنا كتابكم تذكرون أن الذي كان من صنع الله لنا في ذلك الثغر بما قمتم فيه ، وحاولتم من صلاح ما فسد منه وأخطرتم من دمائكم وأنفسكم في نصرة عاملكم وعزه ، ومجاهدة من نزع عنه ودفع أمره حتى أصلح الله الأمر وجمع الكلمة وقوم الطاعة ، وكل الذي كتبتم تذكرونه وتمنون به قد وقع منا بأفضل موقع في معرفته وحسن الجزاء به ، وجميل المكافأة عليه . وقد ولينا المغيرة بن الحكم أمر ثغركم ، وعهدنا إليه أن يعرف حق بلائكم ، وحسن طاعتكم ، وغنائكم ، وأن يتسع لكم فيما جملته إليه بما أنتم أهله من طاعتكم وصبركم ومناصحتكم ، وفضل ما قدمتم من ذلك . والله المستعان ، والسلام .

قضاة قرطبة للخشني - ٤٣

٦٢ - وصية الحكم الربضي لابنه عبد الرحمن الأوسط قبيل وفاته :

إني وطدت لك الدنيا وذللت لك الأعداء وأقمت أود الخلافة وأمنت عليك الخلاف والمنازعة ، فاجر على ما نهجت لك من الطريقة . واعلم أن أولى الأمور بك وأوجبها عليك حفظ أهلك وعشيرتك ثم الذين يلونهم من

موأليك وشيعتك ، فهم أنصارك وأهل دعوتك ومشاركوك في حلوك ومرك ، فيهم أنزل ثقتك وإياهم واسي من نعمتك وعصابتهم ، واستشعر دون المتوثبين إلى مراتبهم من عوام رعيتك الذين لايزالون ناقمين على الملوك أفعالهم ، مستثقلين لأعبائهم ، فاحسم عللهم ببسط العدل لكافتهم ، وإحسام أولي الفضل والسداد لأحكامهم وعمالاتهم دون أن ترفع عنهم ثقة الهيبة . وإن رأيت فيمن يرضي من صنائك رجلاً لم تنهض به سابقة ويشف بخصلة ، وتطمع نفسه وهمته ، فأعنه واختبره وقدمه واصطنعه ، ولا يريبنك خمول أوله فإن أول كل شرف خارجيته ، ولاتذعن مجازاة المحسن بإحسانه ، ومعاقبة المسيء باساءته ، فإن عند التزامك لهذين ووضعهما يرغب فيك ويرهب منك ، وملاك أمرك كله بالمال وحفظه ، بأخذه من حله وصرفه على حقه فإنه روح الملك المدبر بجثمانه ، فلا تجعل بينك وبينه أحداً في الأشراف على اجتنائه وادخاره والتثقيف لانفاقه وعطائه . وختام وصيتي إياك بإحكامك في أحكامك فاتق الله ما استطعت وإلى الله أكلك ـ وإياه استحفظك ـ فقد هان على الموت إذ خلفني مثلـــك (١) ...

الأمويون أمراء الأندلس الأول للشمراوي ٢٦٧ – ٢٦٨

٤ ـ عبد الرحمن الاوسط ٢٠٦ ـ ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ ـ ٨٥٧م

٦٣ ـ خطاب عبد الرحمن الأوسط لما أصبح حاكماً بعد وفاة والده في أهل بيته وخاصيته ووزرائه .

أصبح عبد الرحمن بن الحكم حاكما وأميراً على الأندلس بعد وفاة والده . فلما استلم الإمرة بعث في إخوته وأهله ووزرائه فبايعوه وبايعته العامة .

---

(١) ذكر الشمراوي في الامويون أمراء... انه نقله عن مخطوطة الإحاطة . ويذكر نفس النص عنان في كتابه دولة الاسلام في الاندلس جـ١ ق١ ـ ٢٤٨ ، وذكر أنه نقله عن مخطوطة ابن حيان المقتبس .

ثم صلي على أبيه الحكم ، فلما قضى صلاته ووراه جلس بالأرض مطأطئاً ...
ثم افتتح القول :

الحمد لله الذي جعل الموت حتماً من قضائه وعزماً من أمره ، وأجرى الأمور على مشيئته ، فاستأثر بالملكوت والبقاء ، وأذل خلقه بالفناء ، تبارك اسمه وتعالى جده ، وصلى الله على محمد نبيه ورسوله وسلم تسليماً . وكان مصابنا بالامام ـ رحمه الله ـ مما جلت به المصيبة وعظمت به الرزية فعند الله نحتسبه وإياه نسأل إلهام الصبر ، وإليه نرغب في كمال الأجر والذخر ، وعهد إلينا فيكم بما فيه صلاح أحوالكم ، ولسنا ممن يخالف عهده ، بل لكم لدينا المزيد إن شاء الله [1] .

البيان المغرب لابن عذاري ٢ / ٩٠

٦٤ ـ رسالة جوابية من عبد الرحمن الأوسط إلى ولده المنذر :

أرسل المنذر إلى والده الأمير عبد الرحمن يسأله الاذن في اعتلاء المنبر في البلدة التي هو وال عليها يوم الجمعة للخطابة ، فأجابه والده بما يلي :

قالت الحكماء : لو كان الكلام من فضة لكان الصمت من ذهب . وإني لأشفق عليك مما تحسنه ، فكيف مما توهم عليك بعض التقصير فيه ؟!

المقتبس لابن حيان ٨٩ ـ ٩٠

٦٥ ـ رسالة جوابية منه الى أهل جزيرتي ميورقة ومنورقة :

أرسل الأمير عبد الرحمن جيشاً وأسطولاً قويين سنة ٢٣٥ هـ لمحاربة أهل جزيرتي ميورقة ومنورقة لشدة عبثها وأذاها ، فأنكى الجيش بأهل الجزيرتين . فأرسل إليه أهلها يذكرون ما نالهم من نكاية المسلمين فأجابهم

---

(١) ورد نص قريب من نصنا اعلاه في كتاب تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب ـ ١٨ .

بكتاب فيما يلي فصول منه :

أما بعد : فقد بلغنا كتابكم تذكرون فيه أمركم وإغارة المسلمين الذين وجهناهم إليكم لجهادكم وإصابتهم ما أصاب منكم من ذراريكم وأموالكم ، والمبلغ الذي بلغوه منكم ، وما أشفيتم عليه من الهـلاك ، وسألتم التدارك لأمركم . وقبول الجزية منكم ، وتجديد عهدكم على الملازمة والطاعة والنصيحة للمسلمين والكف عن مكروههم ، والوفاء بمـا تحملونه عن أنفسكم ، ورجونا فيما عوقبتم به صلاحكم وقمعكم عن العود إلى مثل الذي كنتم عليه . وقد أعطيناكم عهد الله وذمته .

البيان المغرب لابن عذاري ٢ / ٨٩

٦٦ - رسالة جوابية من الأمير عبد الرحمن الأوسط الى إمبراطور بيزنطة ثيـوفلس :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فقد بلغني كتابك تذكر فيه الذي كان عليه من مضى منكم لأولينا في المودة الصادقة ، وأنـه قد دعاك ذلك إلى مـكاتبنا ، وإرسال قرطيوس Kartius رسولك إلينا لتجديد تلك المودة وترتيب تلك المصادقة ، وتسأل أن ينعقد فيما بينا وبينك من ذلك ما نتمسك به ونتواصل له ، ونبعث رسلاً من عندنا إليك لعلموك بالذي نحن عليه من الرغبة فيما حضضت عليه ، ودعوت إليه ، لنثبت بقدومهم عليك مودتنا ، وتتم به صداقتنا .

وفهمنا ماذكرته من أمر الخليفة مروان . رضي الله عنه وصلى عليه ، ومن وشائج قرابتنا منه وآسيت لما استلب من سلطانـه واستبيح من حـرمه واستحل من دمه ، وما كان من الفاجر أبي جعفر [١] ، تر به

(١) يقصد بأبي جعفر الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور الذي حـكم بين سنتي ١٣٦ - ١٥٨ هـ .

الله ، وجراءته على الله واغتراره به ، وانتهاكه لمحارمه . والله قد أحصى عليه ذلك ، فآسفه منه ، فهو لا محالة يجازيه جزاء سعيه .

ثم الذي ذكرته من فعل الخبيثين : ابن مراجل [1] وابن ماردة [2] أخيه بعده ، من إلحادهما في غلتها ، وإساءتها لسيرتها ورغبتها في رعيتها وشدة وطأتها عليهم . واستحلالهما دماءهم وأموالهم ، وماذكـــرت من حضور وقت زوال دولتهم وانقطاع مدة سلطانهم ، وتاذن الله برد دولتنا وسلطان آبائنا ، الذين نبأت عنهم الكتب ونطقت بهم الرسل ، وأوجب لهـم الإجماع وجازه إليهم البرهان . والذي حضضت عليه من الخروج إليهم وطلب الثأر منهم ، ووعدته من نصرتك لنا ، بما ينصر الصديق صديقه ، ومن يعلم هواه فيه ومودته له وما عطفت عليهمن أمر أبيحفص [3] ومن معه من جالية بلدنا وغلبتهم على على ما غلبوا عليه من بلدكوخضوعهم لابن ماردة ودخولهم فيطاعته وما شألتمن أجل الانكار لذلك،والأنفة منه ، وحكيت من أمراء إفريقية في نزعهم عن ابن ماردة وخلافهم عليه واستقالتهم لدولته . وكل ماحكيت من ذلك وقصصته في كتابك فقد قرأناه وفهمناه .

وأما ما رغبت من مودتنا ، وأحببته من مصادقتنا وأردت تجديده وتوصيله والتمسك به وتوثيقه ، مما كان عليه أولوك لأولينا ، فقد رغبنا منك في مثل الذي ذكرته من حرصك على مواصلتنا ، وأن نتمسك من ذلك بمـا كان عليه سلفنا ، وما لم يزل من كان قبلنا من الملوك يتمسكون به ويتحاضون عليه ويحفظه بعض لبعض ويشدون أيديهم عليه .

---

(١) ابن مراجل هو الخليفـــة العباسي المأمون وسمي بذلك لأن أمه جارية اسمها مراجل ١٩٨ - ٢١٨ هـ .

(٢) ابن ماردة هو الخليفة العباسي المعتصم وسمي بذلك لان أمه جارية اسمها ماردة ٢١٨ - ٢٢٩ هـ .

(٣) أبو حفص زعيم أندلسي طرده الحكم الربضي من الأندلس بعد ثورة الربض فخرج منها مـــع جماعة ، ونزل الاسكندرية فظل فيها حتى طرده منها عبد الله بن طاهر قائد المأمون ، فهاجم جزيرة كريت واحتلها واستقر بها مع جماعته .

وأما ما ذكرت من أمر الخبيث ابن ماردة وحضضت عليه من الخروج إلى ماقلته وذكرته من تقارب إنقطاع دولته ودولة أهله وزوال سلطانهم ، وما حضر من وقت رجوع دولتنا وأزف من حين ارتجـــاع سلطاننا ، فإننا نرجو في ذلك عادة الله عندنا ، ونستنجز موعده إيانا ، ونمتري حسن بلائه لدينا بما جمع لنا في طـــاعة من قبلنا ، من أهل شامنا وأندلسنا وأجنادنا وكورنا وثغورنا ، ومالم نزل نسمع ونعترف أن النقمة تنزل بهم . والدائرة تحل عليهم من أهل المغرب ، بنا وعلى أيـــدينا ، فيقطع الله دابرهم ويستأصل شأفتهم إن شاء الله تعالى .

اما ما ذكرت من أمر أبي حفص الأندلسي ومن صار معه من أهل بلدنا ، في خضوعهم لابن ماردة ، ودخولهـم في طاعته ، وما سألت من النظر في أمورهم والإنكار لفعلهم ، فإنه لم ينزع اليه منهم إلا سفلتهم وسوادهم وفسقتهم وليسوا في بلدنا ولا برتبتنا فنغير عليهم ونكفيك مؤنتهم ، وإنما اضطروا إلى الدخول في طاعة ابن ماردة لأمنهم من بلاده ، ودنو ناحيتهم من ناحيته ، ولم نكن نحسبك تعجز عنهم ، ولا تنصب عن نكايتهم ، ولاتتوقف عن إخراجهم عما تطرقوه من بلدك ، وإذ ترى مكانهم به من موضعك ، وإن الله بحوله وقوته ، وفضله ومنته ، رد إلينا سلطاننا بالمشرق ، وما كان تحت أيدي آبائنا منه نظرنا في ذلك بما فيه صلاح لنا ولك واستقامة لطاعتنا وطاعتك ، وعرفنا الذي يكون من معونتك على مادعوت إليه وحضضت عليه بما يعرفه الصديق لصديقه ، وذو المودة لأهل مودته ، ولم يضع لك عندنـا ما رعيته من حقنا وقمت فيه من حفظنا .

وقد أدخلنا رسولك قرطيوس علينا وكشفناه على الذي أوصيت بـه إلينا ، وعن كل ما يجب لصديق أن يعرفه من حال صديقه ، ووجهنا إليك بكتابنا هذا رسولين من صالحي من قبلنا . فاكتب الينا مفهماً بالذي أنت عليه من الأمر الذي كتبت به الينا ، الذي يجب عليك من سائر خبرك ومتمة

عافيتك ، لننظر فيما يتصرفان به من عندك على حسب ما يأتينا به من عندك ان شاء الله .[1]

المسلمون في أوربا في العصور الوسطى لطرخان ٢٧٥ - ٢٧٧

٥ - محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٧-٨٨٦ م

٦٧ - رسالة الثائر عبد الرحمن الجليقي للأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط .

استقر الثائر عبد الرحمن الجليقي زمن الأمير محمد في حصن اسمه منت شافر ، وتحالف مع ثائر آخر اسمه السربناقي واتسع نفوذهما كثيراً . وأخيراً جهز الأمير محمد حملة ضد الجليقي هذا بقيادة وزيره هاشم وابنه الأمير عبد الله . ولكن أخبار الحملة وصلت الجليقي قبل وصولها إليه فكتب إلى الأمير متوعداً :

بلغني أن هاشماً خرج إلى جهة الغرب ، ولست أشك أنه قد أطمعه في أخذ الثأر مني كوني في حصن مغلق . وبالله لئن جاز لبلة إلي لأضرمن بطليوس بالنار ثم أعود إلى حالي الأول معك .

تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ١٠٨ - ١٠٩

٦٨ - رسالة وزير الأمير محمد هاشم بن عبد العزيز إلى الوليد بن عبد الرحمن لما سقط في الأسر .

ثار مروان الجليقي في شمالي الأندلس ضد الأمير محمد فأرسل له جيشاً

---

(١) يذكر المؤلف انه أخذ نص هذه الرسالة من كتاب ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس تعريب السيد محمد عبد العزيز سالم وزميله ص ١١٥ - ١١٨ . كذلك ورد نص مختصر كل الاختصار لهذه الرسالة في كتاب دولة الاسلام في الاندلس لعنان حـ١ ق١ - ٢٨٣ ، ويذكر أنه اخذه عن مخطوط ابن حيان المقتبس .

بقيادة وزيره هاشم لمحاربته ، ولكن مروان تمكن من هزيمة هذا الجيش بمساعدة نصارى الإسبان وأسر هاشم نفسه .

فلما أسر هاشم سنحت الفرصة لحساده من الوزراء والولاة عند الأمير للنيل منه والطعن فيه ، ولم يخلص له ويدافع عنه سوى الوليد بن عبدالرحمن الذي دافع عنه لدى الأمير واعتنى بأسرته إبان أسره ، وبلغ هاشماً ذلك فسر به وأرسل للوليد من أسره الرسالة التالية .

... [1] آثرها وأخلد إليها . وقد تقدم نهي الله تعالى عنها وتحذيره منها فقال (يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا) ... [2] وقال تعالى : (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح) [3] . ما آسى - أكرمك الله - إلا على مفارقتي تجاوب الأذان ، وتبدلي من ذلك بصليل النواقيس والصلبان ، وأن تعالجني منيتي فأصير مرسوماً ببلدة كفر ، أخشى المصير منها إلى الحشر ، فيالها حسرة ، فتتت الكبد الحرى ، وأحرقت جمرتها الأحشا .

وقد كفيتني - أبقاك الله - ما كنت أرغبه من الرغبة إليك في الحنو على من تخلفتهم ، والحفظ لمن فارقتهم ، والتسلية لمن فجعتهم ، بما قد أتيت من ذلك ، وأربيت على المنى منه . فالله ولي مجازاتك ومتحمل مكافأتك ، لاشريك له .

---

(١) الاسطر الاولى من الرسالة مقطوعة غير معروفة ، ولعلها ذم للدنيا كما يبدو من سياق الرسالة ، او لعلها أسف لمقامه في دار الكفر ، كما يبدو من الرسالة فيما بعد .

(٢) سورة فاطر الآية ٥ .

(٣) سورة الكهف الآية ٤٥ .

إن حضر خروج رسول إلى ماقبلنا فلاتخلني بفضلك من عظم المنة علي بكتابك ، والصلة لي بعلم حالك ، فإن لي من الشوق إليه ، والتطلع له ضعيف ، مابفؤادي من لوعة الحزن التي أملتني الحياة ، وحببت إلي الوفاة إن شاء الله تعالى .

٦٩ - رسالة جوابية من وليد بن عبد الرحمن الى الوزير الأسير هاشم بن عبد العزيز :

أسأل الله راغباً إليك فك أسرك ، وتعجيل تخليصك ، وتيسير اطلاقك.

ورد كتابك ياسيدي ، فسكن من حرقي بك ، وأطفأ من غلتي فيك ، وهدأ من عويلي عليك ؛ فيالهفاه على فراق عزتك ، وفقدان رؤيتك ، لهفاً ما أن ينقطع لاينصرم ، ولئن صرت - خلصك الله - من حكم الله إلى مشيئته ، ومن نافذ قدره ، إلى سابق علمه ، لما قصرت في المحاماة عن سلطانك ودينك ، والتعرض للشهادة بجهدك ، فما أن تجد بلاحيك ولائمك خللاً في عرضك وحزمك ، ولا اضاعة في تدبيرك وضبطك.

والله بعد كفيل من وراء استنقاذك محيط ، وعلى فكاكك قدير ، لاشريك له ، وهو الصانع في الأمور ، المسهل للمسير ، فلا تيأس ياسيدي من روح الله ، إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

... (١) وثق بالله تعالى بالفرج العاجل ، فكأني بك إن شاء الله عز وجل - عن قريب قد خلصت من أسرك خلوص القمر من سراره . فقرت عيوننا بالنظر اليك ؛ وأسونا الأسى بالأنس بك إن شاء الله عز وجل .

---

(١) يلي السطر الاخير من الصفحة الماضية قطوع آخر الصفحة ، والعبارات فيها مطموسة لاتسمح بتبين قراءة مقبولة . والفراغ مقداره ثلاثة اسطر .

وكل من تخلفهم من الأهل والولد معافون في الأبـدان دون القلوب وجداً بك وحنيناً اليك . وقد خلفك فيهم من حوط الله تعـالى ثم من حوط سيدنا الأمير ـ أبقاه الله ـ ورحم بره ولين كنفه وحضّ تفقـده ما ينبغي لك أن تسقط معـه جثوم الغم عنك ولزوم الأسف لك إن شاء الله .

المقتبس لابن حيان ٣٨٩ ـ ٣٩٢

٧٠ ـ رسالة الوليد بن عبد الرحمن بن غانم للأمير محمد بن عبد الرحمن يطلب منه تقليده منصباً عالياً .

عظمت نعمة الخليفة سيدي ـ أيده الله ـ عن الشكر ، وجلت أياديـه عن النشر ، فمتى رمت ذكر أدنى شكره ، وحمد أيسر ما اشتمل علي من فضله ، تكاءدني الشكر ، وأعجزني الحمد . ولكني غير مؤتـل في ذلك عن الاستفراغ في القول ، والاجتهاد في العمل . إذ لم أرهما يدوران إلا على نعمة سلفت ، ويقتصران إلا عن زيادة انتظرت ، وأنا بينها مخيم وعليها معول . والله الناقل لعباده بطاعتهم له ، وشكرهم إياه ، من دار الشقاء إلى دار السعادة ، ومن نصب العاجل إلى راحة الآجل ، والسلام .

٧١ ـ توقيع الأمير محمد للوليد على رسالته السابقة .

إن الله شاكر يحب الشاكرين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، وقد ناديت فأسمعت ، ولكل أجل كتاب والسلام .

ثم استوزره إلى أيام .

المقتبس لابن حيان ـ ١٧٧

٧٢ ـ توقيع الأمير محمد بن عبد الرحمن لفتى من نبهاء مواليـه أرسل له عدة رسائل بليغة يعرض له فيها برفع مكانته واستعماله .

لم يتقدم لك عندنا خبرة نقدمك بها ، غير مارأينا من حسن مخاطبتك فيما يرد علينا من كتبك ، فإن كنت كاتبها فقد أحسنت ، وإن كنت اخترت بفضل همتك وجودة اختيارك من يحسن ذلك عنك فقد أبلغت في العناية ، وفضلت في الهمة . وأنت بكلتا الحالتين عندنا متقدم . وقد زجونا بنفاذك في تهذيب كتبك ، تهذيبك لخدمتك ، فولينـاك على الرجاء فيك ، فصدق الظن بك ، وحافظ على أدنى حظك تنل أقصاه ، فقلما أحسن امرؤ في بدء أمره ، إلا حسنت عاقبته ، وحمدت مغبته .

أخبار مجموعة ١٤٥ - ١٤٦

٧٣ - رسالة القاضي محمد بن زياد إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن يطلب منه إصلاح وتوسعة جامع قرطبة .

أول... (١) أن يبصره أحد على مثلها . وقد كان الامام - أصلحه الله - قد بعث شتوة عام أول الحاجب والوزراء وأصحاب البنيان ليعاينوا ماوهي فيه ، وطفت معهم على جميع ذلك مراراً . فرأيت حائطيه قد مالا ، وعفيت جوائزه (٢) ، فأمر الامام - وفقه الله - أصحاب البنيان أن يحتالوا فيه بما يقويه ويمسك تداعيه الشتوة إلى أن يتمكن وقت العمل . فعملوا بذلك ، وعملوا أرجلاً رافدة لحائطيه ، فتماسكا بذلك . ونحن نحذر أن يأتي الشتاء العام عليه ، وتركبه الأمطار بكثرتها وهو على حاله هذه ، فيوشك أن يخر سقفه على سطحه فيندق لبعد مهواها ؛ ونسأل الله العافية من ذلك ومن شنعة ذكره أنه إلى مايتضاعف فيه من النفقة .

والامام - أصلحه الله - فقد جدد جامع أستجة وجامع شذونة ، وعمّر

---

(١) بياض بالاصل مقداره ثلاثة أسطر .

(٢) الجائز قطعة من الخشب تحمل خشب البيت والجمع جوائز .

بيوت العبادة بكل جهة ، فكيف بهذا المسجد العظيم الذي هو بيضة المسلمين في جميع سلطان الامام ـ أصلحه الله ـ وعماد مساجدهم. وغيظ عدوهم ؟ فرأي الإمام ـ أعزه الله ـ في الأمر بإصلاحه ، وتجديد العزم في تلافيه موفقاً إن شاء الله .

وليعلم الأمير ـ وفقه الله ـ أن الذي قدره الله من تأخير بنيانه إلى أن أتى الله بدولته نعمة منه تعالى بها عليه ، وهبة عظيمة وهبها الله ، وكرامة جسيمة بها حباه ، ليتم بنيانه على يده ، ويحسن بذلك ذكره في الخلوف بعد الخلوف من عامريه ، ويجزل ثوابه عليه جلالاً يسطع نوره فقد جاء في الحديث أن الله عز وجهه يقول : ابن آدم : لي حاجة .

وقال معاذ بن جبل صاحب رسول الله ﷺ ... [1] ورحمة الله تعالى عليه .

المقتبس لابن حيان ٢٢٣ ـ ٢٢٥

٧٤ ـ جواب الأمير محمد بن عبد الرحمن للقاضي محمد بن زياد على رسالته السابقة :

إننا لسنا ننفق نفقة أحب الينا ولا آثر عندنا من الانفاق فيما ذكرت به وحضضت عليه ، ونحن آمرون بالنظر في بنيان المسجد الجامع المكرم والاجتهاد في رم شعثه ، والأخذ بالجد في ذلك وتعجيله ، مع الابلاغ في تقويته وتحصينه ، ونوكل كفاتنا بعمله والقيام عليه . ونأمرهم ألا يرفعوا أيديهم عنه ، غبنا أو حضرنا ، حتى يبلغ تمامه بحول الله وقوته . ونحن نحملك مع ذلك التفقد لذلك ، والمعونة عليه ، وإحسان النظر في معانيه

(١) بياض بالاصل مقداره ثلاثة أسطر .

لتشركنا في عظيم ثواب الله والمعونة عليه . فانهض بذلك راشداً إن شاء الله تعالى .

المقتبس لابن حيان ـ ٢٢٥

٧٥ ـ بيان أذاعه الثائر ابن حفصون في الناس

ثار ابن حفصون وقويت شوكته ، فذهب لحصاره في معقله جيش يقوده الأمير منذر بن محمد ، وبينما كان يحاصره حضره الموت فتوفي ، ورجع الجيش عن الحصار ، فقويت بذلك شوكة ابن حفصون ، ووجد من الناس إقبالاً ، وكان يخاطب الناس بقوله :

طال ماعنف عليكم السلطان ، وانتزع أموالكم ، وحمّلكم فوق طاقتكم ، وأذلتكم العرب واستعبدتكم ، وإنما أريد أن أقوم بثأركم ، وأخرجكم من عبوديتكم .

البيان المغرب لابن عذاري حـ ٢ ـ ١١٤

٦ ـ الامير عبد الله بن محمد ٢٧٥ ـ ٣٠٠هـ/٨٨٨ ـ ٩١٢ م

٧٦ ـ توقيع الأمير عبد الله لبعض مماليكه وقد اعتذر إليه من تقصير وقع منه .

وإن مخايل الأمور لتدل على خلاف قولك ، وتنبىء عن باطل تنصلك ، ولو بؤت بذنبك واستغفرت لجرمك لكان أحجى لك ، وأسدل لستر العفو عليك .

٧٧ ـ جواب المملوك :

إنما أنا بشر ومايقوم لي عذر .

٧٨ ـ جواب الأمير عبد الله .

مهلاً عليك ورويداً بك . تقدمت لك خدمة ، وتأخرت لك توبة ، وما للذنب مجال بينهما ، وقد وسعك الغفران .

تاريخ اسبانيا الاسلامية لابن الخطيب ـ ٢٦

٧٩ ـ رسالة من الأمير عبد بن محمد إلى أحد عماله وقد تواترت إليه كتبه بلا فائدة .

أما بعد : فلو كان نظرك فيما خصصناك به واهتبالك بـه على حسب مواترتك بالكتب ، واشتغالك بذلك عن مهم أمرك ، لكنت من أحسن رجالنا غناء ، وأتمهم نظراً ، وأفضلهم حزماً . فأقلل من الكتب فيما لاوجه له ولانفع فيه ، واصرف همتك وفكرتك وعنايتك إلى مايبدو فيه اكتفاؤك ، ويظهر فيه غناؤك ، إن شاء الله .

البيان المغرب لابن عذاري حـ ٢ ـ ١٥٤

٧ ـ الخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر

٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ/٩١٢ ـ ٩٦١ م

٨٠ ـ الخطاب الذي وجهه إلى عبد الرحمن الناصر عمه الأمير أحمد بن عبد الله .

توفي جد الناصر الأمير عبد الله ، وأوصى بالإمارة من بعده لحفيده عبد الرحمن . وقد اجتمع الناس كلهم لمبايعة الأمير الجديد ، ومعهم أسرة الأمير المتوفى وإخوته وأبناؤه . وتكلم باسمهم جميعاً عم الناصر عبد الرحمن ـ واسمه الأمير أحمد بن عبد الله ـ فقال :

والله لقد اختارك الله على علم للخاص منا والعام . ولقد كنت أنتظر هذا من نعمة الله علينا .

فاسأل الله إيزاع الشكر ، وتمام النعمة ، وإلهام الحمد .

دولة الاسلام في الأندلس لعنان ـ ٣٧٤

٨١ ـ خط عبد الرحمن الناصر في أسفل كتاب الصلح بينه وبين حفص بن عمر بن حفصون الثائر العاتي بإمانه :

بالله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب ، وجميع أيمان البيعة لازمتي من العهود المشددة والأيمان المؤكدة والمواثيق المغلظة ، ولانقضت شيئاً مما جمعه هذا الكتاب تبديله ولانقصان شيء منه ، ولارضيت ذلك في سر ولاجهر . وإن كل مافيه من الشروط والعهود والمواثيق لازمتي ؛ والله شهيد علينا . وخططنا هذه الأحرف بيدنا ، وأشهدنا الله عز وجل على أنفسنا ، وكفانا بالله شهيداً ، ماوفى عمر بن حفصون بما نص في هذا العهد وصحح فيه ، إن شاء الله ، والله المستعان[1] .

دولة الاسلام في الأندلس لعنان ـ ٣٨١

٨٢ ـ كتاب أصدره عبد الرحمن الناصر إلى الأقاليم عقب استلامه حصن ببشتر ، واستئمان حفص بن عمر بن حفصون .

... وعهدنا إلى الوزير أحمد بن محمد حدير ، بالتقدم إليهم لحضور خروجهم ، ومباشرة نزولهم ، وإكمال الأمان لهم ، وقبض الأيدي عنهم ، فنهض إلى ذلك ، وقصد له ، فلما صار بمدينة طلجير ، المبتناة على مدينة ببشتر ، هبت بالطاغين عنها ، فتساربوا خارجين ، وتهافتوا ذاهبين ، وتفرقوا أيدي سبأ إلى جوانب شتى . فقد [سار] كل واحد إلى منزعه ، وأم مكان طاعيته ، ولحق بمداين الطاعة فصاروا في غمار الرعية . وتمكث خلفهم عميدهم حفص بن عمر طاير الفواد ، خافق القلب ، لم تطب نفسه عن الخروج خواراً ، ولاسكن منه الأمان نفاراً ، يخشى كل يد أن تضبط عليه ، وكل شجرة أن تتعلق به ، قد خامره من الرعب ماكاد

(١) مأخوذ من مخطوط ابن حيان المقتبس

أن يربي على العطب . فطمأن الوزير أحمد بن محمد حدير من جزعه وسكن من جأشه ، ووفاه من آمالنا المبسوطة ليناً وثق به ، واطمأن إليه ، فخرج آخر الخارجين ، ولحق بالآمنين ، فأصبحت مدينته بقمة الضلالة ، ومنبر الخلاف ، ومعدن النواية ، بما أحاط بها من أسوارها وأبنيتها وقصابها ، وداخلها من جناتها ومصانعها ، مفوية من قطينها ، خاوية على عروشها « كأن لم يغن بها ساكن ، ولا استوطنها قافل .

ثم يذكر أنه أمر بهدم ببشتر وتخريبها وجعلها قاعاً صفصفاً .

ثم يقول :

ثم استقدمنا حفصاً اللائذ بالتوبة إلى ماتفضلنا عليه من التأمين والتمكين وعدنا عليه من العفو والتطمين ، وأخذنا فيه بالفضل المبين ، الذي جعلنا الله أهله ، وغلب على مذهبنا إيثاره ، وجمعنا له من ذلك ، ما اغتبط به ، وسكن إليه ، وقرر نفسه عليه . فاعلم ذلك ، وقف عليه واستشعر حمد الله . ومر بقراءة كتابنا هذا إليك على المسلمين قبلك في جامع موضعك ليحمدوا الله عز وجهه على عظيم ما اصطنعه إليهم ووهبه لهم ، وليحدثوا من شكره تعالى على مادراً عنهم ، والتقرب بنوافل الحمد إليه ، ما يستدام له رضاه عز وجهه ، ويستجلب به المزيد من فضله ، إن شاء الله ، وهو المستعان . وكتب يوم الخميس من ذي الحجة سنة خمس عشرة وثلث مئة .

دولة الاسلام في الأندلس لعنان ٣٨٧ - ٣٨٨

٨٣ - أمان أصدره الناصر للثائر محمد بن هشام الذي كان ثائراً بسرقسطة ، ثم أمنه الناصر وأهله لقاء تسليم سرقسطة للخليفة .

... أن يمنح الأمان لمحمد بن هاشم وإخوته وجميع أهله وأصحابه

من مدينه سرقسطة ، وجميع من يتصل بهم من أهلها ، للمدة التي يرضاها الناصر ، وأن يملكه سرقسطة تمليكاً يدخل فيها من يشاء ، وإلى العدد الذي يرضاه من رجاله . ويكون أهل سرقسطة ومن يبقيه محمد بن هاشم منهم من أهله وأتباعه آمنين بأمان الله ، محفوظين بعهد الله ، مستمسكين بمثل أمان محمد بن هاشم ، غير معتقبين في أنفسهم . ومن أحب إخراجه معه من خواص أهله وولده إلى مدينة تطيله أو غيرها من مدن الثغر وحصوله مسجلاً على الموضع الذي يتخيره ، ويبقى بسرقسطة من أحب منهم ، ويختلف عليهم ، وعلى المولي بسرقسطة بعده إحسان صحبتهم ، وعليه أن يباعد منزله عنهم ، لايقربه شيء من دور محمد بن هاشم ، أو ينزل القصر القديم بعد خروج محمد بن هاشم عنه ، بجميع ماله فيه ، وعلى أن يسجل الناصر لدين الله ، لأخيه يحيى بن هاشم على ماكان بيـــده من مدينة لاردة وأحوازها ، فإن انقضت المدة التي يضربها الناصر لمحمد ، توجه إلى الحضرة وأقام بها ثلاثين يوماً أو نحوها ، مظهراً لصدق طاعته ماحياً لكل ما انتثر في أقطار الأرض من معصيته . وهو في توجهه اليه آمن في طريقه ، ومدة مقامه ، ومنصرفه ، غير مقطوع ، ولامعترض دون الانصراف ، إذا انقضت المدة التي وضعت له . وله على السلطان إذا وفى بما عقد عليه من الشخوص إلى باب سدته ، أن يكتب له عهداً على مدينة سرقسطة ويصرفه اليها عاملاً وقائداً ، ويعزل عنها عامله وقايده ، بعد أن يناله من كرامته ، ويظهر عليه من آثار نعمته و مايعود معه إلى أحسن الأحوال التي كان عليها قبل هفوته .

وقد اشترط عهد الأمان واشتمل أيضاً على مايلي :

أن يقدم محمد بن هاشم إلى الناصر رهائن من ولده وإخوته وصحبه وكاتبه ، وأن يكون جماعتهم لدى الناصر بحال حفظ وتكرمة وأمان في

المسير والمقام ، يديلهم ستة أشهر ، بأكفائهم ونظرائهم من إخوتهم خاصة إلى أن يظهر لأمير المؤمنين براءة محمد بن هاشم من ممالأة المشركين ، وتصحيحه طاعة أمير المؤمنين ، وعلى أن يقطع محمد بن هاشم من المشركين في ظاهره وباطنه ، من حد بلد برشلونة إلى شرطانية إلى بنبلونة إلى إلبة والقلاع وإلى جيليقية ، ولايكاتبهم ولايداخلهم ولا يصالحهم على طرف من أطراف الثغر إلا عن إذن أمير المؤمنين ، وأن يورد جباية بلده لمحلها ، بعد أن يسقط عنه جباية عام ، وألا يتقبل حراً نازعاً ولاعبداً آبقاً لأمير المؤمنين ، ولا لأحد من رعيته ، وأن يوثق من ظفر به من هذه الطبقة ويصرفه الى مكانه ، وألا يتعقب أحداً ممن سجل له عليه ، أو يسجل بعد ، ممن حاربه مع أمير المؤمنين وفارقه اليه أيام الطاعة ، وأن يجدد البيعة لأمير المؤمنين ويلتزم شروطها ، وأن يغزو مع أمير المؤمنين ويعادي من عاداه ويحارب من حاربه ويسالم من سالمه من أهل الملوك وغيرهم ، ويقطع نصيبه من كل من أخرج يده عن طاعته ، وان كان ابنه أو أخاه ، يلتزم كل ما ألزمه أمير المؤمنين من ظاهر القول وباطن الإرادة ، لاينقض تناول البينة ، ولايحرف عن التصحيح بالعلة ، فقد التزم أمير المؤمنين في عقده مثل ماسأله محمد في ذلك وأوجبه على نفسه مع دركه لهذه المنن ، ان صدق الطاعة ، أن يوليه مدينة سرقسطة ، وماوقع في سجله معها ولاية مستمرة ، ولايعزله طول أيامه عنها ، ثم لا يؤاخذه بذنب ولايعدد عليه اقتراف خطأ ولاعمد ، ولاتقبل فيه مقالة كاشح ولاطعن [illegible]مد ، ويصير ذلك له وصية فيمن بعده ، يلزمهم الوقوف عندها على سبيل الخلفاء في خالدات عهودهم ان شاء الله . ووقعت الأيمان في هذا الأمان من الناصر لدين الله مستوفاة مغلظة ، أخذ على محمد بن هاشم أشد منها ، فحلف في مقطع الحق بمسجد سرقسطة الجامع خمسين

عيناً منسوقة بحضر قاضي الجماعة بقرطبة والفقهاء وأعلام العسكر، والملأ من أهل بيت محمد بن هاشم، ووجوه أهل الثغر على التزام ماعقد على نفسه منه، واعتداده إياه ديانته.

دولة الاسلام في الأندلس لعنان ٤١٠ - ٤١١

٨٤ ـ المرسوم الذي أصدره عبد الرحمن الناصر في صورة خطاب موجه إلى جميع ولاة الأندلس يلقب نفسه بأمير المؤمنين ويطلب ألا يخاطب إلا بذلك وذلك سنة ٣١٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإنا أحق من استوفى حقه وأجدر من استكمل حظه، ولبس من كرامة الله ما ألبسه، للذي فضلنا الله به وأظهر أثرنا فيه، ورفع سلطاننا إليه، ويسر على أيدينا إدراكه، وسهل بدولتنا مرامه. وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا وعلو أمرنا، وأعلن من رجاء العالمين بنا وأعاد من انحرافهم الينا واستبشارهم بدولتنا. والحمد لله ولي النعمة والانعام بما أنعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك، اذ كل مدعوٍ بهذا الاسم غيرنا منتحل له، ودخيل فيه، ومتسم بما لا يستحقه، وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه واسم ثابت اسقطناه، فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به، واجر مخاطباتك لنا عليه إن شاء الله. والله المستعان.

وكتب يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة ٣١٦ هـ [1]

البيان المغرب لابن عذاري ٢ / ١٩٨ - ١٩٩

---

(١) ورد نص هذا المرسوم الشهير في عدد من المصادر والكتب، فقد ذكره لسان الدين بن الخطيب في تاريخ اسبانيا الإسلامية ـ ٣٠ وذكره عنان في كتابه دولة الإسلام ـ

٨٥ - كتاب وجهه الناصر الى عماله يطلب منهم القيام بصلاة الاستسقاء :

حدث قحط شديد في الأندلس سنة ٣١٧ هـ فأمر الناصر عماله أن يستسقوا بالناس حسب ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن الله عز وجل إذا بسط رزقه ، وأغدق نعمته ، وأجزل بركاته ، أحب أن يشكر عليها ، وإذا زواها وقبضها أحب أن يسألها ، ويضرع اليه فيها . وهو الرزاق ذو القوة المتين ، والتواب الرحيم الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد فأوجبت به الرغبة ، عز وجهه فيه ، والخشوع لعزته ، والاستكانة له ، والالحاح في المسألة فيما احتبس به ، والتوبة من الأعمال المنكرة التي توجب سخطه منه ، وتبدل نقمته ، وتستروحه رضاه تعالى جده . وقد أمرنا الخطيب ، فيما قبلنا بالإستسقاء في المسجد الجامع يوم الجمعة ، وجمعة الثانية التي تليه ، إن أبطأت السقيا ، والبروز يوم الأثنين بعدها لجماعة المسلمين عندنا إلى مصلاتهم ، أو يأتي الله قبل ذلك بغيثه المغني عنه ، ورحمته المنتظرة منه ، المرجوة عنده . فمر الخطيب بموضعك أن يحتمل على مثل ذلك ، ويأخذ به من قبله من المسلمين وليحملهم بذلك المحمل ، ولتكن ضراعتهم إلى الله تعالى ضراعة من قد اعترف بذنبه ، ورجا رحمة ربه . والله غفور رحيم ، وهو المستعان لاشريك

- في الاندلس - ٤٣٠ وذكره سيمون حايك في كتابه الناصر لدين الله - ٧٣ ، وذكره سالم في كتابه تاريخ المسلمين في الاندلس - ٣١٩ وذكر أنه نقله عن

Una cronica Auonima de Abd al Rahmen III al Nasir. ed, Rar, Lévi Provencaly Emilo Garcia Gomery Madrid, 1950, P. 79

وهناك خلافات ثانوية في نصوصها

له ، إن شاء الله (١) .

٨٦ - كتاب وجهه الناصر إلى أنصاره وولاته يشرح ظروف غزوة الخندق سنة ٣٢٧ هـ التي هزم فيها .

التقى الناصر ، في شمالي الأندلس بجيش من نصارى الشمال ، وهناك هزم هزيمة شديدة ، فلما رجع إلى مقر ملكه أصدر هذا الكتاب يشرح ماحدث . وهو من إنشاء عيسى بن فطيس الكاتب .

... واستعزم الله أمير المؤمنين ليلته ، واستخاره عن رحمته في النهوض إلى مدينة شانت مانكش دار الكفرة ومجمع النصرانية ، إلى أن استركن عدو الله وضاقت الحيل عليهم ووثقوا بحصانته ، ليعلمهم أن كلمة الله هي إظهار دينه ونصر أوليائه وإعزاز خلفائه في مشارق الأرض ومغاربها ، ولوكره المشركون . فضم صاحب المقدمة عمال الثغور عندهم وفرسانهم وخيلهم ، واكتنف الجمع في مجنبتي العسكر مع من والاهم وجرد الرجالة من الخيول بأسلحتهم ، وصمد لجمع المشركين ، فاستقبلهم بنية صادقة ونفس صابرة وجموع كثيفة وكتايب تملأ الفضاء ، ومغالب تضيق عنها الشعاب ، ويصير في سهل الأرض كالآكام ، تتألق عليهم سوابغ الدروع ، فإذا تداعوا قلت : موج متراكم ، وإذا وقفوا فكأنما النقع عليهم ليل مظلم ، فلما قربت العساكر من محل الخنازير ، ثابوا فيما بينهم ، وثاروا إلى خيولهم وعلوا الشراقين ، ينظرون إلى كتايب دين الله بقلوب قد خلعها الذعر ، وقبضهم عن التقدم الوجل ، وجعلوا بينهم وبين

---

(١) يذكر المؤلف أنه أخذ هذا النص من مخطوط ابن حيان المقتبس السفر الخامس لوحة ١٠٢ .

المسلمين وادي بشررقة ، ثقة بوعورته وقلة مخاوضه ، فلم ترعهم إلا مقدمة الجيش وراءه قد سهل الله عليهم جوازه ، وتبعتهم الأثقـال ، وتحيز أمير المؤمنين كدية سامية يتطلع منها على عسكر المسلمين ، فأمر بالاضطراب فيها للعسكر ، وتقدمت الخيول بين يديه . وقد تلاحقت جموع الكفرة ، وقدموا صلبانهم ، ووثقوا بشيطانهم الذي غرهم . وكان المسلمون على نشطة إلى لقائهم ، فلم ينتظر أولهم إلى أن توافى آخرهم ولافارسهم أن يقتعد براجلهم ، وتخطوا الرماح إلى السيوف والطعن إلى الضرب ، وكروا في حومة المنايا كر من يحمي حليله ، ويخشى بعد ساعة أن تسبى ذريته ، فلم ير المسلمون حرباً مثلها ، ولاشهدوا يوم وغى أطول من يومهم ذاك . ونصر الله تعالى يهون عليهم ماهم فيه ، حتى فضوا جموع المشركين ، وزلزلوا ردؤهم التي كانت أكاليل الجبال وردم الشعاب ، وضمهم إلى معسكرهم . وأثارت سنابك الخيل من القتام ماغيب من كان القلب عمن يليه من يمين الحرب ويسارها . وكان محمد بن هاشم في وقدتها حائناً سعيره ، قد طال به مدامها ، واستدارت حوله رحامها ، فكبا به فرسه ، ولم يعلم أحد بمصرعه ، فصار في أيدي الخنازير أسيراً ، فاستشفوا به الحياة بعد اليأس منها ، فجادلوا بنفوس قد عاودتها رمقها ، وانحاز المسلمون إلى معسكرهم ، قد قتلوا من أعلام المشركين وقوامسهم وأهل البأس من فرسان الحرب ، ومن صبر لوقع السيف ، فكانت مصيبتهم بمن قتل منهم عظيمة . فلما أصبح أمير المؤمنين لمحلته ، أمر بحمل من عقر فرسه وصلة من أغنى في حربه ، وتعرض المشركون للحرب تعرض من قد تنخل لعدو قد أصابهم ، ونكايته قد فلقت قلوبهم ؟ فلما كان في اليوم الثالث من احتلاله ، عهد أمير المؤمنين إلى صاحب العسكر بمصاحبتهم بالحرب ، وقد تلاحقت بهم المدود من أقصى بنبلونة وألبة والقلاع وأهل

قشتيلية ، إلى مشركي قلمرية ، وكل صنف من أصناف العجم معهم ، وهتف على المسلمين بالخروج تحت راياتهم ، والتأهب للقاء عدوهم ، وأغذوا في نهوضهم ، ونزل صاحب العسكر ، فرتب تعيينهم ، فكثف الردوء ، وضم إليها الرجال ، وألزم القلب بنفسه ، وميز فيه خيل الميمنة والميسرة وقدم إليهم المقاتلة ، وأقام بين يديه جملة الخيل عدة . فإذا رأى في جهة من جهات الحرب خللاً سدّه واستدركه ، أو فتقاً رتقه ، حتى كانت أيدي المسلمين في الماقط عاليه ، فتلظت الحرب واحتدمت ، وكأن المنايا إنما قصدت فيها أعلام الكفرة وقوامسهم ، فصرع قومس غرماج ، وابن أخي الخنزير ابن فرذلند ، وشيخ النصرانية وعميدها ابن دخير ، إلى العدد الجم من فرسانهم وأهل الصبر منهم ، وانجلت الحرب عن هزيمتهم ، وانكشاف أجبل قد كانوا علوها وسدوا بالخيل والرجال مابينها ، وظنوا أن لاغالب لهم ، فزلزلوا زلزالاً شديداً ، وانصرف المسلمون بعد الظفر والسلامة في المنقلب ، فباتوا بأنعم بال وأسكن حال . فلما ظن أعداء الله أن قد ملوا حربهم ، وتجددت لهم مدودهم ، رفعوا معسكرهم ، وقدموا صلبانهم وخرجوا بفارسهم وراجلهم ، فألقوا إلى مايلي منهم العسكر سراع خيولهم فبادر المسلمون إليهم تبادر الأسود الضارة ، فغادروا موقفهم ، وجالدوا بسيوفهم ، حتى انفرج الموقف عن قتل عظيم من عظمائهم أعولوا عليه واستداروا حواليه ، وانصرفوا قد أذلهم الله ووهنهم ، وهون عليهم جمعهم ووفور مددهم في ضبط المعيشة وقلة التبسط ومصابحة الحرب وممارستها ، حتى كأنهم أهل حصن حوصروا فيه ، أو فل جيش لا يستطيعون الرجوع إليه . وأقام أمير المؤمنين ومن معه من جيوشه وحشده وأهل البصاير والحفايظ ، وبلغ أمير المؤمنين أقصى أمله من إذلال جميع المشركين والاحتلال بساحتهم ، وانحياز طاغيتهم في أعلى شاهق ، يرجو النجاة

لنفسه ، فأمر بالرحيل وقد ضاعف النظر ، والعدو في ضبط ساقة جيشه لما توقع خروج الكفرة في أثره ، وأصبح منتقلاً ، فما أقدم أعداء الله أن ينظروا من الجيش إلا من بعد على رأس جبل . ونهض يطأ بلادهم وطأة متثاقل ، حتى انصرف إلى نهر دويرة ، واستقبل عمارته من حصن مانكش التي اتصلت بنكاية أهله ، فلم يدع في جيليقية حصناً إلا هدمه ولامعاشاً إلا انتسفه ، حتى انتهى إلى مدينة روضة ، وهي خالية على عروشها ، فأقام على هدمها وهدم حصن دبيلش معها يومين كانا أطول على أعداء الله من عامين ، لما غير فيها من نعمهم ، وهدم من مساكنهم وقطع من شجرهم . وكان أمير المؤمنين غير التقدم على نهر دويرة إلى شنت أشتيين وغرماج لنقص الزروع لديه وضيق العلف بإفساده ، فرفع إليه من حضره من أهل مدينة الفرج وحصونها يشكون ما يلقونه من مشركي وادي إبنيه ومعاقلها ، وترددوا عليه ضارعين إليه ، أن يجعل ممر الجيش المؤيد على حصونهم وعمارتهم ، وذكروا أن ذلك أنفع لهم ولأهل الثغور معهم من الإيغال في بلد المشركين ، ونكاية من لا ينالهم بغارة ، ولاينهض إليهم بقوة ، فصرف الجيوش عند ذلك إلى وادي ابينه ، فلم يدع فيها حصناً إلا هدم ، ولاقرية إلا هدمت ، ولامعاشاً إلا استقصى جميعه . فلما صار في آخره ولم يبق موضع يقوم الجيش بالتردد عليه ، أمر الأدلاء بالكشف عن أفضل الطرق إلى حصن أنتيشه ، وأرفقها بالمسلمين في منصرفهم برازح ظهرهم ، وأحوط عليهم طريقهم ، وأجمعوا على قصد حصن قشترب ، وأيأسوا من الخروج على غيره . فلما استقبل أمير المؤمنين لامه ، وقطع بعض محلته ، استقبل شعراء لايتخللها المتفرد بجمده ، ولايتخلص منها المخف لو لم يكن أحد يعترضه . ثم أشرف

على خنـــادق قفره ، ومهاوٍ تتقاذفه ، وأجراف منقطعة قـد عرفهـا المشركون وقـدموا إليهـا ، وألقوا إلى ساقة الجيش فرسانهـم ومتقدمي رجالهم جملة ، لو أصيبت بحيث يتراءى الجمعان لكانت سبب هزيمتهـم ، ولكنهم وثقوا بالوعد ، وانتظروا تقدم الحماة وترادف الأثقال . فحامي أمير المؤمنين برجاله وخاصته عن المسلمين ساعات من النهار ، حتى تقدم أكثرهم وجازت الخندق لقتالهم ، إلا من ضعفت دابته أو ضعفت تعبئتـه عن استنفارها . فلما رأوا الخلل تصايحوا من قنن الجبال ، وانحطوا من أعاليها انحطاط الأوعال ، فأصابوا من الأمتعة والدواب المثقلة . مالو أصابوا مثله في مجال حرب أو سهل من الأرض ، لمـا أنكر مثله عند مقارعة الرجال ، وتصرف الأحوال . وحامي صاحب العسكر عن كل من أجاز الخندق وخلص من مضايقة حتى أسهلوا ، واجتمع لأمير المؤمنين جيوشه وانتظمت جموعه وسلم الله رجاله ، فلم يصب منهم أحد . وفي ذلك دليل للسامع عن الوقعة أنها لم تدر بغلبة ولاظفر المشركون فيما ظفروا به فيها عن مساواة ولا كثرة . ولـكن ضيق المسالك ، ووعر الطريق ، وسوء فهم الدليل ، خلى لمـا جلبه إلى أقدار الله تعالى التي لاتصرف ، ومحنه التي لم يزل يمتحن بها أولياءه ليعظهم ويبتلي عبيده ليرهبهم . وأمير المؤمنين شاكر لله تعالى على عظيم نعمه ، وواقف على تصرف محنته ، مستسهل ما اختص به في حب طاعته ، ضارع إلى الله في التقبل لقوله وفعـله . وكتابـه إليك ، وهو قافل بالمسلمين على أحسن أحوالهم ، وأسهل طريقهـم ، وأجمعه لمعايشهم ، إن شاء الله . فامر بقراءة كتاب أمير المؤمنـين على على الناس قبلك ، إثر صلاة الجمعة ليشكروا الله على ما أنعم به من نصر إمامهم وسلامة إخوانهم ، والصنيع الذي عمهـم ، فإنـه يحب الشاكرين ويزيد الحامدين .

واعهد بنسخه إلى عمال الكور حولك إن شاء الله تعالى . والله المستعان . وكتب يوم الإثنين لثمان خلون من ذي القعدة سنة سبع وعشرين وثلاث مائة .

دولة الإسلام في الأندلس لعنان ٧١١ – ٧١٤

٨٧ - مقتطفات من رسالة الوزير ابن شهيد التي وجهها إلى الناصر لما أهداه هديته الفخمة المشهورة .

أهدى الوزير ابن شهيد الخليفة الناصر هدية فخمة جداً لم يهد أحد مثلها لأحد من الخلفاء ، ووجه معها رسالة إلى الخليفة ، فيما يلي مقتطفات منها :

... وكان قد أربى – أيده الله – بابتياعهم من مال الأخماس ، فاتبعتهم من نعمته عندي ، وصيرتهم من بعثي . ومع ذلك عشر قناطير سكر طبرزد لاسحاق فيه .

وفي آخر الكتاب :

ولما علمت تطلع مولاي – أيده الله تعالى – إلى قرية كذا بالقبنانية ، المنقطعة لغرس شرفها ، وترداده – أيده الله تعالى – لذكرها ، لم أهنأ بعيش حتى أعملت الحيلة في ابتياعها بأحوازها ، واكتتبت وكيله ابن بقية الوثيقة فيها باسمه ، وضمها إلى ضياعه . وكذلك صنعت في قرية شيرة من نظر جيان عندما اتصل بي من وصفه لها وتطلعه إليها ، فمازلت أتصدى لمسرته بها حتى ابتعتها الآن بأحوازها وجميع منازلها وربوعها ، واحتاز ذلك كله الوكيل ابن بقية ، وصار في يده له – أبقاه الله سبحانه – وأرجو أنه سيرفع فيها في هذه السنة آلاف أمداد من الأطعمة إن شاء الله تعالى .

ولما علمت نافذ عزمه ـ أبقاه الله تعالى ـ في البنيان ، وكلفه بـه ، وفكرت في عدد الأماكن التي تطلع نفسه الكريمـة إلى تخليـد آثاره في بنيانها ـ مد الله في عمره ، وأوفى بها على أقصى أمله ـ علمت أن أسّه وقوامه الصخر والاستكثار منه ، فأثارت لي همتي ونصيحتي حكمة حيـلة أحكمها سعدك وجدك اللذان يبعثان مالا يتوهم عليه حيلة أقيم لك فيها بعام واحد عدد ماكان يقوم على يدي عبدك ابن عاصم في عشرين عاماً ، وينتهي تحصيل النفقة فيه إلى نحو الثمانين ألفاً أعجل شأنه في عام ، سوى التوفير العظيم الذي يبديه العيان قبلاً إن شاء الله تعالى .

وكذلك ماثاب إليّ في أمر الخشب لهذه المنية المكرمة ، فـإن ابن خليل عبدك المجتهد الدؤوب انتهى في تحصيل عدد ماتحتاج إليه إلى ثلثمائة ألف عود ونيف على عشرين ألف عود ، على أنه لايدخل منه في السنة إلا نحو الألفي عود ، ففتح لي سعدك رأياً أقيم له بتمامه جميع هذا الخشب العام على كماله بورود الجلبية لوقتها ، وقيمته على الرخص ما بـين الخمسين ألفاً والستين ألفاً (١) .

نفح الطيب للمقري حـ ١ ٣٣٦ ـ ٣٣٧

٨٨ ـ رسالة ثانية من ابن شهيد إلى الناصر .

أهدى لابن شهيد غلام جميل ، وأدرك أن الناصر يريد ذلك الغلام لنفسه ، فأهداه إياه وأرسل معه رقعة فيها هذان البيتان :

أمولاي هذا البدر سار لأفقكم ... وللأفق أولى بالبدر من الأرض

---

(١) اورد الحايك في كتابه الناصر لدين الله ١٨٩ ـ ١٩٠ نصاً مقارباً كل القرب للنص اعلاه .

أرضيـــكم بالنفس وهي نفيسة ولم أر قبلي من بمهجته يرضي

فحسن ذلك عند الناصر .

٨٩ ـ رسالة ثالثة من ابن شهيد إلى الناصر .

ثم أتت ابن شهيد جارية جميلة جداً فأهداها للناصر وأرسل معهـا هذين البيتين :

أمولاي هذي الشمس والبدر أولاً تقـــدم كيما يلتقي القمرانـ

قران لعمري بالسعادة قد أتى فدم منهما في كوثر وجنـانـ

فما لهـــا والله في الحسن ثالث ومالـك في ملك البرية ثان

نفح الطيب للمقري ح ١ ٣٣٨ ـ ٣٣٩

٩٠ ـ رسالة أرسلها الأمير الحكم بن الناصر وبأمر أبيه الناصر إلى الفقيه المشاور أبي ابراهيم .

احتفل الناصر احتفالاً مهيباً لما أعذر أولاد ابنه أبي مروان عبيــد الله ، ودعا الناس والعلماء والعدول فحضروا جميعاً إلا الفقيه المشاور أبو إبراهيم من كبار المالكية وعليه المدار ، فساء غيابه الناصر ، فطلب من ابنه الحكم أن يكتب له مفنداً مقرعاً ، فكتب إليه الحكم .

بسم الله الرحمن الرحيم . حفظك الله وتولاك ، وسددك ورعاك : لمـا امتحن أمير المؤمنين مولاي وسيدي ـ أبقاه الله ـ الأولياء الذين يستعد بهم وجدك متقدماً في الولاية متأخراً عن الصلة . على أنه قد أنذرك ـ أبقاه الله ـ خصوصاً للمشاركة في السرور الذي كان عنده ، لا أعدمه الله توالي المسرة . ثم أنذرت من قبل إبلاغاً في التكرمة . فكان منك على ذلك كله من التخلف ماضاقت عليك فيه المعذرة ، واستبلغ أمير المؤمـنين في إنكاره ومعاتبتك عليه ، فأعيت عليك عنك الحجة . فعرفني ـ أكرمك

الله ـ ما العذر الذي أوجب توقفك عن إجابة دعوته و ومشاهدة السرور الذي سر به ورغب المشاركة فيه ، لنعرفه ـ أبقاه الله ـ بذلك ، فتسكن نفسه العزيزة إليه إن شاء الله تعالى :

٩١ ـ جواب الفقيه أبي إبراهيم .

سلام على الأمير سيدي ورحمة الله . قرأت ـ أبقى الله الأمير سيدي ـ هذا الكتاب وفهمته . ولم يكن توقفي لنفسي ، إنما كان لأمير المؤمنين سيدنا ـ أبقى الله سلطانه ـ لعلمي بمذهبه ، وسكوني إلى تقواه ، واقتفاؤه لأثر سلفه الطيب ، رضوان الله عليهم . فإنهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لايمتهنونها بما يشينها ، ولا بما يغض منها ويطرق إلى تنقيصها ، ويستعدون بها لدينهم ، ويتزينون بها عند رعاياهم ومن يفد عليهم من قصادهم . فلهذا تخلفت ولعلمي بمذهبه توقفت إن شاء الله تعالى .

نفح الطيب للمقري حـ ١ ٣٥٢ ـ ٣٥٣

٩٢ ـ رسالة جوابية من الأمير الحكم بن الناصر إلى ابن رماحس بحق ابن رفاعة .

وفد أبو علي القالي على الأندلس من العراق زمن الناصر ، واختص بولي عهده الأمير الحكم . وذات مرة تذاكر أبو علي مع الأندلسيين بيت عبدة بن الطيب الذي هو :

ثمت قمنا إلى جرد مسومة　　　أعرافهن لأيدينا مناديل

فغلط القالي في لفظ أعرافهن مرتين ، وفي كل مرة يلفظها أعرافها فانصرف عن موكبه ابن عنان الذي هو ابن رفاعة وقال : ومع هذا يوفد على أمير المؤمنين ، ويتجشم الرحلة لتعظيمه ، وهو لايقيم وزن

بيت مشهور بين الناس لاتغلط الصبيان فيه . والله لاتبعته خطوة . فلما انصرف كتب أميره ابن رماحس إلى الحكم بما جرى ، فأجابه بما يلي :

الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يخطىء وافد أهل العراق إلينا ، وابن رفاعة أولى بالرضا عنه من السخط ، فدعه لشأنه ، وإقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته ، فسوف يعليه الإختبار إن شاء الله تعالى أو يحطه .

نفح الطيب حـ ٤ ـ ٧١

٩٣ ـ رسالة جوابية من الخليفة الناصر إلى القائد أحمد ابن إسحق .

كان أحمد بن إسحق القرشي من أصل أموي ، وأصبح من كبار القواد زمن عبد الرحمن الناصر ، ثم أرسله الناصر لحصار سرقسطة . وكان أحمد هذا شديد الطموح حتى إنه كان يفكر في الثورة ضد الناصر نفسه ، وتنصيب نفسه خليفة ثم أرسل للخليفة من سرقسطة رسالة يطلب منه أن يجعله ولياً لعهده بدلاً من الحكم أو عبد الله ابني عبد الرحمن الناصر ، فاغتاظ الناصر منه كل الغيظ ، وأرسل له الرسالة التالية :

أما بعد : فإنا كنا نرى الاستجهاد إليك استصلاحاً لك ، فأبى الطبع الغريزي إلا ما استحكم منه فيك إلى أن استحوذ عليك . فالفقر يصلحك ، والغنى يطغيك إذ لم تكن عرفته ولاتعودته . أو ليس كان أبوك فارساً من فرسان ابن حجاج أخسهم حالاً عنده ، وأنت يومئذ نخاس الحمير بإشبيلية ، فأقبلتم إلينا ، فآويناكم ونصرناكم وشرفناكم ومولناكم ، واستوزرنا أباك ، وقلدناك أعنة الخيل أجمع ، وفوضنا إليك أمر ثغرنا الأعظم ، فتهاونت بالتنفيذ لنا وقلة المبالاة بنا . ثم مع هذا ، الترشيح للخلافة

فبأي حسب أو أي نسب ، وفيكم قال القائل :

أنتم خثار الخثــار … وليس خز كخيش
إن كنتم من قريش … تزوجوا من قريش
أو كنتم قبط مصر … فذا التعــاطي لإيش

أليست كانت أمك حمدونة الساحرة ، وأبوك المجذوم ، وجـدك بواب حوثرة يفتل الحبال في أسطوانة ويخيط الحلفا على باب داره ؟ فلعنك الله ولعن من أنشبنا في الاستخدام بك . فيا مأبون ويا مجذوم ، ويا ابن الكلب والكلبة اقبل صاغراً [1] .

الناصر لدين الله للحايك ـ ٩٤

٩٤ ـ خطبة أحمد بن محمد الهمداني الألبيري بين يدي الخليفـــة الناصر لما قدم عليه .

لما قدم عليه قام بين يديه خطيباً فقال :

الحمد لله المحتجب بنور عظمته عن أبصار بريته ، والدال بحدوث خلقه على أوليته ، والمنفرد بما أتقن من عجائب دهره وسنن صمديته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، إقراراً بربوبيته وخضوعاً لعزتــه وعظمته ، وأشهد أن محمداً عبده الأمي ورسوله المكي ، انتخبـــه من أكرم الأرومات واصطفاه من أطيب البيوتات ، حتى قبضه الله إليه واختار له مالديه ، وقد قبل سعيه وأدى أمانته ، فصلى الله عليه وسلم تسليماً .

ثم إن الله تبارك وتعالى لمـا ابتعثه من أكرم خلقه ، وكرمه برسالته وأنزل عليه محكم تنزيله ، واختار له من أصحابه وأشياعه فمن بعدهم خلفاء

(١) لم يذكر المؤلف المصدر الذي استقى منه هذا النص .

جعل منهم أيمة يهدون بالحق وبه يعدلون . فجعل الله الأمير ـ أعزه الله ـ وارث ماخلفوه من معالمهم ، وباني ما أسسوه من مشاهدهم ، حتى أمن السالك ، وسكن الخائف رحمة من الله ألبسه كرامتها ، وطوقه مجد فضيلتها . والله يؤتي ملكه من يشاء . والله ذو الفضل العظيم .

فالله أعطاك التي لافوقها وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويأبى الله إلا سوقها إليك حتى قلدوك طوقها

ثم إني عبد الأمير ـ أبقاه الله ـ الناشىء في غذي نعمته ، المنهوك في محبته ، قادت بي همة أخذت بضبعي طرفي إلى من الاعتراف بالعجز عن مبلغ كنه بلاغة المتنطع عن أسلاف مجده :

وما عسى قائل يثني عليك بما أثناه في الوحي تقديس وتطهير
فت البرية إلا أن ألسنتنا مستنطقات بما تخفي الضمائر

وقلت فيك أيها الأمير مقالاً شرفته بفضلك ، وأنهيته بكرم مجدك ، وهو :

أيا ملكاً تزهي به قضب الهند إذا لمعت بين المغافر والزرد
ومن بأسه في منهل الموت وارد إذا أنفس الأبطال كفت عن الورد
من ألبس الله الخلافة نعمة به فأتت النعمى فجلت عن الحد
فلو نظمت مروان في سلك فخرها لأصبح من مروان واسطة العقد
تجلى عن الدنيا فجلى ظلامها كما انجلت الظلماء عن قمر السعد
إمام الهدى أضحت به العرب غضة ملبسة نوراً كموشية البرد
كناني لديه أن جعلت وسيلتي ذمام هشامي الهوى خالص الود
يؤكد ما يدلي به من متانة لباس أبيه عبدك الفارس النجد
فتى من رآه والرماح شواجر وخيل إلى خيل بأبطالها تردي

رأى أسداً ورداً يخب إلى الوغى	وربـــتما أربى على الأسد الورد
فأنعم عليه فيّ ياخير منعـــم	بإظهار تشريفي وعقد يد عندي
ولا تشمت الأعداء أن جئت قاصداً	إلى ملك الدنيا فأحرم في قصـدي
فعند الإمام المرتضى كل نعمـــة	وشكري لما يوليه من نعمة عندي
فلا زال في الدنيا سعيداً مظفـراً	وبوىء في دار العلى جنة الخـلد (١)

الذيل والتكملة لابن بشكوال حـ ١ ٤٠١ ـ ٤٠٣

٩٥ ـ نص الكتابة الموجودة على لوح حجري مثبت في أعلى الجانب الأيمن من باب جامع قرطبة الرئيسي المسمى باب النخيل ، والذي يحمل أمر عبد الرحمن الناصر بتوسيع جامع قرطبة وتجميله .

بسم الله الرحمن الرحيم . أمر عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين الناصر لدين الله ، أطال الله بقاءه ، ببنيان هذا الوجه ، وإحكام إتقانه تعظيماً لشعائر الله ، ومحافظة على حرمة بيوته التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ولـما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الأجر وجزيل الذخر ، مع بقاء شرف الأثر وحسن الذكر . فتم ذلك بعـون الله في شهر ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلث مائة على يد مـولاه ووزيره وصـاحب مبانيه عبد الله بن بدر . عمل سعيد بن أيوب .

دولة الإسلام في الأندلس لعنان ٤٤٥ ـ ٤٤٦

٩٦ ـ بيان أذاعه الخليفة عبد الرحمن الناصر يحذر الناس من عقيـدة ابن مسرة ، ويهاجمه ويهاجمها ، ويحذر من اعتناقها .

نشأ ابن مسرة في الأندلس ، وتفقه بها ، وأبـــدى بعض الآراء

(١) اورد لسان الدين بن الخطيب في الإحاطـــة ١٥٧ ـ ١٥٨ نصاً قريباً من النص اعـــلاه .

المنحرفة في التأويل والقدر والوعيد وغيرها ، فثار ضده الفقهاء ، فهرب إلى الشرق ، وهناك تفقه وتعلم على أيدي المعتزلة وغيرهم . ثم رجع إلى الأندلس ، ونشر تعاليمه فيها ، وأصبح له أتباع ومريدون . ثم توفي ابن مسرة سنة ٣١٩ هـ .

ولكن تلاميذه استمروا في نشر تعاليمه فيها مدى عشرين عاماً ، حتى ثار الفقهاء والعلماء ضد هذه التعاليم ، ورفعوها للناصر ، فأصدر المنشور التالي ضد ابن مسرة وتعاليمه وهو من إنشاء الوزير الكاتب عبد الرحمن ابن عبد الله الزجالي ، وقد أنفذه إلى الآفاق :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن الله تعالى جده وعز ذكره جعل دين الاسلام أفضل الأديان ، فأظهره وأعلاه ، ولم يقبل من عباده غيره ، ولارضي منهم سواه ، فقال في محكم تنزيله : (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلنْ يُقبل منهُ ...) الآية [1] . وقضى في محتوم أمره ونفاذ حكمه أن تنسخ به الديانات ، ويختم برسالته الرسالات ، فبعث محمداً خاتم النبيين وأكرم الأكرمين وأعز الخلايق على رب العالمين ، بأن كتب الصلاة والسلام عليه في عرشه قبل أن يخلقه ، واصطفاه لأمانته قبل أن يكونه ، وأرسله بأفضل دين سماه حنيفاً إلى خير أمة اختارها ... كما قال عز من قائل ، إذ عرفنا فضل ماهدانا إليه من الدين ، وكرمنا به على ساير الأمم : (كنتم خير أمةٍ أُخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهونَ عن المنكرِ ...) الآية [2] . فله جل جلاله وتقدست أسماؤه الشكر على خصايص هذه الفضيلة ، والحمد بالمنة الجليلة ، فقد استنقذ من الغواية

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨٥

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠

وهدي ، فأحسن الهداية وأبان الحجة ، وكفانا بواضح المناهج مؤنـــة الفكرة ، ونظم زمام الأمة ، وجمع وجوه السعادة العاجلة والنجاة الآجلة في تأليف الجماعة ، واجتبا فيهم رعاية الفرقة حيث يقول عز وجهـه ، لنبيه ﷺ ... به وبعباده المخصص بهداه ، ورأفة بسطها على خـير ... وإعلاماً لهم بتواصل الدين من قبله لأنبيائه ... وكراهته لاختلافهم بعد رسول الله ﷺ (شرع لكُم من الدّين ماوصّى به نوحاً ، والذي أوحينا إليك وماوصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقـوا فيه ...)(١) الآية . فخوف وحذر ، ونهى عن افتراق الكلمة ، ونبـه على البعد ، ونفى الله الخبيث عنها ، وفضلها على ساير البلدان ، واستقر فيها الدين ، كهيئته يوم أكمله الله لعباده . ولـما استوسقت الطاعـة ، وشملت النعمة ، وعم الأقطار ، بعدل أمير المؤمنين ، السكون والدعـة طلعت فرقة لاتبتغي خيراً ، ولاتأتمر رشداً ، من طغـام السواد ، ومن ضعف أرايهم ، ومن خشونـة الأوغاد ، كتباً لم يعرفوها ، ضلت فيهـا حلومهم ، وقصرت عنها عقولهم ، وظنوا أنهم فهموا ماجهلوا ، وتفقهـوا فيما لم يدركوا ، واستولى عليهم الخذلان ، وأحال عليهم بخيله ورجـــله الشيطان ، فزينوا لمن لاتحصيل لهم ، ولقوم آمنين لاعلم عنـدهم ، فقـالوا بخلق القرآن واستيأسوا وآيسوا من روح الله ، ولاييـأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، وأكثروا الجدال في آيات الله ، وحرموا التأويل في حديث رسول الله ﷺ ، فبريت منهم الذمة بقوله تقدست أسمـاؤه : (ألم تر إلى الذين يجادلونَ في آياتِ اللهِ أنـّى يُصرفون ، الذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رُسُلنا فسوف يعلمونَ إذ الأغلالُ في أعناقهـم

(١) سورة الشورى الآية ١٣

والسلاسل يُسحبون في الحميم ثم في النّار يُسجرون)[1]. فهذا أبلغ الوعيد، وأقطع النكال لمن جادل في الله بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير ، ثاني عطفه : (ليضلَّ عن سبيلِ اللهِ لهُ في الدنيا خزيٌ ونُذيقه يوم القيامةِ عذابَ الحريق ...)[2] ثم تجاوزوا في البهتان ، وسدوا على أنفسهم ألوان الغفران فأكذبوا التوبة ، وأبطلوا الشفاعة ، ونالوا محكم التنزيل وغامض متن التأويل بتقدير عقولهم : (فأما الذينَ في قلوبهمْ زيغٌ فيتّبعون ماتشابَهَ منهُ ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويله ومايعلم تأويلهُ إلا اللهُ ، والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلٌ من عند ربّنا ، ومايذكّر إلا أولو الألباب)[3] . فصاروا بجهل الآثار وسوء حمل الأخبار إلى القدح في الحديث ، وترك نجح السبيل ، فأساؤوا الفهم عن العوام . وأقدموا بمكروه القول في السلف الصالح ، واستبدلوا على نقلة الحديث ، ووضعوا من الكتب لوضعها ، وتابعوا شهواتهم فيها ، وتتابعوا فيما ... ورطهم ، ورأوا لتخضع وحشة بحثها لازم الضلالة وداعية الهلكة ، والشذوذ عن مذهب الجماعة ، من غير نظر نافذ في دين ، ولا رسوخ في علم ، حتى تركوا رد السلام على المسلمين ، وهي التحية التي نسخت تحية الجاهلين ، خلافاً على أدب الله تعالى وقوله جل جلاله : (وإذا حُيّيتم بتحيةٍ فحيُّوا بأحسن منها أو ردُّوها)[4] وقالوا بالاعتزال عن العامة وشذوا ... وكشفوا بتكررهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ؛ فلجوا في جهالتهم ، وتاهوا في غيهم ، ونكسوا على رؤوسهم حقداً على الأمة الحنيفية ، واعتقاداً لبغضتها .

---

(١) سورة غافر الآية ٧٢

(٢) سورة الحج الآية ٩

(٣) سورة آل عمران الآية ٧

(٤) سورة النساء الآية ٨٦

واستحلالاً لدمايها ، وذرعاً إلى انتهاك حرمها وسبي ذراريها ، قد بـدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر ، لولا أن سيف أمير المؤمنين من ورائهم ، ونظره محيط لما صـــار غيهم فاشياً ، وجهلهم شايعاً ، واتصل بأمير المؤمنين من قدحهم في الديانة وخروجهم عن الجادة ماشغل نفسه وأقضّ مضجعه ، وأسهد ليله ، أغلظ أمير المؤمنين في الأخذ فوق أيديهم ، وأوعز إيعازاً شديداً ، وأنذر إنذاراً فظيعاً ، وعهد عهداً مؤكداً شافياً كافياً ، نظر به لوجهه تبارك اسمه ، وقدم فيه بين يدي العقـاب الشديـد ، وأمر بقراءة كتابه هذا على المنبر الأعظم بحضرته ، ليفزع قلب الجاهل ، ويفت كبد المستهتر الجاير ، وينقض عزم المعاند المماجل ، ويضطر الغواة إلى الإنابة الصحيحة التي يتقبلها الله منهم ، أو يكشف عن الأذهان سرايرهم ، فيكون عليهم شهيداً ، ويأتيهم عذاب غـير مردود . ورأى أمير المؤمنين أن يشمل بنظره أقطار كوره ، ويرسله في بـــدوه وحضره ، وأن ينفذ عهوده إليك وإلى ساير قواده وجميع عماله بهـا ، يقرأ على منابر المسلمين ، ولايحرم القاصي بأعم الداني من تطهير هـــذا الرجز وتمحيصه وكفاية المسلمين شبهته وفتنته . فلم يحل الديار ، ولاتعقب الآثار ، ولا استحق البلاء على قوم ، ولا أهلك الله أمة من الأمم إلا بمثل ما تكشف هذه الطغمة الخبيثة من التبديل للسنة والاعتداء في القرآن المظيم ، وأحاديث الرسول الأمين صلوات الله عليه وسلم . هـــذا عند وروده عليك في قبلك ، ونشره في سماع رعيتك . وتتبع هذه الطايفـة بجميع أعمالك ، وابثث فيهم عيونك ، وطالب فيهم غورهم جهدك . فمـن تحلى منهم بما انتسب إليهم ، وقامت عليه البينات بذلك عنـدك ، فاكتب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم ومواضعهم ، وأسماء الشهود عليهم ، ونصوص شهاداتهم ، لنمهد باستجلابهم إلى باب سدته ، لينكلوا بحضرته ، فيذهب

غيظ نفسه ، ويشفي حنين صدره . وإياك أن تهون من أهل الريبة ، وتتخطاهم إلى ذوي السلامه والأحوال الصالحة ، فإن فرطت في أحـــد الأمرين أو كليهما فقد برىء الله منك ، وأحل دمك ومالك ، فاعلمه واعتد به إنشاء الله تعالى .

دولة الإسلام في الأندلس لعنان ٧٠٨ ـ ٧١٠

٩٠ ـ مقتطفات من رسالة امبراطور القسطنطينية قسطنطين إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر .

مطلع الرسالة :

من قسطنطين ورومانين المؤمنين بالمسيح الملكين العظيمين ملكي الروم

(في سطر)

ثم :

إلى عظيم الاستحقاق والفخر الشريف ، الشريف النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالأندلس ـ أطال الله بقاءه .

(في سطر آخر) .

من جملة ما كتبه إليه .

أن كتاب ديوسقريدوس لاتجتنى فائدته إلا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني ويعرف تلك الأدوية ، فإن كان في بلدك من يحسن ذلك فزت ، أيها الملك ، بفائدة الكتاب . وأما كتاب هروشيوس فعندك في بلدك من اللاتينين من يقرأون باللسان اللاتيني ويستطع نقله منه إلى اللسان العربي [١].

الناصر لدين الله للحايك ـ ١١٢

---

(١) أهدى ملكا الروم إلى الناصر ، فيما أهدياه ، كتابين احـــدهما كتاب الحشائش لديوسقريدس ، والثاني كتاب هروشيوس في تاريخ الروم . لغة الاول يونانية والثاني لاتينية .

٩٨ ـ خطبة القاضي منذر بن سعيد البلوطي أمام الخليفة الناصر في حفل استقبال وفود الروم.

وصلت وفود القسطنطينية إلى عبد الرحمن الناصر فاحتفل بها أيما احتفال، وندب للكلام في يوم الاجتماع أبا علي القالي ضيف الخليفة والقادم عليه من العراق. فلما تكامل الجمع قام القالي ليتكلم، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم صلى على نبيه محمد ﷺ، ثم أصابه البهر، فانقطع وعجز عن متابعة الكلام، فقام القاضي البلوطي دون أهبة وتابع ما انقطع من كلام أبي علي القالي فقال:

أما بعد حمد الله والثناء عليه والتعداد لآلائه والشكر لنعمائه، والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه، فإن لكل حادثة مقاماً، ولكل مقام مقال، وليس بعد الحق إلا الضلال، وإني قد قمت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم، فاصغوا إليّ معشر الملأ بأسماعكم، وأتقنوا عني بأفئدتكم. إن من الحق أن يقال للمحق صدقت، وللمبطل كذبت. وإن الجليل تعالى في سمائه، وتقدس بصفاته وأسمائه، أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه، أن يذكر قومه بأيام الله عز وجل عندهم. وفيه وفي رسول الله ﷺ أسوة حسنة. وإني أذكركم بأيام الله عندكم، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعثكم، وأمنت سربكم، ورفعت قوتكم، بعد أن كنتم قليلاً فكثركم ومستضعفين فقواكم، ومستذلين فنصركم. ولاه الله رعايتكم، وأسند إليه إمامتكم، أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق، وأحاطت بكم شعل النفاق، حتى صرتم في مثل حدقة البعير، من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء، وانتقلتم بيمن سياسته إلى

تمهيد كنف العافية بعد استيطان البلاء . أنشدكم الله معاشر الملأ ، ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ، والسبل مخوفة فأمنها ، والأموال منتهبة فأحرزها وحصنها ؛ ألم تكن البلاد خراباً فعمرها ، وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها . فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وشفى صدوركم ، وصرتم يداً على عدوكم ، بعد أن كان بأسكم بينكم ، فأنشدكم الله ألم تكن خلافته قفل الفتنة بعد انطلاقها من عقالها ؟ ألم يتلاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ، ولم يكل ذلك إلى القواد والأجناد حتى باشره بالقوة والمهجة والأولاد ، واعتزل النسوان ، وهجر الأوطان ورفض الدعة ، وهي محبوبة ، وترك الركون إلى الراحة ، بطوية صحيحة وعزيمة صريحة ، وبصيرة نافذة ثاقبة ، وريح هابة غالبة ، ونصرة من الله واقعة واجبة ، وسلطان قاهر ، وجد ظاهر ، وسيف منصور تحت عدل مشهور ، متحملاً للنصب ، مستقلاً لما ناله في جانب الله من التعب ، حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت شوكة الفتنة عند حدتها ولم يبق لها غارب إلا جبه ، ولانجم لأهلها قرن إلا جده ، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً ، وبلمّ أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعواناً ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقصين والأدنين مستخدمة إليه وإليكم ، يأتون من كل كل فج عميق وبلد سحيق لأخذ حبل بينه بينكم جملة وتفصيلاً ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ولن يخلف الله وعده ، ولهذا الأمر مابعده . وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أمور باطنة خافية ، دليلها قائم ، وجفنها غير نائم : (وعدَ اللهُ

الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم)[١] ... الآية . وليس في تصديق ماوعد الله ارتياب ، ولكلّ نبأ مستقرٌ ، ولكل أجلٍ كتاب . فاحمدوا الله ، أيها الناس ، على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه . فقد أصبحتم بخلافة أمير المؤمنين ، أيده الله بالعصمة والسداد ، وألهمه خالص التوفيق إلى سبيل الرشاد ، أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالاً ، وأعزهم قراراً ، وأمنعهم داراً ، وأكثفهم جمعاً وأجملهم صنعاً ، لاتهاجون ولاتذادون . وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم ، والتزام الطاعة لخليفتكم وابن عم نبيكم ﷺ ، فإن من نزع يداً من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، ومرق من الدين ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسرانُ المبينُ . وقد علمتم أن في التعلق بعصمتها ، والتمسك بعروتها حفظ الأموال ، وحقن الدماء وصلاح الخاصة والدهماء ، وإن بقوام الطاعة تقام الحدود ، وتوفى العهود ، وبها وصلت الأرحام ، ووضحت الأحكام وبها سدّ الله الخلل وأمّن السبل ، ووطأ الأكناف ، ورفع الاختلاف وبها طاب لكم القرار ، واطمأنت بكم الدار ، فاعتصموا بما أمركم الله بالإعتصام به ، فإنه تبارك وتعالى يقول : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)[٢] ... الآية .

وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه ، من ضروب المشركين ، وصنوف الملحدين ، الساعين في شق عصاكم وتفريق ملأكم ، الآخذين في مخاذلة دينكم ، وهتك حريمكم ، وتوهين دعوة نبيكم ، صلوات الله وسلامه

(١) سورة النور الآية ٥٥

(٢) سورة النساء الآية ٥٩

عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين . أقول قولي هذا وأختم بالحمد لله رب العالمين ، مستغفراً الله الغفور الرحيم ، فهو خير الغافرين [1] .

نفح الطيب للمقري حـ ١ ٣٤٥ - ٣٤٨

٩٩ - أبيات من الشعر ختم بها القاضي منذر بن سعيد البلوطي خطبته سالفة الذكر :

هذا المقال الذي ما عابه فند لكن صاحبه أزرى به البلد

لو كنت فيهم غريباً ما كنت مطرحاً لكنني منهم فاغتالني النكد

لولا الخلافة أبقي الله بهجتها ما كنت أبقي بأرض ما بها أحد[2]

بغية الملتمس للضبي - ٤٦٥

٨ - الحكم المستنصر بالله بن الناصر لدين الله

٣٥٠ - ٣٦٦ هـ/٩٦١ - ٩٧٦ م

أ - مشكلة الأدارسة ، حلفاء الفاطميين في مصر ، في المغرب الأقصى

١٠٠ - توقيع الحكم بترفيع مولاه غالب وجعله قائداً أعلى للجيش ، وذلك بناء على طلبه هو ، وقد وافق الحكم على هذا الطلب ، ووقع له بالموافقة على ظهر طلبه . والخطاب في التعليق موجه إلى الوزراء ، والضمير في عندكم يعود إليهم .

---

(١) ورد نص هذه الخطبة الشهيرة ، بشكل أو بآخر ، في كل من معجم الأدباء لياقوت الحموي حـ ١٩ ، ١٧٦ - ١٨٠ وحـ ٤ - ٢٣٠ والناصر لدين الله للحايك ١١٣ - ١١٤ والمسلمون في أوربا لطرخان ٢٨٧ - ٢٩٠

(٢) ذكر المقري نفسه في كتاب نفح الطيب حـ١ - ٣٥٠ نص هذه الأبيات الثلاثة بشكل فيه بعض الاختلاف عن النص أعلاه .

هذا ماتضمنه غالب لنا بلسانه ، وأبانه عندنا وبين أيدينا له ضامناً ، ثم خطه بيمينه في كتابه هذا . وقد قبلناه وأمضيناه ورضيناه وأجزناه فليلزم توقيعنا هذا ويستقر في البيت عندكم ، إن شاء الله ، ورأينا أن نوقع اسم القيادة العليا على غالب مولانا لغنائه وجميل مقامه ، فلا يخاطب من الآن إلا به تشريفاً له ، إن شاء الله . والله المستعان .

المقتبس لابن حيان ـ ٦٩

١٠١ ـ رسالة الحكم إلى عبد الرحمن بن يوسف قائد ثغر أصيلا في المغرب .

أصبح الحسن بن قنون [ويسمى أيضاً كنون] خطراً على الحكم لأنه حسني ويعمل حليفاً للمعز لدين الله الفاطمي في المغرب الأقصى ، ومن بعده حليفاً لابنه العزيز بالله ، وقد حارب جيوش الخليفة الأموي الحكم ، وانتصر في بعض المعارك ، فاقترح على عبد الرحمن بن يوسف قائد ثغر أصيلا من طرف الحكم الصلح وتبادل الرهائن ، فأرسل عبد الرحمن إلى الحكم باقتراح الثائر ، فأجابه الحكم بمايلي :

كيف يذهب الآن هذا المذهب وهو في طغيانه مستمر ، وفي دينه مستبصر . ولكم في كل أيامه محارب ؟ هذا هو الضلال ، والمحال عين المحال ، وسبب الخبال ، وقد رأى أمير المؤمنين تأمين جميع الناس لديه غيره وغير من أصر إصراره وتمادي تماديه ، إلى أن يحكم الله عليه ويفتح فيه .

دولة الإسلام في الأندلس لعنان ـ ٤٩٦

١٠٢ ـ رسالة أخرى من الحكم إلى عبد الرحمن بن يوسف قائد أصيلا يوصيه استشعار الحزم والحذر .

إن أفضل ما احتمل عليه وعمل بـه استشعار الحزم ، وادراع

التحفظ ، واستنصاح الاتهام ، وإذكاء العيون وبث الجواسيس ، والاستكثار منهم . ومن حملة الأخبار ، حتى لايخفى لحسن ـ أهلكه الله ـ حركة ، ولا يتوارى له مذهب .

دولة الإسلام في الأندلس لعنان ـ ٤٩٥

١٠٣ – وصية الحكم للوزير محمد بن قاسم بن طملس لما أرسله إلى المغرب الأقصى لما تزايد خطر الحسن بن قنون الحسني هناك ، فأرسله بجيش لحربه ، وأوصاه بمايلي :

فتقدم في توصيته :

بتقوى الله ربه ، وإيقاظ رأيه وعزمه ، واستعمال جهده وجده ، في مغاورة الفاسق حسن وإخماد ناره ، وأمره أن متى أظهره الله تعالى على طائفة من أنصاره أو المقترنين به أو غلب على أهل أرض ممن في طاعته ، أن يأخذ بالعفو ويؤثر الصفح ، ويقبل واضح العذر ، ويحسن التجاوز مذكراً حمد الله تعالى وشكره ، موجباً طاعته ، متحرياً بالعدل في سيرته ، معتقداً إعمال حسن النية في حب السلامة ، وإيثار العافية ، وإصلاح البلاد ، والاستصلاح للرعية ، وليحفظ من حق الله تعالى فيهم ماضيعوه ، فإن خير الولاة من يصلح منهم ما أفسدت من أنفسها الرعية بحفظ ما أضاعت من أمورها ، وجمع ما افترقت من شؤونها ، وأمره أن يستعين بمن دخل في طاعته ، ووفى ببيعته وعهده على من أدبر عنه . فإن إقبال المدبر بعد إدباره ، وطاعة المطيع بعد عصيانه فتّ في أعضاد أهل المعصية ، وحجة على أهل المخالفة . وأمره بإقامة كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ في أرض يغلب عليها بمشيئة الله تعالى ، ويظفر بأهلها ، ويمحو منها آثار الشيعة المارقة ، ويعلي سنة الأئمة الراشدين ، حتى ينالهم

من بركة ذلك وحلاوته وفضله ومنته مانال الجماعة من رعية أمير المؤمنين بحول الله وقوته .

المقتبس لابن حيان ٧٩ ـ ٨٠

١٠٤ ـ رسالة أرسلها إلى الحكم المستنصر بالله قواده: ابن رماحس وسعد ، وقيصر ، وعبد الرحمن بن يوسف بن أرمطيل يصفون عرضاً عرضه عليهم ابن قنون وجوابهم له :

فقد ذكروا أن الملحد حسن دعاهم إلى الدنو منه لافتتاح القول في إيقاع السلم ، والتنصل من الذنب ، والإنابة إلى الطاعة بعد الاستيثاق بالتراهن على عادة أهل الشرك مع المسلمين ، عند مثل هذه المشاهد المحصة : آبياً لنفسه (١) ، ولهم (٢) من إيتائه هذه الخطة ، وتمنعه بها وأن تؤخذ عليه أنفاق كياده التي مازال يفتحها ، ويعرفهم أنه نافذ البصيرة متأكد العزيمة ، ممرٌ المريرة في التمادي على مجاهدة الملحد ، ومجاهدة من كان معه وعلى مذهبه ، حتى يفتح الله عز وجل فيه وفيهم وهو خير الحاكمين . وأما سائر الناس من جميع القبائل المتشبين عنه ، والواقعين تحت رهبته وسيف إخافته ، ونكال رهقه ، فآمنون بأمان الله التام ، فليكن منكم إلى خاصتهم وعامتهم ، دسيس إعلام ، وتقديم تعريف باعتقاد هذا المذهب ، ومبايعة الرب تعالى عليه ، وإشاعته في جميع الناكثين من جميع القبائل ، الصاغين إلى الملحد والناشبين في حبائله ، ليكونوا على علم برأي أمير المؤمنين في استصلاح أحوالهم ، وتقبل إنابة منيبهم ، وإجارتهم من الظالم المستحل لمحارمهم ، المستهلك لنعمهم المنتهك لحرمهم . وإن أمير

(١) الضمير هنا يعود لابن رحامس .
(٢) الضمير هنا يعود للقواد الآخرين .

أمير المؤمنين غير مقلع عنه ، ولاصارف بأس عزمه دونه ، واستعانته على ذلك كله بالله تعالى ، حتى يأخذ له بناصيته ، فهو من ورائه محيط ، تعالى جده [1] .

المقتبس لابن حيان – ٩٧

١٠٥ – فصل من الكتاب الوارد ذكره سابقاً .

إن أفضل ما احتمل عليه ، وعمل به ، استشعار الحزم ، وادراع التحفظ ، واستنصاح الاتهام ، وإذكاء العيون ، وبث الجواسيس ، والاستكثار منهم ومن حملة الأخبار ، حتى لايخفى لحسن – أهلكه الله – حركة ، ولايتوارى له مذهب .

المقتبس لابن حيان – ٩٧

١٠٦ – رسالة أخرى من الحكم المستنصر الى عبد الرحمن بن يوسف بن أرمطيل حول نفس الموضوع .

أما بعد : فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك تذكر فيه ما أتاك به حمود بن محمد وحنون بن سروح ، ويحيى السراقة ، من أتباع الملحد – أهلكه الله – عند خروجك للازمة الطلائع ، على عادتك ، من استئذانهم إياك ، في القرب منك ، والمشافهة لك . وأنك أجبتهم الى ذلك وفهمت منهم ما أبلغوك من رغبته في الإنابة ، وقد ضرب الله تعالى بينه وبينها بسور من الخذلان ، قطع به دونها في حينها وأوان قبولها ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . وكيف يذهب الآن هذا المذهب ، وهو في طغيانه مستمر

---

(١) ليس واضحاً تماماً من نص الكتاب ما إذا كان هذا الكتاب قد أرسله القواد للحكم أم أن الخليفة الحكم هو الذي أرسله لهم جواباً على كتاب سابق ، وإن كان يبدو لنا من نص الكتاب أنه موجه من الخليفة إلى القواد .

وفي دينه مستبصر ، ولكم في كل أيامه محارب ؟ هذا هو الضلال ، والمحال عين المحال ، وسبب الخبال . وقد رأى أمير المؤمنين تأمين جميع الناس لديه غيره وغير من أصر إصراره وتمادى تماديه إلى أن يحكم الله عليه ويفتح فيه ، وهو خير الفاتحين لاشريك له . فلا يتعرض أحدكم لمقاولة أحد ممن يأتي معه . فانظروا في أمركم ، وجدوا في تثقيف ماله قدمتم نظراً يدل على إجتماع نفوسكم ، وتآلف بصائركم ، وتضافر أيديكم ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم والله المستعان لارب سواه .

المقتبس لابن حيان ــ ٩٨

١٠٧ ــ فصل من كتاب أرسله الخليفة الحكم المستنصر بالله إلى أحد قواده حول نفس الموضوع

... وإن الله تعالي جده أحل حسن بن فنون من المعصية له والتعطيل لحقوقه ومفارقة أولياء الطاعة محل من لا تسمع له كلمة ، ولا يوثق منه بإنابة . وأمير المؤمنين في محاكمته مستنصر ، وفي مجاهدته ومطالبته حتى يمكنه الله منه بحوله ويظفره وينصره عليه إن شاء الله .

المقتبس لابن حيان ــ ٩٨

١٠٨ ــ رسالة الحكم المستنصر بالله إلى قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس حول حسن بن قنون وذلك جواب رسالة أرسلها له عبد الرحمن

وإنه [1] احتاج إلى إحداث تنصل مختلق ، فتح له أبواباً ، وسبب فيه أسباباً ، ونهج له سبلاً ، ولو كان ما عامله به أمير المؤمنين محجوباً عن الموالاة والمشاركة والمناصحة لاحتاج إلى كشفه ، ولكنه ظاهر مكشوف ، وبين معروف ، فإنه لما استنصره على بني عمه المشاقين له أمر بمجاوبته ، معرفاً لما هو عليه من حسن

(١) الضمير هنا عائد إلى حسن بن فنون .

الرأي فيه ، والإيثار له ، والرغبة في قوام أمره ، وأن الذي رآه أن يدعو بني عمه إلى الصلح الذي رضيه الله عز وجل وندب إليه ، وأن يخاطبهم ، فإن صاروا إلى ما دعاهم إليه ، وإلا حاربهم ، فصار معه إلباً عليهم بحكم الله عز وجل ؛ فإنه يقول : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله)[1] فكان جوابه عن هذا الفصل الجامع لصلاح الدين والدنيا الذي يلزمه شكره ، أن وضع يده في بنيان طنجة ، وقد كان سلفه أقدر على ذلك ، فأمسكوا عنه تمهيداً للعواقب ، واستدفاعاً للنوائب ، واستدامة للصلاح . ثم أطلق لسانه بما لو سمعه من غيره لكان الحقيق بإنكاره ، المحل الذي أحل الله أمير المؤمنين به ، ومحافظة على ماسبق إليه من فضله ، وأسلفه من إكرامه ، فقطع القربة ، وصار إلى هذه الحال الموبقة . وصار بنو عمه إلى الانقياد والتسليم والتحكيم لما رآه ، والشكر على ماقضاه ، وضادهم هو فيما إنتحاه ، فأحفظ أمير المؤمنين ما كان منه ، وتمادى هو في جماعته بلسانه ويده ، فأقام الخطبة لمن أقامها ، مجاهراً بالمكروه ومظاهراً بالقطيمة ، وموقداً لجمر المقوق ، حتى أخرجه عن سجيته ، وذهب به عن فطرته .

والنار قد تتلظى من ناضر السلم

ثم عاد أمير المؤمنين إلى إيثار الفضل الأغلب عليه ، والحلم الذي هو أملك له ، فتأنى فيه ، وانتظر فيئته ، فركب رأسه ، واستمر في غيه .

المقتبس لابن حيان ـ ٩٩

١٠٩ ـ فصل أخر من نفس الكتاب السابق .

وأما مادعا إليه الآن من الإنابة والمراجعة والتحكيم في النفس والولد

---

(١) سورة الحجرات الآية ٩

والمال والبلد ، فكلمة حسنة لايدع أمير المؤمنين قبولها إذا صدقها فعل وحققها برهان ، احتمالاً على قول النبي ﷺ إذ أتى مكة فقال : « لاتدعوني قريش إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، وأخـذاً بالعفو الذي وصف الله به نفسه ، وأحبه من أوليائه . لكن ذلك لايكون إلا بفعلة معروفة مكشوفة ، كما كان فعله ظاهراً بقتله الجند صبراً ، وقذفهم في النار الجاحمة ، فإن كان معتقداً ماقاله ، أو منطوياً على صحة ، مؤثراً له ، راغباً في استجزال حظه من حسن رأي أمير المؤمنين ورضاه وتوطين بلده لولده ، وإن مذهبه تمحيص ما فرط ، وتكفير ما سبق ، والإصحار بموالاته وانقياده ، أخذ البيعة على أهل بلده ، وخرج مطهراً لنفسه إلى باب سدته . فإنه إذا أتى ذلك خرج مما دخل فيه ، وفاز بالقدح المعلى ، والمنزلة الكبرى عنده ، وصدر عنه لابساً ثوب كرامته وغذي نعمته التي قد عرفها ولبسها .

المقتبس لابن حيان ـ ١٠٠

١١٠ ـ رسالة الحكم المستنصر إلى صاحب البحر عبد الرحمن بن رماحس والقواد الذين معه سعد، وقيصر ، وعبد الله بن مروان يعنفهم لتقصيرهم في مسألة بنيان طنجة .

... فلو أن لهم في الاعتزام منزلة لاستبيان ذلك وهم على حركاتهم المتوانية ، ولكنهم أخذوا بالهوينا ، وأخلدوا إلى الأرض كأنهم بمفازة من إنكار أمير المؤمنين ونجوة تغييره ، فإن هذا الكتاب قد جعله إعذاراً لهم وإنذاراً ، فإن ظفر منهم وراءه بما يمحص سيئاتهم ، وإلا كان نظره من ورائهم .

المقتبس لابن حيان ـ ١٠٥

١١١ - رسالة جوابية من الحكم المستنصر إلى مولاه غالب، الذي أرسله إلى العدوة لمحاربة ابن قنون فذهب إليها، وحارب ابن قنون، وأرسل من هناك رسالة إلى الخليفة، يذكر أن عدداً من أتباع ابن قنون طلبوا الإستئمان إليه، وأنه أجابهم إلى ذلك، ويطلب منه أن يرسل له محمد بن حسين التميمي المعروف بالطبني الشاعر.

... وإن أمير المؤمنين عهد بتوجيه محمد بن حسين الطبني إليك على مارغبت فيه، فقد وقع اختيارك منه على خيار وثقة في جميع أحواله، مع نفاذ ذريته وصدق ممارسته لما يرمي إليه، واعترف أحمد بن يعلي - رحمه الله - بذلك، وشكرنا له تصحيحه ومناصحته، ولن يألوك عوناً وتزييناً، إن شاء الله.

المقتبس لابن حيان - ١٠٩

١١٢ - رسالة جوابية من الحكم المستنصر إلى القائد غالب، الذي ارسل يذكر له خبر معركة دارت بينه وبين حسن بن قنون، وكيف أنه انتصر فيها عليه وألزمه الهرب.

... يحمد مقامه ويشكر فعله، ويستثب صبره وجده، ويعرّف أن أمير المؤمنين جاد في حرب الفاسق حسن ومحاكمته إلى الله ما امتدت به حياة يحكم الله بينهما بعدله. وقد أمر بإخراج الأخوة التجيبين يوسف وهاشم وهذيل بني محمد بن هاشم، وأخوة الماصي بن حكم بني عمهم، وحميد بن قياطن، وعدة من ثقات أصحابه ومئة غلام من الرماة المماليك وطائفة من فرسان الرياضة إليه.

وإن بني خزر اللاحقين بباب سدة أمير المؤمنين لاحقون بـه إثر كتاب أمير المؤمنين، إذ رغبوا الكون معه، والتصرف بين يديه إلى أن

يلحق بنو عمهم ، إذ صاروا اليوم في بادية فاس على ماذكره رسول عبد الكريم صاحب عدوة الأندلسيين منها ، وأمر عند احتلالهم بحفظهم وتكريمهم وتلقيهم أحسن التلقي ، لشرفهم وقديم طاعتهم وتأميلهم .

المقتبس لابن حيان ـ ١٢٥

١١٣ ـ رسالة الحكم المستنصر بالله إلى مولاه غالب صحبة الوزير يحيى بن هاشم التجيبي عندما أرسله مدداً إلى غالب في العدوة المراكشية .

... وإن العهد عند الوزير القائد يحيى بن محمد مقرر بالحفوف إليك والبدار نحوك ، وأن يتصرف كيف رأيت تصريفه ، فهو مدد لك ، وعون على محاولاتك . فانظر في جميع مابين يديك ، ومن يحويه عسكرك ، نظر من أفرده أمير المؤمنين ببعثه ، وقلده مابين يديه .

المقتبس لابن حيان ١٢٩ ـ ١٣٠

١١٤ ـ رسالة جوابية من الحكم المستنصر إلى مولاه غالب ، الذي أرسل له رسالة يشكو غلاء الأسعار لديه لكثرة أفراد الجيش ، ويذكر له لجوء عدد من بني إدريس الحسينيين إليه بأعداد غفيرة .

... وقد كفاك الله الاشتغال بالتفكير في مال أو طعام ، فموادها موصولة بك ، ومتلاحقة لديك ، حتى يفتح الله في الظالم القاطع بعدله ، ولو أتى ذلك على بيوت الأموال المترعة ، وأهراء الأندلس المغتصة ، فلو لم يبق منها غير ما في الأهراء الخاصة بقرطبة ، لاحتمل إليك جميع ما فيها . كما أنه لوتقاصرت يدك ، والتوى عزمك ، وانتكأت الأحوال بك ـ ولن يفعل الله ذلك ـ لاستسهل أمير المؤمنين التحرك إلى الجزيرة ، واتخاذها وطناً مستقراً ، ولأجاز لمجاهدة الفاسق كل جندي في ديوانه

مع كل متصرف في مملكته ، غضباً لله ـ تعالى جده ـ وإنكاراً لما ركبه الملحد من انتهاك محارمه ، واستهلاك نعمه . فأقبل على مابين يديك ، إقبال من لايناجي نفسه بانصراف ، أو انحراف ، إلا بعد الظهور على عدوك بحول الله وقوته ، أو اضطراره إلى الجنوح ، والرجوع عن غيه ، والإنابة إلى رشده ، باللحاق بباب سدة أمير المؤمنين ، فهذه أقل الأحوال المرتضى بها منه ، أو نفيه عن أرضه ، وإخراجه عن جميع ذلك البلد ، بعون الله عليه وقوته . وإذا تصفحت مكانك من العبودية ومحلك من النصيحة والخدمة ، ومكانك من الخصوصية والنعمة ، والنصاب الذي نصبت فيه والمحل الذي أحلته ، والاسم الذي حملت عند عدو الإسلام ، من فرق الشرك في الحنكة والتجربة ، ومقارعة الحروب ، ومساجلة الخطوب ، والوقوع تحت وقائعها المثخنة ، والمنازلة لأقرانها المتألبة ، حتى طالت يدك على من طاولك وقرعت قناتك من قارعك ، أبت لك هذه الأحوال المتظاهرة والحقوق المتوافرة عن الرضى بغير مايرضاه أمير المؤمنين منك ، أو الانقياد لمالا يستفيد لك حسن رأيه ، أو الانصراف إلا على مالم تزل متصرفاً عليه من الظهور والعلاء بفضل الله تعالى ، المرجو لك ، والموثوق به في كفايتك ورعايتك ، فاستقبل نظرك استقبال من استشمر مذهب أمير المؤمنين ، ووطن فيه على أن لا مرجع له عنه ، إلا بما يجب ، أو يموت فيمذر .

المقتبس لابن حيان – ١٣٠

١١٥ ـ رسالة جوابية من الحكم المستنصر إلى مولاه غالب : الذي أرسل له يخبره في رسالة انتصاره على حسن بن قنون في إحدى المعارك ، وهرب حسن واحتلال غالب حصن الكرم وشحنه بالرجال .

... وليس يخفى عليك أن الشتاء بين يديك ، والبحر دونك ، وربما تعذر ركوبه ، فاجعل الطعام ذخيرتك ، وحفظه تجارتك ، فالأموال بحمد الله موفورة ، واحتمالها في كل وقت ممكن ، فمن مذهب أمير المؤمنين إخراج خازن من قبله بألف ألف دينار إلى سبتة يقرها هنالك بالقرب منك ، فيسهل كل وقت إنفاذ الحاجة منها إليك، فاسكن إلى ذلك ، واحتط في الطعام جهدك ، ووطن على الصبر نفسك ، ولا تمنها برجوع إلى بيتك حتى يقطع الله دابر الفاسقين ، ويفرق ملأ الملحدين الضالين الذين صاروا حزباً للغوي و.لباً معه على المسلمين . ولو أمكن وجوه أهل المسكن أن يقيموا أزواجاً من البقر يزدرعون بها في الأرضين المحوزة من الفاسقين بحيث لايوصلون بذلك إلى أهل البلاد ضرراً ، ولا يلحقونهم تضييقاً ، لكان ذلك من أفضل مايقع بمرافقة أمير المؤمنين ، إذ مذهبه تعمير البلد ، وتأمين أهله ، وتعريفهم ألا إقلاع له عن عرصته حتى تكون كلمة أهله واحدة ، وأيديهم مترادفة ، والدين قيماً ، والسنة متبعة بحول الله وقوته .

كذلك ضمن هذا الكتاب مارآه الخليفة من إقامة البرد قبله ، وأن يرتب في العسكر لديه وبمدينتي طنجة وأصيلا منها ، مايراه الوزير القائد كافياً بالركض بالأخبار ، لانتظام الناحية :

« فتعجل باتخاذ الدواب لها ، وتمهد إلى الخارجين بالعسكر عنه بدفع أجر خدمته لكل شهر ، وإلى الخازن بإجراء العلوفة على الدواب ، والنفقة على الفرانقين ، والخدمة إن شاء الله » .

المقتبس لابن حيان .

١١٦ ـ فقرات من رسالة جوابية أرسلها الحكم المستنصر بالله إلى عبد الكريم بن يحيى صاحب عدوة فاس ، جواب رسالة كان أرسلها إلى الخليفة الحكم يظهر فيها طاعته وولاءه له .

... وقد قبل أمير المؤمنين معاذيرك ، وأصغى اليها ، فإن يرد الله عز وجل بك خيراً في عاجلتك وآجلتك يشرح صدرك لطاعة أمير المؤمنين وموالاته ، وييسرك لما يلبسك رضاه ويقربك منه ، فإنه جامع في ذلك أحوالاً تحمد مواردها ، ومصادرها ، وإحياء ما أماتته الأيام منها وتجديد ما أخلقه المنحرفون عنها ، ورفع بأس الجور الذي قد أظل أهله وغشيهم وشملهم ، وأطبق عليهم ، وأوقعهم تحت الذل والصغار ، والتغرير بحرمهم ونعمهم ، واستهلاكها ، وانتهاكها من بين أيديهم ومن خلفهم ، وأن تكون زكواتهم التي أوجبها الله عليهم مصروفة إلى الأصناف التي وضعها الله فيهم ، فإن فقد صنف منها صرف إلى مصالحهم ، لا يستكثر بشيء من ذلك في مال الفيء فإن الله عز وجل قد وسع فيه عليه ، وبسط يده في وجوهه ، وسبله التي يذب الله بها عن بيضة المسلمين ، ويحمي حوزتهم ، ويدرأ عنهم عدوهم ، ويملأ من مغانمهم أيديهم ، حتى أخضع الله تبارك وتعالى بفضله لهم رقابهم ، وأسكنهم قواعدهم ، وكثر في عيونهم عددهم ، بروابط الخيل التي ارتبطها أمير المؤمنين في دروبهم وعلى أيديهم ، وجيوشه المصروفة إليهم ، إذ ليس اليوم في جميع الأندلس من مشارقها إلى مغاربها باسط يداً ، رافع رأساً إلا تحت الرغبة والرهبة من الله تعالى عليه وعليهم ، فله الحمد كثيراً ، كما هو أهله ، إلى أن قام حسن بن قاسم الظالم لنفسه ، الحاطب على ظهره ، فاتح باب الفتنة بخساره ، الكاسر أقفلها باختياره ، والمستوقد لنارها ، لحين أطفأها تعالى وأخمدها ، لغير ضرورة حافزة له من تلقاء أمير المؤمنين ، ولا مكروه ناله بل قابل الحسنة بالسيئة ، وكافأ الصلة بالقطيعة .

في كلام كثير انقطعت عليه الرسالة .

المقتبس لابن حيان ١٢٦ - ١٢٧

١١٧ ـ نص بيعة عبد الكريم بن يحيى صاحب عدوة الأندلسيين للحكم بعد أن هزم واستسلم وأعان ولاءه وبايع الحكم حسب مايلي ، وكان ذلك سنة ٣٦٣ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم . كتاب بيعة عبد الكريم بن يحيى ، وجماعة الأندلسيين بني عمه ، من أهل حاضرة فاس كتبوه وثيقة ، وحجة على أنفسهم ، وأشهدوا الله وملائكته ، وأنبياءه ، ورسله ، وأولي العلم من خلقه ، ومن حضر من جماعة المسلمين أنهم بايعوا الله عز وجل ، والإمام العدل الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين ، وألزموا أنفسهم طاعته ، ليوالوا من والاه ، ويعادوا من عاداه ، وينصروا من نصره ، ولا يلبسوا ولا يدلسوا ولا يوالوا أحدا سواه ، ألزموا ذلك أنفسهم بالأيمان المؤكدة اللازمة لهم ، وفي أعناقهم عهد الله المؤكد اللازم لهم ، والمشي إلى مكة وعليهم صدقة أموالهم للمساكين ، وبالله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب المهلك المدرك ، الرحمن الرحيم ، أنهم لبرءاء من الشيعة وأهلها ، وأن يواقوهم ، ولا يراسلوهم سراً ولا إعلاناً ، تقاربوا منهم أو تباعدوا عنهم ، وأنهم مستمسكون بالطاعة العاصمة من الزيغ ، والخلافة المكرمة ، القائمة بالحق ، التي وطد الله مبناها ، وشرفها وعظمها ، على من سواها ، وأشهدوا الله ، وملائكته ، ورسله ، وأهل العلم من خلقه ، على ماألزموه أنفسهم من القيام بالطاعة ، والعمل بفروضها ، ومسنونها ، وأوجبوا ذلك على أنفسهم كوجوب مالزمهم من فروض دينهم ، إذ لا تتم دياناتهم إلا بالتصحيح لإمامهم واتباع أمره والوقوف عند نهيه ، فعند أدائهم الطاعة يسلم لهم دينهم ، ودنياهم ، وآخرتهم ، وأولاهم . ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بماعاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً . وتاريخه

عقب رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وذلك بمحضر من علماء البلد وفقهائه وأهل الفضل منهم الذين ألزموا أنفسهم الطاعة ، والتزموا الأيمان المؤكدة ، وذلك في صحة من عقولهم ، وأبدانهم ، وكفى بالله شهيداً.

وحط في أسفله خمسة وثلاثون أسماؤهم.

المقتبس لابن حيان ١٧٤ - ١٧٥

١١٨ - عهد الحكم المستنصر بالله إلى أبي العيش بن أيوب زعيم قومه من كتامة ، وهم فرقة لجأت إلى الحكم ، وتركت الفاطميين ؟

فمهد إليه الحكم بالرئاسة على قومه الذين عاهدوه على طاعة الحكم وعددهم ٣٥٠٠ فارس و ٦٤٠٠ راجل . والسجل من إنشاء الوزير الكاتب صاحب المواريث - جعفر بن عثمان بسم الله الرحمن الرحيم : كتاب من عبد الله الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين لأبي العيش بن أيوب ، إنه ولاه النظر في قبيلة أطانة مهران من كتامة مؤثراً له ، ومظهراً لحسن رأيه فيه ، وثقته به فيما فوضه إليه ، للذي أحبه من استصلاحه ، واستصلاح أحواله وأحوالهم ، وصلة أسبابهم ، وتمهيد أمورهم ؛ وأمره بتقوى الله العظيم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، والتزام طاعته ، وطاعة خليفته التي افترضها عليه ، مستشعراً لها ، مخلصاً فيها ، محافظاً عليها ، معتقداً للقيام بوظائفها وشروطها ، والوقوف عند حدوده والانتهاء إلى عهوده ، والتصرف معها كيف تصرفت به ووافقت محبوبه أو خلافه ، عالماً بماله في في ذلك من خير العاجلة والآجلة ، وأن يعطي صفقة أيمانه بين يدي الوزير القائد الأعلى ، غالب - مولى أمير المؤمنين على الوفاء بما التزمه من الطاعة والنصيحة ، وأن يأخذ على ذلك أيمان وجوه القبائل المصروفة إليه وعلى مسالمة من سالمه ، ومحاربة من حاربه ، دنوا منه أو بعدوا عنه .

وأمره أن يحتمل في أحكامه على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وسنة محمد ﷺ المرسل بها ، وأن يأخذ أخذ نفسه بمراعاتها والاهتداء بها ، فإنها مفتاح جنته ، والنور الذي لا يضل من استضاء به ، ولا يستبهم باب من أبواب الصواب عليه ، وأن يقف عندما أمره به من استصلاح أحوالهم ، والعفاف عن أموالهم ، واستعمال العدل فيهم ، والأخذ لهم ، ومنهم وعليهم ، والتسوية فيه بين شريفهم ومشروفهم وقويهم وضعيفهم ، وفتح بابه ، ورفع حجابه ، ومباشرة أموره بنفسه ، وحملهم على واضح الديانة ، ومناهجها المستقيمة ، وماعقده منها الكتاب والسنة ، ومراعاة الصلاة لأوقاتها وإقامتها على كمالها بحدودها ، والأذان لها على حسب ما كان في عهد رسول الله ﷺ والراشدين من بعده وماعليه جماعة المسلمين فيه ، والافطار عند رؤية الهلال كما أمر به رسول الله ﷺ فإنه قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يوماً » وأن يأخذ زكواتهم من الحبوب المرفوعة عندهم ، والثمرات الموجودة بأرضهم ، وصدقات مواشيهم على حدودها وشرائعها ، غير مقصر عنها ، ولا متجاوز لها ، ولا مبدل لشيء منها ، وذلك من الذهب والفضة ، ربع العشر إذا كان المال حاصلاً بيد المزكي وغير خارج عنه في دين أو تجارة . وليس فيما دون عشرين مثقالاً زكاة والزكاة كلها في كل عام مرة ، وزكاة الإبل في كل خمس شاة ، وليس فيما دون هذا زكاة ، إلى أن تبلغ إلى عشر ففيها شاتان ، فإذا انتهت إلى خمس عشرة ففيها ثلاث شياه ، وإذا انتهت إلى عشرين ففيها أربع شياه إلى أربع وعشرين ، فإذا بلغت خمساً وعشرين ، ففيها بنت مخاض ، فإن لم توجد فابن لبون ذكر ، إلى خمس وثلاثين ، فإذا كانت ستاً وثلاثين ففيها ابنة لبون إلى خمس وأربعين ، فإذا كانت ستاً وأربعين ، ففيها

حقة إلى ستين ، فإذا كانت إحدى وستين ففيها جذعه إلى خمس وسبعين فإذا كانت ستاً وسبعين ، ففيها ابنتا لبون إلى تسعين ، فإذا كانت إحدى وتسعين ففيها حقتان ، فإذا كانت مئة وعشرين فما زاد ففي كل أربعين ، ابنة لبون ، وفي كل خمسين حقة . وفي كل أربعين من الغنم شاة ، وليس فيا دون هذا العدد صدقة إلى مائة وعشرين، فإذا زادت... (1) ، وإذا زادت على هذا العدد ففي كل مائة شاة .

وإذا بلغت البقر ثلاثين ، ففيها تبيع ذكر ، وليس فيا دون هذا العدد زكاة ، إلى أن تبلغ أربعين ، ففيها مسنة ، فإذا زادت على ذلك ففي كل ثلاثين تبيع ، وفي كل أربعين مسنة ، ولا يجمع بين مفترق ، ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة ، وذلك أن يكون لثلاثة رجال مئة وعشرون شاة لكل واحد أربعون تلزمه عنها شاة واحدة ، وأن يكون لرجلين مائتا شاة وشاة يجب عليها فيها ثلاثة شياه ، فإذا أظلهم المصدق فرقاها ، فلم يكن على كل واحد منها إلا شاة .

والمأخوذ في الصدقة الثني والجذع ولاتؤخذ الربى ، وهي التي قد وضعت ، ولا الأكوله ، ولا فحل الغنم . وأن تؤخذ الزكاة من جميع الحبوب المدخرة ، وليس فيا دون خمسة أوسق زكاة ، والوسق ستون صاعاً ، والصاع أربعة أمداد بمدّ النبي ﷺ ، فإن زاد العدد على هذا كانت الزكاة فيه العشر إذا سقته السماء والعيون ، وإن كان بعلاً أو سقي بالنواضح ففيه نصف العشر ، ولازكاة في تين ولاجوز ولا لوز ، ولافي الفواكه كلها ، رطبها ويابسها ، وتخرج زكاة النخيل والأعناب ، وتخرج

---

(1) بياض بالأصل ، وقد زاد المحقق في أسفل الصفحة الزيادة التالية :
فشاتان إلى مئتين ، فإن زادت واحدة على المائتين ففيها ثلاث شياه إلى ثلاثمائة .

زكاة الزيتون من زيته إذا عصر ، ولازكاة على أهل الذمة : رجالهم ونسائهم ، ولا في شيء من أموالهم ، ولامواشيهم ، إنما عليهم أداء الجزية وإن ضربوا من بلد إلى بلد فعليهم العشر بعد أن يبيعوا . وعليه أن يعدل في قبض الزكاة ، وتوزيعها على الثمانية أصناف الذين سماهم الله ، فإن لم يجد في بلاده جميعهم عادت حصص المفقودين منهم إلى أولياء الحق ، الذين يجاهدون الكفار والملحدين ، على مايراه قواد أمير المؤمنين المتصرفين [1] بالمغرب ، وألا يستأثر منها بغير الثمن الذي أوجبه الله للعاملين عليها ، غير متزيد ، ولامتجاوز له ، ولا يبق في شيء ، من البلد المصروف إليه مرصداً يأخذ فيه من مجتاز أو عابر سبيل شيئاً . ولا يتعرض لهم في إتاوة ولاقبالة ، ولامغرم من المغارم ، ولارسم من رسوم المآكل ، ولا ظلامة ولاكلفة يعود أثقلها على أموالهم في بره وبحره .

وأمر أن يعرف للمؤلفة قلوبهم وأهل الطاعة السابقين لهم حقوقهم ، ويقرب منازلهم ، وأن يقمع أهل العداء والظلم وقاطع السبل حتى تأمن طرق المسلمين بأرضه فلا تهتك حرمة ، ولاتستهلك نعمة، ولا يبطل حل، ولا يعطل حد حتى تكون الأمة سواء في عدل أمير المؤمنين وفضله ، وينال المقيم والظاعن بركة عهده ، وأن يلتزم إنهاء الأخبار على وجهها ، واستطلاع الرأي فيما أظله منها مما لم يقع في عهده هذا فيأتي ما أتاه منها على بيان وهداية إن شاء الله ويستشعر الحزم والعزم والمناصحة ، والاجتهاد في جهاد المارقين من سلطانه والفاسقين عن طاعته . فمن قرأ عهد أمير المؤمنين هـــذا من أهل قبيلة أطانة ، أو قرىء عليه فليسمع لأبي العيش بن أيوب ، وليطع فإنه حجة له ولسامعيه إذا عملوا بما فيه ، وحجة له عليهم إذا خالفوه ، والله المستعان لارب غيره .

المقتبس لابن حيان ١١١ -١١٤

---

(١) هكذا وردت في الأصل والصواب المتصرفون .

١١٩ ـ الكتاب الذي وجهه الحكم المستنصر بالله الأموي إلى الآفاق وإلى جميع عماله وولاته وكتابه يخبرهم بحربه في المغرب الأقصى، وظفره على الحسين بن قنون واستنزاله إياه من حصونه

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله المحيط الذي لايحاط به، والظاهر الذي لايظهر عليه، الواحد الذي لا يكاثر، والقادر الذي لا يقادر، مقدر الأقدار ومصرف الأعصار، ومكور الليل على النهار، المتعالي عن العيان والممكن بكل مكان، والموصوف بما علمنا من صفاته، المعروف بما أرانا من آياته، المعين على طاعته بقدرته، الميسر لموجبات جنته ورحمته، الذي انطلق كل شيء خلقه برحمته، وألزمه الدليل على الافتقار إليه، وأوقعهم تحت مهانة الفناء، قبل خلقه لهم، ولم يجعل لأحد منهم أجلاً معروفاً ليسكن إليه، ولا أمداً مكشوفاً يطمئن إليه، بل أبقاه على شك من كرة لحظ أو ردة نفس. وأرسلهم بين أمد ممدود وأجل محدود، حتى ـ إذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ والحمد لله الذي اصطفى من عباده صفوة، اختصهم بكرامته، وأعزهم بفضيلة نبوته. وجعلهم وسائط بينه وبين عباده، فأيدهم بالسلطان والبرهان وعضدهم بالآيات البينات، والشواهد المعجزات، وبعثهم مبشرين ومنذرين مرغبين في ثوابه، محذرين من عقابه، يتلو بعضهم بعضاً من كل جيل وعلى كل زمان. ثم ختمهم بأكرمهم عنده مكاناً، وأرفعهم لديه منزلة محمد ﷺ أرسله إلى الناس كافة، بدين الإسلام الذي نسخ الأديان، ونهج به مناهج الإيمان: وأيده بالقرآن، والحجة القاطعة والبرهان، فدعاهم إليه تبارك وتعالى ودلهم عليه. وشرع لهم شرائع طاعته، وأوضح لهم الأعمال الموجبة لجنته وأفصح عن الحلال والحرام، والمفروض والمسنون وأراهم الصراط المستقيم وهداهم السبيل المستبين، وأنبأهم أن الاسلام دين أصفيائه، وملة أنبيائه

وأوليائه ؛ الذي كرم الله دعوته ، وأفلج حجته ، وأعلى منزلته ، وجعل كلمة حزبه العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وأظهر فضله لقوله تبارك وتعالى : (إنَّ الدينَ عِنْدَ الله الاسلامَ)[1] وقوله : (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[2] . وقوله : (إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)[3] فجاهد ﷺ حق جهاده من رغب عنه ، أو أبى منه ، أو فارق جادته ، أو أخرج رأسه من ربقته حتى أبان الله عز وجل فضله وكثر عدد أهله ، ودخل الناس أفواجاً فيه ولزمت به الحجة ، وارتفعت عنه الشبهة ، وقامت به المعذرة ، وتمت نعمة الله على من اعتقده وأرشده ، ووفقه وسدده ، وجعل له نوراً بين يديه ، ومن خلفه . ثم رفعه الله تبارك وتعالى إليه عزيزاً عليه ، مكرماً عنده أثيراً عليه ، وجعله الشهيد على جميع العالمين ، وأفرده بالشفاعة يوم الدين ، إكراماً له ومن آمن به ، ﷺ وعلى جميع المرسلين وعلى آله الطيبين ، وسلام عليه وعليهم في العالمين . والحمد لله الذي اصطفى من عترته ، وانتخب من دوحته خلائف في أمته حملة لسنته ، وحفظة على شريعته ، رعاة لخلقه ، قومة بعقوده وجعلهم خلفاء على عباده ، ذادة عن حزبه ، علماً بهم ، وتكريماً لهم ، وتزكية لبصائرهم ، وتنبيهاً على فضل سرائرهم ، فقاموا بحقه عليهم ، ولم يرضوا من أحد بغير مارضيه الله لهم ، ولا أغمضوا على داخلة أدخلها مارق ، ولا شبهة قام بها فاسق ، ويتعاقبون ذلك بينهم ، ويورثه سالفهم خالفهم ، حتى أورث الله تعالى مقالهم ، وارث شرف أنسابهم ، وحائز كرم أحسابهم ، والمهتدي بهديهم ، والمتحمل على سننهم ، والسائر سيرتهم ، والرافع لعلم مناقبهم ، أمير

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩

(٢) سورة آل عمران الآية ٨٥

(٣) سورة البقرة الآية ١٣٢

المؤمنين بجميل نظره فيما قلده الله من رعاية خلقه ، فأعمل ذلك جهده وصبره وكده ، حتى عاد الدين غضاً على حاله في عهدهم ، واجتمع الناس على أوضحه منهاجاً وأعدله طريقة ، وأهداه سبيلاً ، وصاروا على الحق أعـــواناً ، وفي تعاطيه بينهم إخواناً ، واطمأنت بهم قواعد الإيمان ، واعتدلت بعدله عليهم صروف الزمان . فالصلاح شامل ، والخير شائع ، والسبل مبسوطة ، ودروب المسلمين محصنة ، وأطرافهم مثقفة ، وعدو الاسلام مقموع ، وأيدي المسلمين عليهم غالبة ، فضلاً من الله ونعمة ، والله ذو الفضل العظيم . ولما كف أمير المؤمنين غرب المشركين ، ودفع بأسهم ، وأوقعهم تحت الخشية والذلة ، والخشوع له والاذعان إليه ، صارت أوامره ونواهيه نافذة عندهم ، وماضية لديهم ، عاد بشرف نفسه ، وعلو همته ، وتمكن رغبته ، في رعايته المسلمين ، حيث كانوا وحمـــايتهم ، وتحصين شرائعهم ، وجهاد المتطاولين إلى تبديلها ، ونقض ما أحكمه الكتاب والسنة منها ، من أرباب البدع ، وغواة التشيع ، وأئمة الإلحاد المارقين عن الدين ، إخوان الشياطين ، فكان أول جانب من نواحيهم رد إليه نظره ، ووكل به همته ، جانب المغرب لقربه منه ، وانكشاف ما كان يركبه أهله به من سومهم تبديـــل دينهم ، والدخول بينهم ، وبين ربهم وإخراجهم عن سنة نبيهم ﷺ ، وما أمضاه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم من أحكامهم على سبيل إجماع أسلافهم وما ينالونهم في التوقف عن ذلك من انتهاك حـــرماتهم ، واستحلال محارمهم ، إذ لم يسعه الإمساك عن تلافيهم ، وانتشالهم عن أيدي المردة الظلمة لهم . وقد بسط الله يده ومكن له في أرضه ، وأعز من سلطانه ، وكثر عدده ، وقامت حجته عن وجهه عليه بما آتاه الله من فضله وأحضره إياه من توفيقه وإرشاده ، واستهلاله لكل جليلة في ابتغاء مصلحة من مصالح المسلمين ، يكرمه بعاجلها ، ويدخر له خير آجلها ، ويثبت قدمه في السعي لها ، ويؤتي أعوانه وأصحابه في كل ذلك عزماً نافذاً ، ورأياً ثاقباً

ونية لا تدخلها فترة ، ولا تعتريها سآمة ، فأيـــد الله تعالى جنده ، ونصره وأعلاه ، وأظفره بمن قد كان جاهره بمعصية وأعلن بمخالفته وتجانف عن طاعته ، وأخذ له بناصيته ، وأوقعها تحت رغبته ورهبته ، حتى استوثقت الطاعة في جميع بلاد المغرب ، وقامت الدعوة بمنابر قواعده ، وارتفعت الخطباء عليها بما يجب من تعظيم الله عز وجل وتحميده وتمجيده، والثناء على رسوله ﷺ ، وأجبلة ذلك بالدعاء لأمير المؤمنين وجماعة المسلمين .

ولما أن عاد الوزير القائد غالب مولى أمير المؤمنين إلى البصرة للذي كان بلغه من تحرك الفاسق ابن الفاسق بلقين بن زيري إلى جانب تاهرت واستقر بها عاملاً على التقدم إليه ، حاول الحركة إلى الجانب الذي يليه كر عدو الله راجعاً ، وعادعلى عقبه ناكصاً ،قد ملأ قلبه ذعراً ، وجوانحه فرقاً، عهد أمير المؤمنين إليه أن لا يتقدم عن مكانه إشفاقاً من معرة الجيوش على من يليه من أولياء الطاعة إلى جانب فاس وما يليها ، وأن يذهب بالكثير من معايشهم وأقواتهم ، إذ كانت زروعهم غير مستحصدة ولا متمكنة ، فأتاه وجوه من رجال فاس وذلك المغرب كله ، ووجه إليه عبد الكريم بن يحيى ومحمد بن حسن صاحبا عدوتي فاس رهائنهما ، ووجه علي بن خلوف المتيلي بابنه ورهـــائنه أيضاً وتوالى عنده رسل بني أبي العافية سائلين موالاتهم من عز سلطانه ، ورفع عنهم من بأس الفرقـــة الضالة المضلة التي كان أطبق عليهم وأحاط بهم مستظهرين بذلك على خالص معتقدهم وتمكن طاعتهم والتزامهم إياها مخلصين وإجابتهم إياها مهطعين ، وإحراقهم منابر الضالين المعمورة بما لا يرضي الله تعالى جده ولا رسوله ﷺ ، وامتثالهم مذهب الجماعـــة في صلواتهم وأذانهم وسننهم وأحكامهم ، وضربهم السكك باسمه وعلى عياره ، فتمت بذلك نعمة الله تعالى على أمير المؤمنين وعليهم به ، واستلت طاعته أضغانهم ، وألفت بين قلوبهم ، وتضافرت على المخالفين أيديهم ، والحمد لله رب العالمين .

وأمير المؤمنين يأمرك أن تقرأ كتابه هذا على منابر عملك ، تسر المسلمين

بما تضمنه، ويحمدوا الله عليه إن شاء الله، وهو المستعان، وكتب في صدر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.

المقتبس لابن حيان ١٧٨ - ١٨٢

ب - شؤون داخلية

١٢٠ - مرسوم أصدره عقبة بن الحجاج السلولي يجعل مهدي بن مسلم قاضياً في قرطبة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد به عقبة بن الحجاج إلى مهدي ابن مسلم حين ولاه القضاء، عهد إليه بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع مرضاته، في سراره وعلانيته، مراقباً له مستشعراً لخشية الله، معتصماً بحبله المتين، وعروته الوثقى، موفياً بعهده، متوكلاً عليه، واثقاً به، متقياً منه: فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وأمره أن يتخذ كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ إماماً يهتدي بنورهما وعلماً يعشو إليهما، وسراجاً يستضيء بهما، فإن فيهما هدى من كل ضلالة وكشفاً لكل جهالة، وتفصيلاً لكل مشكل، وإبانة لكل شبهة، وبرهاناً ساطعاً، ودليلاً شافياً، ومناراً عالياً، وشفاء لما في القلوب، وهدى ورحمة للمؤمنين.

وأمره أن يعلم أنه لم يختره لمصالح العباد والبلاد وتولية القضاء الذي رفع الله قدره، وأعلى ذكره، وشرف أمره، إلا لفضل القضاء عند الله جل جلاله، لما فيه من حياة الدين، وإقامة حدود المسلمين، وإجراء

---

(١) ليس واضحاً تاريخ هذا المرسوم ولكن يظن أنه في عهد أحد خليفتين إما الناصر أو ابنه الحكم.

الحدود على مجاريها على من وجبت عليه ، وإعطاء الحقوق من وجبت له ولما رجا عنده فيما يمضيه ويتقدم فيه ويحكم به من إيثار حق الله عز وجل وطلب الزلفى لديه والقربى إليـــه ، وأن يحـاسب نفسه في يومـه وغده فيما تقلد من الأمانة الثقيل حملهـا ، البـاهظ عبؤهـا ، فإنـــه محاسب وموعد .

وأمره أن يواسي بين الخصوم بنظره ، واستفهامه ، ولطفه ، ولحظه واستماعه ، وأن يفهم من كل أحد حجته ومايدلي به ، ويستأني بكل عي اللسان ناقص البيان ، فإن استقصاء الحجة مايكون به لحق الله تعـالى عليه قاضياً ، وللواجب فيه راغباً ، فقد يكون بعض الخصـوم ألحـن بحجته ، وأبلغ في منطقه ، وأسرع في بلوغ المطلب ، وألطف حيلة في المذهب ، وأذكى ذكاء ، وأحضر جواباً من بعض ، وإن كان غير الصواب مرماه وخلاف الحق منهاه ، فإن لم يتعاهد القاضي مثل هذا ، ويجعله من القربات إلى الله عز وجل بالتحفظ والتيقظ والاسترابة والاحتراس من أهل الخب واللد والعناد والتلبس بشهادات الزور وتحيف الحقوق أهلك القوي الضعيف ، واقتطع حقه ، وغلب عليه . وفي تقدم القاضي في النظر في ذلك ، والمراعاة له ، واحتساب ثواب الله فيه إثبات الحق ... الباطل : إن الباطل كان زهوقاً .

وأمره أن يكون وزرائه وأهل مشورته والمعينون له على أمر دنياه وآخرته أهل العلم والفقه والدين والأمانة من قبله ، وأن يكاتب من كان في مثل هذه الحال المرضية ممن في غير ناحيته ، ويقابل آراء بعضهـم ببعض ، ويجهد نفسه في إصابة الحق ، فإن الله جل ثنـاؤه يقول في كتابـه الناطق على لسان نبيه الصادق محمد عليه السلام : وشاورهم في

الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله (١) . وأن يكون حجابه وأعوانه ممن يستظهر بـه على ما هو لسبيله أهل الطهارة والعفاف ، والطلب لأنفسهم والبعد عن الدنس ، فإن أفعالهم منسوبة إليه ، ومنوطة لديه ، فإذا أصلح ذلك لم يلحقه عيب ، ولم يعلق به ريب إن شاء الله .

وأمره أن يديم الجلوس والقعود لمن استرعاه الله أمره ، وقلده شأنه وأسند الحكم له وعليه ، ويقل السآمة منهم ، والتبرم بهم ، ويصرف إليهم قلبه ، وذهنه ، وشغله ، وفكره ، وفهمه ، ولسانه ، بما يوسعهم به عدلاً ، وإنصافاً ، وإصلاحاً ، واستصلاحاً ، فإن في ذلك قوة لمنبتهم ، وإحياء لتأميلهم ، وتحقيقاً لجميل ظنونهم ، وثقة منهم بورعه ونزاهته وطيب طعمته ، فإن فيهم الضعيف عن التودد ، والزمن الثقيل . وعليه في كل وقت التعهد ووهناً لأهل التلدد والفجور والتقحم في ملتبسات الأمور ، وأن يكون قعوده لهم وتصرفه في النظر بينهم بنشاط وقلة فتور ، ليكون ذلك أقوى له وأتقن لما يحكمه ويبرمه من سياستهم وتدبيرهم إن شاء الله .

وأمره أن يسمع من الشهود شهاداتهم على حقها وصدقها ، ويستقصيها حتى لا يبقي شيء منها ، ومن المزكين تزكيتهم ، ويكثر البحث والفحص عن أمورهم أجمعين ، ويسأل عنهم أهل الصلاح والدين والأمانة والثقة والدعة ممن يعرفهم ، ويبطن أحوالهم ، ولا يعجل بإمضاء حكم حتى يستقصي حجج الخصوم وبيناتهم ومزكيهم ، ويضرب لهم الآجال ، ويوسع فيها عليهم ، حتى تنجلي له حقائق أمورهم ، وتنكشف له أغطيتها ، فإذا أتى عليها علماً ، وأيقنها إيقاناً ، لم يؤخر الحكم بعد اتضاحه وظهوره وثبوته عنده وعند من يشاوره من فقهائه .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩

وأمره أن يطالع بكتبه في الحوادث التي يحتاج فيها إلى المؤامرات فيما أشكل عليه ، واستغلق له ، واحتاج إليه في النوازل : إبراهيم بن حرب القاضي ، ليرد عليه منه مايعمل به وتمثيله ، ويقتصر عليه ويصير إليه ، لتكون موارد أموره ، ومصادرها ، ومبتدأ فواتحها بالتسديد ، مقرونة خواتمها بالتأييد ، إن شاء الله .

هذا عهدي إليك ، وأمري إياك ، وإسنادي إليك ما أسنده ، وتفويضي إليك مافوضت ، فإن تعمل به مؤثراً رضا الله وطاعته ، قائماً بالحسبة ، مؤدياً حق الأمانة ، يكن حجة بين يديك وظهيراً لك ، وإن لم تعمل به يكن حجة عليك . وإذن أسال الله أن يمينك ويقويك ويرشدك ويوفقك ويسددك ، إنه خير موفق ومعين ، وصلى الله على محمد .

قضاة قرطبة للخشني ٩-١١

١٢١ - رسالة جوابية من الحكم المستنصر بالله الخليفة الأموي إلى وزيره جعفر بن عثمان الذي مرض مرضاً شديداً أشفى منه على الموت ، فأرسل إلى الخليفة كتاباً يسأله أن يخلفه في أهله . وقد أجابه الخليفة بما يلي ، علماً أن الوزير شفي من مرضه بعد فترة ، وكان ذلك سنة ٣٦١ هـ .

قرأنا كتابك بما ذكرت من اشتداد حالك ، ووقع يأسك ، وارتفاع رجائك فنظم علينا ذلك ، وكثر غمنا به وأشفقنا منه ، ونرجوا أن يأتي الله بخير ويعقب بعافية . فإن كان ما لا بد من كونه قريباً أو بعيداً ، أو تخطانا ، فكل ما سألت ورغبت في نفسك وأهلك ومن تتخلف فعلى أفضل الذي رغبته وأردته وأملته ورجوته ، فما أعلم رزية أعظم من رزيتك لدينا ، ولما بلوناه من شكرك ومجهود حرمتك ومحمود صحبتك ، وإنا لم يرد علينا من قبلك وناحيتك قط ما أغمنا ولا ما أنكرنا ، ولا سوءتنا قط بشيء ظاهراً ولا باطناً

فإن تكن المصيبة فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وإن تكن العافية فالحمد لله رب العالمين على جديـــد أفضاله ، وجميل بلائه ، وعلى كل أحواله . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

١٢٢ – نداء أمر قاضي قرطبة زمن الخليفة الحكم المستنصر بالله ان ينادى به بعد صلاة الجمعة من عام ٣٦٣ ه يحث الناس على أداء زكواتهم وإخراجها للفقراء .

أمـر القاضي محمد بن إسحاق بن السليم أن ينادى بالناس عند أبواب المسجد الجامع في قرطبة بما يلي :

أيها الناس – رحمكم الله – يقول لكم القاضي – وفقه الله – إنه ليس بغائب عنكم ما فيه ضعفاؤكم ومساكينكم من الفاقة والحاجة ، فحصلوا زكاة أموالكم ، وكفارة أيمانكم ، ووصايا أمواتكم ، وعجلوا بها على فقرائكم ومحاويجكم ولا تناسوهم ، فهم غداً خصماؤكم عند الله ربكم ، وهو شهيد عليكم لارب غيره .

المقتبس لابن حيان – ١٤٩

١٢٣ – مرسوم أصدره الحكم المستنصر بالله الأموي بإسقاط سدس مغرم الحشد سنة ٣٦٤ ه .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن أمير المؤمنين لم يزل منذ اصطفاه الله تعالى لخلافته ، وارتضاه لحمل أمانته ، وقلده أعباء بريته، ناظراً لجميع المسلمين محامياً عنهم ، مهتبلاً بأمورهم متعاهداً لأحوالهم ساعياً فيما يرفه عنهم، ويرغد عيشهم ويرضي لهم، ويصل حبل جماعتهم ويبسط العدل والأمن فيهم، تهون عليه في ذلك رغائب الأموال ونفيسات الذخائر وجلائل الأعلاق، فيما يعود عليهم ، ويرفع عنهم، ويرعاهم بعين عن مصالحهم غير نائمة، وجوانح على النصيحة لهم منطوية ، ونفس قد حشاها

الله عليهم رأفة وملأها رحمة ، لا يشغله دانيهم عن قاصيهم ، ولا حاضرهم عن باديهم ، ولا يلهيه ما بسط له من ملكه وعز سلطانه وعلو أمره ، وتمكين الله ـ تبارك وتعالى ـ له عن العناية بعلم حق يرفعه ، وتوهين باطل يضعه ، وبحكم عدل ينفذه ، وتخفيف مغرم يرجو ثوابه ، فكان أول ما استقبل به نعمة الله في استخلافه إياه وإكرامه له بصرف أمر الأمـة إليه ، أن أسقط من الجبايات المستقرة على الرعية أعداداً عيَّ ذوي الادراك عن حصرها ، وشع في العالمين ذكرها ، وأبقى الله عز وجل له فخرها وأجرها ، مما لم تكن الخلفاء ـ رضي الله عنهم ـ مع عظيم فضائلهم وجليل مآثرهم لتسخو ولا تطيب نفسها عنه ، فهانت عليه في التزلف إلى ربه ، واحتقرها في استصلاح رعيته ، ثم لم يكتف بذلك ولا أقنعه ، حتى وضع عن الرعية بعد قليل مثله وشفعه بشبهه ، باذلاً له بنفس متسعة لفعل الخير ، وباع رحيب بيسط الفضل وهمة أكبر من الدنيا ويقارض ربه فيحسن مقارضته ، ويتاجره فتربح تجارته فكلما جدد الله تعالى له صنعاً زاد في ملكه تمكيناً ، وعلى أعدائـه ظهوراً إزداد لله خشوعاً ، وبنعمته اعترافاً ، ولفضله عليه شكراً ، وإلى من قلده أمره إحساناً . وأن أمير المؤمنين ، لما تظاهرت آلاء الله تعالى عليه ، وحسن بلائه عنده ، رأى أن يجدد له الشكر ، ويمتري فيه المزيد بإسقاط سدس جميع معزم الحشود الواجب تقاضيها منهم لسنة أربع وستين وثلاث مئـة تخفيفاً ، عن رعيته وإحساناً إلى أهل مملكته ، وعهد أن يكون هـذا الاسم المسقط مكشوفاً لجميع الرعايا ليبعد عن احتيال العمال ويسوغ الرعية النعمة به ، ويستوي في معرفته العالم والجاهل ، واليقظ والذاهل . فإذا ورد عليك كتاب أمير المؤمنين هذا فاحتفل في إنذار الناس بأقطار عملك ، ولا يتخلفن منهم إلا من عذر أحد عنك ، وأمر بقراءتـه عليهم إثر صلاة الجمعة ليفهمه قاصيهم ودانيهم . ويحمد الله عز وجل على ما وهب لهم من رأفـة خليفتهم

وكريم نظر إمامهم لكافتهم ، فيستدرون عونه بالشكر ، ويستلهمونه العون على القيام بحقه ، وأداء مفروض طاعته والنصيحة له ، فإنه يستجيب للداعين ويزيد الشاكرين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، إن شاء الله ، وهو المستعان .

المقتبس لابن حيان ٢٠٧ - ٢٠٨

١٢٤ - رسالة أرسلها الخليفة الحكم المستنصر بالله الأموي إلى أصبغ ابن محمد بن فطيس يوليه نصف كورة رية

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإنما تستدام النعمة بشكرها ، وتعرف النصيحة باستعمالها ، وبالنصيحة تتفاوت منازل العبيد لدى ساداتها وقد رأى أمير المؤمنين فيك رأياً عظمت به عليك النعمة ، فاسع للمحافظة عليها بمقدار عقلك وكفايتك ، أو بحسب نقصك وتقصيرك ، فاستعن بالله وخذ بالرفق في أمرك ، وقلة الرغبة في شأنك ، واجتنب التحامل على رعيتك ، فإنها من حفي عناية أمير المؤمنين بموضع لايترك معه البحث عن أحوالها والكشف عن سيرتك فيها إن شاء الله . ورأى تقليدك شطر كورة رية ، وهي من أهم كور الأندلس عليه ، براً وبحراً ، وجباياتها وضياعها . فانظر أي خادم تكون ، وشاكراً للنعمة تظهر ، إن شاء الله تعالى .

المقتبس لابن حيان ٧٧ - ٧٨

٣ - علاقات خارجية -

١٢٥ - محاورة بين الحكم المستنصر بالله الأموي وبين ملك جيليقية أردون .

بلغ أردون ملك الجلالقة عزم الحكم على غزو بلاده ، فحضر بنفسه

مع عشرين شخصاً من أكابر دولته ، ليثني الحكم عن عزمه وليعقد معه صلحاً . فلما دخل عليه استقبله الحكم أفضل استقبال . ثم دار بين الملكين حوار هو التالي :

قال الحكم لأردون :

ليسرك إقبالك ، ويغبطك تأميلك ، فلدينا من حسن رأينا ورحب قبولنا فوق ماطلبته .

فقال أردون بعد أن قبل البساط :

أنا عبد أمير المؤمنين مولاي ، المتورك[1] على فضله ، القاصد إلى مجده الحكم في نفسه ورجاله ، فحيث وضعني من فضله ، وعوضني من خدمته ، رجوت أن أتقدم فيه بنية صادقة ، ونصيحة خالصة .

فقال الحكم :

أنت عندنا بمحل من يستحق حسن رأينا ، وسينالك من تقديمنا لك وتفضيلنا إياك على أهل ملتك مايغبطك ، وتتعرف به فضل جنوحك إلينا واستظلالك بظل سلطاننا .

فقال أردون :

إن شانجة ابن عمي تقدم إلى الخليفة الماضي مستجيراً به مني ، فكان من إعزازه إياه مايكون من مثله من أعاظم الملوك وأكارم الخلفاء لمن قصدهم وأملهم . وكان قصده قصد مضطر قد شنأته رعيته ، وأنكرت سيرته ، واختارتني لمكانه من غير سعي مني ــ علم الله ذلك ــ ولا دعاء إليه ، فخلعته وأخرجته عن ملكه مضطراً مضطهداً ، فتطول عليه ــ رحمه الله ــ بأن صرفه إلى ملكه ، وقوى سلطانه ، وأعز نصره . ومع ذلك فلم

---

(1) المعتمد .

يقم بفرض النعمة التي أسديت إليه ، وقصر في أداء المفروض عليه ، وحقه وحق مولاي أمير المؤمنين من بعده . وأنا قد قصدت باب أمير المؤمنين لغير ضرورة من قرارة سلطاني وموضع أحكامي ، محكماً له في نفسي ورجالي ومعاقلي ومن تحويه من رعيتي ، فشتان مابيننا بقوة الثقة ، ومطرح الهمة .

فقال الحكم :

قد سمعنا قولك ، وفهمنا مغزاك ، وسوف يظهر من إقراضنا إياك على الخصوصية شأنه ، ويترادف من إحساننا إليك أضعاف ماكان من أبينا - رضي الله تعالى عنه - إلى ندك ، وإن كان له فضل التقدم بالجنوح إلينا والقصد إلى سلطاننا ، فليس ذلك ممايؤخرك عنه ، ولاينقصك مما أنلناك وسنصرفك مغبوطاً إلى بلدك بذلك كتاباً يكون بيدك تقرر به حد مابينك وبين ابن عمك ونقبضه عن كل مابتصرفه من البلاد إلى يدك ، وسيترادف عليك من أفضالنا فوق ما احتسبته .

نفح الطيب للمقري ح ١ / ٣٦٧ - ٣٦٨

١٣٦ - رسالة جوابية من الحكم المستنصر بالله الأموي إلى العزيز بالله الفاطمي .

كتب العزيز بالله الخليفة الفاطمي إلى الحكم المستنصر بالله الأموي رسالة يهجوه ويسبه ، فرد عليه الحكم برسالة كتب في أولها قصيدة مطلعها هـــذا البيت :

ألسنا بني مروان كيف تقلبت   بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

إلى أن قال :

إذا ولد المولود منا تهللت   له الأرض واهتزت إليه المنابر

ثم قال :

وبعد : فقد عرفتنا فهجوتنا ، ولوعرفناك لهجوناك ، والسلام [1] .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي حـ ٤ ـ ١٤٩

٩ـ هشام المؤيد بن الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر

٣٦٦ ـ ٣٩٩ هـ/٩٧٦ ـ ١٠٠٩ م

أ ـ المنصور بن أبي عامر

١٢٧ ـ رسالة أرسلها المصحفي من سجنه إلى المنصور بن أبي عامر يستعطفه لعله يطلق سراحه :

هبني أسأت فأين العفو والكرم	إذ قادني نحوك الإذعان والندم
ياخير من مدت الأيدي إليه أما	ترثي لشيخ رماه عندك القـــلم
بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر	إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

١٢٨ ـ رسالة جوابية من المنصور بن أبي عامر إلى المصحفي :

أثرت الرسالة السابقة تأثيراً سيئاً لدى المنصور وكان لها نتائج سلبية إذ أنها زادت غضبه ، وجعلته رجل يصمم على اعتقال المصحفي مدى الحياة وأجابه بالأبيات التالية :

ألا ياجاهـــلاً زلت بك القـــدم	تبغي التكرم لما فاتك الكـــرم

(١) أورد المقري في كتابه نفح الطيب حـ ٥ ـ ٩٨ نصاً مطابقاً لنصنا أعلاه . وأما ابن خلكان فيذكر الرسالة وحدها ، ويفضل الأشعار ، وذلك في كتابه وفيات الأعيان حـ ٥ ـ ٩

أغريت بي ملكاً لولا تثبته ما جاز لي عنده نطق ولا كلم
فايأس من العيش إذ قد صرت في طبق إن الملوك إذا ما استنقموا نقموا
نفسي إذا سخطت ليست براضية ولو تشفع فيك العرب والعجم[1]

نفح الطيب للمقري حـ١ - ٣٨٤

١٢٩ - محاورة بين المصحفي وبين عدد من وزراء المنصور في مجلس محاكمته .

أتي بالمصحفي ذات مرة لمحاكمته ، وكان في مجلس المحاكمة عدد من الوزراء من بينهم محمد بن حفص بن جابر . وأحمد بن عباس ، وابن جهور . فلما بلغ المجلس في آخره دون أن يسلم على أحد أو يومئ إليه بعين أو يد . فلما أخذ مجلسه تسرع إليه الوزير محمد بن حفص بن جابر ، فعنفه واستجفاه وأنكر عليه ترك السلام وجفاه ، وجعفر معرض عنه ، إلى أن كثر القول عنه ، فقال المصحفي للوزير محمد بن حفص :

ياهذا : جهلت المبرة فاستجهلت معلمها ، وكفرت النعم فقصدت بالأذى ولم ترهب مقدمها ، ولو أتيت نكراً لكان غيرك أدرى ، وقد وقعت في أمر ما أظنك تخلص منه ، ولا يسعك السكوت عنه ، ونسيت الأيدي الجميلة والمبرات الجليلة .

فلما سمع محمد بن حفص ذلك قال :

هذا البهت بعينه ، وأي أياديك الغر التي مننت بها وعنيت أداء واجبها أيد كذا أم يد كذا ؛ وعدد أشياء أنكرها منه أيام إمارته .

(١) أورد المقري نفسه في نفح الطيب حـ ٢ - ١٣٢ نصاً يختلف بعض الاختلاف عن النص أعلاه . وكذلك فعل ابن الأبار في الحلة السيراء حـ ١ ٢٦٥ - ٢٦٧ . أما ابن عذاري في البيان المغرب حـ ٢ - ٢٨٦ فيذكر فقط رسالة المصحفي للمنصور من السجن .

فقال جعفر المصحفي :

هذا ما لا يعرف ، والحق الذي لا يرد ولا يصرف ، دفعي القطع عن يمناك وتبليغي لك إلى مناك ،

فأصرّ محمد بن حفص على الجحد .

فقال جعفر المصحفي :

أنشد الله من له علم بما أذكره إلا اعترف به فلا ينكره ، وأنا أحوج إلى السكوت , ولا تحجب دعوتي فيه عن الملكوت .

فقال الوزير أحمد بن عباس :

قد كان بعض ما ذكرته ياأبا الحسن . وغير هذا أولى بك وأنت فيما أنت فيه من محنتك وطلبك .

فقال المصحفي :

أحرجني الرجل فتكلمت ، وأحوجني إلى ما به أعلمت

فأقبل الوزير ابن جهور على محمد بن حفص فقال :

أسأت إلى الحاجب ، وأوجبت عليه غير الواجب ، أو ما علمت أن منكوب السلطان لا يسلم على أوليائه ، لأنه إن فعل ألزمهم الرد بقوله تعالى : (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها [1]) . فإن فعلوا طاف بهم من إنكار السلطان ما يخشى ويخاف . لأنه تأنيس لمن أوحش ، وتأمين لمن أخاف وإن تركوا الرد أسخطوا الله . فصار الإمساك أحسن ، ومثل هذا لا يخفى على أبي الحسن .

فانكسر ابن حفص ، وخجل مما أتى من النقص .

نفح الطيب للمقري ج ١ ٣٩٨ - ٣٩٩

---

(١) سورة النساء الآية ٨٦

١٣٠ ـ رسالة وجهها الى هشام المؤيد المنصور بن أبي عامر لما عقد الصلح بينه وبين الموفق . والرسالة من إنشاء أبي المطرف بن المثنى :

أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، مولاي وسيدي وسيد العالمين ، وابن الأئمة الراشدين ، عزيزاً سلطانه ، منيراً زمانه ، سامية أعلامه ، ماضية أحكامه ظاهراً على من ناوأه ، قاهراً لمن عاداه ، كما يحب ـ أيد الله أمير المؤمنين مولاي وسيدي على أحسن ما يكون عليه .

العبد المخلص ، والمولى المتخصص ، الذي حسن مضمره ، واستوى سره وجهره ، ولاح استبصاره وجده ، وتناهى سعيه وجهده ، في مضمار الجري إلى الطاعة ، وبذل إذعانه وانقياده ، واستبعد إمكانه وإجهاده ، فيما يفي بتمكين الإمامة المهدية والخلافة المرضية ، ويشد مباني المملكة المصدقة لتباشير اليمن والصدقة ، والله سبحانه ولي العون والتأييد ، والملي بالتوفيق والتسديد لارب غيره .

وبعد ـ أبقى الله أمير المؤمنين ـ فإن كتابي إليه سلف معبراً عن النزغة التي كانت بيني وبين الموفق مملوكه ، وقديماً نزغ الشيطان بين المرء وصديقه والأخ وشقيقه ، وضرب ساعياً بالتشتيت والتشغيب ، والتبعيد والتقريب ، بين الأب الحاني الشفيق والابن البر الرفيق ، ثم يعود ذوو البصائر والنهى وأولو الأحلام والحجا ، إلى ما هو للشحناء أذهب ، وبالتحامل أولى وأوجب وكتابي هذا وقد نسخ الله بيننا آية الافتراق ، وبالاتصال والاتفاق ، ومحاسمة التباين والخلاف ، وبدو التآلف والانصاف ، وعادت النفوس إلى صفائها ، وانطوت على وفائها ، وخبت نار الفتنة ، وامتد رواق الهدنة ، وثبتت الأسباب الراسخة ، والأواصر العاطفة بأزمة قلوبنا إلى معاهد الخلة القديمة ، ومواطن العشرة الكريمة ، والمعروف من الامتزاج في كل الأحوال ، والتشابك وجلاء

الشك باليقين ، وقرت بالانتظام العيون . وصرنا في القيام بدعوة أمير المؤمنين ومولانا وسيدنا ، رضيعي لبان وشريكي عنان ، وأليفي تناصر ، وحليفي تظافر ، فنحن عن قوس واحدة في نصرتها نرمي ، ومن ورائها نذود جاهدين ونحمي . قد فتنا الجياد في السبق إلى الطاعة وأحرزنا قصب السبق في المظاهرة والمشايعة ، فما نفتأ نسعى في تمهيدها ونذهب ، ولا ننفك نكدح لها وننصب . والله الكفيل بإنجادنا بعزته وقدرته وحوله وقوته ، لا إله إلا هو .

وإن الذي عقده الله تعالى لنا ، وحسمه من دواعي القطيعة عنا ، ما اطرد وتأتى ، وسنح وتهيأ ، إلا بسعد طائر أمير المؤمنين سيدنا ومولانا - أعزه الله - ويمن نقيبته ، فمن تمسك بعروته وعاذ بعصمته ، فقد فاز قدحه ، وتبلج في ظلم الأمور صبحه ، واستدل بأوضح الدليل ، وعرض بالرأي الأصيل ، واستنار بأضوأ سراج ، وسلك على أقصد منهاج ، ولم يزايل الرشاد آراءه ، وصاحب السداد أنحاءه . والله تقدس اسمه لايزال يعرفنا من سعادة الدعوة الزكية ما يصلح به أحوالنا ، ويفسح به آمالنا بمنه .

ولما أتاح الله من السلم ما أتاحه ، وأزاح من المكروه ما أزاحه ، لم أجد في فسحة ولاغنى ، ولاسعة من إطلاع أمير المؤمنين مولاي وسيدي من ذلك على الجلية ، وإعلامه بالصورة ، فأنهضت إلى حضرته العالية ذا الوزارتين عبد الرحمن بن مطروح رسولي وعبدي وخاصتي مملوكه لينهي إليه الحال على حقيقتها ، ويوفيها بكليتها ، وأقرن به رسول الموفق ، متحملاً مثل ماتحمله رسولي ، ومتقلداً كالذي تقلده . ولأمير المؤمنين مولاي وسيدي الفضل العميم في الإصغاء إليهما ، والوعي عنهما ، والسماع منهما جميع مايوردانه ويوضحانه ، ويستوفيانه ويشرحانه ، والتطول بالمراجعة فيه بما

يستوجبه ويقتضيه ، واصلاً لمزمنته وأياديه إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي جـ ٦/ ٥٢٤ - ٥٢٦

١٣١ - رسالة أرسلها إلى المنصور بن أبي عامر ابن عبد البر .

عمر الله ببقاء سيدي ذي السابقتين بهجة أوطانه ، وملكه عنان زمانه ، ومد عليه ظلال أمانه إني - أبقى الله الملك الكريم والسيد الزعيم - لما أضاءت لي أهلة مفاخركم في سماء الفخار ، وأشرقت شموس مكارمكم على مفارق الأحرار ، وأبصرت شمائلك الزهر تهدي إليك من الهمم محامدها ، ومحاسنك الغر توقظ لك من الآمال رواقدها ، أيقنت أنه بحق انقادت لك القلوب بأعنتها ، وتهادت إليك النفوس بأزمتها ، فآليت أن لا ألم إلا بحماك ، ولا أحط رحلاً إلا بفناك ، علماً بأنك نثرة الفخر ، وغرة الدهر ، فتيممت سارياً في ساطع نورك ، متيمناً بيمن طائرك ، محققاً للربح ، موقناً بالفلج والنجح ، حتى حللت في دوحة المجد ، وأنخت بدولة السعد ، واستشمرت لبسة الشكر والحمد ، وجعلت أنظم من جواهر الكلام ما يربي على جواهر النظام ، وأنشر من عطر الثناء مايزري بالروضة الغناء ، وحاشا للفهم أن يعطل ليلي من أقمارك ، أو يخلي أفقي من أنوارك فأراني منخرطاً في غير سلكه ، ومنحطاً إلى غير ملكه . لاجرم أنه من استضاء بالهلال غني عن الذبال ، ومن استنار بالصباح ألقى سنا المصباح . وتالله ماهزت آمالي ذوائبها إلى سواك ، ولاحدت أوطاري ركائبها إلى من مداك ، ليكون في أثر الوسمي في الماحل ، وعلي جمال الحلي على العاطل ، لسيادتك السنية ، ورياستك الأولية ، التي يقصر عنها لسان إفصاحي ، ويعيا في بعضها بياني وإيضاحي ، فالقراطيس عند بث مناقبك تفنى ، والأقلام في رسم مآثرك تحفى ، وما أمل المجدب في حياة

المخصب ، ولاجذل المذنب برضا المعتب ، كأملي في التعزز بحوزتك ، والتجمل بجملتك ، والترفع بخدمتك . فالسعيد من نشأ في دولتك ، وظهر في أمتك ، واستضاء بعزتك ، لقد فاز بالسبق من لحظته عين رعايتك ، وكنفته حوزة حمايتك ، فأنت الذي أمنت بعدله نوائب الأيام ، وقويت بسلطانه دعائم الإسلام ، تختال بك المعاني اختيال العروس ، وتخضع لجلالك أعزة النفوس ، سابقة أشهر من الفجر ، وفطنة أنور من البدر ، وهمة أنفذ من الدهر .

لقد فاز من أضحى بكم متمسكاً يشد على تأميل عزكم يدا
سلكت سبيل الفخر خلقاً مركباً وغيرك لا يأتيه إلا تجلدا
فأنتم لواء الدين لازال قيماً بآرائكم في ظلمة الخطب يهتدى
ليهنكم مجد تليد بنيتم أغار سناه في البلاد وأنجدا

ومثله ، أبقاه الله سبحانه ، يستثمر إيراقه فيثمر جناه ، ويستمطر إبراقه فيمطر حياه ، لاسيما وأني نشأة حقها إحسان أولئك الطاهرين ، وإلفها إنعام أكابرك الأخيار الطيبين ، وجدير بقولك وإقبالك ، وبرك وإجمالك ، من أصله ثابت في أهل محبتكم ، وفرعه نابت في خاصتكم :

وما رغبتي في عسجد أستفيده ولكنها في مفخر أستجده
فكل نوال كان أو هو كائن فلحظة طرف منك عندي نده
فكن في اصطناعي محسناً كمجرب يبن لك تقريب الجواد وشده
إذا كنت في شك من السيف فابله فإما تنافيه وإما تعده
وما الصارم الهندي إلا كغيره إذا لم يفارقه النجاد وغمده

ولا بأس أن يتطول مولاي بغرس النعمة في أزكي الترب ، ووضع الهناء موضع النقب . والله سبحانه يبقي مولاي آخذاً بزمام الفخر ، ناهضاً

بأعباء البر ، مالكاً لأعنة الدهر . وصنع الله سبحانه لسيدي أتم الصنع وأجمله ، وأفضله وأكمله بمنه ، لا رب سواه .

نفح الطيب للمقري ١٢٩ – ١٣١

١٣٢ ـ بلاغ وجهه المنصور بن أبي عامر سنة ٣٩١ هـ إلى قواد جيشه وأفراده وغلمانه بعد غزوته الهائلة للاسبان .

غزا المنصور الإسبان سنة ٣٩٠ هـ وكاد يهزم ، ولم ينتصر إلا بعد حرب شديدة هائلة ، وبعد انتهاء المعركة وجه إلي الجنود والقواد البيان التالي ، وهو من إنشاء كاتبه عبد الملك بن إدريس .

فصل منه :

وكثيراً ما فرط من قولكم أنكم تجهلون قتال المعاقل والحصون ، وتشتاقون ملاقاة الرجال الفحول ، فحين جاءكم شانجة بالأمنية ، وقاتلكم بالشريطة ، أنكرتم ماعرفتم ، ونافرتم ما ألفتم ، حتى فررتم فرار اليعافير من آساد الغيل ، وأجفلتم إجفال الرئال عن المقتصين ، ولولا رجال منكم رحضوا عنكم العار ، وحرروا رقابكم من الذل لبرئت من جماعتكم ، وشملت بالموجوة كافتكم ، وخرجت للإمام والأمة من عهدتكم ، ونعمت المسلمين في الاستبدال بكم ، ولم أعدم من الله تعالى عاجل نصر وحسن عقبى ، فلابد أن ينصر دينه بمن شاء .

تاريخ إسبانيا الاسلامية لابن الخطيب ـ ٧٢

١٣٣ ـ وصية المنصور بن أبي عامر لابنه عبد الملك المظفر في مرضه الذي مات به .

يابني : لست تجد أنصح لك ولا أشفق عليك مني ، فلا تعدين وصيتي فقد جردت لك رأيي ورويتي على حين اجتماع من ذهني ، فاجعلها مثالاً

بين عينيك ، وقد وطأت لك مهاد الدولة ، وعدلت لك طبقات أوليائها وغايرت لك بين دخل المملكة وخرجها ، واستكثرت لك من أطعمتها وعددها ، وخلفت لك جباية تزيد على مايقويك بجيشك وبنفقتك ، فلاتطلق يدك في الإنفاق ، ولايقتص لظالمة العمال ، فيختل أمرك سريعاً ، فكل سرف راجع إلى اختلال لامحالة فاقصد في أمرك جهدك ، واستثبت فيما يرفع إليك أهل البطالة . والرعية فقد استقصيت لك تقويها ، وأعظم مناها أن تأمن البادرة ، وتسكن إلى لين الجنبة . وصاحب الثغر قد علمت مذهبه . وأنه لايأتيك من قبله شيء تكرهه ، والآفة ممن يتولاه ويلتمس الوثوب باسمه ، فلاتنم عن هذه الطائفة جملة ، ولاترفع عنها سوء الظن والتهمة ، وعاجل بها من خفته على أقل بادرة ، مع قيامك بحق صاحب القصر على أتم وجه ، فليس لك ولا لأوليائك شيء يقيكم الحنث في يمين بيعته إلا ماتقيمه لوليها من هذه النفقة ، وأما الانفراد بالتدبير دونه ، مع ما بلوته من جهله وعجزه عنه ، فإني أرجو أني وإياك منه في سعة ماتمسكنا بالكتاب والسنة . والمال المخزون عند والدتك هو ذخيرة مملكتك وعدة لحاجة تنزل بك ، فأقمه مقام الجارحة من جوارحك التي لاتبذلها إلا عند الشدة ، تخاف منها على سائر جسدك ، وأخوك عبد الرحمن قد صيرت له في حياتي مارجوت أني قد خرجت له فيه عن حقه من ميراثي ، وأخرجته عن ولاية الثغر لئلا يجد العدو مساغاً بينكما في خلاف وصيتي فيسرع ذلك في نقض أمري ، ويجلب الفاقرة إلى دولتي . وقد كفيتك الحيرة فيه ، فاكفني الحيف منك عليه . وكذلك سائر أهلك فيما صنعت فيهم بحسب ما قررت به خلاصي من مال الله الذي بيدك . وخلافتك بعدي أجدى عليهم مما صرفته إليهم ، فلا تضيع أمر جميعهم ، والحظهم بعيني فإنك أبوهم بعدي ، فخرج ذكورهم باستخدامك ، وألحف إناثهم جناحك ، جبر الله جماعتهم

وأحسن الخلافة عليهم ، وإن انقادت إليك الأمور بالحضرة فهذا وجه العمل وإن اعتاصت عليك فلا تلقين بيدك إلقاء الأمة ، ولا تبطر بك وبأصحابك النعمة والسلامة فتنسوا آمالـــكم في بطون بني أمية وشيعتهم بقرطبة ، فإن قاومت من توثب عليك فيهم فلا تذهل عن العزم فيهم ، وإن خفت الضعف فانتبذ بخاصتك وغلمانك إلى بعض المعاقل التي حصنتها لك ، واختبر غدك إن أنكرت يومك ، وإياك أن تضع يدك في يـد مرواني ما طاوعتك بنانك فإني أعرف ذنبي إليهم .

ثم التفت إلى غلمانه فقال:

تنبهوا لأمركم ، واحفظو نعمة الله عليكم في طـــاعة عبد الملك أخيكم ومولاكم ، ولا تغرنكم بوارق بني أمية ومواعيد من يطالب منهم شتاتكم ، وقدروا ما في قلوبهم وقلوب شيعتهم من الحقد عليكم ، فليس يرأسكم بعدي أشفق عليكم من ولدي ، وملاك أمركم أن تنسوا الأحقاد ، وأن تكونوا كرجل واحد ، فإن لا يفل فيكم [1] .

تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب ٨١ ـ ٨٢

١٣٤ ـ رسالة أرسلها المنصور بن أبي عامر لما أصبح صاحب السلطة في الأندلس إلى الخليفة الفاطمي في مصر :

منع العينَ أن تذوق المناما	حبها أن ترى الصفا والمقاما
لي ديون بالشرق عند أناس	قـد أحلوا بالمشعرين الحراما
إن قضوها نالوا الأماني وإلا	جعلوا وزنها رقابـــاً وهاما
عن قريب نرى خيول هشام	يبلـغ النيل خطوُها والشآما

الحلة السيراء لابن الأبار جـ ١ ـ ٢٧٥

(١) أورد هذه الوصية عنان في كتابه دولة الإسلام في الأندلس ـ ٥٨١ وقد نقلها عن كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام القسم الرابع المجلد الأول ٥٦ ـ ٥٨

ب ـ ابنا المنصور بن أبي عامر عبد الملك المظفر وعبد الرحمن ناصر الدولة :

١٣٥ ـ كتاب وجهه هشام المؤيد بن الحكم إلى عبد الملك بن المنصور ابن أبي عامر يشكره لاهتمامه بأمره ، لأنه دعاه إلى نزهة في قصره وخدمه حق الخدمة ، ويلقبه في هذا الخطاب بالمظفر :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أتم الله عليك نعمته ، وهنأك قسمه ، وألبسك عفوه وعافيته ، لما رأيناك ـ سلمك الله ـ من صنع الله الجسيم وفضله العظيم لنا عليك ما شفى الصدور ، وأقر العيون ، استخرنا الله تعالى في أن سميناك المظفر ، فنسأل الله سؤال إلحاف ، وضراعة ، وابتهال إليه أن يعرفنا وإياك بركة هذا الاسم ، ويحليك معناه ، ويعطينا وإياك وكافة المسلمين فضل ما حملت منه ، وأن يخير لنا ولهم في أقضيته ، ويقرنه بيمنه وسعادته بمنه وخفي صنعه ، وكذلك أبحناك التكني في مجالسنا ومحافلنا ، وفي الكتب الجارية منك وإليك في أعمال سلطاننا ، وسائر مايجري فيه اسمك معنا ودوننا ، إنافة بمحلك لدينا ، ودلالة على مكانك منا ، وكذلك ما شرفنا فتاك أبا عامر محمد بن المظفر تلادنا ـ أسعده الله ـ بالإنهاض إلي خطة الوزارتين وجمعناه بهما في التكني على المشيخة والترتيب ، إثرك في الدولة . وأنت الحقيق منا بذلك كله ، وبجميل المزيد عليه ، لأنك تربيتنا ، وسيف دولتنا وولي دعوتنا ، ونشيء نعمتنا ، وخريج أدبنا . فأظهر ما جددناه لك في الموالي وأهل الخدمة .

واكتب به إلى أقطار المملكة وتصدقه بشكر النعمة ، أحسن الله توفيقك ومتعنا طويلاً بمعافاتك ، وآنسنا ملياً بدوام سلامتك ، إنه ولي قادر

عزيز قاهر، إن شاء الله تعالى[1].

تاريخ إسبانيا الاسلامية لابن الخطيب ٨٨

١٣٦ - مرسوم أصدره هشام المؤيد بتلقيب عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر بلقب الحاجب المأمون ناصر الدولة :

الحاجب المأمون ناصر الدولة أبو المطرف حفظه الله، بسم الله الرحمن الرحيم.

أدم الله حفظك، وأحسن على الصلاح عونك. رأينا - أكرمك الله - لما ظهر لنا من جميل طاعتك، وبدارك إلى ما يلزمك من المناصحة والقيام بأعباء المملكة على أفضل الطرق المحمودة والمساعي المشكورة تسميتك في كتبنا إليك وتحليتك بالمأمون في مخاطبتك. زائداً على أول أسمائك مظاهرة لأنعمنا عليك. وأنت عندنا أهل لذلك ومستحق به، فاعتمل فيما ينفذ من الكتب عنك وإليك على عنوان كتابنا هذا إليك. نسأل الله عوناً شافياً وتأكيداً كافياً إن شاء الله تعالى.

البيان المغرب لابن عذاري ج ٣ - ٤١

١٣٧ - مرسوم أصدره هشام المؤيد بجعل عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر ولياً لعهده وهو من إنشاء كاتب الرسائل أبي حفص أحمد بن برد.

هذا ما عهد أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله - أطال الله بقاءه - إلى الناس عامة، وعاهد الله عليه من نفسه خاصة، وأعطى عليه صفقة يمينه ببيعة تامة، بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخارة، وأهمه ما جمله الله إليه

(١) أورد صاحب البيان المغرب ج٣، ١٦-١٧ نصاً مقارباً كل المقاربة للنص أعلاه.

من إمامة المسلمين، وخصه به من إمرة المؤمنين، واتقى حلول القدر بما لا يؤمن، وخاف نزول القضاء بما لا يصرف، وخشي إن هجم محتوم ذلك عليه، ونزل مقدور ذلك به، ولم يرفع لهذه الأمة علماً تأوي إليه، ولم يوردها ملجأ تنعطف عليه، أن يكون يلقى الله مفرطاً فيها، ساهياً عن أداء الحق إليها، ونفض عن ذلك طبقات الرجال من أحياء قريش، وغيرها من يستحق أن يسند الأمر إليه، ويعول في القيام به عليه، فمن يستوجبه بدينه وأمانته، وهديه وورعه، بعد اطراح الهوادة، والتبرىء من الهوى والتحري للحق، والتزلف إلا الله عز وجل بما لا يرضيه، وإن قطع الأواصر وأسخط الأقارب، عالماً بأن لا شفاعة عنده أعلى من العمل الصالح، وموقناً أن لا وسيلة إليه أرضى من الدين الخالص فلم يجد أحداً هو أجدر أن يقلده الخلافة، ويعوض إليه النظر في أمر الخلافة بعده، في فضل نفسه وكرم خيمه، وشرف همته، وعلو منصبه، مع تقواه وعفافه ومعرفته وحزمه من المأمون الغيب، الناصح الحبيب، النازح عن كل عيب، ناصر الدولة أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر ـ وفقه الله ـ إذ كان أمير المؤمنين قد ابتلاه واختبره، ونظر في شأنه واعتبره، فرآه مسارعاً للخيرات، مستولياً على الغايات، جامعاً للمأثرات، وارثاً للمكرمات يرفع بضبعيه إلى أرفع منازل الطاعة، وينمو بعينيه إلى أعلى درج النصيحة أب منقطع القرين، وصنو معدوم الغريم. ومن كان المنصور أباه، والمظفر أخاه، فلا غرو أن يبلغ في سبيل الخير مداه، ويحوي من حلل المجد بما حواه، مع أن أمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ لما أطلعه من مكنون العلم، ورعاه من مخزون الأثر، أمل أن يكون ولي عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص، وأن يتحقق به ما أسنده أبو هريرة إلى النبي ﷺ: «أن لاتقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق العرب

بمصاه » فلما استوى له الاختبار ، وتقابلت عنده فيه الآثار ، ولم يجد عنه مذهباً ، ولا على غيره معدلاً ، خرج إليه من تدبير الأمر في حياته ، وفوض إليه النظر في الخلافة بعد مماته ، طائعاً راضياً ، ومجتهداً متخيراً ، غير محاب له ولا مائل له بهوادة . ولا مترك نصح الاسلام وأهله فيه ، وجعل إليه الاختيار لهذه الأمة بولاية عهده فيها إن رأى بقاء ذلك في أمير المؤمنين ـ أعزة الله ـ وأمضى أمير المؤمنين ـ أعزه الله ـ عهده هذا وأنفذه وأجازه وبتله ، لم يشترط فيه مثنوية ولا خياراً ، وأعطى على الوفاء بذلك ـ في سره وجهره وقوله وفعله ـ عهد الله وميثاقه ، وذمة نبيه ﷺ ، وذمة الخلفاء الراشدين من آله وآبائه ، وذمة نفسه بأن لا يبدل ولا يغير ، ولا يحول ولا يتأول ، وأشهد على ذلك الله وملائكته ، وكفى الله شهيداً . وأشهد عليه من أوقع اسمه في هذا الكتاب . وهو ـ أعزه الله ـ جائز الأمر ، ماضي القول والفعل ، بمحضر من ولي عهده المؤمون ناصر الدولة أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور ـ وفقه الله ـ وقبوله لما قلده ، والتزامه بما التزمه . وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٣٩٩ هـ[١] .

تاريخ إسبانيا الاسلامية لابن الخطيب ٩١ ـ ٩٣

١٣٨ ـ رسالة جوابية أرسلها زاوي بنزيري البربري الى هشام المؤيد وأهل قرطبة عن رسالة أرسلها له هشام المؤيد .

وقعت الفتنة بعد مصرع الناصر بن المنصور بن أبي عامر ، وتحزب أهل

---

(١) ورد نص هذا العهد الشهير في عدد من أمهات المصادر مثل البيان المغرب لابن عذاري ج٣ ، ٤٤ ـ ٤٦ ، ونفح الطيب للمقري ج ١ ، ٤٠٠ ـ ٤٠٢ ، وصبح الأعشى للقلقشندي ج٩ ، ٣٦٦-٣٦٧ ، والذخيرة لابن بسام ، والعبر لابن خلدون ، ونهاية الأرب للنويري ، وفي نصوصها خلافات يسيرة لابد منها .

قرطبة ضد البربر، وتغلب هؤلاء على أهل قرطبة، وعجز أهل قرطبة عن دفعهم، فـأرسلوا رسالة عن لسان هشام إلى زاوي ابن زيري زعيم البربر يطلبون منه الصلح. ويرغبونه بالمال والمنصب، فأجابهم بما يلي:

أما نقض عهد سلطاني، ومخالفة أصحابي، فلا سبيل إليه، وأما السعي في الاصلاح فإني متمادٍ في تأليف كلمة المسلمين، فو الله لاقصرت فيه حرصاً مني على مايقربني إلى الله من قطع الفتنة، وحقن الدماء، وإصلاح ذات البـــين.

البيان المغرب لابن عذاري ج ٣ - ١٠٨

١٠ - المستعين بالله سليمان بن الحكم ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م

١٣٩ - عهد الخليفة المستعين بالله سليمان بن الحكم بالخلافة من بعده لولده محمد:

أما بعد: فإن أمير المؤمنين، لما جبله الله عليه، وحببه إليه من الاجتهاد للمسلمين، والنظر لهم والفكر في عواقبهم، والحرص على مصالحهم، والإشفاق من اختلافهم وافتراق كلمتهم، رأى أن يجتهد لهم لماته، كما اجتهد لهم في حياته، بأن يرفع لهم علماً يهتدون بـه، وينصب لهم وزراً يلجأون إليه وموئلاً يتعطفون عليـه، يؤلف شملهم ويجمع كلمتهم ويلم شعثهم، ويسكن نفرتهم ويؤمن روعتهم، مقتدياً في ذلك بالأئمة المهتدين، والخلفـاء الراشدين الذين نظروا للأمة من بعدهم، واشفقوا من اختلاف كلمتهم، وتفرق مذاهبهم عندما يفجؤهم ما لا محيد لهم عنه ولابد منه بغتات الأقـدار ونفاد الأعمار الليل والنهار، فأطال استخارة الله - عـز وجل - والرغبة إليه في إمداده بتوفيقه ومعاضدته بتسديـده وحمله على ما فيه الخيرة له ولجميـــع المسلمين

وجميل العاقبة في الدنيا والآخرة ، فألقى الله في روعه وثبت في خلده، وقرر في نفسه ، أن محمد بن أمير المؤمنين أولى أهل بيت الخلافة ، بولاية عهد المسلمين غير محاب له ، ولا آخذ بهوادة فيه ، بل لما قد علمته الخاصة والعامة من تكامل خلال الخير له ، واجتماع أدوات الفضل فيه وما هو عليه في دينه وهديه ، وورعه وفضله، وطهارة أثوابه ، وعفاف مذهبه وصلب نفسه واكتمال همته ، وسعة علمه، وكمال أدبه ، واضطلاعه بأعباء الخلافة ، ومعرفته بمعاني السياسة ونفاذه في التدبير والادارة ، فأمضى أمير المؤمنين ما استخار الله تعالى فيه وعزم عليه ، وجعل ولاية عهد المسلمين إلى محمد بن المستعين بالله أمير المؤمنين ، وهو يعتقد أنه قد خرج لجماعة المسلمين عما ألزمه الله في حقهم وتبرأ إلى الله مما كلفه في أمرهم ، وأدى الأمانة التي حمله الله في الاجتهاد لجماعتهم ، وقضى ما وجب عليه من الاحتياط في الاختيار لإمامتهم ، مبتغياً بذلك ثواب الله العظيم ، وفضله الجسيم ، نظراً لأمة محمد عليه السلام وتحصيناً عليها ، واحتياطاً لها ، وهروباً من التقصير في حقها . والله يلهمه وجماعة المسلمين ، الخير والخيرة ، واليمن والبركة ، والسعادة والغبطة ، فيما وفق أمير المؤمنين له ، وألهمه إليه . فأعلم ذلك من عقد أمير المؤمنين وعهده وما أنفذه من فعله ، وتقدم إلى أصحاب الصلوات في جوامع عملك بالدعاء له في خطب الجمع بما أدرجناه طي كتابنا هذا ، والله يسأل أمير المؤمنين أن يتولاه في جماعة المسلمين ، بما فيه الخير لهم ، وجميل العاقبة في دينهم ودنياهم ، وأن يقارضه بجميل نيته لهم ، وكريم مذهبه فيهم وإنه ولي المجازاة بالاحسان عن الاحسان ، والمتن بالفضل والامتنان ، إن شاء الله .

وكتب في النصف من جمادى الآخرة سنة ٤٠٠ هـ

تاريخ إسبانيا الاسلامية لابن الخطيب ١٢٦ - ١٢٧

١٤٠ – رسالة جوابية من ابن زيري الصنهاجي المتغلب على غرناطة إلى الخليفة المرتضى .

أرسل الخليفة المرتضى إلى ابن زيري رسالة يدعوه إلى طاعته ، فقلب الكتاب وكتب على ظهره (قل يا أيها الكافرون ، لا أعبـــد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبدُ ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دينِ[1] .)

١٤١ – رسالة ثانية من المرتضى إلى ابن زيري

قد جئتك بجميع أبطال الأندلس وبالفرنج فماذا تصنع ؟

١٤٢ – جواب ابن زيري المرتضى على كتابه هذا وقد كتبه على ظهر كتابه .

ألهاكم التكاثر ، حتى زرتم المقابر ، كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون ، كلا لو تعلمون علم اليقين ، لترون الجحيم ، ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذٍ عن النعيم[2] .)

١٤٣ – رسالة جوابية من خيران إلى ابن زيري .

على أثر الرسائل السابقة تحارب المرتضى مع ابن زيري ، وقد خاف الفتى خيران ، وهو من كبار الفتيان العامريين ، من المرتضى وطموحه ، فخامر ضده واتفق مع ابن زيري أن ينهزم بمن معه إذا نشب قتال بين المرتضى وابن زيري . فلما تحارب الطرفان استمرت الحرب أياماً فأرسل ابن زيري إلى الفتى خيران يستنجزه وعده ، فأجابه بما يلي :

---

(١) سورة الكافرون ١-٦ أورد المؤلف مطلع السورة فأكملناها نحن .

(٢) سورة التكاثر ١-٨ أورد المؤلف مطلع السورة فأكملناها نحن .

إنما توقفت حتى ترى مقدار حربنا وصبرنا ، ولو كنا ببواطننا معك ماثبت جمعك لنا ، ونحن ننهزم عنه ونخذله في غد .

وقد تم الأمر كما رسم ، وهزم المرتضى .

نفح الطيب للمقري ٢ / ٣٠

جـ - ملوك الطوائف ٤٢٢-٤٨٧ / ١٠٣١-١٠٩٤

١ - علاقة الملوك بعضهم بعضاً .

١٤٤ - بيان أذاعه القاضي ابن عباد حاكم إشبيلية ، لما اكتشف شخصاً يشبه الخليفة هشام المؤيد فأعلنه خليفة وأذاع البيان التالي :

أن اشكروا الله على ما أنعم عليكم به ، فهذا مولاكم أمير المؤمنين هشام قد صرفه الله عليكم ، وجعل الخلافة ببلدكم لمكانه فيكم ، ونقلها من قرطبة إليكم ، فاشكروا الله على ذلك .

دول الطوائف لعنان - ٣٨

١٤٥ - رسالة المعتضد بن عباد إلى يحيى بن ذي النون .

استولى يحيى بن ذي النون على قرمونة من ابن برزال ، فأراد المعتضد أخذ هذه البلدة لنفسه ، وكان يعلم أن يحيى يطمع في قرطبة ، فأرسل إليه سراً يقول :

إن قرمونه قريبة من بلدي ، وهي أليق بي لأنها بعيدة عن بلادك فاصرفها إليّ ، وتكون يدي ويدك واحدة على مدينة قرطبة حتى تكون لك (١) .

---

(١) ذكر لسان الدين بن الخطيب في تاريخ إسبانيا الإسلامية - ٢٣٨ نصاً قريباً من النص أعلاه .

فأجابه ابن ذي النون إلى ذلك بعد أن توثق منه بالأيمان، وسلمه قرمونة ، فشحنها بالرجال والأسلحة ؛ ولم يف له فيما يتعلق بقرطبة . وحاول ابن ذي النون احتلال قرطبة ، ولكنه عجز واستغاث أهل قرطبة بالمعتمد ابن المعتضد فأنجدها وملكها .

البيان المغرب لابن عذاري ٣ / ٢٨٣

١٤٦ ـ الكتاب الذي وجهه المعتضد بن عباد ملك إشبيلية إلى ملوك الأندلس . لما تآمر ضد ابنه إسماعيل ، واكتشف المؤامرة فقتله . والرسالة من إنشاء ابن عبد البر كاتب المعتضد .

مقتطفات :

إن الغوي اللعين ، العاق الشاق ، إسماعيل ابني بالولاد لا بالوداد ، ونجلي بالمناسب لا بالمذاهب ، كنت قد ملت بهواي إليه ، وقدمته على من هو أسنى منه ، وحبك الشيء يعمي ويصم ، والهوى يطمس عين الرائي ، إذ يلم ، فآثرته بأرفع الأسماء والأحوال ، ووسعت عليه في خطيرات الذخائر والأموال ، وأخضعت له أكابر رقاب الجند ووجوه الرجال ، ودربته في مباشرة الحروب وأجريته على مقارعة الخطوب . ولم يكن مما أحسبه أني إنما أشحذ على نفسي منه الشفرة ، وأوقد بالتدريب والتخريج تحت حصى الجمرة ، وما كنت خصصته بالإيثار واستعملته بالمكافحة والقرار ، إلا لجزالة كنت أتوسمها فيه ، كانت عيني بها قريرة ، وشهامة كنت أتوهمها فيه كانت نفسي بها مسرورة ، فإذا الجزالة جهالة ، والشهامة شرة وكهامة ، وقد تفتن الآباء بالأبناء ، وينطوي عنهم ماينطوون عليه من الأسواء ، مع أن الآراء قد تنشأ وتحدث ، والنفوس قد تطيب وتخبث ، بقرين يصلح أو يفسد ، وخليط يغوي أو يرشد ، كما أن داء العرق يعدي ، كذلك

قرين السوء قد يردي . ومن اتخذ الغاوي خديناً عاد غاوياً ظنيناً (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) .

ويصف الكتاب بعد ذلك أدوار المؤامرة التي دبرها ولده إسماعيل منذ فراره وعوده ، وعفو والده عنه ، ويقول :

فإذا به كالحية لاتغني مداراتها ، والعقرب لاتسالم شباتها ، وكأنه قد استصغر ما أتى ، واستحقر ماجنى ، فزرا وسرا ، ماصارت به الصغرى التي كانت العظمى .

ثم يصف ائتماره بأبيه ، وتسوره القصر ليلاً ، وفشل المؤامرة ، والقبض على المتآمرين .

حتى أظفر الله بهم ، وأقمت حدود الله تعالى على الجميع منهم ، وأنفذت حكم العدل فيهم .

ثم حاول أن يبرز تصرفه بما يلي :

فاعجب ياسيدي لأبناء الزمن وأبناء الفتن ، وانقلاب بين الابن المقرب الودود ، إلى الحال الواتر الحسود والثائر الحقود ، واعتبر من ورد المساءة من موطن المسرة ، وطلوع المحنة . وقد أربت هذه الحال على كل ماجر عليه عقوق من الأبناء والبنين من السلف المتقدمين ، فلم يكن أكثر مما وجدناه من ذلك في الأخبار والآثار ، استيحاشاً وشروداً ، ونبواً وندوراً إلا ماشذ لأحد ملوك الفرس ، وآخر من بني العباس . وجمع هذا اللعين في إرادته ومحاولته بين الشاذ والنادر ، والمنكر الدائر ، وزاد إلى استيحاشه الذم ، التعرض لإباحة الحرم ، وإلى مارام من إتلاف المهجات ، السافح فيها كان يجري على العورات المصونات . وهو زمان فتنة ، وشمول إحنة ودمنة ، والناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم . وأصدق من هذا قوله تعالى :

(إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) [1] . نفثت ياسيدي نفثة مصدور ، وأطلت في الشرح والتفسير ، خروجاً إليك عن هذا الخطب الخطير ، والملم الكبير ، وهو خبر فيه معتبر [2] .

دول الطوائف لعنان ٥٠ ـ ٥١

١٤٧ ـ رسالة أرسلها الفتح بن خاقان إلى أحد ملوك الطوائف مهنئاً بالنصر والتمكين :

أدام الله تعالى أيام الأمير للأرض يتملكها ، ويستدير بسعده فلكها ، وقد استبشر الملك ، أيدك الله ، وحق له الاستبشار ، فقد أومأ إليه السعد وأشار ، بما اتفق له من توليتك ، وخفق عليه من ألويتك ، فقد حبي منك بملك أمضى من السهم المسدد ، طويل نجاد السيف رحب المقلد يتقدم حيث يتأخر الذابل ، ويتكرم إذا بخل الوابل ، ويحمي الحمى كربيعة بن مكدم ، ويسقي الظبا نجيعاً كلون العندم ، فهنيئاً للأندلس ، فقد استردت عهد خلفائها ، واستجدت رسوم تلك الامامة بعد عفائها ، فكأن لم تمت أعاصرها ، ولم يمت حكمها ، ولا ناصرها اللذان عمرا الرصافة والزهرا ، ونكحا عقائل الروم وما بذلا غير المشرفية مهراً . والله سبحانه أسأله إظهار أيامك ، وبه أرجو انتشار أعلامك ، حتى يكون عصرك أجمل من عصرهم ، ونصرك أغرب من نصرهم ، بمنه وكرمه ويمنه .

نفح الطيب للمقري جـ ٢ ١٩٦ ـ ١٩٧

١٤٨ ـ رسالة من شيخ مجهول إلى المعتصم بن صمادح صاحب المرية

بنى المعتصم قصوره المعروفة بالصمادحية ، واغتصب وكلاؤه جنة لأحد

---

(١) سورة التغابن الآية ١٤

(٢) ذكر ابن عذاري في البيان المغرب جـ٣ ، ٢٤٥ ـ ٢٤٨ نصاً قريباً من النص أعلاه.

الصالحين الفقراء وألحقوها بالصمادحية ، وحاول صاحبها الاتصال بالمعتصم فلم يتمكن ، ولاسيما أن الجنة كانت لأيتام تحت وصايته ، فاحتال الرجل أن كتب ظلامته ، ووضعها في أنبوب قصبة مشمع ، وألقاها في الساقية التي تدخل وتخترق حدائق المعتصم وبينما كان المعتصم يوماً يشرب على ضفة هذه الساقية شاهد القصبة ، فأمر من أحضرها له ، فلما أزال الشمع وجد في الأنبوب ورقة تقول :

إذا وقفت ، أيها الغاصب ، على هذه الورقة فاذكر قول الله تعالى : (إن هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب)[1] . لا إله إلا الله . أنت ملك ، قد وسع الله تعالى عليك ، ومكن لك في الأرض ، ويحملك الحرص على مايفنى أن تضم إلى جنتك الواسعة العظيمة قطعة أرضٍ لأيتام حرمت بها حلالها وخبثت طيبها . ولئن تحجبت عني بسلطانك ، واقتدرت عليّ بعظم شأنك فنجتمع غداً بين يدي من لايحجب عن حق ، ولاتضيع عنده شكوى .

فلما قرأ المعتصم ذلك بحث عن الأمر ، فوجده كما ذكر الشيخ في رسالته ، فأعاد الجنة إليه .

نفح الطيب للمقري ج ٤ / ٢٣٨ - ٢٣٩

١٤٩ - رسالة أرسلها المعتمد بن عباد إلى المعتصم بالله ، وقد اتهمه بالسعي عليه لدى يوسف بن تاشفين :

يامن تمرس بي يريد مساءتي ... لاتقرضنّ فقد نصحت لمندم
من غره مني خلائق سهلة ... فالسم تحت ليان سم الأرقم

الحلة السيراء لابن الأبار ج ٢ - ٨٥

---

(١) سورة ص الآية ٢٣

١٥٠ ـ رسالة المعتصم إلى عباد شعراً يمدحه ويشكره :

شكري لبرك شكر الروض للمطر ... ونفح بشري به أذكى من الزهر

وجاءني مخبر عنـه فقلـت له ... بالله قل وأعـد ياطيب الخـبر

يا واحداً علماً في كل منقبـة ... جلت ويا ثالثاً للشمس والقمـر

لئن حرمت لقاءً منك أشكره ... لقد حللت سواد القلب والبصر

١٥١ ـ جواب المعتمد بن عباد للمعتصم على رسالته سالفة الذكر :

أنفحة الروض رقت في صبا السحر ... من بعـد مابات والأنداء في سمر

لا بـل تحيـة محض الود بلغهـا ... بر شريف المعـالي ماجد النظر

أما لعمر أبي يحيى لقـد وصلت ... من بره صلة أحلى من الظفـر

يامن وردت الوفاء العمر مرتويـاً ... من عهده إذ يساقي الناس بالغمر

أحرزت سرو السجايا ثم قارنـــه ... ظرف اللسان اقتران الكأس بالوتر

إذا اعتبرت من الأخلاق أنفسها ... كنت المنافس فيه السامي القدر

عليـك مـــني سلام لا يزال له ... فرض تؤديه آصال إلى بكـر

الحلة السيراء لابن الأبار ج ٢ / ٨٧ ـ ٨٨

١٥٢ ـ رسالة أرسلها إلى المعتصم التجيبي ولده عبيـد الله عـز الدولة لما أرسله والده رسولاً إلى يوسف بن تاشفين في أواخر أيامه ، فاعتقله يوسف ، فأرسلها لوالده من السجن .

أبعد السّنا والمعالي خمول ... وبعد ركوب المذاكي كبول

ومن بعد ما كنت حراً عزيزاً ... أنا اليوم عبد أسير ذليـل

حللت رسولاً بغـرناطـــة ... فحل بها بي خطب جليل

وثقفت إذ جئتهـا مرسلاً ... وقد كان يكرم قبلي الرسول

فقدت المرية أكرم بهـــا ... فما للوصول إليها سبيـــل

١٥٣ – جواب والده المعتصم عن تلك الرسالة :

عزيز علي ، ونوحي ذليل على ما أقاسي ودمعي يسيل
لقطعت البيض أغمادهـا وشقت بنود وباحت طبول
لئن كنت يعقوب في حزنه ويوسف أنت فصبر جميـل

الحلة السيراء لابن الأبار حـ ٢ / ٨٨ – ٨٩

١٥٤ – رسالة ابن غرسية إلى ابن الحداد .

أرسل ابن الحداد ، أحد الأدباء المقيمين بكنف المعتصم بن صمادح في المرية سنة ٤٥٥ هـ رسالة إلى ابن غرسية المقيم بكنف علي المرتضى إقبال الدولة ، يعاتبه لأنه يخص بمدائحه إقبال الدولة ، دون ابن صمادح ، فأرسل له هذه الرسالة ، وهي رسالة عنيفة صيغت بشكل مقـذع ، يـذم فيهـا العرب ويمدح العجم ، لأن المعتصم عربي ، وإقبال الدولة غير عربي وقد أثارت هذه الرسالة ردود فعل عنيفة ، وتصدى للرد عليها كثير من الكتاب فترة طويلة من الزمن .

أألحسبك أزريت ، وبهذا الجيل البجيل ازدريت ، ومـادريت أنهـم الصهب الشهب ، ليسوا بعرب ذوي أنيق جرب ، أساورة أكاسرة ، مجد نُجد ، بُهم ، لارعاة شويهات ولابهم ، شغلوا بالمآذي والمران عن رعي البعران ، وبجلب العز عـن حلب المعز ، جبابرة قيـاصرة ، ذوو المغافر والدروع ، للتنفيس عن روع المروع ، حمـاة الروح ، بنـاة الصروح ، صقورة ، غلبت عليهم شقورة ، وشقورة الخرصان ، لكنهم خطبة بالخرصان

ماضرهم أن شهـــدوا أمجاداً أو كافحوا يوم الوغى الأنداداً
أن لا يكون لونهم سواداً

شرهوا برنات السيوف ، لابربات الشنوف ، وبركوب السروج عـن

الكلب والفروج ، وبالنفير عن النقير ، وبالجنائب عن الجبـايب ، وبالحب عن الحب ، وبالشليل عـن السليل ، وبالأمر والذمر عن معاقرة الخمـر والزمر ، وبالقيان عن العقيان ، وعن قنيان القيان . طياتهم خطاياتهم ، وغلاتهم آلاتهم ، وحصونهم حصنهم ، أقيال آباؤهم من بين الأنام أقتال .

أولئك قومي إن بنوا شيدوا البنا وإن حاربوا جدوا وإن عقدوا شدوا

حلم علم ، ذوو الآراء الفلسفية الأرضية ، والعلوم المنطقية الرياضيـة كحملة الأسترلوميق والموسيق ، والعلمة بالأرتماطيق ، والجومطريقي ، والقومة بالألوطيق والبوطيقي . ما شئت من تدقيق وتحقيـق ، حبسوا أنفسهم على العلوم البدنية والدينية ، لا على وصف الناقة الفدنية ، فعلهم ليس بالسفساف كفعل نائلة وإساف . أصغره بشأنكم ، إذ بزق خمـر باع الكعبـة أبو غبشانكم ، وإذ أبو رغالكم قاد فيل الحبشة إلى حرم الله لاستئصالكم .

أزيـــدك أم كفاك وذاك أني رأيتك في انتحالك كنت أحمق

فلا فخر معشر العربان الغربان ، بالقديم المفري للأديم ، ولكن الفخر بابن عمنا الذي بالبركة عمنا ، الإبراهيمي النسب ، الإسماعيـلي الحسب ، الذي انتشلنا الله تعالى به وإياكم من العماية والغواية ، أما نحن فمن أهل التثليث وعبادة الصلبان ، وأنتم من أهل الدين المليث وعبادة الأوثان . ولا غرو إن كان منكم صبره وسبره ، ففي الرغام يلقى تبره ، والمسك بعض دم الغزال ، والنطاف العذاب مستودعات بمسك الغزال :

لله مـا قـــد برا صفـوة وصفوة الخلق بنو هـاشم

وصفوة الصفوة من بينهـــم محمـــد النور أبو القاسم

بهذا النبي الأمي أفاخر من تفخر ، وأكابر من تقـدم وتأخـــر ، الشريف السلفين ، والكريم الطرفين ، المنتقى بالرسالة ، المنتقـى لـلأداء

والدلالة ، أصلي عليه عدد الرمل ومدد النمل . وكذلك أصلي على واصلي جناحه ، سيوفه ورماحه ، أصحابه الكرام عليهم من الله أفضل السلام[1].

دول الطوائف لعنان ٢٠٥ - ٢٠٦

١٥٥ - رسالة أرسلها المتوكل على الله حاكم بطليوس إلى وزيره ابن الحضرمي ، الذي أساء السيرة فسجنه ، فأرسل له من السجن رسالة يستعطفه فأجابه بما يلي :

ياسيدي وأكرم عددي ، الشاكي ماجنته يده لايدي ، ومن أسال الله التوفيق في ذاته إذ حرمه في ذاتي ... نعم فإني رأيت الأمر قد ضاع والإهمال قد انتشر وذاع ، فأشفقت من التلف ، وعدلت الى مايعقب إن شاء الله الخلف ، وأقبلت أستدفع من مواقع أنسي ، وأشاهد ماضيعته بنفسي ، فلم أر إلا لججاً قد توسطتها ، وغمرات قد تورطتها ، فشمرت عن الساق للجتها ، وخدمت النفس بمهجتها ، حتى خضب البحر الذي أدخلني فيه رأيك ، ووطئت الساحل الدي كان يبعدني عنه سميك ... وقد أطمعت في العدو ، ولبست لأجل دهري الاستكبار والعتو ، واستهنت بجيرانك ، وتوهمت أن المروءة في التزام زهوك ، وتعظيم شأنك ، حتى أخرجت النفوس عليّ وعليك ، فانجذب مكروه ذلك إليك . ومع ذلك فليس لك عندي إلا حفظ الحاشية وإكرام الغاشية .

دول الطوائف لعنان - ٨٩

---

(١) لقد أثارت رسالة ابن غرسية هذه مرارة في الأوساط الأدبية المعاصرة ، ورد عليه كثيرون ، منهم أبو جعفر أحمد بن دودين البلنسي . وقد عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري . وأورد ابن بسام رده على ابن غرسيةفي الذخيرة . ومنهم ابوالطيب عبد المنعم بن عبد الله القروي المتوفى سنة ٤٩٣ هـ في رسالة عنوانها : حديقة البلاغة ووجه البراعة بذكر المآثر العربية ونشر المفاخر الإسلامية وكذلك فعل كثيرون مثله .

١٥٦ - رسالة أرسلها بلكين بن باديس حاكم مالقة وجيان وغيرهما لما أصبح حاكماً عليهما بعد وفاة والده ، إلى وزير أبيه ، وقاضيه أبي عبد الله الجذامي ، بتثبيته في الوزراء والقضاء .

هذا ما التزمه واعتقد العمل به بلكين بن باديس ، للوزير القاضي أبي عبد الله بن الحسن الجذامي ، سلمه الله ، اعتقد به إقراره على خطة الوزارة والقضاء في جميع كوره ، وأن يجري من الترفيع والإكرام له إلى أقصى غاية ، وأن يحمل على الجراية في جميع أملاكه بالكور المذكورة حاضرتها وباديتها الموروثة منها والمكتسبة ، القديمة الاكتساب والحديثة ، وما ابتاع منها من العالي[1] ، رحمه الله ، ومن غيره ، لا يلزمها وظيف بوجه ، ولا يكلف منها كلفة على كل حال ، وأن يجري في قرابته وخوله وحاشيته وعامري ضيعه على المحافظة ، والبر ، والحرية ، وأقسم على ذلك كله بلكين بن باديس بالله العظيم ، والقرآن الكريم ، وأشهد الله على نفسه وعلى التزامه له ، وكفى بالله شهيداً . وكتب بخط يده مستهل شهر رمضان العظيم سنة ثمان وأربعين وأربع مئة والله المستعان .

الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ١/٤٤١

١٥٧ - رسالة أرسلها الى أكابر البربر في قرطبة يحيى بن علي ابن أخي حاكمها القاسم بن حمود ، يغريهم بعمه ذلك أن القاسم بن حمود تمكنت أحواله في قرطبة ، فحسده ابن أخيه يحيى بن علي حاكم سبتة فأرسل إلى أكابر البربر في قرطبة بمايلي :

---

(١) العالي هو إدريس بن يحيى ، من بني حمود ، وقد حكم غرناطة وقرمونة ، وادعى الخلافة ولقب بالعالي ، وخلع سنة ٤٣٨ هـ بعد أن حكم أربع سنين .

إن عمي أخذ ميراثي من أبي . ثم إنه قدم في ولايتكم التي أخذتموها بسيوفكم العبيد والسودان .

وأنا أطلب ميراثي ، وأوليكم مناصبكم ، وأجعل العبيد والسودان كما هم عند الناس .

وقد تم الأمر كما رسم ونشبت الحرب بين الطرفين .

نفح الطيب للمقري ٣١/٢

١٥٨ ـ رسالة أرسلها إلى المعتمد بن عباد مهنئاً بإحدى الفتوح عام ٤٧٧ هـ أبو عبيد عبد الله البكري ، أطال الله بقاء سيدي ومولاي الجليل القدر ، الجميل الذكر ذي الأيادي الغر ، والنعم الزهر ، وهنأه مامنحه ، من فتح ونصر ، واعتلاء وقهر . بطالع السعد يامولاي أبت وبسانح اليمن عدت ، وبكنف الحرز عذت ، وفي سبيل الظفر سرت ، وبقدم البر سعيت ، وبجنة العصمة أتيت ، وبسهم السداد رميت فأصميت صدر عن أكرم المقاصد ، وأشرف المشاهد ، وعودٌ بأجل مانا له عائد ، وآب به وارد . فتوح أضحكت مبسم الدهر ، وسفرت عن صفحة البشر ، وردت ماضي العمر ، وأكبت واري الكفر ، وهزت أعطاف الأيام طرباً ، وسقت أقداح السرور نخباً ، وثنت آمال الشرك كذباً ، وطوت أحشاء الطاغية رهباً ، فذكرها زاد الراكب ، وراحة اللاغب ، ومتعة الحاضر ، ونقلة المسافر :

بها تنقض الأحلاس في كل منزل وتعقد أطراف الحبال وتطلق

شملت النعمة ، وجبرت الأمة ، وجلت الغمة وشفت الملة ، وبردت الغلة ، وكشفت العلة .

كان داء الإشراك سيفك ، واشتدت شكاة الهدى وكان طبيباً فغدا

الدين جديداً والاسلام سعيداً ، والزمان حميداً ، وعمود الدين قائماً ، وكتاب الله حاكماً ، ودعوة الايمان منصورة ، وعين الملك قريرة . فهنأ الله مولانا وهنأنا هذه المنح البهية مطالعها ، الشهية مواقعها ، المشهورة آثارها ، المأثورة أخبارها ، ونصر الله أعلامه ، ففي البر تحل وتعقد وعضد حسامه فبالقسط يسل ويغمد وأيد مذاهبه فبالتخرم تسدى وتلحم ، وأمر كتائبه ففي الله تسرج وتلجم . فكم فادح خطب كفاه وظلام كرب جلاه ، وميت حق أحياه ، وحي باطل أرداه ، وكم جاحم ضلالة أطفأ ناره ، وناجم فتنة قلم أظافره ومفلول سنة أرهف شفاره ، ومستباح حرمة حمى دماره . فلله هذه المساعي الكريمة ، والمنازع القديمة المتبلجة عن ميمون النقيبة، ومحمود العزيمة فقد تمثل بها العهد الأول والقرن الأفضل الذي أخرج للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . والذي سطع هذا السراج وانتهج هذا المنهاج . فلا زالت الفتوح تتوالى عليه وصنائع الله تتصل لديه إدالة من مشاقيه، وإذالة لمحاربيه وإبادة لمناوئيه . وإن أجلّ هـــذه النعم في الصدور وأحقها بالشكر الموفور مامنّ الله به من سلامة مولاي التي هي جامعة لعز الدين ، وصلاح كافة المسلمين بعد أن صليَ من الحرب نيرانها فكان أثبت أركانها ، وأصبر أقرانها .

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الرّدي وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعدا ووجهك والإسلام أنك سالم

فلله الحمد والابداع والالهام ، وله المنة وعلينا متابعة الشكر والدوام وقد فازت الكف الكليم بأعلى قداح المكلوم لدى المقام الكريم . وإنها لهي التالية للأصبع الدامية في المنزلة العالية :

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من الخشب

نهاية الأرب للنويري ٥/١٤٨ ـ ١٥٠

١٥٩ - رسالة أرسلها إلى المعتمد بن عباد بأمر المقتدر بالله بن هود صاحب سرقسطة بن إسحاق يخبره بأمر أخيه صاحب لاردة .

سيدي وأعلى عددي وأقوى عمدي ، وأذكى ذخري الأبدي ، ونعمة الله المستطيلة بيدي ، الناهضة بعضدي ، ومن أطال الله بقاه في عز رفيع المراتب ، وحرز منيع الجوانب ، إذ أحكام الفتن ، وحوادث الزمن لاتزال تحل على كل من لايقع بإيثار ، ولايجري على حكم واختيار ، فرب كريهة لايلقي المرء عن اقتحامها معدلاً ، ومساءة لايزال عن التزامها مرحلاً ، فقديماً جدّ الجفاء العقوق ، وأبطل التجني الحقوق ، وقد يحرج الحليم ، ويتغيس الحميم ، وتقطع الرحم ، وتنبذ الذمم ، لاسيما عن مجاذبة مايمنع الحسد ، باتراً أواصر الإخاء والاجمال ، وتحاسد القرابة داء قديم ، وخلق في الناس معلوم . وإني - أيدك الله - بليت من المظفر أخي بظالم لايؤمل منه إنصاف ، ومتحمل لاتستنزله ألطاف ، وحاسد لايرجى استرضاؤه ، وموجب لنفسه حقاً لايوجب مضاؤه ، إذا سألته نصفه أبدا منه أنفه وإن سمته عدلاً مال إلى الجور ميلاً ، وإن خفضت له الجناح الذل ، أوطأ في جهر الجفا ، وإن أقبلت عليه بناظر الودّ ، أول من صفحة الابداء ، وإن استدنيته شحط ، وإن استرضيته سخط ، وإن حكمته تشطط ، وإن أغضيت له تسلط ، وأنا في ذلك كله أحاوله على أخلاقه ، وألبسه على إخلاقه ، وأستمع منه بغير مستمع ، وأرفع منه بغير مرفع ، وعقارب مضرته تدب وعواصف معرته تهب ، وأذاه قاصد إليّ في خاصتي ، ومفسد عليّ بطانتي لايألو في مساءتي سعياً واجتهاداً ، ولا آلو إلى مسرته تأنياً وانقياداً ، آخذاً بالحجة عليه ، وتقدماً بالجميل إليه ، وطمعت أن تكون نظرة تريه مواقع ظلمه وتعرفه جور حكمه ، ولايزداد إلا اغتراراً ولا يبدي إلا استكباراً ، إلى أن سولت له نفسه أموراً ، كان فيها اضطلاع الاسلام ،

وحاول أحوالاً تمامها هادية ... ورام معاجلتي بالتي ليس فيها استبقاء ولا بعدها بقاء ، وسألني مع هذا الاجتماع بي ليسوسني ... والاذعان إلى مطالبـــه والموافقة في مذاهبه ، فأجبته رجاء أن تكون المشافهة تستلبه ، والملاطفة تلينه وتغريه ، فأبى إلا ... وانبساطاً . فلما رأيته عن سوء معتقـده غير ... وعن فساد رأيه غير راجع وعزني جماحه ، وأعوزني استصلاحه ونقلني عن سجيتي مكره ، وكدر صفوي من كل وجـه ، راجعت في أمره بين أن أرضي الله عز وجل في قطيعته بالنظر لعباده والحماية لبلاده فما أطمع ... وطأ نواحيها ، وأمنع من رامه ، وأدفع عنه من أراد اهتضامه وأن أبتهل ... برحم عن نفسي ، فرفع الله عن ذلك منزلتها ، وبسط عليه مقدرتهـا ، فرأيت النظر في قطع مضرته أولى ، والسعي في حسم علتـه ومعرته أحمى ، فأنفذت ذلك في استخارة الله تعالى منه ، وألزمته البقاء بقصبة منتشون ، وللنفس ـ يعلم الله ـ مما حملني عليه ارتماض وإشفاق ، ولما يؤثره الرحم من ذلك إزعاج وإقلاق ، إلا أنه لم يوجد إلى غير ذلك سبيلاً ولاجعلني إلى سواه مخيلاً ، وكان فيما يأتيه أعق ، وبما جره القدر إليه بحكم اعتقاده أحق . وقد يستسهل المرء المكاره ، مالم يجد عنها مذهبـاً ، ويركب حد السيف إذا لم يجد سواه مركباً . والله يشهد لقـــد طوى جوانحي مما ساقني إليه على لواعج مزعجة ، وخرق منضجة . وكتابي هذا من لاردة ، وقد استقرت بحمد الله على الدعة أسباب قريرها ، واتصل بجميل عونه تدبيرها ، وتقضي ـ أبقاك الله ـ وكيد مابيننا مقاسمتك الحال وتعرفك المبدى منها والمآل ، فإنك الشريك في الحلو والمر ، والقيم في النفع والضر . وفي خلال هذا ـ أعزك الله ـ ماوردني ابن فلان خاصتك ، ـ سلمه الله ـ بكتابك الكريم المشتمل على أحفل البر والمقتضي لأجزل الشكر ووقف به من حقائق الأحوال لديك على كل مابسط أملي وأكد جذلي

وعظمت نعم الله ... وقـد صدر أبقاه الله ـ متحملاً من صحـة ودي وثبات عهدي وارتباط عقدي ... الأحوال عندي مايطلعك من ذلك كله على الجملة الكافية والجلية الشافية .

دول الطوائف لعنان ٤٥٣ ـ ٤٥٤

٢ - علاقة ملوك الطوائف بملوك الاسبان حتى معركة الزلاقة

١٦٠ ـ رسالة جوابية من فرذلند إلى أهل طليطلة :

هاجم فرذلند أراضي طليطلة وعاث فيهـا وهزم أهلهـا سنة ٤٥٩ هـ فأرسلوا إليه يطلبون منه الصلح على مال يؤدونه إليه فأجابهم بمايلي :

ما أجيبكم إلى سلم ولا أعفيكم من حرب حتى تفعلوا كذا وكذا .

واشترط عليهم شروطاً لايقدرون عليها .

١٦١ ـ جواب أهل طليطلة لفرذلند على رسالته السابقة لهم :

لوكنا نقدر على هذه الأشياء وهذه الأموال لأنفقناهـا على البرابرة واستدعيناهم لكشف هذه المعضلة .

١٦٢ ـ جواب فرذلند لأهل طليطلة على الرسالة السابقه :

أما قولكم لا تقدرون على هذه الأموال ، فـذلك محال ، فلو كسف سقوف بيوتكم لبرق ذهباً لكثرته . وأما استدعاؤكم البرابرة فأمر تكثرون به علينا وتهددونا به ، ولا تقدرون عليه مع عداوتهم لكم . ونحن قد صمدنا إليكم ، ما نبالي من أتانا منكم . فإنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديماً في أول أمركم ، فقد سكنتموها ما قضي لكم ، وقد نصرنا الآن عليكم برداءتكم فارحلوا إلى عدوتكم واتركوا لنا بلادنا ، فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد

اليوم، ولن نرجع عنكم، أو يحكم الله بيننا وبينكم [1].

البيان المغرب لابن عذاري ٣ / ٢٨٢

١١٣ – شروط تسليم طليطلة إلى الملك الفونسو السادس.

اتفق أهل طليطله مع الملك الفونسسو السادس على تسليم بلدانهم له لقاء شروط وافق عليهم الطرقان:

أن يسلم القصر، وأبواب المدينة، والقناطر، وحديقة الملك [2] إلى الملك الونسو [3]، وأن يذهب الملك المسلم حراً إلى مدينة بلنسية وفقاً لرغبته وأن يسمح بالحرية لمن شاء أن يتبعه من المسلمين، وأن يأخذوا معهم أموالهم. وأما الذين يقيمون في المدينة فلا تؤخذ منهم أمتعتهم ولا أملاكهم وأن يبقي المسجد الجامع بايدى المسلمين يقيمون فيه شعائرهم، وألا تفترض عليهم ضرائب أكثر مما كانوا يدفعونه لملوكهم. وأن تجري عليهم أحكام شريعتهم وعلى يد قضاتهم المسلمين دون غيرهم، وأن يقسم الطرفان، كل وفق تقاليده، على احترام هذه العهود. وأخيراً أن يقدم أهل المدينة لفيفاً من أعيانهم كرهائن.

دول الطرائف لعنان ـ ١١٣

١٦٤ – شروط تسليم بلنسية إلى السيد الكنبيطور. وذلك بعد مفاوضات دارت بين القاضي ابن الجحاف وبين الكنبيطور.

أن يبقي ابن الجحاف قاضياً للمدينة وحاكماً لها، وأن يؤمن في نفسه

---

(١) ذكر عنان في دول الطوائف ـ ١٠٠ نصاً أكثر اختصاراً وأكثر اختلافاً من نصنا هذا.

(٢) كانت حديقة نضرة غناء تقع على ضفة نهر التاجة.

(٣) هو الفونسو نفسه.

وماله وأهله وأن يؤمن السكان في أنفسهم، وأموالهم، وأن يتولى مندوب السيد الاشراف على تحصيل الضرائب، وأن تحتل المدينة حامية من النصارى المعاهدين [1] الذين يعيشون بين المسلمين، وأن يرابط السيد بجيشه في جبالة [2]، وألا يغير شيئاً من شرائع المدينة وأحكامها.

دول الطوائف لعنان - ٢٤٤

١٦٥ - رسالة الأمير حريز بن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن -صاحب رسول الله- إلى الفونسو الذي نزل بساحة مدينته، فهدم ضياعها وقطع أشجارها، فأرسل إليه حريز يقول:

ليس من أخلاق القدير الفساد والتدمير، فإن قدرت على البلاد أفسدت ملكك، ولو كان الملك في عشرة أمثال عددي لم ينزل لي بساحة ولا تمكن منها براحه.

فكف الملك عن التدمير.

نفح الطيب للمقري ٥ / ٩٩

١٦٦ - رسالة الملك الفونسو السادس إلى المعتمد بن عباد

أرسل الملك الفونسو السادس، بعد استيلائه على طليطلة، إلى المعتمد ابن عباد رسالة ملؤها التهديد والوعيد هذا نصها:

من الأنبيطور ذي الملتين، الملك المفضل أذفنش بن شانجه، إلى المعتمد بالله، سدد الله آراءه، وبصره مقاصد الرشاد، سلام عليك من مشيد ملك شرفته القنى، ونبتت في ربعه المنى، باغترار الرمح بعامله، والسيف

(١) المعاهدون : هم المستعربون أي النصارى الذين عاشوا تحت ظل الحكم الإسلامي في الأندلس.
(٢) هي كبولا.

بساعد حامله . وقد أبصرتم بطليطلة ، نزال أقطارها ، وما حاق بأهلها حين حصارها ، فأسلمتم إخوانكم ، وعطلتم بالدعة زمانكم ، والحذر من أيقظ باله قبل الوقوع في الحبالة . ولولا عهد سلف بيننا ، نحفظ ذمامه ، ونسعى بنور الوفاء أمامه ، لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائده ، ووصل رسول الغزو ووارده ، ولكن الأقدار تقطع بالأعذار ، ولا يعجل إلا من خاف الفوت فيما يرومه ، وخشي الغلبة على ما يسومه ، وقد حملنا الرسالة إليك القرمط البرهانس ، وعنده من التسديد الذي تلقى بأمثالك ، والعقل الذي تـــدبر بلادك به ، ورجالك مما أوجب استنابته فيما يدق ويجل ، وفيما يصلح لا فيما يخل . وأنت عندما تأتيه من آرائك ، والنظر بعد هذا من ورائك ، والسلام عليك يسعى بيمينك وبين يديك .

١٦٧ — جواب المعتمد بن عباد إلى الفونسو السادس على رسالته السالفـــة :

من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو بن عباد ، إلى الطاغية الباغية أذفش بن شانجة ، الذي لقب نفسه بملك الملوك وسماها بذي الملتين قطع الله بدعواه ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإن أول ما يبدأ من دعواه أنه ذو الملتين ، والمسلمون أحق بهذا الاسم ، لأن الذي تملكوه من أمصار البلاد وعظيم الاستعداد ومجبي المملكة ولا تبلغه قدرتكم ولا تعرفه ملتكم ، وإنما كانت سنة سعـــد ، أيقظ منها مناديك . وأغفل عن النظر السديـــد جميل مباديك ، فركبنا مركب عجز نسخه الكيس ، وعاطيناك كؤوس دعة فقلت في أثنائها ليس ، ولم تستح أن تأمر بتسليم البلاد لرجالك ، وإنا لنعجب من استعجالك برأي لم تحكم أنحاؤه ، ولا حسن انتحاؤه ، وإعجابك بصنع وافقتك فيه الأقدار . واغتررت بنفسك

أسوأُ الاغترار ، وتعلم أنا في العدد والمديد ، والنظر السديد ، ولدينا من كماة الفرسان ، وجلل الانسان ، وحماة الشجعان ، يوم تلتقي الجمعان ، رجال تدرعوا الصبر ، وكرهوا القبر ، تسيل نفوسهم على حـد الشفار ، ونيعاهم المنام في القفار ، يديرون رحى المنون بحركات العزائم . ويشفون من خبط الجنون بخواتم العزائم ، قد أعدوا لك ولقومك جلاداً رتبه الاتفاق وشفاراً حداداً شحذها الاصفاق ، وقد يأتي المحبوب من المكروه ، والندم من عجلة الشروة ، نبهت من غفلة طال زمانها ، وأيقظت من نومة تجدد إيمانها ، ومتى كان لأسلافك الأقدمين مع أسلافنا الأكرمين يد صاعدة ، أو وقفة متساعدة إلا ذل تعلم مقداره وتتحقق مثاره ، والذي جرأك على طلب ما لا تدركه قوم كالحمر ، لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، ظنوا المعاقل تعقل ، والدول لا تنتقل ، وكان بيننا وبينك من المسالمة ، ما أوجب القعود عن نصرتهم وتـــدبير أمرهم . ونسأل المغفرة فيما أتيناه في أنفسنا وفيهم من ترك الحزم ، وإسلامهم لأعاديهم . والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك ، وتقريعك ، بما الموت دونه ، وبالله نستعين عليك ، ولا نستبطىء في مسيرنا إليك ، والله ينصر دينه ، والسلام على من علم الحق فاتبعه ، واجتنب الباطل وخدعه .

دول الطوائف لعنان ص ٧٥ ـ ٧٦

١٦٨ - رسالة جوابية من المتوكل على الله حاكم بطليوس الى ملك قشتالة الفونسو السادس الذي أرسلها له بعد احتلاله طليطلة يهدده ويطلب منه التنازل عن بعض الحصون ودفع الجزية ، والا ... الحرب .

وصل إلينا من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير ، وأحكام العزيز القدير يرعد ويبرق ، ويجمع تارة ، ثم يفرق ، ويلهد بجنوده الوافرة ، وأحواله المتظافرة

ولو علم أن لله جنوداً ، أعز بهم الاسلام ، وأظهر بهم دين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون .

... أما تعييرك للمسلمين فيما وهى من أحوالهم ، فبالذنوب المركوبة ، ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الأمـــلاك ، علمت أي مصاب أذقناك ، كما كانت آباؤك تتجرعه ، فلم نزل نذيقها من الحمام ضروب الآلام ، شؤماً تراه وتسممه وإذا المآل تتورعه ، وبالأمس كانت قطيعة المنصور على سلفك ، أهدى ابنته إليه مع الذخائر التي كانت تفد كل عام عليه . وأما نحن إن قلّت أعدادنا وعدم من المخلوقين استمدادنا ، فما بيننا وبينك بحر نخوضه ، ولا صعب نروضه إلا السيوف تشهد بحدها رقاب قومك ، وجلاد تبصره في ليلـك ويومك وبالله تعالى وملائكته المسومين ، فنقوى عليك ونستعين . . . وما تتربصون بنا إحدى الحسنيين : نصر عليكم فيالها من نعمة ومنة ، أو شهادة في سبيل الله ، فيالها من جنة ، وفي الله العوض مما به هددت ، وفرج بقتر بما حددت ويقطع بك فيما أعددت .

دول الطوائف لعنان ص ٩٠ ـ ٩١

١٦٩ ـ قول الفونسو السادس لرسول المعتمد بن عباد

أرسل المعتمد ، ذات مرة ، سفيراً إلى الفونسو السادس ، وهو يهودي اسمه ابن مشغل . وفي أثناء الحديث عبر الفونسو عن احتقاره لمـــلوك الطوائف بقوله :

كيف أترك قوماً مجانـــين ، تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم ، وملوكهم ، وامرائهم : المعتضد والمعتمد والمعتصم ، والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون ، وكل واحـد منهم لا يسل في الذب عن نفسه سيفاً ولا يرفع عن رعيته ضيماً ولاحيفاً ، قد أظهروا الفسوق والعصيان ، واعتكفوا

على المغاني والميدان ، وكيف يحـل لبشر أن يقر منهم على رعيته أحداً وأن يدعها بين أيديهم سُداً .

دول الطوائف لعنان ص ٧٤

١٧٠ - رسالة الفونسو السادس إلى المعتمد بن عباد لما وصل إلى بلدته إشبيلية .

هاجم الفونسو السادس بلاد المعتمد بن عباد إثر قسم أقسمه ، لأن ابن عباد صلب رسول الفونسو اليهودي الذي أرسله الفونسو إلى المعتمد لاستلام الجزية السنوية ، ويبدوا أن اليهودي أغلظ الكلام للمعتمد فصلبه المعتمد فأقسم الفونسو أن يغزو أراضي المعتمد ، وقد فعل حتى وصل بجيشه إلى قبالة إشبيلية ، ومن هناك أرسل إلى ابن عباد يقول :

كثر بطول مقامي في مجلسي الذباب ، واشتد علي الحر ، فالقني من قصرك بمروحة أروح بها على نفسي ، وأطرد بها الذباب عني .

١٧١ - توقيع ابن عباد الفونسو على نفس ورقة رسالته .

قرأت كتابك وفهمت خيلاءك وإعجابك ، وسأنظر لك في مراوح من الجنود اللمطية في أيدي الجيوش المرابطية تروح منك لا تروح عليك إن شاء الله (١)

البيان المغرب لابن عذاري ٤ / ١٣١

١٧٢ - رسالة شفهية من الفونسو السادس إلى الأمير عبد الله ملك غرناطة على يد رسوله البرهانش

أرسل الاذفونش رسوله البرهانش إلى ملوك الطوائف يطلب جزية ثلاث

---

(١) ذكر المقري في نفح الطيب ٦ / ٩١ نصاً قريباً من نص الرسالتين المتبادلتين بين الفونسو وابن عباد .

سنوات ، وإلا ... فالحرب .

ووصل الرسول إلى غرناطة وملكها الأمير عبد الله الذي قرر دفع الجزية ووقعت بين الطرفين معاقدة ، وأراد البرهانش استغلال الخلاف بين حاكم غرناطة والمعتمد بن عباد حاكم إشبيلية فقال لعبد الله : يقول لك الفـــونش :

إن كنت تريد تخلط مع هذه المعاقدة ، استعانة به على شيء من بلادك التي عند ابن عباد ، فهو يجد لك فيها في وجهته هذه .

ولكنه رفض ذلك .

مذكرات الأمير عبد الله ١٢٥

٣ ـ علاقة ملوك الطوائف مع المرابطين والإسبان حتى زوال ملكهم وحلول المرابطين محلهم

١٧٣ ـ حوار المعتمد بن عباد مع ابنه لما عزم على الاستنجاد بالمـــرابطين .

قال له ابنه :

حاول الأمر بجهدك مع النصراني ، ولا تستعجل بإدخال من يسلبنا الملك ويشتت الشمل ، فالناس من علمت .

فقال له أبوه المعتمد :

ياولدي : لأن أموت راعياً بالمغرب خير عندي من أن أرد الأندلس دار كفر ، فتكون اللعنة علي من المسلمين أبد الدهر .

فقال الولد :

ياأبت : افعل ما أراك الله .

تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب ٢٤٥

١٧٤ ـ رسالة المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين نيابة عن ولاة الأندلس يسألونه المساعدة .

أما بعد : فإنك إن أعرضت عنا نسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عجز وإن أجبنا داعيك نسبنا إلى عقل ولم ننسب إلى وهم ، وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبتينا فاختر لنفسك أكرم نسبتيك ، فإنك بالمحل الذي لايجب أن تسبق فيه إلى مكرمة ، وإن في استبقائك ذوي البيوت ماشئت من دوام لأمرك وثبوت ، والسلام .

١٧٥ ـ جواب يوسف بن تاشفين إلى ملوك الأندلس وزعيمهم المعتمد بن عباد .

بسم الله الرحمن الرحيم . من يوسف بن تاشفين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . تحية من سالمكم وسلم عليكم ، وحكمه التأييد والنصر فيما حكم عليكم . وإنكم مما بأيديكم من الملك في أوسع إباحة ، مخصوصون منا بأكرم إيثار وسماحة ، فاستديموا وفاءنا بوفائكم ، واستصلحوا إخاءنا بإصلاح إخائكم . والله ولي التوفيق لنا ولكم ، والسلام [١] .

وفيات الأعيان لابن خلكان ٦/١١٢ ـ ١١٣

١٧٦ ـ رسالة أخرى من المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين يحرضه على العبور إلى الأندلس والجهاد فيها لأن الفونسو السادس هاجم بلاد الأندلس .

إن كنت مؤثراً للجهاد فهذا أوانه ، فقد خرج الأذفونش إلى البلاد فأسرع في العبور إليه ، ونحن معاشر أهل الجزيرة بين يديك [٢] .

وفيات الأعيان لابن خلكان ٦/١١٤

---

(١) أورد كل من المقري في نفح الطيب ٦/٨٧-٨٨ وابن عذاري في البيان المغرب ٤/١١٢-١١٣ نصاً مقارباً .

(٢) ذكر ابن عذاري في البيان المغرب ٤/١١٤-١١٥ نصاً مطابقاً للنص أعلاه .

١٧٧ ـ رسالة من المتوكل على الله ملك بطليوس إلى يوسف بن تاشفين يستصرخه لنجدة الأندلس ويصف تفككها ، وانحلالها .

لما كان نور الهدى ـ أيدك الله ـ دليلك ، وسبيل الخير سبيلك ، ووضحت في الصلاح معالمك ، ووقفت على الجهاد عزائمك ، وصح العلم بأنك لدعوة الإسلام أعز ناصر ، وعلى غزو الشرك أقدر قادر ، وجب أن تستدعي لما أعضل الداء ، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء . فقد كانت طوائف العدو المطيف بأنحائها « أهلكهم الله » ، عند إفراط تسلطها واعتدائها وشدة كلبها واستشرائها تلاطف بالاحتيال وتستنزل بالأموال ويخرج لها عن كل ذخيرة ، وتسترضى بكل خطيرة ، ولم يزل دأبها الشطط والعناد ، ودأبنا الإذعان والانقياد ، حتى نفد الطارف والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن النفاد وأيقنوا الآن بضعف المنن ، وقويت أطماعهم في افتتاح المدن واضطرمت في كل جهة نارهم ، ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم ، ومن أخطأه القتل منهم ، فإنما هم بأيديهم أسارى أو سبايا يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا ، وقد هموا بما أرادوه من التوثب وأشرفوا على ما أملوه من التغلب ، فيالله ويالمسلمين . أيسطو هكذا بالحق الإفك ، ويغلب التوحيد الشرك ، ويظهر على الايمان الكفر ، ولا يكشف هذه البلية النصر ، ألا ناصر لهذا الدين المهتضم ، ألا حامي لما استبيح من الحرم . وإنا لله على ما لحق عرشه من ثل وعشره من ذل ، فإنها الرزية التي ليس فيها عزاء والبلية التي ليس مثلها بلاء . ومن قبل هذا ما كنت خاطبتك ، أعزك الله ، بالنازلة في مدينة قورية ، أعادها الله ، وإنها مؤذنة للجزيرة بالخلا ، ومن فيها من المسلمين بالجلا ثم مازال ذلك التخاذل يتزايد والتدابر يتساند ، حتى تخلصت القضية وتضاعفت

البلية ، وتحصلت في يد العدو مدينة سرية ، وعليها قلعة تجاوزت حد القلاع في الحصانة والامتناع ، وهي من المدينة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة ، تدركها من جميع نواحيها ، ويستوي في الأرض بها قاصيها ودانيها ، وماهو إلا نفس خافت ، وزمر داهق استولى عليها عدو مشرك وطاغية منافق ، وإن لم تبادروا بجماعتكم عجالاً ، وتتداركوها ركباناً ورجالاً ، وتنفروا خفافاً وثقالاً ، وما أحضكم على الجهاد بما في كتاب الله فإنكم له أتلى ، ولابما في حديث رسول الله ﷺ فإنكم إلى معرفته أهدى . وكتابي إليكم هذا يحمله الشيخ الفقيه الواعظ ، ويفصلها وبشرحها ، ومشتمل على نكتة هو يبينها ويوضحها ، فإنه لما توجه نحوك احتساباً وتكلف المشقة إليك طالباً ثواباً ، عولت على بيانه ، ووثقت بفصاحة لسانه ، والسلام .

دول الطوائف لعنان ٩٢ ـ ٩٣

١٨٧ ـ رسالة الفونسو السادس إلى يوسف بن تاشفين

أرسل الفونسو رسالة إلى يوسف بن تاشفين يطلب اللقاء به إما في الأندلس أو في المغرب حتى يتحاربا ويصفو حكم الأندلس للغالب :

من أمير النصرانية أذفونش بن فردلند إلى يوسف بن تاشفين . أما بعد فإنك اليوم أمير المسلمين ببلاد المغرب وسلطانهم ، وأهل الأندلس قد ضعفوا عن مقاومتي ومقابلتي ، وقد أذللتهم بأخذ الجزية منهم وبالقتل والأسر والذل والقهر . وأنا لا أقنع إلا بأخذ البلاد .

وقد وجب عليك نصرتهم لأنهم أهل ملتك ، فإما أن تجوز إلي ، وإما أن ترسل إليَّ المراكب أجوز إليك ، فإن غلبتني كان ملك الأندلس والمغرب لك ، وان غلبتك انقطع طمع الأندلس من نصرك إيام ، فإن نفوسهم متعلقة بنصرتك لهم .

١٧٩ ـ جواب يوسف بن تاشفين إلى الفونسو السادس عن الرسالة السابقة .

كتب يوسف بن تاشفين على ظهر كتاب الفونسو مايلي :

من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى أذفونش . أما بعد : فإن الجواب ماتراه بعينك لاماتسمعه بأذنك ، والسلام على من اتبع الهدى .

وأتبع الجواب بقول المتنبي :

ولا كتب إلا المشرفية والقنا ولا رسل إلا الخميس العرمرم

تاريخ المغرب العربي لابن الخطيب ـ ٢٣٩

١٨٠ - رسالة الفونسو السادس الى يوسف بن تاشفين لما جاز هذا البحر إلى الأندلس واستقر في بلدة بطليوس ، فظن الفونسو أنه فعل ذلك هرباً من اللقاء ، فأرسل إليه يقول :

ها أنا قد أقبلت أريد ملاقاتك ، وأنت تتربص وتختبيء لأهل المدينة.

مذكرات الأمير عبد الله ـ ١٠٥

١٨١ ـ رسالة الأمير يوسف بن تاشفين للفونسو السادس لما خرج لملاقاته والتقى الجمعان في سهل الزلاقة ، فأرسل له يوسف رسالة يعرض عليه فيها إما الدخول في الاسلام أو الجزية أو الحرب عملاً بالسنة النبوية ، ثم قال له :

وبلغنا يا أذفونش أنك دعوت في الاجتماع بك وتمنيت أن يكون لك فلك تعبر البحر عليها إلينا ، فقد أجزناه إليك ، وجمع الله في هذه الفرصة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة دعائك وما دعاء الكافرين إلا في ضلال[1].

وفيات الأعيان لابن خلكان ٦ ـ ١١٥

---

(١) ورد نص مطابق للنص أعلاه في البيان المغرب لابن عذاري جـ ٤ ـ ١١٥ .

١٨٢ ـ رسالة ثانية من يوسف بن تاشفين إلى الفونسو السادس في نفس المناسبة .

استشاط الفونسو السادس غضباً من رسالة يوسف بن تاشفين السابقة له ورد عليه بخطاب عنيف ، فاكتفى يوسف بأن أعاد إليه كتابه ممهوراً بتلك العبارة .

الذي يكون ستراه .

دول الطوائف لعنان ـ ٣٢٣

١٨٣ـ رسالة المعتمد بن عباد إلى ابنه الرشيد في إشبيلية يخبره بظفر المسلمين المؤزر في معركة الزلاقة :

انتصر المسلمون نصراً مؤزراً على الفونسو السادس وهزموه هزيمة شنعاء وقتل القسم الأكبر من جيشه، وجرح هو نفسه، وحمل جريحاً إلى بلاده وذلك في معركة الزلاقة عام ٤٧٩ هـ ، فأرسل المعتمد بن عباد إلى ولده في إشبيلية الرسالة التالية مبشراً ومخبراً .

كتابي هذا من المحلة المنصورة يوم الجمعة الموفي عشرين من رجب ، وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين ، وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة المشركين ، وأذاقهم العذاب الأليم والخطب الجسيم . فالحمد لله على مايسره وسناه من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة في تشتيت شمل الأذفونش والاحتواء على جميع عساكره ـ أصلاه الله نكال الجحيم ولا أعدمه الوبال العظيم المليم ـ بعد إتيان النهيب على محلاته واستئصال القتل في جميع أبطاله وحماته ، حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها ، فلله الحمد على جميع صنعه ، ولم يصبني ـ والحمد لله ـ إلا جراحات يسيرة املت

لكنها فرجت بعد ذلك . فلله المنة والحمد ، والسلام[1] .

نفح الطيب ٦ - ١٠٢

١٨٤ - رسالة أرسلها يوسف بن باشفين الى تميم بن المعز بن باديس في المهدية يصف بلاد المغرب والأندلس وجوازه اليها ، وهزيمته للأذفونش في رجب سنة ٤٧٩ هـ في معركة الزلاقة .

الحمد لله الذي منَّ علينا بالاسلام ، وفضلنا بمحمد عليه السلام ، أحمده حمداً يوجب المزيد من آلايه ، والسبوغ من سر الله ونعمائه ، كان من قضايه جل شأوه وتقدمت أسماؤه لما أراد قمع المردة الطغاة من زناته وغيرهم في بلاد المغرب . سبب لنا إليهم المطلب ، فقفونا آثارهم وأخلينا منهم ديارهم ، وكذلك نفعل بالقوم الظالمين ، فقومنا الدين ومهدنا بها المسلمين فصفت لنا ضمائرهم ، وخلصت إلى الله تعالى نياتهم وسرايرهم ، حتى وصلنا طنجة الركاب ، وأذقنا برغواطة سوء العذاب ، ففتح الله لنا وبها ، وهو خير الفاتحين وأسرع الحاسبين لا إله غيره وهو أرحم الراحمين . ولما بلغنا من استحواذ النصارى - دمرهم الله - على الأندلس ومعاقلها ، وإلزام الجزية لرؤسائهم ، واستيصال أقالمها ، وإيطايهم البلاد داراً داراً ، لا يتخوفون عسكراً يخرج إليهم فيبدد جمعهم ، ويفل حدهم ، وهم مع ذلك كله يقتلون الشيب والشبان ويأسرون النساء والصبيان ، فخوطبنا عن الجواز إلى الأندلس من جميع الأحواز ، المرة بعد المرة ، وألوتنا الأعذار إلى وقت الإقدار ، ولم نجد للجواز باباً ، ولا لدخول البحر أسباباً ، فانضم لنا منهم الريس الأجل المعتمد على الله ، المولى بنصر الله ، أحسن

---

(١) ذكر كل من ابن الخطيب في تاريخ المغرب العربي - ٢٤٥ وابن عذاري في البيان المغرب ٤ - ١٣٩ نصاً مقارباً للنص أعلاه .

الله في كل الأمور عونه ، وأقر بكل صالحة عينه ، فعزمنا على الغزو ، وجوزنا للعدو أسوداً ضارية وسباعاً عادية ، شيباً وشباناً ، بسواعد قوية وقلوب في سبيل الله نقية ، قد عرفوا الحروب وجربوها ، فهي أمهم وهم بنوها ، يتلمظون تلمظ الفهود ، ويزأرون إليها زأر الأسود ، فشحنا بهم القوارب ، وأوسعناهم على ظهور المراكب ، فخرجنا في مرسى الجزيرة الخضراء من دياره ـ وفقه الله ـ ففزع الناس من كل أفق إليهم ، ووفدوا من كل قطر إليهم ، متعجبين من هيآتهم ، محتقرين لزيهم ونغماتهم ، لا يروعهم منهم حاشي الخيل والدرق ، وهم في ذلك لا ينالون إلا بعد جف الريق ومسح العرق ، وقدروا أنهم طعم للسيوف وغرض للحتوف ، وسعد للأرماح ونهب للسلاح ، فكل استصغرهم ، والجميع منهم احتقرهم ، وتبلغ إلينا أخبارهم وأقوالهم ، وتنتهي إلينا أفعالهم . ثم اتبعناهم جيشاً بعد جيش ، بخيول كالفحول عليها الكهول وعدد من كل أمرد ، على أجرد يتسابقون إلى اللقاء في الفضاء ، تسابق الحين والقضاء . ومع هذا كله إن أهل الأندلس مستبشرون بنصرهم على أيدينا ، وإزاحة غمتهم بسببنا وعساكرنا تتزيد ، وجوازنا يتأكد . وكان آخر من جاز منا ومعنا ، قطعة من صنهاجة بني عمي ، فعسر البحر حينئذ للجواز ، واضطربت فيه الأمواج ، فاستصرخنا الباري تعالى جده وعظم اسمه إن كان في جوازنا خيرة للمسلمين أن يسهل علينا ، فما استكملت من كلامي حتى سهل الله المركب وقرب المطلب فخرجنا من الحين في مرسى الجزيرة الخضراء المذكورة والتأم شعبنا مع من جاز من عسكرنا ، فعملنا على السير . وكان قد تقدم إلينا بالعدوة من قبل الأذفونش أمير النصارى رسالة يخاطبنا فيها بالجواز إلينا ، إذا عجزنا عنه وفرقنا منه ، نعطوه المراكب وتسلموا إليه الشواني والقوارب ، ليرد علينا ويقاتلنا في مأمننا ، فلم نلتفت إليه ولا عرجنا

عليه . ووصلنا أيدينا بالريس الأجل المعتمد على الله المؤيد بنصر الله ، واستوثقنا منه غاية الاستيثاق ، وبيننا معه على اللحاق بهم والورود إليهم . ونحن في ذلك كله لما نقل إلينا وورد علينا من رؤساء الأندلس ، مستبطئين سريرة المختبين ، لابسين قسوة الصالحين ، وقلوبنا شتى ، حتى لحقنا إشبيلية حضرته ، عمرت ببقايه ، وقد تجمع له من جنوده أعداد ، ومن حشمه وعبيده وخيله ورجله أجناد ، فصرنا إلى مدينة بطليوس ، وأقمنا بها أياماً منتظرين لوفد الرؤساء من جميع أقطار الأندلس ، فأخبرنا وصح عندنا أن كل واحد منهم مشتغل مع قطعة كثيرة من النصارى ، قد تغلبوهم على حصونهم ، وأذلوهم في بلادهم وأضعفوهم ، وشجعوهم على مرادهم . فحمدنا الله تعالى ، ودعونا بتيسير المراد واستنقاذ العباد ، فجمعنا عساكرنا وسرنا إليه . وصرنا إلى قفل قورية من بلاد المسلمين ، صرفها الله . فسمع بنا وقصد قصدنا ، وورد ورودنا واحتل بفنائها منتظراً لنا ، فبعثنا إليه بحضه على الإسلام ، ودخوله في ملة محمد عليه السلام ، أو ضرب الجزية عليه ، وإسلام ماكان من المال والبيوت لديه ، كما أمرنا الله تعالى ، وبين لنا في كتابه من إعطاء الجزية عن يدوهم صاغرون ، فأبا وتمرد وكفر ونخر ، وعمل على الإقبال علينا ، وحث في الورود علينا ، فلحقنا بيننا وبينه فراسخ . فلما كان بعد ذلك برزنا عليه أياماً فلم يجبنا ، فبقينا وبقوا ، ونحن نخرج الطلائع إليه ، ونتابع الوثوب عليه . وبنينا على لقايه يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت لرجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة . فلما كان يوم الجمعة ثانيه ، ورد علينا بكتايب قد ملأت الآفاق ، وتقلبت تقلب الحتوف للأحداق ، قد استلموا الدروع للكفاح ، وربطوا في سوقهم الألواح ، وبطونهم ملأ من الخمور ، يقدرون أن الدائرة علينا تدور . ونحن في أخبيتنا صبيحة اليوم المذكور

كل مناساهٍ وجميعنا لاهٍ ، فقصد أشدهم شوكة وأصلبهم عوداً وأنجـدهم عديداً محلة المعتمد على الله المؤيد بنصر الله ـ وفقه الله ـ عمـاد رؤساء الأندلس وقطبهم ، لايقدرون عسكراً إلا عسكره ، ولارجالاً إلا رجاله ، ولا عديداً إلا عديده . وداود من أصحابنا منا إلى إزايه ، فهبطوا إليه لفيفاً واحداً كهبوط السيل بسوابق الخيل . فلما كان معه من جنده ومن جميع الطبقات ، الذين كانوا يدخرون من قبله الأموال والضياع ، استكت آذانهم واضطربت أضلاعهم ودهشت أيديهم ، وزلزلت أقدامهم وطارت قلوبهم وصاروا كركب الحمير ، فروا يطلبون معقلاً يعصمهم ، ولاعاصم إلا الله ولا هارباً منه الا إليه ، فلحقوا من بطليوس بالكرامات ، لما عاينوا من الأمور المعضلات ، وأسلموه ، أيده الله ـ وحده في طرف الأخبية ، مع عدد كثير من الرجالة والرماة ، قد استسلموا للقضاء ، فوثبوا عليه وثب الأسد على الفرايس ، يعظمون الكنايس فحبسهم حيناً وحده مع من إليه ممن ذكرناه ، وبسطوا منهم الأرض ، ولم يبق من الكل إلا البعـض . ولجأ في الأخبية بعد أن عاين المنية ، وتخلصه الله بنيته في المسلمين وبلغه أمنيته ، بعد أن وقف وقفة بطل مثله ، لا أحد يرد عليه ، ولافارس من فرسانه وعبيده يرجع إليه ، لايروعه أحد منهم فيهزم ، ولايهابهـم فيسأم . ثم قصدت كتيبته سوداء كالجبل العظيم أو الليـل البهيم عسكر داود ، وأخبيته فجالوا فيه جولانا وقتلوا من الخلق ألواناً ، واستشهد الكل بحمد الله وصاروا إلى رضوان الله . ونحن في ذلك كله غافلون حتى ورد علينا وارد وقصـد إلينا قاصد ، فخرجنا من وراء الشعب كقطـع اللهب بجميع من معنا على الخيل المسومة العراب ، يتسابقن الطعن والضراب ، فلما رأونا ووقعت أعينهم علينا ، ظنوا أن الدائرة فينا ولدينا . وأنا طعم أسيافهم ، ولقاء رماحهم ، فكبّرنا وكبر الكل معنا ، مبتهلين لله وحـده

لاشريك له ، ونهضنا للمنون الذي لابد منه ولامحيص لأحد عنـــه ، وقلنا هذا آخر يومنا من الدنيا ، فلتموتوا شهداء ، فحملوا علينا كالسهام فثبت الله أقدامنا وقوى أفئدتنا ، والملائكة معنا ، والله تعالى ولي النصر لنا ، فولوا هاربين ، وفروا ذاهبين ، وتساقط أكثرهم بقدر الله تعالى دون طعنة تلحقه ، ولاضربة تثخنه ، وأضعف الرعب أيديهم فطعنـاهم بالسمهرية دون الوخز بالإبر ، وضاقت بهم الأرض بما رحبت ، حتى أن هاربهـم لايرى غير شيء إلا ظنه رجلاً ، وفتكت فيهم السيوف على رغم الأنوف فوالله لقد كانت تقع على الدروع فتفريها ، وعلى البيضات فتبريها ، وزرقوا الرجالة منا على خيلهم الرماح فشكوهم بها فرمحت بهم ، فما كنت ترى منهم فارساً إلا وفرسه واقف على رأسه لايستطيع الفرار ، الكل يجر عنانه كأنه معقل بعقاله . ونحن راكبون على الجواد الميمون ، العربي المصون ، السابق اللاحق ، المعد للحقائق ، ومامنا إلا من له جرناز فيه سيفان ، وبيدنا الثالث ، عسى أن يحدث من حادث ، فصاروا في الأرض مجدلين ، موتى معفرين ، وقد تراجع الناس بعد الفـرار ، وأمنـوا من العثار ، وتضافروا مع عسكرنا وغيرهم ، يقطعون رؤوسهم وينقلون بإزاء المحلات حتى علت كالجبال الراسيات ، عدد لايقدر ومدد لايحزر والتجريد فيهم والأيدي متعاودة لبطونهم ، واستأصلنا أكابرهم ، وحاللنا دون أماطيلهـم وأمانيهم ، ومار بك بغافل عما يعمل الظالمون ، وانقطع من عسكرهم نحو ألفي رجل أو أقل ، والأذفونش فيهم على ما أخبرنا قد أثخنوا جراحـاً بإزاء محلاتهم ، يرتادون الظلام للهروب في المقام ، والله لقد كان الفرسان والرجالة يدخلون محلتهم ويعثرون في أخبيتهم ، وينتهبون أزودتهـــم وهم ينظرون شذراً نظر التيوس إلى شفار الجازرين ، الى أن جن الليل وأرخى

سدوله ولوا هاربين وأسلموا رحايلهم صاغرين ، فكم من دلاصٍ على البقاع ساقطة ، وخيول على البقاع رابضة ، ولقد ارتبط كل فارس منا الخمسة الأفراس أو أزيد . وأما البغال والحمير فأكثر من ذلك . وأما الثياب والمتاع فناهيك ، والأسرة بأوطية الحرير ، والثياب والأوبار عدد ليلهم ، ولا يكلون في الانتقال ولا يسأمون من تشريط الأموال ، ولحقوا قورية ومنها حيث ألقت رحلها أم قشعم ، فصححنا ضمائرنا وأخلصنا للمعتمد على الله نياتنـا وسرايرنا . ورجعنا بحمد الله غانمين منصورين ، لم يستشهد منا إلا الفرقة التي قدر الله عليها بذلك ، وقدرنا أن الكل منهم هلك لقلة معرفتهم وجهالتهـم بقتال النصارى ، وتراميهم للشهـــادة ، قدس الله أرواحهم وكرم مثواهم وضريحهم وجعل الجنة ميعاداً بيننا وبينهم . وفقدنا من أكابرنا نحو العشرين رجلاً ممن شهدت نجدته في المغرب ، وانقلبت خير منقلب ، ولحقنا اشبيلية حضرته ، عمرت ببقايه وأقمنا عنده أياماً ورفعنا عنه مودعين لاتودع قاطع ولا يمنعنا منه حتى أحب مانع . ولحقنا الجزيرة الخضراء ، ونحن نريد أشياء أسأل الله تمامها وإنجازها ، وأن يسهل المراد ويوفقنا للسداد . ومتى تنفس منهم متنفس وأرجح الى أحدهم نفس يذكرون مالقوا ، ويتـذاكرون مابقوا وسنستدرجهم من حيث لايعلمون . وأملي لهم إن كيدي متين ، لا يبقى على أديم الأرض منهم حي ، وحتى لايحس منهم أنسي . والحمـد لله رب العالمين على ماقضى وخول وأعطى . وهذا كله مناً منه علينا لامناً عليه . وصلى الله على محمـد خاتم النبيين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم ، وآله الطيبين وسلم تسليماً . والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

دول الطوائف لعنان ٤٤٦ ـ ٤٥٠

١٨٥ - فصول من رسالة أرسلها يوسف بن تاشفين إلى من بالعدوة المراكشية عقب انتصاره في معركة الزلاقة .

أما بعد حمد الله المتكفل بنصر أهل دينه الذي ارتضاه ، والصلاة على سيدنا محمد أفضل رسله وأكرم خلقه وأسره ، فإن العدو الطاغية ـ لعنه الله ـ لما قربنا من حماه ، وتواقفنا بإزائه ، بلغناه الدعوة وخيرناه بين الاسلام والجزية والحرب، فاختار الحرب فوقع الاتفاق بيننا وبينه على الملاقاة في يوم الاثنين الخامس عشر لرجب ، وقال الجمعة عيد المسلمين ، والسبت عيد اليهود ، وفي عسكرنا منهم خلق كثير ، والأحد عيدنا نحن وافترقنا على ذلك ، وأضمر اللعين خلاف ما شرطناه ، وعلمنا أنهم أهل خدع ونقض عهود ، فأخذنا أهبة الحرب لهم ، وجعلنا عليهم العيون ليرفعوا إلينا أحوالهم . فأتتنا الأنباء في سحر يوم الجمعة الثاني عشر من رجب المذكور أن العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين ، يرى أنه قد اغتنم فرصته في ذلك الحين ، فنبذت إليه أبطال المسلمين وفرسان المجاهدين ، فتغشته قبل أن يتغشاها ، وتعمدته قبل أن يتمداها ، وانقضت جيوش المسلمين في جيوشهم انقضاض العقاب على عقيرته ووثبت عليهم وثوب الأسد على فريسته ، وقصدنا برايتنا السعيدة المنصورة في سائر المشهدة المنتشرة ، ونظروا إلى جيوشنا المتوجهة نحو الفنش ، فلما أبصر النصارى رايتنا المشتهدة المنتشرة ، ونظروا إلى مواكبنا المنتظمة والمظفرة وأغشتهم بروق الصفاح ، وأضلتهم سحائب الرماح ، وزلت بحوافر خيولهم رعود الطبول بذلك الفياح ، فالتحم النصارى بطاغيتهم الفنش ، وحملوا على المسلمين حملة منكرة ، فتلقاهم المرابطون بنيات خالصة ، وهمم عالية ، فعصفت ريح الحرب ، وركبت دائم السيوف والرماح بالطعن والضرب ، وطاحت المهج ، وأقبل سيل الدماء في هرج ، ونزل من سماء الله على أوليائه النصر العزيز والفرج ، وولى الفونش مطعوناً في إحدى ركبتيه طعنة أفقدته إحدى

ساقيه ، في خمس مائة فارس من ثمانين ألف فارس ومائتي ألف راجل قادهم الله إلى المصارع والحتف الماجل . وتخلص - لعنه الله إلى جبل هنالك ، ونظروا النهب والنيران في محلته من كل جانب ، وهو من أعلى الجبل ينظرها شزراً ، ويحيد عنها صبراً ، ولا يستطيع لها دفعاً ولا لها رفعاً فأخذ يدعو بالثبور والويل ، ويرجو النجاة في ظلام الليل ، وأمير المسلمين بحمد الله قد ثبت في وسط مواكبه المظفرة وتحت ظلال بنوده المنتشرة ، منصور الجهاد ، مرفوع الأعداد ، ويشكر الله تعالى على ما منحه من نيل السؤال والمراد ، فقد سرح الغارات في محلاتهم تهدم بناءها ، وتصطلم ذخائرها وأسبابها ، وتريه رأي العين دمارها ، ونهبها ، والفنش ينظر إليها نظر المغشي عليه ، ويعض غيظاً ، وأسفاً ، على أنامل كفيه ، فتتابعت البهرجة الفرار رؤساء الأندلس المنهزمين نحو بطليوس والغار ، فتراجعوا حذاراً من العار ولم يثبت منهم غير زعيم الرؤساء والقواد أبو القاسم المعتمد بن عباد ؛ فأتى إلى أمير المؤمنين وهو مهيض الجناح ، مريض عنه وجراح ، فهنأه بالفتح الجليل ، والصنع الجميل . وتسلل الفنش تحت الظلام فاراً لايهدى ، ولا ينام ، ومات من الخمس مئة فارس الذين كانوا معه بالطريق أربع مئة فلم يدخل طليطلة إلا في مئة فارس . والحمد لله على ذلك كثيراً . وكانت هذه النعمة العظيمة والمنة الجسيمة يوم الجمعة الثاني عشر لرجب سنة تسع وسبعين وأربع مئة ، موافق الثالث والعشرين لشهر اكتوبر العجمي .

دول الطوائف لعنان ٤٥١ - ٤٥٢

١٨٦ - رسالة إلى يوسف بن تاشفين من قائد جيشه في الأندلس سير بن أبي بكر .

ترك يوسف بن تاشفين جيوشه في ثغور الأندلس بعد الزلاقة بقيادة سير ابن أبي بكر ورجع إلى مراكش ، فأرسل إليه يقول :

إن الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو، وملازمة الحرب والقتال في أضيق العيش، وأنكده. وملوك الأندلس في بلادهم وأهليهم في أرغد عيش وأطيبه.

١٨٧ – جواب يوسف بن تاشفين إلى قائده سير بن أبي بكر عن الرسالة السابقة:

أن يأمرهم بالنقلة والرحيل إلى أرض العدوة، فمن فعل فذاك، ومن أبى فحاصره وقاتله ولا تنفس عليه، ولتبدأ بمن والى الثغور، ولا تتعرض للمعتمد بن عباد إلا بعد استيلائك على البلاد، وكل بلد أخذته فول عليه أميراً من عسكرك.

نفح الطيب للمقري ٦ / ١٠٤

١٨٨ - رسالة جوابية من يوسف بن تاشفين إلى الأمير عبد الله أمير غرناطة:

أرسل الأمير عبد الله إلى يوسف بن تاشفين رسالة يشرح له فيها الظروف التي أدت به إلى دفع الجزية للفونسو. ولكنه لم يقنع وأجابه بما يلي:

أما مداهنتك وقولك الباطل فقد علمناه، وستعلم عن قريب كيف ترضى الرعية، وما تصنع إذ زعمت أنك نظرت لها، ولا تسوف، فإن هذا قريب غير بعيد.

مذكرات الأمير عبد الله ١٢٧

١٨٩ - بيان أذاعه يوسف بن تاشفين وبلغه جميع حكام الحصون والبلاد الواقعة في مملكة غرناطة، لما قرر احتلالها وضمها إلى ملكه.

أما بعد، فقد: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، إن لم تطيعونا: فأذنوا بحرب من الله ورسوله.

مذكرات الأمير عبد الله - ١٤٨

١٩٠ - رسالة يوسف بن تاشفين إلي الأمير عبد الله حاكم غرناطة يؤمنه ، ويخبره في الاستقرار في بلد يختارها إن هو استسلم له :

فقرة منه :

إن كنت استوحشت من النزول إلينا ، فتخير من بلادك موضعاً تصير فيه ، ولتكن غير غرناطة لنرى فيها رأينا .

مذكرات الأمير عبد الله - ١٤٩

١٩١ - رسالة يوسف بن تاشفين إلى المعتمد بن عباد

ساءت العلاقات بين ابن تاشفين والمعتمد بعد أخذ الأول غرناطة ، وحاول ابن تاشفين القبض على المعتمد ، ولكن هذا تنبه للأمر وهرب إلى بلده وهناك أرسل له يوسف يقول :

نريد الاجتماع بك فيما نحن بسبيله .

وكان قصده أن يقول لا ، حتى يجد السبيل إليه .

١٩٢ - رسالة جوابية من المعتمد إلى يوسف بن تاشفين

إن ذلك كان وقت كنت ضيفاً وتريد الغزو ، فلزمني معونتك بنفسي وجميع أموالي . والآن إنما أنت لي جار مثل باديس وحفيده . وأنت أقدر مني على الشر بجنودك ، فلا يمكنني التغرير بنفسي عسي أنك تريد أخذ بلدي ، إذ لا تصح لك غرناطة ، إلا بما يضاف إليها من الأندلس .

مذكرات الأمير عبد الله - ١٦٩

١٩٣- رسالة من المستعين بالله بن هود حاكم سرقسطة الى يوسف بن تاشفين .

احتل يوسف بن تاشفين جميع بلاد الأندلس ، وخلع ملوكها ، واعتقل قسماً منهم ، وقتل اقلهم ، إلا ابن هود صاحب الثغر الأعلى سرقسطة ، فقد

تمكن من جعل يوسف يقنع منه بالولاء والهدايا ، وقد أرسل ابن هود ليوسف يقول :

نحن بينكم وبين العدو سد لا يصل إليكم منه ضرر ومناعين تطرف وقد قنعنا بمسالمتكم ، فاقنعوا منا بها إلى ما نعينكم به من نفيس الذخائر .

البيان المغرب لابن عذاري ٤ ـ ١٤٥

١٩٤ ـ رسالة جوابية من يوسف بن تاشفين إلى المستعين بالله ابن هود هي عبارة عن كتاب أمان وتقليد من يوسف إلى ابن هود .

من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى المستعين بالله أحمد بن هـود ـ أدام الله تأييده ـ إليك ، والله عز وجل يوالي أيام سعدك ، ويعالي أعلام مجدك ، ويطيل في طاعته وعلى أحسن ما تمناه عمرك ، ويشد بتقواه أزرك ويجري على كل لسان صـدق ذكرك ، من حضرة مراكش ، حيث تتلى آيات شرفك ، ومآثر السادة القادة سلفك ، ونحن نحمد الله بجميع المحامد ، ونستهديه أيمن المسالك وأبين المقاصد ، ونسأله أتم الفوائد وأعم العوائد ، ونصلي على سيدنا صفوة أوليائه وخاتم رسله وأنبيائه ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً وأما الذي عندنا ـ أيدك الله ـ لجانبك الكريم ، ومجدك العميم ، ومحلك المعلوم المفهوم ، فؤاد صريح ، وعقد في ذات الله تعالى صحيح .

ووردنا ـ أدام إقبالك وأجرى إلى غاية الافضال آمالك ـ نشأة السيادة والفضل ، والنباهة والنبل ، أبو مروان عبد الملك ابنـــك ولادة وتنشياً وابننا ودادة وتقرباً . زاد الله به عينك قرة ، ونفسك مسرة ، ومعه وزيراك أبو الأصبغ وأبو عامر ، أكثر منهما الله بتقواه ، وكلاً وفيناه حـق نصابه وآتيناه بره من بابه ، وتلقيناه تكرمة بمقتضى دواعيه وأسبابه ، وأديا إلينا كتابك الخطير ، المقبول المبرور ، فوقفنا به على وجه شخوصهما ، وأصغينا في تفصيل جمله إلى تلخيصهما ، فألقينا إليهما مراجعة عن ذلك مالقناه ، وسفرناهما

عن وجه مقصدنا فيه حتى يستبيناه ، من جملة الوفاق ، وجماع الانتظام في سلك ما يرضي الله تعالى ، والاتساق ، إن شاء الله [1] .

تاريخ إسبانيا الاسلامية لابن الخطيب ١٧٣ ــ ١٧٤

١٩٥ - رسالة المرتضى علي بن مجاهد حاكم جزائر الأندلس إلى المستنصر بالله الفاطمي .

أرسل المستنصر الفاطمي للمرتضى هذا خطاباً يطلب منه إغاثة مصر بالأطعمة إبان الشدة العظمى فاستجاب له وأرسل له سفينة محملة بالمؤن والأطعمة ، فردها المستنصر مشحونة بالتحف والذخائر ، فسر المرتضى بذلك وبعث الى المستنصر برسالة شكر هذه مقتطفات منها :

فالآن استمد المريد واستقر الضمير فتبسم مولى الحضرة رياضاً عطرة وارد روضها زهراً ، وشام برقها ممطراً ، واستوضح هلالها مبدراً ، وارتشف ماءها حضراً . فما الشكر وإن جزل ، يوفي ثنايا ذلك الافضال والانعام ، ولا اللسان وان جفل يتعاطى ذلك الشأو ، ولا الأقلام ولا الطوق يقوم بأعبائها حق القيام . وأي وسع يباري البحر وهو لهام وأي طوق يطيق ركني شمام ، ولو كانت للمولى بالقدر يدان وساعده امكان وساعفه زمان لأم بشخصه كعبة الآمال ، واستقبل بقصده قبلة السمة والاقبال واستلم بيده ركن الانعام والافضال ...

دول الطوائف لعنان ــ ٢٠٣

(١) أورد صاحب البيان المغرب ج ٤ ـ ١٤٥ نصاً قريباً من النص اعلاه ، مع وجود بعض الخلافات الثانوية .

د ـ المرابطون ٤٥٣ ـ ٥٤١ هـ/١٠٦١ ـ ١١٤٦ م

١ ـ يوسف بن تاشفين ٤٥٣ ـ ٥٠٠ هـ/١٠٦١ ـ ١١٠٧ م

١٩٦ ـ رسالة من محمد بن ابراهيم الكزولي (ويسمى أيضا الجزولي) إلى يوسف بن تاشفين .

استعصى محمد هذا في جبل مع قبيلته قبيلة كزولة ، وهو سيدها ومالك جبلها ، ولم يتابع يوسف بن تاشفين ، فحاول قتله بالسم ، فأرسل له مع قوم جراراً من عسل مسموم ، ولكن محمداً انتبه أنها مسمومة ونجا منها فأرسل الى يوسف يقول له في رسالة :

إنك قد أردت قتلي بكل وجه ، فلم يظفرك الله بذلك ، فكف عن شرك ، فقد أعطاك الله المغرب بأسره ، ولم يعطني غير هذا الجبل ، وهو في بلادك كالشامة البيضاء في الثور الأسود ، فلم تقنع بما أعطاك الله عز وجل .

الكامل في التاريخ لابن الأثير حـ ١٠ ـ ١٧٨

١٩٧ ـ مرسوم أصدره يوسف بن تاشفين إلى كافة عماله يطلب منهم ألا يخاطبوه بعد الآن إلا بلقب أمير المسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً . من أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين إلى الأشياخ والأعيان والكافة من أهل « فلانة » ، أدام الله كرامتهم بتقواه ووفقهم لما يرضاه . سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله أهل الحمد والشكر ، وميسر اليسر وواهب النصر والصلاة على محمد المبعوث بنور الفرقان والذكر ، وإنا كتبناه إليكم من

حضرتنا العلية ، مراكش ، حرسها الله ، في منتصف محرم سنة 466 .

وإنه لما منّ الله علينا بالفتح الجسيم ، وأسبغ علينا من أنعمه الظاهرة والباطنة برود النعيم ، وهدانا وهداكم إلى شريعة نبينا محمد المصطفى الكريم صلى الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، رأينا أن نخصص أنفسنا بهذا الاسم لنمتاز به على سائر أمراء القبائل ، وهو : أمير المسلمين وناصر الدين . فمن خطب الخطبة العلية السامية فليخطبها بهـذا الاسم إن شاء الله تعـالى .

والله ولي العدل بمنه وكرمه ، والسلام(١)

المغرب عبر التاريخ لإبراهيم حركات ـ ٢٠١

١٩٨ ـ عهد الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى يوسف بن تاشفين بحكم المغرب. والعهد من إنشاء أمين الدين أبي سعيد العلاء بن وهب بن موصلايا .

هذا ماعهد عبد الله ووليه ، عبد الله القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى فلان حين انتهى إليه ماهو عليه من ادراع جلابيب الرشاد في الاصدار والإيراد ، واتباع سنن من أبدى وأعاد ، فيا يجمع خير العاجلة والمعاد ، والتخصيص من حميد الأنحاء والمذاهب ، بما يستمد بـه أصناف الآلاء والمواهب ، والتحلي من السداد الكامل بما فاز فيه بامتطـاء الغارب من الجمال والكاهل ، واتضح ماهو متشبث به من صحة الدين واليقين ، المواظبة من اكتساب رضا الله تعالى على ماهو أقوى الظهير والمعين ، في ضمن ماطوى عليه ضلوعه ، وأدام لهجه به وولوعه : من موالاة لأمير المؤمنين يدين الله تعالى بها ، ويرجو النجاة من كل مخوف باستحكام سببها ، ومشايعـة

(١) ذكر عنان في كتابه عصر المرابطين والموحدين في الاندلس ص ٣٩ نصاً قريباً من نصنا هذا .

لدولته ساوى فيها بين ما أظهر وأسر ، وأمل في اجتناء ثمرها كل ما أبهج وسر ، فولاه الصلاة بأعمال المغرب والمعاون ، والأحداث والخراج والضياع والأعشار والجهبذة والصدقات والجوالي وسائر وجوه الجبايات والعرض والعطاء والنفقة في الأولياء والمظالم وأسواق الرقيق ، والعيار في دور الضرب والطرز والحسبة ببلاد كذا وكذا ، سكوناً إلى استقلاله بأعباء ما استكفاه إياه ، واستقباله النعمة عليه في ذلك بكل ماينشر ذكره ويطيب رياه ، وثقة بكونه للصنيعة أهلاً ، وبأفياء الطاعة الإمامية مستظلاً ، وتوفره على مايزيده بحضرة أمير المؤمنين حظوة ترد باع الخطوب عنه قصيراً ، وتمد مقاصده من التوفيق بما يضحي له في كل حالة نصيراً ، وعلماً بما في اصطناعه من مصلحة تستنير أهلتها ، وتستثير من شبه الغي شواهدها وأدلتها . والله تعالى يصل مرامي أمير المؤمنين بالاصابة ويعينه على مايقر كل امرىء في حقه ويحله نصابه ، ويحسن له الحظوة في كل مايغدو له ممضياً ، ولمطايا الاجتهاد في فعله منضياً ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل وإليه ينيب . وأمره باعتماد تقوى الله تعالى في الاعلان والاسرار ، واعتقاد الواجب من الاذعان بفضلها والاقرار ، وأن يأوي منها إلى أمنع المعاقل وأحصنها ، ويلوي عنان الهدى فيها إلى أجمل المقاصد وأحسنها ، ويجعلها عمدته يوم تعدم الأنصار وتشخص الأبصار ، ليجتني من ثمرها مايقيه مصارع الخجل ، ويجتلي من مطامعها مايؤمنه من طوارق الوجل ، ويرد بها من رضا الله تعالى أصفى المشارب ، ويجد بها من نوال المنى أنفس المواهب ، فإنها أبقى الزاد وأدعى في كل أمر إلى وري الزناد ، وقد خص الله بها المؤمنين من عباده ، وحض منها على ماهو أفضل عدة المرء وعتاده ، فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق

تقاته ولاتموتنّ إلا وأنتم مُسلمون)[1].

وأمره أن يأتم بكتاب الله تعالى مستضيئاً بمصباحه ، مستضيماً لسلطان الغي بالوقوف عند محظوره ومباحه ، وبقصد الاستبصار بمواعظه وحكمه ، والاستدرار لصوب التوفيق في الرجوع إلى متقنه ومحكمه ، ويجعله أميراً على هواه مطاعاً ، وسميراً لايرى أن يكشف عنه قناعاً ، ودليلاً إلى النجاة من كل مايخاف آثامه ، وسبيلاً إلى الفوز في اليوم الذي يسفر عن فصل الخطاب لثامه ، ويتحقق موقع الحظ في إدامة درسه وصلة يومه في التأمل بأمسه ، فإنه يبدي طريق الرشد لكل مبدىء في العمل به معيد : (وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيمٍ حميدٍ)[2].

وأمره أن يحافظ على الصلوات قائماً بشروطها وحدودها ، وشائماً بروق التوفيق في أداء فروضها وحقوقها ، ومسارعاً إليها في أوقاتها بنية عائفة مناهل الكدر والرنق ، عارفة بما في إخلاصها من نصرة الهدى وطاعة الحق ، وموفراً عليها من ذهنه ما الحظ كامن في طيه وضمنه ، وموفياً لها من الركوع والسجود ما الرشاد فيه صادق الدلائل والشهود ، متجنباً أن يلهيه عنها من هواجس الأفكار ووساوس القلب العون منها والابكار ، مايقف فيه موقف المقصر المغالط ، وينزل فيه منزلة الجاحد للنعم الغامط . وقد أمر الله تعالى بها وفرضها على المؤمنين وأوجبها ، وحث على إقامتها على مايفضي إلى صلاح المقاصد واستقامتها ، فقال عز من قائل : (فأقيموا الصلاة إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً)[3].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢

(٢) سورة فصلت الآية ٤٢

(٣) سورة النساء الآية ١٠٣

وأمره بالسعي في أيام الجمع إلى المساجد الجامعة ، وفي الأعيـاد إلى المصليات الضاحية ، بعد أن يتقدم في عمارتها وإعداد الكسوة لها ، بما يؤدي إلى كمال جلاها ، ويحظى من حسن الذكر بأعذب الموارد وأحلاها ويوعز بالاستكثار من المكبرين فيها والقوام ، وترتيب المصابيح العائدة على شمل جمالها بالاتساق والانتظام ، فإنها بيوت الله تعالى التي تتلى فيها آياته ، وتعلى فيها أعلام الشرع وراياته ، وأن يقيم الدعوة على منابرها لأمير المؤمنين ، ولولي عهده العدة للدين القاسم عبد الله بن محمد بن أمير المؤمنين ، أدام الله تعالى به الامتاع وأحسن عن ساحته الدفاع ، ثم لنفسه جارياً في ذلك على ما ألف من مثله ، وسالكاً منه أقوم مسالك الاهتداء وسبله ، وقد بـين الله تعالى مافي عمارتها من دلائل الايمان والفوز بما يعطي من سخط الله تعالى أوثق الأمان في قوله تعالى : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) [١] . وقال في الحث على السعي إلى الجوامع التي يـذكر فيهـا اسمه ويظهر عليها منار الإسلام ورسمه : (يا أيهـا الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) [٢] .

وأمره أن يعتمد في إخراج الزكاة ما أمر الله تعالى به ، وهدى منه إلى أرشد فعل وأصوبه ، ويقوم بذلك القيام الذي يحظيه بجميل الذكـر وجزيل الأجر ، ويشهد له بزكاء المغرس وطيب النجر ، ويقصد في أداء الواجب منه مايصل أمسه في التوفيق بيومه ويطلق الألسنة بحمده ويكفها عن لومه ، متجنباً من إخلال بما نص عليه في هذا الباب ، أو إهمالٍ فيه

---

(١) سورة التوبة الآية ١٨

(٢) سورة الجمعة الآية ٩

لما يليق بذوي الديانة وأولي الألباب ، ومتوخياً في المسارعة إليه بما يتطهر به من الأدناس ، ويتوفر به حسن الأحدوثة عنه بين الناس ، فقد جعل الله تعالى الزكاة من الفروض التي لاسبيل إلى المحيد عنها ، ولا دليل في الفوز أوفى منها ، وأمر رسوله ﷺ بأخذها من أمته ، وأبان عن كونها مما يجتنى كل مرغوب فيه من ثمرته ، ووصل الأمر له في ذلك بما يوجب فضل المسابقة إلى قبوله ، لما فيه من الحظ الكامل في استنارة غرره وحجوله ، في قوله سبحانه . (خذْ من أموالهمْ صدقةً تطهرهمْ وتزكّيهم بها ، وصلِّ عليهم إنّ صلاتك سكنٌ لهم ، والله سميع عليمٌ)[3].

وأمره أن يهذب من الدنس خلاله ، ويصل بأقواله في الخير أفعاله ، ويتنع من تلبية داعي الهوى المضل ، ويتبع سنن المستضيء بالهدى المستظل ويقبض يده عن كل مجرم توثق أشراكه وتوبق غوائله ، وتؤذن بسوء المنقلب شواهده ودلائله ، ويجعل له من نهاره رقيباً على نفسه يصونها عن مراتع الغي ومطارحه ، وأميناً يصد عن مسارب الإثم ومسارحه ، فإنها لاتزال أمارة بالسوء إن لم تقد إلى جدد الرشد ، وتقم لها سوق من الوعظ يبلغ فيها أقصى الغاية والأمد ، فالسعيد من أضحى لها عند سورة الغضب وازعاً ، وأنحى عليها بلوم يغدو معه عن كل مايسخط الله تعالى نازعاً ، وأن يتنزه عن النهي عما هو له مرتكب ، والأمر بما هو له مجتنب ، إذ كان ذلك بالهجنة حالياً ، وبين المرء وبين مقاصد هديه حائلاً قال الله تعالى :

(أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون)[4] .

---

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٣

(٤) سورة البقرة الآية ٤٤

وأمره أن يضفي على من قبله من أولياء أمير المؤمنين وجنوده أصناف جلابيب الإحسان وبروده ، ويخصهم من جزيل حبائه بما يصلون منه إلى أبعد المدى ، ويملكون به نواصي الآمال ويدركون قواصي المنى ، ويميز من أدى واجبه من الطاعة وفرضه وأبدى صفحته في الغناء بين يديه بمزيد من الاشتمال يرهف بصيرة كل منهم في التوفر على ماوافقه ، ووصل بآنفه في التقرب إليه سابقه ، ويدعو المقصر إلى الاستبصار في اعتماد مايلحق فيه رتبة من فازت في الحظوة قداحه وفاتت الوصف غرره في الزلفة وأوضاحه ، ليمرح به في الاعتداء بلبان النعمة ، كما انتهج جدده في إحسان الخدمة ، وأن يرجع إلى آراء ذوي الحنكة منهم مستضيئاً بها مسترشداً ، وطالباً ضوال الرأي الثاقب ومنشداً ، وقد بين الله فضل المشورة التي جعلها للألباب لقاحاً ، وفي حنادس الشكوك مصباحاً ، حيث أمر رسوله ﷺ بها ، وبعثه منها على أسد الأفعال وأصوبها ، فقال تعالى (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله)[1].

وأمره أن يعدل في الرعايا قبله ، ويحلهم من الأمن هضابه وقلله ، ويمنحهم من الاشتمال مايحمي به أمورهم من الاختلال ، ويحوي به من طيب الذكر بحسب ما اكتسب من رضي الأنحاء والخلال ، ويضفي على المسلم منهم والمعاهد من ظل رعايته ما يساوي فيه بين القوي والضعيف ، ويلحق التليد منهم بالطريف ، ليكون الكل وادعين في كنف الصون ، راجعين إلى الله تعالى في إمدادهم بالتوفيق ، وحسن الطاعة والعون ، وأن ينظر في مظالمهم نظراً ينصر الحق فيه ، وينشر علم العدل في مطاويه ، وينصف معه بعضهم من بعض ، وينصب به لهم من اهتمامه أسنى قسم وحظ ،

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩

ملبناً لهم في ذلك جانبه مبيناً لهم ما يظل به كاسب الأجر وجالبه ، ويزيل عنهم ما شرعه ظلمة الظلمان بتلك الأعمال ، ويديل من تلك الحال باستئناف مايوطئهم كواهل الآمال ، جامعاً لهم بين العدل والاحسان ، جاعلاً أمر الله تعالى في ذلك ملتقي بالطاعة الواضحة الدليل والبرهان . قال الله تعالى : (إنَّ الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)[1] .

وأمره أن يكون بالمعروف آمراً ، وعن المنكر زاجراً ولله تعالى في إحياء الحق وإماتة الباطل متاجراً ، وأن يشد من الساعين في ذلك والداعين إليه ، ويعد القيام بهذه الحال من أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى يوم العرض عليه ، ويتقدم بتعطيل مافي أعماله من المواخير ودحضها وإزالة آثارها ومحوها ، فإنها مواطن بالمخازي آهلة ، ومن مشارب المعاصي ناهلة؛ قد أسست على غير التقوى مبانيها ، وأخليت من كل ما يرضي الله تعالى مغانيها وقد أبان الله تعالى عن فضل الطائفة التي ظلت بالمعروف آمرة وعن المنكر ناهية وضنت بما ترى فيه عن مقاصد الخير ذاهلة لاهية فقال : (كنتم خير أمةٍ أخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عنِ المنكر وتؤمنون بالله) [2].

وأمره أن يرتب لحماية الطرقات من يجمع إلى الصرامة والشهامة ، سلوك محاج الرشاد والاستقامة ، ويجعل التعفف عن ذميم المراتع شاهداً بتوفيق الله إياه ، وعائداً عليه بما تحمد مغبته وعقباه ، ويأمر بحفظ السابلة ، واختصاصهم بالحراسة السابغة الشاملة ، وحماية القوافل واردة صادرة ، واعتمادها بما تغدو به إلى السلامة مفضية صائرة لتحرس الدماء مما يبيحها

---

(١) سورة النحل الآية ٩٠

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠

ويريقها ، والاموال مما يقصد فيه سبيل الإضاعة وطريقها ، وأن يخوفهم نتائج التقصير ويعرفهم مناهج التبصير ، وأن عليهم رقباء يلاحظون أمورهم ويوضحونها ، ليكون ذلك داعياً إلى التحوط والتحرز ، واعتماد الميل إلى جانب الصحة والتحيز . ويوجب لهم بعدما يكفي أمثالهم مثله ، ويكف أيديهم عن الامتداد إلى ما تذم سبله . فإن أخل أحدهم بما حد له ، أو مزج بالسوء عمله ، جزاه بحسب ذلك وموجبه . قال الله تعالى : (من يعمل سوءً يُجز به)[1] .

وأمره أن يتقدم إلى نوابه في الأعمال بوضع الرصد على من يجتاز بها من العبيد الأباق ، والاستظهار عليهم بحسب العدل والاستحقاق ، واستعلام أماكنهم التي فصلوا عنها ومواطنهم التي بعدوا منها ، فإذا وضحت أحوالهم وبانت ، وانحسمت الشكوك في بابهم وزالت ، أعادوهم إلى مواليهم أبو أم شاؤوا ، وأصفوا نياتهم في الرجوع إليهم ، أم شابوا ، وأن يقصدوا إنشاد الضوال ، ويجتهدوا من إظهار أمرها بما يغدو جمال الذكر به في الظلال ، ويتجنبوا أن يمطوا ظهورها بحال ، ويمدوا أيديهم إلى منافعها في إسرار وإعلان ، حتى إذا حضر أربابها سلمت إليهم بالنعوت والأوصاف ، وأجري الأمر في ذلك على ما يضحي به علم العلم عالي المنار ، حالي الأعطاف . فقد أمر الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها . وهدى من ذلك إلى أوضح محاج الصحة ، وسبلها فقال : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل[2] .)

وأمره أن يختار للنظر في المعاون ، وللأجلاب من يرجع إلى دين يحميه

---

(١) سورة النساء الآية ١٢٣

(٢) سورة النساء الآية ٥٨

من مهاوي الزلل ، وصلق عن مد اليد إلى أسباب المطامع ، وكلف بما يعود على ما كلف إياه بصلاح مشرق الطالع ، ومعرفة بما وكل إليه كافية ، ولما يوجب الاستزادة له ما حية نافيه ، ويوعز إليهم بالتشمير في طلب الدعا من جميع الأماكن والأقطار ، وحسم مواد العار في بابهم والمضار ، وأن يمضوا فيهم حكم الله بحسب مقاصدهم في الضلال ؛ وتجري أمورهم على قانون الشرع المنير في حنادس الظلام ، ممتنعين أن يراقبوا من لم يراقب الله تعالى في فعله ويجانبوا الصواب بقبول الشفاعة فيمن شهدت آثاره بذميم سبله . وإذا وقع الظفر بجان قد كشف في الغي قناعه ، وأظهرت مساعيه إباءة من إجابة داعي الرشد وامتناعه ، وأقيم حـد الله تعالى فيه من غير تعدٍ للواجب ولا تعر من ملابس السالكين للجدد اللاحب (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون [١] .)

وأمره أن يوعز إلى أصحاب المعاون أن يشدوا من القضاة والحـــكام ويجدوا في إجراء أمـورهم على أوفى شروط الضبط والاقدام ، ويأمرهم بحضور مجالسهم لتنفيذ أحكامهم وإمضائها ، والمسارعة إلى حث مطايا التشمير في ذلك وإنضائها ، والتصرف على أمثلتهم في إحضار الخصوم ، إذا ما امتنعوا أو سوقهم إلى الواجب إذا زاغوا عنه وانحرفوا ، وأن يتقدم بإمداد عمال الخراج بما يؤدي إلى قوة أيديهم في استيفاء مال الفيء واجتبائه واعتماد ماينصر الحقوق في مطويه وأثنائه ، إذا كان في ذلك ومن الصلاح الجامع وكف المضار وحسم المطامع ما المعونة عليه واجبة ، وللتوفيق مقارنـــة مصاحبة ، قال الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب [٢] .)

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٩

(٢) سورة المائدة الآية ٢

وأمره بعرض من تضمه الحبوس من أهل الجرائم ، والجرائر ، وتأمل أحوالهم في الموارد ، والمصادر ، والرجوع إلى متولي الشرطة في ذكر صورة كل منهم والسبب في حبسه ، والتعيين من ذلك على مايعرف به صحة الأمر من لبسه ، فمن ألفى منهم للذنوب إلفاً ، وعن سنن الصواب منحرفاً ترك بحاله وكف بإطالة اعتقاله ، عن مجاله في ميادين ضلاله ، وإن وجد منهم من وجب عليه الحد ، أقيم فيه بحسب ما يقتضيه الحق ، ومن اعترضت في بابه شبهة تجوز إسقاط الحد عنه ودرؤه ، اعتمد إلحاقه في ذلـك بمن اتصل إليه صوب الاحسان ودره ، ومن لم يكن له جرم وتظهر صحة شاهده ودليله وقدّم الأمر في إطلاقه ، وتخلية سبيله . وإن غدا لأحدهم سعي في الفساد واضح وبان ، وغوى به في محاربة الحق وخان ، قوبل بما أمر الله تعالى به في كتابه حيث يقول : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيـــديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم[1]) .

وأمره باختيار المرتب للعرض والعطاء والنفقة في أولياء من ذوي المعرفة والبصيرة ، والمشهورين في العفة بتساوي العلانية ، والسريرة ، وممن تحلى بالأمانة جيده ، واعتضد بطريقه في الرشاد تليده وكان بما يسند إليه قيماً ، وفي مقر الكفاية ثاوياً مخيماً ، وأن يتقدم إليه بضبط حلى الرجـال ، وشيات الخيول ، وأن يقصد في كل وقت من تجديد العرض ما يشهد بالاحتياط السابغ الأهداب والذيول ، فإذا وضح وجه الإطلاق وسلم مال الاستحقاق كانت التفرقة على قدر المنازل في التقديم والتأخير ، وبحسب الجرائـد التي تدل

(١) سورة المائدة الآية ٣٣

على الصغير من ذلك والكبير ، ومتى طرق أحدهم ماهو محتوم على خلقه أعاد على بيت المال من رزقه بقدر قسطه وحقه ، وأن يلزمهم إحضار جياد الخيول وخيار الشكك ، ويأخذهم من ذلك بأوضح ما نهج المرء الطريق إليه وسلك ، فإذا أخل أحدهم بما يلزمه البروز فيه يوم العرض ، أو قصر في القيام بالواجب عليه الفرض ، حاسبه بذلك من الثابت باسمه ، والمطلق برسمه تنبيهاً له على تلافي الفارط ، وتبصيراً لغيره في البعد عن مقام المخطيء الغالط إذ كان في قوتهم وكمال عدتهم إرهاب للأعداء والأضداد ، وإرهاف للبصائر فيما يؤدي إلى المصالح الوافية الأعداد والأمداد . قال الله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم[1] .)

وأمره باختيار عمال الخراج ، والضياع ، والأعشار ، والجهبذة ، والصدقات والجوالي ، وأن يكونوا محتضنين من الأمانة والكفاية بما يقع الاشتراك في علمه ، ومتقمصين من ملابس العفة ، والدراية ما تحمد العواقب في ضمنه ومتميزين بما يغنيهم عن الأفكار بنتائج الاتعاظ والاعتبار ، ويغريهم بالاستمرار على السنن المنجي لهم من مواقف التنصل والاعتذار ، وأن يأمر عمال الخراج بجباية الأموال على أجمل الوجوه والأحوال ، سالكين في ذلك جدداً وسطاً ، يحمي من مقام من ضعف في الاستخراج أو سطا ، وأن يتقدم إلى الناظرين في الضياع بتوفية العمارة حقها ، والزراعة حدها ، والتوفير من حفظ الغلات الحاصلة على ما يقتضي فيه أرشد المذاهب وأسدها ، متحرزين من أمر ينسبون فيه إلى العجز . والخيانة ، فكل من الحالين مجز في وضوح أدلة الفساد ومخز ، وإلى الجهابـــذة بقصد الصحة في القبض والتقبيض وحفظ النقد من التدليس والتلبيس ، أداء للأمانة في ذلك ، واهتداء فيه إلى

(١) سورة الانفال الآية ٦٠

أقوم المسالك ، إلى سعاة الطرقات بأخذ الفرائض من مواشي المسلمين السائمة ، دون العاملة والجري في ذلك على السنة الكاسبة للمحمدة الوافية الكاملة ، متجنبين من أخذ فحل الإبل ، وأكولة الراعي ، وعقائل الأموال المحظورة على سائر الأسباب والدواعي ، فإذا استوفيت على الحدود من حقها ، أخرجت في المنصوص عليه من وجوهها وسبلها ؛ وإلى جباة جماجم أهل الذمة بأخذ الجزية منهم في كل سنة ، على قدر ذات أيديهم في الضيق والسعة ، وبحسب العادة المألوفة المتبعه ، ممتنعين من مطالبة النسوان ، ومن لم يبلغ الحلم من الرجال ، ومن علت سنه عن الاكتساب وتبتل من الرهبان ومن غدا فقره واضح الدليل والبرهان ، وفائز بالعهد المسؤول ، وتلقياً لأمر الله تعالى بالقبول حيث يقول : (وأوفُوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً) [1] .

وأمره أن يرد أمر المظالم، وأسواق الرقيق ، ودور الضرب والطرز والحسبة إلى من عضد بالظلف والورع ، وانتظم له شمل الهدى واجتمع ، فكان ذا معرفة بما يحرم ويحل ، وبصيرة يتفيأ بها من عوارض الشبه ويستظل ، وأن يكون النظر في ذلك مضاهياً للحكم ملائماً ، وان يقوم به إلا من لا يرى عاذلاً له في فعله لائماً ، وأن يتقدم إلى من يلي المظالم بتسهيل الاذن للخصوم في الدخول عليه ، وتمكين كل منهم من استيفاء الحجة بين يديه ، والتوصل إلى فصل ما بينهم بحسب ما يقود الحق إليه ، وأن يقصد فيما وقع الخلف معهم فيه ، الكشف الذي بقوم به ، ويستوفيه ، فإن وضح له الحق أنفذه وقطع به ، وإلا ردهم إلى مجالس القضاء لإقضاء ذلك على مقتضى الشرع وموجبه وإلى المرتبين في أسواق الرقيق بالتحفظ فيما يبتاع ويباع ، وأن يستعمل في ذلك الاقتفاء للسنن الجميل والاتباع ، ليؤمن اختلاط الحر بالعبد ، وتحرس

---

(١) سورة الإسراء الآية ٣٤

الأنساب من القدح والفروج من الغصب ، في ضمن حفظ الأموال ، والمنع عن مزج الحرام بالحلال ؛ وإلى ولاة العيار بتصفية عين الدرهم والدينار من الغش والادغال ، وصون السكك من تداول الأيدي الغريبة لها بحال من الأحوال . متحذرين من الاغترار بما ربما وضح الفساد فيه عند الاعتبار ومانعين التجار المخصوصين بالإيراد ، من كل قول مخالف للايثار ، في الصحة والمراد ، ومعتمدين إجراء الأمر فيما يطبع على القانون بمدينة السلام من غير خلاف لمستقر القاعدة في ذلك ومتسق النظام ، وأن يثبت ذكر أمير المؤمنين وولي عهده من المسلمين على ما يضرب من الصنفين معاً ، والمسارعة في ذلك إلى أفضل مابادر إليه المرء وسعى ، وإلى المستخدمين في الطرز بملاحظة أحوال المناسج والاشراف عليها ، وأخذ الصناع بالتجويد على العادة التي يجب لانتهاء إليها ، وإثبات اسم أمير المؤمنين على ماينسج من الكساء والفروش ، والأعلام والبنود ، جرياً في ذلك على السنن المرضي ، والمنهاج المحمود ، وإلى من يراعي الحسبة الشريفة بالكشف عن أحوال العوام في الأسواق ، والانتهاء في ذلك إلى ما ينتهي به شمل الصلاح إلى الانتظام والاتساق ، وأن يتقدم إليهم بما يجب من تعيير ما يختص بهم من المكاييل والموازين وحملها على قانون الصحة الواضحة الدلائل والبراهن ، وأن يقصد تبصرهم مواضع الحظ في الاستقامة ويحذرهم مواقع الانتقام الذي لا تفيد فيه أسباب الاستصفاح والاستقالة ، فإن عرف من أحد منهم إقداماً على إدغال فيما يزن أو يكيل ، قوبل بالتأديب بما هو الطريق إلى ارتداعه والسبيل قال الله تعالى : (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون [1] .)

---

(١) سورة المطففين الآية ١

وأمره أن يعرف قدر النعمة التي ضفت عليه برودها ، وحلت جيده عقودها ، وزفت منه إلى أوفى أكفائها ، وحفت بجزيل القسم من جميع أكنافها وأرجائها ، وأن يقابلها بإخلاص في الطاعة يساوي فيه بين ما يبدي ويسر ، وسعي في الخدمة يوفي على كل مجازٍ ومبر ، ويبدأ أمام ما يتوخاه بأخذ البيعة لأمير المؤمنين وولي عهده على نفسه وولده ، وكافة الأجناد والرعايا في بلده ، عن نية صفت من الكدر ، والقذى ، ووفت للتوفيق بما ضمنت من خذلان البغي ونصرة الهدى ، ويتبع ذلك بالحقوق في كل خدمة ترضى ، والوقوف عند الأوامر الإمامية في كل ما يؤدي إلى الوفاق ، ويفضي وأن يحمل إلى حضرة أمير المؤمنين من الفيء ، والغنائم ما أوجبه الله تعالى وفرضه ، من غير تأخير لما يجب تقديمه من ذلك ولا تقصير منه فيما يقتضي التلافي والاستدراك : ليأمر أمير المؤمنين بصرفه في سبيله المشار إليها ووجوهه المنصوص عليها . قال الله تعالى : (واعلموا أنما غنمتم من شيءٍ فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)[1] .

ثم إن أمير المؤمنين آثر أن يضاعف له من الإحسان مايقتضيه مقامه لديه من وجيه الرتبة والمكان وشرفه بما يرفل من حلاه في حلل الجمال وتكفل له علاه ببلوغ منتهى الآمال وبوأه بما أولاه محلاً تقصر عن الوصول إليه الأقدام ، وتعجز عن حل عراه الأيام ، ولقبه بكذا ، وأذن له في تكنيته عن حضرته ، وتأهيله من ذلك لما يتجاوز قدر أمنيته ، إنافة به على من هو في مساجلته من الأقران طالع ، وإضافة للنعمة في ذلك إلى ما اقترن بها فيما هو يشمل الفخر عنده جامع ، وأنفذ لواء يلوي به إلى الطاعة أبيّ الأعناق ، ويحوي به من العز ما أنواره وافية الإشراق .

(١) سورة الانفال الآية ٤١

فتلق ، يافلان ، هذه الصنيعة الغراء ، والمنحة التي أكسبت زنادك الايراء ، بالاستبشار التام والاعتراف فيها بسابغ الطول والإنعام ، وأشع ذكر ذلك عند كل أحد ، وانته في الإبانة عنه إلى أبعد أمد. واعتمد مكاتبة حضرة أمير المؤمنين متسمياً ، ومن عداه متلقباً متكنياً ، وتوفر على شكر تستدر به صوب المزيد ، وتستحق به إلحاق الطريف من الاحسان بالتليد . والله تعالى يقول : (لئن شكرتم لأزيدنكم)(١) .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، والحجة لك وعليك ، قد أوضح لك فيه الصواب،وأذل به الجوامح الصعاب،وحباك منه بموهبة كفيلةوفية فيها المنى بسابق الضمان والميعاد بخيري البدء والمعاد، وضمنه من مواعظه ماهدى به إلى كل ما الجني ثمره ، وغدا محظياً بما تروق أوضاحه في المجد وغرره ، ولم يألك فيه تجملاً يكسبك الفخر النامي ، ويجعل ذكرك زينة المحفل والنادي ، وتقديماً ينبىء عما خصصت به من المنح المشرقة اللآلي ، وإكراماً يبقى صيته على تقضي الأيام والليالي ، وتبصيراً يقي من فلتات القول والعمل ، ويرتقي المستضيء بأنواره إلى ذرى الأمن من دواعي العثار والزلل ، فاصغ إلى ماحواه ، إصغاء الفائز بأوفى الحظ ، وتدبر فحواه ، تدبُّر الناطق بفضل الحث على الهدى والحض ، وكن لأوامر أمير المؤمنين فيه محتذياً ، ومن تجاوز محدوده في مطاويه محتمياً ، وبمواعظه الصادقة معتبرا ، وفي العمل بما قارن الحق مستبصراً ، تفز بالغنم الأكبر ، وبالسلامة في المورد والمصدر وإياك واعتماد ماتذم فيه مكاسبك ، فإن لك بين يدي الله تعالى موقفاً يناقشك فيه ويحاسبك . واعلم أن أمير المؤمنين قد قلدك جسيماً ، وخولك جزيلاً عظيماً ، فلا تنس نصيبك من الله تعالى غداً ، ولاتجعل لسلطان

---

(١) سورة ابراهيم الآية ٧

الهوى المضل عليك يـداً ، وإن خفي عليك الصواب في بعـض ما أنت بصدده ، واعترض فيه من الشبه مايحول بينك وبين طريق الرشاد وجدده فطالع حضرة أمير المؤمنين بـــه ، واستنجد الله في ذلك بـأسد رأي وأصوبه ، يبدّلك من الشك يقيناً ، ويبد لك مايغدو لكل خير ضميناً إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ / ٣١ – ٤٥

١٩٨ - مكرر - فتوى الإمام الغزالي في حق يوسف بن تاشفين وشرعية ولايته :

ادعي نفر من أعداء يوسف بن تاشفين أنه ليس حاكماً شرعياً فذهب الفقيه ابن عربي إلى المشرق وهناك التقى بالغزالي وشرح له وضع يوسف وطلب تزويده بفتوى تثبيت شرعيته وشرعية ولايته تزوده بفتوى شرعية لأنه يخطب للخليفة المستظهر وفيمايلي نصها :

إن يوسف كان على حق في إظهار شعار الامامة للخليفة المستظهـر ، وإن هذا هو الواجب على كل ملك استولى على قطر من أقطار المسلمين . وإذا نادى الملك المشمول بشعار الخلافة العباسية ، وجبت طاعته على كل الرعايا والرؤساء ، ومخالفته مخالفة للإمام ، وكل من تمـرد واستعصى ، فحكمه حكم الباغي ، ومن حق الأمير أن يرده بالسيف وأن يقاتل الفئة المتمردة على طاعته ، لاسيما وقد استنجدوا بالنصارى وهم أعداء الله ، في مقاتلة المسلمين ، وهم أولياء الله ، وأن يستمر في قتالهم حتى يعودوا إلى طاعة الأمير العادل المتمسك بطاعة الخلافة العباسية . ومتى تركـوا المخالفة وجب الكف عنهم ، وذلك عن المسلمين منهم دون النصـارى . وأما ما يظفر به من أموالهم فمردود عليهم وعلى ورثتهم ، وما يؤخذ من

نسائهم وذراريهم في القتال مبدورة لاضمان لها ، وحكمهم بالجملة في البغي على الأمير المتمسك بطاعة الخلافة ، المستولي على المنابر والبلاد بقوة الشوكة ، وحكم الباغي على نايب الإمام ، فإنه وإن تأخر عنه صريح التقليد لاعتراض العوايق المانعة من وصول المنشور بالتقليد ، فهو نايب بحكم قرينة الحال ، إذ يجب على إمام المصر أن يأذن لكل مسلم عادل ، استولى على قطر من أقطار الأرض ، أن يخطب له وينادي بشعاره ، ويحمل الخلق على العدل والنصفة ، ولا ينبغي أن يظن بالإمام توقف في الرضا بذلك والاذن فيه وإن توقف في كتبه المشهورة ، فالكتب قد يعوق عن إنشايها وإيصالها المعاذير وأما الإذن والرضا بعدما ظهر حال الأمير في العدل والسنة وابتغاء المصلحة للتفويض والتعيين ، فلارخصة في تركه . وقد ظهر حال هذا الأمير بالاستفاضة ظهوراً لايشك فيه وإن لم يكن عن إيصال الكتب والتقليد بمنشور ، مقرون بما جرت العادة بمثله في تقليد الأمراء ، فيجب على حضرة الخلافة بذل ذلك ، فإن الإمام الحق عاقلة الاسلام ، ولايحل له أن يترك في أقطار الأرض فتنة ثايرة ، إلا ويسعى إلى إطفائها بكل ممكن .

عصر المرابطين لعنان جـ ١ / ٤٢ - ٤٣

١٩٩ - رسالة من الغزالي الى يوسف بن تاشفين .

الأمير جامع كلمة المسلمين وناصر الدين ، أمير المؤمنين ، أبو يعقوب يوسف بن تاشفين الداعي لأيامه بالخير ، محمد بن محمد بن محمد الغزالي .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على سيد المرسلين وساير النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين . قال رسول الله ﷺ : « ليوم من سلطان عادل خير من عبادة سبعين سنة » وقال ﷺ : « ما من

والي عشرة إلا ويؤتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ، أوبقه جوره أو أطلقه عدله وقال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلهم الله يوم لاظلّ إلا ظله » وعدل الامام العادل أولهم . ونحن نرجو أن يكون الأمير جامع كلمة الاسلام وناصر الدين ، ظهير أمير المؤمنين ، من المستظلين بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، فإنه منصب لا ينال إلا بالعدل في السلطنة . وقد آتاه الله السلطان وزينه بالعدل والاحسان . ولقد استطارت في الآفاق محامد سيره ومحاسن أخلاقه على الاجمال ، حتى ورد الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الله بن عمر بن العربي الأندلسي ، حرس الله توفيقه ، فأورد من شرح ذلك وتفصيله ماعطر به أرجاء العراق ، فإنه لما وصل إلى مدينة السلام وحضرة الخلافة ، لم يزل يطنب في ذكر ما كان عليه المسلمون في جزيرة الأندلس من الذل والصغار والحرب والاستصغار ، بسبب استيلاء أهل الشرك وامتداد أيديهم إلى أهل الاسلام بالسبي والقتل والنهب ، وتطرقهم إلى اهتضام أهل الاسلام بما حدث بينهم من تفرق الكلمة واختلاف آراء الثوار المحاولين للاستبداد بالإمارة ، وتقاتلهم على ذلك ، حتى اختطف من بينهم حماة الرجال بطول القتال والمحاربة والمنافسة ، وإفضاء الأمر بهم إلى الاستنجاد بالنصارى حرصاً على الانتقام ، إلى أن أوطنوهم بيضة الاسلام وكشفوا إليهم الأسرار ، حتى أشرفوا على التهايم والأغوار ، فرتبوا عليهم الجزا ، وجبروهم بشر الجزا ، ولما استنفدوا من عندهم الأموال أخذوا في نهب المناهل وتحصيل المعاقل . واستصرخ المسلمون عند ذلك بالأمر ناصر الدين وجامع كلمة المسلمين ظهير أمير المؤمنين ابن عم سيد المرسلين ، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، واستصرخه معهم بعض الثوار المذكورين ... عن مداراة المشركين ، فلبى دعوتهم وأسرع نصرتهم وأجاز البحر بنفسه ورجاله وماله ، وجاهد بالله حق جهاده

ومنحه الله تعالى استيصال شأفة المشركين والافراج عن حوزة المسلمين ، جزاه الله تعالى أفضل جزاء المحسنين ، وأمده بالنصر والتمكين ، وذكر متابعته العودة إلى جهة أخرى بعد ثلاثة أعوام من هذه الغزوة المشهورة وقتل كل من ظهر من النصارى بالجزيرة المذكورة من الخارجين لامداد ملوكها على عادتهم ، أو من سراياهم في أي جهة يمموا من جهات المسلمين. وقذف الله الرعب في قلوب المشركين حتى أعناه ذلك عن جر العساكر والجنود وعقد الألوية والبنود. وذكر أن أولايك الثوار ، لما أيقنوا قوة الأمير ناصر الدين وغلبته لحزب المشركين ، وسألهم رفع المظالم عن المسلمين التي كانت مرتبة عليهم بجزية المشركين ، وإمدادهم بمالهم ، مداراة لبقاء أمرهم ، عادوا إلى ممالأة المشركين ، وألقوا إليهم القول في جهة الأمير ، وجرؤوهم على لقايه ، وصح ذلك عنده وعند المسلمين ، فسأله المسلمون عند ذلك إزال هؤلاء الثوار عن البلاد ، وتداركها ومن فيها من المسلمين قبل أن يسري الفساد ، ففعل ذلك. ولما تملكها رفع المظالم وأظهر فيها من الدين المعالم ، وبدد المفسدين واستبدل بهم الصالحين ورتب الجهاد وقطع مراد الفساد. ثم أضاف إلى ذكر ذلك ماشاهده من تلك السجية الكريمة في إكرام أهل العلم وتوقيره لهم ، وتنزيهه باسمهم ، واتباعه لما يفتون إليه من أحكام الله تعالى وأوامره ونواهيه ، وحمله عماله على السمع والطاعة لهم ، وتزيين منابر المملكة الجديدة والقديمة بالخطبة لأمير المؤمنين ، أعز الله أنصاره ، وإلزامه للمسلمين البيعة ، وكانوا من قبل منكفين عن البيعة ، والنداء بشعار الخليفة ، إلى غير ذلك مما شرحه من عجايب سيرته ومحاسن أحواله ومكارم أخلاقه. وكان منصبه في غزارة العلم ورصانة العقل ومتانة الدين يقتضي التصديق له في روايته ، والقبول لكل مايورده من صدق كلمته. وإن ما أفاضه من هذه الفضايل إلى

حضرة الخلافة . أعز الله أنصارها ، فوقع ذلك موقع الاحماد . ثم أذكر مع ذلك توقف طايفة من الثوار الباقين في شرق الأندلس عن مشايعة الأمير ناصر الدين ومتابعته ، وأنهم حالفوا النصارى واستنجدوا بهم . فأعلن المسلمون بالدعاء عليهم والتبري منهم ، ليتوب عليهم أو ليقطع شأفتهم وكتب هذا الشيخ سؤالاً على سبيل الاستفتاء ، وأفتيته فيه بما اقتضاه الحق وأوجبه الدين . وأعجلني المسير إلى سفر الحجاز ، وتركته مشمراً عن ساق الجد في طلب خطاب شريف من حضرة الخلافة يتضمن شكر صنيع الأمير ناصر الدين في حمايته لثغور المسلمين ، ويشتمل على تسليم جميع بلاد المغرب إليه ليكون رئيسهم ، ورؤوسهم تحت طاعته ، وإن من خالف أمره فقد خالف أمر أمير المؤمنين ، ابن [عم] سيد المرسلين ، ويتعين جهاده على كافة المسلمين . ولم يبالغ أحد في بث مناقب قوم ، مبالغة الشيخ الفقيه أبي محمد في بث مناقب الأمير وأشياعه المرابطين . ولقد شاع دعاؤه في المشاهد الكريمة بمكة ، حرسها الله ، لحضرة الأمير وجماعة المرابطين ، ولم يقنعه مافعله بنفسه إلى أن كلف جميع من رجا بركة دعايهم ، الدعاء لهم في تلك المشاهد الكريمة والمناسك العظيمة ، وأعلن بالدعاء لأمير بلده الأمير الأجل أبي محمد سير بن أبي بكر ، وفقه الله تعالى ، وذكر من فضله وحسن سيرته وتلطفه بالمسلمين ورفع جميع النوايب عنهم ، ماجهد به إلى النفوس . ولقد دعي الشيخ الفقيه إلى المقام ببغداد على البر والكرامة والاتصال بأسباب يتشرف بها من حضرة الخلافة ، فأبى إلا الرجوع إلى ذلك الثغر يلازمه للجهاد مع الأمراء ، وفقهم الله تعالى . ولو أقام لفاز بالحظ الأوفى من التوفير والاكرام . وما أجدر مثله بأن يوفى حظه من الاحترام ، وولده الشيخ الامام أبو بكر قد أحرز من العلم في وقت تردده الى مالم يحرزه غيره مع طول

الأمد ، وذلك لما خص به من ... الذهن وذكاء الحس واتقاد القريحة وما يخرج من العراق إلا وهو مستقل بنصيبه ، حايز قصب السبق بين أقرانه . ومثل هذا الوالد والولد خص بالاكرام في الوطن ، قد تميزا بمزيد من التوفيق من الأعيان في الغربة . والله يحفظ من حفظها ويرعى من رعاهما ، فرعاية أمثالها من آداب الدين المعينة على أمير المسلمين . وقد قال المحسنون ، فليستوص بمن ظفر بهم منهم خيراً . وكم دخل قبلها العراق ، ويدخل بعدهما من تلك البلاد النائية وما يذكر محاسنها ولا يرفع مساويها . وقد انتهى الشيخ الفقيه من ذلك إلى ما لا يمكن أن يلحق فيه ثناؤه ، فضلاً عن أن يزاد عليه . والله تعالى يعمر بها أوطانها ويصلح شأنها ، ويوفق الأمير ناصر المسلمين ليتوسل الى الله تعالى في القيامة بإكرام أهل العلم ، فهي أعظم وسيلة عند رب العالمين . ونسأل الله أن يخلد ملك الأمير ويؤيده تخليداً لا ينقطع أبد الدهر ، ولعل القلوب تنفر عن هذا الدعاء وتستنكر لملك العباد التأييد والبقاء ، وليس كذلك فإن ملك الدنيا إذا تزين بالعدل فهو شبكة الآخرة ، فإن السلطان العادل إذا انتقل من الدنيا انتقل من سرير لى سرير أعظم منه ، ومن ملك إلى ملك أجل وأرفع منه ، وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً . ومهما وفّى العدل في الرعية ، والنصفة في القضية فقد خلد ملكه وأيد سلطانه . وقد وفق له بحمد الله ومنه . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله أجمعين .

عصر المرابطين لعنان حـ ١ ٥٣٠ ـ ٥٣٣

٢٠٠ ـ رسالة قاضي المرية أبي عبد الله بن الفراء إلى يوسف ابن تاشفين .

قيل : إن يوسف بن تاسفين طلب من أهل المرية المعونة على حرب الكفار ، ووصل كتابه الى أهل المرية بهذا المعنى ، وأفتى جماعة من الفقهاء بجواز ذلك ، أسوة بما فعله عمر بن الخطاب . فقال أهل المرية للقاضي : اكتب الجواب ليوسف فكتب :

أما بعد ماذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك وأن أبا الوليد الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والأندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ اقتضاها . كان صاحب رسول الله ﷺ وضجيعه في قبره ولايشك في عدله ، فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله ﷺ ولا بضجيعه في قبره ، ولامن [لا] يشك في عدله . فإن كان الفقهاء والقضاة أزلوك منزلته في العدل ، فالله سائلهم عن تقلدهم فيك . وما اقتضاها عمر حتى دخل مسجد رسول الله ﷺ وحلف أن ليس عنده درهم واحد في بيت للمسلمين ينفقه عليهم . فلتدخل المسجد الجامع هناك بحضرة أهل العلم وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ولا في بيت مال المسلمين ، وحينئذ تستوجب ذلك ، والسلام[1] .

وفيات الأعيان لابن خلكان ح ٦ ـ ١١٨

٢٠١ ـ رسالة أرسلها إلى يوسف بن تاشفين الفتح بن خاقان بحق أبي العلاء زهر بن عبد الملك لعداوة بينهما .

أطال الله تعالى بقاء الأمير الأجل سامعاً للنداء ، دافعاً للتداول والاعتداء

---

(١) أورد ابن عذاري في البيان المغرب ح٤ ـ ١١٨ نصاً قريباً من نصنا هذا .

لم ينظم الله تعالى بلبتك الملك عقداً ، وجعل لك حــــلاً للأمور وعقدا وأوطأ لك عقباً ، وأصار من الناس لعونك منتظراً مرتقباً ، إلا أن تكون للبرية حائطاً ، وللعدل فيهم باسطاً ، وحتى لا يكون فيهم من يضام ، ولا ينال أحدهم اهتضام ، ولتقصر يد كل معتدٍ في الظلام ، وهذا ابن زهر الذي أجررته رسناً ، وأوضحت له إلى الاستطالة سنناً ، لم يتعد من الإضرار إلا حيث انتهيته ، ولا تمادى في غيه إلا حين لم تنهه أو نهيته . ولما علم أنك لا تنكر عليه نكراً . ولا تغير له متى ما مكر في عباد الله مكراً ، جرى في ميدان الأذية ملء عنانه ، وسرى إلى ما شاء بعدوانــه ، ولم يراقب الذي خلقه ، وأمد في الخطوة عندك طلقه ، وأنت بذلك مرتهن عند الله تعالى لأنه مكنك لئلا يتمكن الجور، ولتسكن بك الفلاة والغور ، فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من الباطل في كل طريق ، وأخفق به كل فريق ، وقد علمت أن خالقك الباطش الغيور يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وما تخفى عليه نجواك ولا يستتر عنه تقلبك ومثواك . وستقف بين يدي عدل حاكم ، يأخذ بيد كل مظلوم من ظالم ، قد علم كل قضية قضاها ، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . فبم تحتج معي لديه إذا وقفت أنا وأنت بين يديه ؟ أترى ابن زهر ينجيك في ذلك المقام ، أو يحميك من الانتقام ؟ وقد أوضحت لك المحجة لتقوم عليك الحجة ، والله سبحانه النصير ، وهو بكل خلق بصير لارب غيره ، والسلام .

نفح الطيب للمقري ج ٣ / ١٤ - ١٥

٢٠٢ - العهد الذي أصدره يوسف بن تاشفين بجعل ولده علي وليا للعهد من بعده سنة ٤٩٦ هـ وهو من إنشاء الوزير أبي بكر .

كتاب تولية عظيم جسيم ، وتوصية صميم كريم ، مهدت على الرضا قواعده

وأكدت بيد التقوى معاقده ، وأبعدت عن الغواية والهوى مصادره وموارده وأنفذه أمير المسلمين وناصر الدين ، أبو يعقوب يوسف بن تاشفين ، أدام الله أمره ، وأعز نصره ، وأطال فيما يرضيه ويرضى به عنه عمره ، غير محابٍ ولاتارك في النصيحة لله عز وجل ولرسوله موضع ارتياب لمرتاب ، للأمير الأجل أبي الحسن على ابنه المتقبل شيمه وهممه ، المتأثل حلمه وتحـــلمه ، الناشيء في حجر تقويه وتأديبه ، المتصرف بين يدي متحديه وتهذيبه ، أدام الله عزه وتوفيقه ، وأنهج إلى كل صالح من الأعمال طريقه ، وقد تهمم بمن تحت عصاه من المسلمين ، وهذا فيمن يخلفه فيهم هدى للمتقين ، ولم ير أن يتركهم سوى غير مدينين ، فاعتام في النصاب الرفيع واختار ، واستنصح أولي الرأي منهم ومن غيرهم واستشار ، واستضاء بشهاب استخارة الله عز وجل واستنار ، فلم يوقع الله بعد طول تأمل ، وتراخي مدة وتمهل اختياره ولا اختيار من فاوضه في ذلك من أولي التقوى والحكمة والتجربة واستشاره إلا عليه ، ولا صار به وبهم الاجتهاد إلا إليه . ولا التقى وراد التراتي والتشاور إلا بين يـديه ، فولاه على استحكام بصيرة وبعد طول مشورة عهده ، وأفضي إليه بالأمر والنهي والبسط والقبض بعده ، وجعله خليفته في رعايا مسنده ، وأوطأ عقبه جماهير الرجال ، وناطه بمهات الأموال والأحوال وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع ولا يعدل عن سمت العدل وحكم الكتاب والسنة في أحد عصى أو أطاع ، ولا ينام به عن حماية من أسهره الحيف والخوف والاضطجاع ، ولا يتلهى دون معلن شكوى ، ولا يتصمم عن متصرخ لدفاع بلوى ، وأن ينتظم أقصى بلاده وأدناها في سلك تدبيره . ولا يكون بين القريب والبعيد من رعيته بون في إحصائه وتقديره ، ثم دعا ـ أدام الله تأييده ـ لمبايعته من دنا ونأى من المسلمين ، فلبوا مسرعين ، وأتوا مهطعين وأعطوا صفقة أيمانهم متبرعين متطوعين ، وبايعوه على السمع والطاعة والتزام

سنن الجماعة ، وبذل النصيحة ، وإصفاء النيات الصحيحة ، وموادة من صاحبه ومحاربة من حاربه، ومكايدة من كايده، ومعاندة من عانده، لا يدخرون في ذلك على حال المكره والمنشط مقدرة ، ولا يحتجون في وقتي السخط والرضا بمعذرة ثم أمر بمخاطبة أهل البلاد لتبايعه كل طائفة في بلدها ، وتعطيه كما أعطاه من حضر صفقة يدها ، حتى يستوي في التزام بيعته القريب والبعيد ، ويجتمع على الاعتصام بحبل دعوته الغائب والشهيد ، وتطمئن من أعلام الناس وخيرهم قلوب كانت من تراخي ما انتجز قلقة ، ولم تزل ببقية التأخر أرقة ، ويشمل الناس السرور والاستبشار ، وتتمكن لهم الدعة ويتمهد لهم القرار ، وتنشأ في الصلاح لهم آمال ، ويستقبلهم جد صاعد وإقبال . والله يبارك لهم فيها بيعة رضوان ، وصفقة رجحان ، ودعوة إيمان ، إنه على ما يشاء قدير ، لا إله إلا هو نعم المولى ونعم النصير .

شهد على أمير المسلمين ناصر الدين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ـ أدام الله أمره وأعز نصره ـ بكل ما ذكر عنه من التزام البيعة المنصوصة فوق هذا ، وأعطى صفقة يمينه متبرعاً بها ، وبالله التوفيق . وذلك بحضرة قرطبة حماها الله تعالى (١) .

صبح الأعشى للقلقشندي جـ ١٠/ ١٦١ - ١٦٢

٢٠٣ ـ كتاب وجهه يوسف بن تاشفين إلى الجميع ، يعلن توليته لعهده من بعده ولده علياً سنة ٤٩٦ هـ وهو من إنشاء الوزير محمد بن عبد الغفور .

الحمد لله الذي رحم عباده بالاستخلاف ، وجعل الامامة سبب الائتلاف

---

(١) ورد نص مشابه للنص أعلاه مع بعض الخلاف ، في عصر المرابطين لعنان ١ـ ص ٤٧ - ٤٨ .

وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم الذي ألف القلوب المتنافرة ، وأذل لتواضعه عزة الملوك الجبابرة .

أما بعد : فإن أمير المسلمين وناصر الدين ، أبا يعقوب يوسف بن تاشفين لما استرعاه الله على كثير من عباده المؤمنين ، خاف أن يسأله الله غداً عما استرعاه ، كيف تركه هملاً لم يستنب فيه سواه ، وقد أمر الله بالوصيه فيما دون هذه العظيمة ، وجعلها من آكد الأشياء الكريمة ، كيف في هذه الأمور العائدة بمصلحة الخاصة والجمهور ؟

وإن أمير المسلمين ، بما لزمه من هذه الوظيفة ، وخصه الله بها من النظر في هذه الأمور الدينية الشريفة ، قد أعز الله رماحه ، وأحـــد سلاحه فوجد ابنه الأمير الأجل أبا الحسن أكثرها ارتياحاً إلى المعالي واهتزازاً وأكرمها سجية وأنفسها اعتزازاً ، فاستنابه فيما استرعى ، ودعاه لما كان إليه دعا ، بعد استشارة أهل الرأي على القرب والنأي ، فرضوه لما رضيه واصطفوه لما اصطفاه ، ورأوه أهلاً أن يسترعى فيما استرعاه ، فأحضره مشترطاً عليه الشروط الجامعة بينها وبين المشروط ، فقبل ورضي ، وأجاب حين دُعي بعد استخارة الله الذي بيده الخيرة والاستعانة بحول الله الذي من آمن به شـــكره .

ثم تستمر الوثيقة بعد ذلك مشتملة على وصايا كثيرة من أهمها تخصيص سبعة عشر ألف فارس من جيش المرابطين لبلاد الأندلس ، توزع بين أهم مراكزها لحمايتها من عدوان الاسبان (١) .

المغرب عبر التاريخ لحركات ج ١ - ٢٠٣

---

(١) ذكر عنان في عصر المرابطين ج١ ص ٤٥ - ٤٦ نصاً قريباً من نصنا هذا مع وجود بعض الخلافات الطفيفة .

٢ علي بن يوسف بن تاشفين ٥٠٠ ـ ٥٣٧ / ١١٠٧ ـ ١١٤٣

٢٠٤ ـ رسالة جوابية من المستظهر بالله الخليفة العباسي إلى علي بن يوسف بن تاشفين في تجديد البيعة له سنة ٥١٢ ﻫ والتقليد.

أرسل علي بن يوسف بن تاشفين، بعد وفاة والده وبعد أن أصبح أمير المسلمين رسالة إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله، يطلب منه تجديد البيعة والتقليد ففعل، وأرسل له رسالة منها مايلي :

... وأما ما أنهيته من توفير الأجناد ومثابرتك على الجهاد لدفع أدناس الكفرة مما يليك من البلاد. فإنك وطائفتك من حزب الله، وحزب الله هم الغالبون، فاتخذ التقوى عمادك والحق منارك، وكتاب الله وسنة رسوله شعارك، وتجرد للدفاع عن الاسلام والمسلمين، وحط صعادك في نحور أعداء الله الكافرين. وأعلن بالدعاء لأمير المؤمنين على المنابر، تكن الظافر بالأعداء الظاهر. والسلام عليك وعلى من قبلك من أهل الطاعة سلام يهديهم لى المقام المحمود، ويقفهم بظل الرحمة الممدود، ورحمة الله وبركاته.

المغرب عبر التاريخ لحركات ١ / ٢٠٢

٢٠٥ - رسالة أرسلها علي بن يوسف بن تاشفين من مراكش إلى نائبه أبي محمد بن فاطمة بإقامة الحق، والكتاب من إنشاء ابن الجد.

... وقد رأينا، والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء الطريق، أن نجدد عهدنا إلى عمالنا بالتزام أحكام الحق وإيثار أسباب الرفق لما نرجوه في ذلك من الصلاح الشامل والخير العاجل. والله تعالى ييسرنا لما يرضيه في قول وعمل بقوته. وأنت ـ أعزك الله ـ ممن يستغني بإشارة التذكرة ويكتفي بلمحتها التبصرة، لما تأوي إليه من السياسة والتجربة، فاتخذ

الحق إمامك ، وملك يده زمامك ، وأجر عليه في القوي والضعيف أحكامك وارفع لدعوة المظلوم حجابك ، ولاتسد في وجه المضطر المظلوم بابك ، ووطيء للرعية ـ حاطها الله ـ أكنافك ، وابذل لها إنصافك ، واستعمل عليها من يرفق بها ويعدل فيها ، واطرح كل من يحيف عليها ويؤذيها . ومن ثبت عليه من عمالك زيادة ، أو خرق في أمرها عادة ، أو غير رسماً أو بدل حكماً ، أو أخذ لنفسه درهماً ظلماً ، فاعزله عن عمله ، وعاقبه في بدنه ، والزمه ردّ ما أخذ تعدياً إلى أهله ، واجعله نكالاً لغيره حتى لايقدم أحد منهم على فعل مثله ، إن شاء الله تعالى . وهو ولي تسديدك والملي بعضدك وتأييدك ، لا إله إلا هو عليه توكلت .

البيان المغرب لابن عذاري ج ٤ ٦٣ ـ ٦٤

٢٠٦ ـ رسالة أرسلها إلى علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين قائد جيشه في الأندلس سير بن أبي بكر بن تاشفين ، يبشره بفتح قلعة شنترين من بلاد البرتغال ، وهي من إنشاء الكاتب أبي محمد بن عبدون .

أدام الله أمر أمير المسلمين ، وناصر الدين أبي الحسن علي بن يوسف ابن تاشفين ، خافقة بنصرة الدين أعلامه ، نافذة في السبعة الأقاليم أقلامه من داخل مدينة شنترين ، وقد فتحها الله تعالى بحسن سيرتك ويمن نقيبتك على المسلمين .

والحمد لله رب العالمين حمداً يستغرق الألفاظ الشارحة معناه ، ويسبق الألحاظ الطامحة أدناه لايرد وجهه نكوص ، ولا يحد كنهه تخصيص ، ولايحرزه بقبض ولا ببسط مثال ولاتخمين ، ولاتحصره بخط ولا بعقد شمال ولايمين ، ولايسعه أن يحويه ولايقطعه أن يستوفيه ، ولا يجمعه عدد يحصيه ، إذا سبقت هواديه ولحقت تواليه .

وعلى محمد عبده وأمين وحيه ، الصادع بأمره ونهيه ، نظام الأمة

وإمام الأئمة . سر آدم من بنيه ، وفخر العالم ومن فيه ، صلاة تامة نقضيها ، وتحية عامة نؤديها ، ترفض ارفضاض الزهر من كمامه ، وتنفض انفضاض المسك من ختامه ، فلقد صدع بتوحيده ، وجمع على وعده ووعيده ، وأوضح الحق وجلاه ونصح الخلق وهداه ، إلا من حقت عليه كلمة العذاب وسبقت له الشقوة في أم الكتاب .

وأظهر العزيز - عزت أسماؤه وجلت كبرياؤه - دينه على جميع الأديان على رغم من الصلبان ووقم من الأوثان ، وأنجز لنا تعالى وعده ، ونصرنا معه ﷺ وبعده ، وجمع في هذه الجزيرة شمل الاسلام بعد انصرافه وانبتاته ، وقطع غيل الاشراك بعد انتصابه وثباته وأنزل الذين كفروا من أهل الكتاب ، بأيدينا ، من صياصيهم ، فأخذ بأقدامهم ونواصيهم .

وكانت قلعة شنترين - أدام الله أمر أمير المسلمين - من أحصن المعاقل للمشركين وأثبت المعاقل على المسلمين ، فلم نزل بسعيك الذي اقتضيناه ، وهديك الذي اكتفيناه ، نخضد شوكتها ، وننحت أثلتها ، ونتناولها عللاً بعد نهل ، ونطاولها عجلاً على مهل ، نخرف الحين بعد الحين سراة رجالها ونتطرف المرة بعد المرة حماة أبطالها ، ونخوض غمار كفاحهم وبحار صفاحهم إلى بسط أشباحهم وقبض أرواحهم ، ونهدي للقنا وصدورها رؤوسهم ، وإلى لظى وسعيرها نفوسهم ، وننقلهم من الشفار اليمانية إلى النار الحامية ، ونرفع بالجد والتشمير حجاب كيدهم الغامض ، ونضعضع باستخارة القديم القدير هضاب أيدهم الهائض . ولما رأينا هذه القلعة الشريفة المناسب في القلاع ، المنيفة المناصب على القاع ، قد استشرى داؤها وأعيا دواؤها ، استخرنا الله تعالى على صمدها ، وضرعنا إليه في تسهيل قصدها ، وسألناه ألا يكلنا إلى نفوسنا ، وإن كانت في صيانة ديانته مبذولة ، وعلى المكروه والمحبوب في ذاته محمولة ، فقصدنا إليها

وهجمنا هجوم الردى عليها ، في وقت انسدت فيه أبواب السبل ، وأعيت أهلها بحول الله وجوه الحيل . والدهر قد كشر عن أنيابه العُصل ، وقام من الوحول والسيول على أثبت رجل ، فنزلنا بساحة القوم فساء صباحهم ذلك اليوم ، فلم نزل نصاولهم مصاولة المحتسب المؤتجر ، ونطاولهم مطاولة المرتقب لأمر الله المنتظر ، ونشن الغارات على جميع الجهات ، فترد جيوشنا عليهم خفافاً ، وتصدر إلينا ثقالاً ، فتملأ صدور الأعداء أوجالاً ، وأيدي الأولياء أموالاً ، وأمرنا بإقامة سوق سبيهم وأموالهم ، على مرأى ومسمع من نسائهم ورجالهم ، فازدادت ريحهم بذلك ركوداً ونارهم خموداً .

ولما ضمهم لضيق ولاجه الحصار ، وغشيهم بتفريق أمواجه البوار ، وأحاط بهم البلاء ، واستشاط عليهم بغضب الجبار القضاء . ولم يكن لليل بأسائهم سحرٌ يتأمل ، ولا لورد ضرائهم صدر يؤمل ، اختاروا الدنية على المنية ، ورضوا بالاستسلام للعبودية وإسلام الأهل والذرية ، والسلامة من مدارج الكفن وموالج الجنن ، ولو بجريعة الذقن . وكان القتل ــ كما قدمنا ــ قد أتي على صيد أعيانهم وصناديد فرسانهم ، فلم تبق إلا شرذمة قليلة وعصبة ذليلة ، لاتضر حياتهم موحداً ، ولاتسر نجاتهم ملحداً ، نقلناهم من يمين المنون إلى شمال الهون ، ومن أليم الحصار إلى لئيم الأسار . وكانوا سألونا الإبقاء عليهم فأجبناهم ، بعد أن قدموا من الخضوع صدقة بين يدي نجواهم ، ووهبنا أولاهم لأخراهم ، وجعلنا العفو عنهم تطريقاً لسواهم ، ممن يتقيل صنعهم إذا نحن غداً بإذن الله حاصرناهم .

وهذه القلعة التي انتهينا إلى قرارها ، واستولينا على أقطارها ، أرحب المدن أمداً للعيون ، وأخصبها بلداً في السنين ، لايريمها الخصب ولا يتخطاها ولايرومها الجدب ولايتعاطاها ، فروعها فوق الثريا شامخة ، وعروقها تحت

الثرى راسخة ، تباهي بأزهارها نجوم السما ، وتناجي بأسرارها أذن الجوزا ، مواقع القطار في سواها مغبرة مربدّة ، وهي زاهرة ترف أنداؤها ومطالع الأنوار في حشاها مقشعرّة مسودة ، وهي ناضرة تشف أضواؤها . وكانت في الزمن الغابر أعيت على عظيم القياصر ، فنازلها بأكثر من القطر عدداً ، وحاولها بأوفر من البحر مدداً ، فأبت على طاعتـــه كل الإباء واستعصت على استطاعته أشد الاستعصاء ومردت مرود مارد على الزبا . فأمكننا الله تعالى من ذروتها ، وأنزل ركابها لنا عن صهوتها [1] .

المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي ٢٢٩ - ٢٣٢

٢٠٩ ـ مقتطفات من رسالة أرسلها علي بن يوسف بن تاشفين إلى جند بلنسية سنة ٥١٣ ﻫ .

هاجم الفونسو الأول ملك أراغون سنة ٥١٣ ﻫ سرقسطة واحتلها ، وتهاون جند بلنسية بإنجادها مما مكن ملك أراغون من أخذها ، فأرسل لهم هذه الرسالة يوبخهم وهي من إنشاء الوزير ابن أبي الخصال الذي أفحش فيها كل الفحش وأغلظ كل الاغلاظ مما أثار ضده حفيظة أمير المسلمين فجعله يصرفه عن خدمته .

من أمير المؤمنين [2] وناصر الدين ... أما بعد : يافرقة خبثت سرائرها وانفكثت مرائرها ، وطائفة انتفخ سحرها وغاض على حين مده بحرهـا فقد آن للنعم أن تفارقكم ، وللأقدام أن تطأ مفارقكم حين ركبتموهـا

---

(١) أورد الحركات في المغرب عبر التاريخ ج١ ص ٢٠٨-٢٠٩ مقتطفات يسيرة من هذه الرسالة .

(٢) لقب أمير المؤمنين خطأ من الاصل والصواب أمير المسلمين لأن لقب ملوك المرابطين امير المسلمين وليس امير المؤمنين .

جلواء عارية ، وأصبحتم في ادراع عارها أمثالاً سواسية . واختلط المرعى منكم بالهمل ، فما يتميز الأنقص من الأكمل .

ثم يضيف بعد كلام طويل :

ومن لرعاة الإبل بالجد المقبل . لقدماً ما أذهبتم الطارف والتالد ، وعجت عجيجاً يز (؟) جذامي المطارف .

أي بني اللئيمة وأعيار الهزيمة : إلامَ يزيفكم الناقد ويردكم الفارس الواحد . فليت لكم بارتباط الخيول ضأناً لها حالب قاعـد . لقد آن أن نوسعكم عقاباً وأن لاتلووا على وجه نقاباً ، وأن نعيدكم إلى صحرائكم ونطهر الجزيرة من رحضائكم ... (١)

المغرب عبر التاريخ للحركات ج ١ ٢٠٦ - ٢٠٧

٢١٠ - عهد أصدره أحد الملوك المرابطين يظن أنه علي بن يوسف بن تاشفين يعين بموجبه يحيى بن أبي بكر والياً على سبتة ، والخطاب موجه إلى أهلها وموظفيها .

... كتابنا ، أبقاكم الله وأكرمكم بتقواه ، ويسركم لما يرضاه وأسبغ عليكم نعماه ، وقد رأيت - والله بفضله يقرن جميع آرائنا بالتسديد ، ولايخلينا في كافة أعمالنا من النظر الحميد - أن نولي أبا زكريا يحيى بن أبي بكر محل ابننا الناشىء في حجرنا ، أعانه الله وسوده فيما قلدناه إياه من مدينتي فاس وسبتة وجميع أعمالها ، حرسها الله ، على الرسم الذي تولاه غيره قبله ، فأنفذنا ذلك له لما توسمنا من مخايل النجابة قبله ، ورضيناه بمن نرجو أن يحتذيه ويمتثله ويجري عليه قوله وعمله ، ونحن من وراء اختباره والفحص عن أخباره ، لأنني بحول الله في امتحانه وتجريبه ، والعناية بتخريجه

---

(١) وردت الفقرة الأخيرة من هذا الخطاب في المعجب المراكشي - ٢٤٠

وتدريبه . والله عز وجل يحقق مخيلتنا فيه ، ويوفقنا في سداد القول والعمل إلى مايرضيه .

فإذا وصل إليكم خطابنا فالتزموا له السمع والطاعة والنصح والمشايعة جهد الاستطاعة وعظموا بحسب مكانه منا قدره ، وامتثلوا في كل عمل من أعمال الحق نهيه وأمره .

المغرب عبر التاريخ للحركات ح ١ - ٢١٢

٢١١ - عهد علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين بتقليد ولده تاشفين قرطبة وإضافتها إلى أعماله سنة ٥٢٦ هـ وهو من إنشاء ابن أبي الخصال :

من أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين ، أعزه الله بتقواه وأمده بتوفيقه وهداه ، كتابنا ، كتب الله لك معاني ومباني الخيرات ومهد لك مراقي الأعمال الصالحات ، من مراكش ، حرسها الله تعالى ، لعشرة بقين من رجب الفرد سنة ست وعشرين وخمسمائة . وقد رأينا - والله نسأله الخيرة فيما نرتبه ، والتوفيق في كل مانصنعه - أن نجمع لك قرطبة وأعمالها إلى ذلك العمل الذي أنت فيه . فإذا وقفت على كتابنا هذا ، فانهض بنفسك على بركة الله إلى هناك ، واجعل قرطبة دار سكناك وقرارة مثواك . وعلى مقدار مازدناك من العمل فازدد من التيقظ لاتساع ذرعك وامتداد مسماك ، واستعن بالله في إعلانك وإسرارك ، وخذ من أوقات ليلك لأوقات نهارك ، واجعل لنظرك حظاً من سهرك ، ولفكرك مستمنحاً من تدبرك ، واستظهر بحسن المشورة في مواطن الاشتباه ، فإن الله سبحانه يقول لرسوله ﷺ : (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل

على الله) [1] . واستخلف على غرناطة عند انفصالك عنها أبا محمد الزبير ابن عمر ـ أعزه الله بتقواه ، وألزمه من استشمارك مراقبة الله تعالى من الذي نلزمك إياه ، واعهد إليه بشاكلة ماتعهد إليك ، والمستعان الله لارب سواه .

ومنها :

وأول مانوصيك به تقوى الله ، فاجعلها بردة شعارك وعقدة إضمارك وعهدة إيرادك وإصدارك ، ثم اعتمد المعدلة من عباد الله ، فإنما أنت واحد منهم ، وكلنا عبيد الله إلى تراب انتسابنا ، وإلى الحساب مآبنا ، والناس كلهم سواء في أول النشأة والحال ، وإنما يتميزون بالمساعي والأعمال فهي التي رفع الله منها بعضهم فوق بعض درجات ... على مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته بحكم بات . وحق على من آتاه الله حظاً من ولاية لأدائه ، وقلده قسطاً من وقاية عباده ، أن يقوم بينهم بالقسط كما أمره الله ، ويخشى يوماً حق لمن يوصى ... اليوم الآخر أن يخشاه ، وإن من عز الأمور وحزامة التدبير أن يلحظوا بعين الكلاءة ... بكل سوء ومساءة ... والله المستعان وعليه التكلان لارب غيره [2] .

البيان المغرب حـ ٤ ٨٧ ـ ٨٨

٢١٧ ـ رسالة أرسلها إلى الأمير أبي طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين أمير الأندلس وواليها من قبل أخيه علي بن يوسف بن تاشفين قاضي سرقسطة وجمهور أعيانها مستنجدين لإنقاذهم من ابن رذمير [الفونسو المحارب] لما حاصر البلدة وتخلى عنها المرابطون ، وهي صرخة استنجاد لم تجد شيئاً .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩

(٢) أورده عنان في كتابه عصر المرابطين حـ١ ـ ١٤٤ لفقرات من هذا التقليد .

من ملتزمي طاعته ، ومستنجديه على أعداء الله ، ثابت بن عبد الله وجماعة سرقسطة من الجمل فيها من عباد الله .

أطال الله بقاء الأمير الأجل ، الرفيع القدر والمحل ، لحرم الله يمنعه ومن كرب عظيم على المسلمين يزيحه عنهم ويدفعه .

كتابنا ، أيدك الله بتقواه ، ووفقك لا شترا دار حسناه ، بمجاهدة عداه ، يوم الثلاثاء السابع عشر من الشهر المبارك شعبان ، عن حال قد عظم بلاؤها وادلهمت ضراؤها ، فنحن في كرب عظيم ، وجهد أليم ، قد حل العزا والخطب ، وأظلنا الهلاك والعطب ، فيا غوثاه ثم يا غوثاه إلى الله ، دعوة من دعاه وأمله لدفع الضرر ورجاه ، سبحانه المرجو عند الشدائد ، الجميل الكرم والعوايد ، ويالله ويالإسلام ، لقد انتهك حماه ، وفضت عراه ، وبلغ المأمول من بيضته عداه ، وياحسرتا على حضرة قد أشفت على شفى الهلاك ، طال ما عمرت بالإيمان ، وازدهت بإقامة الصلوات وتلاوة القرآن ، ترجع مراتع الصلبان ، ومشاهد ذميمة لعبدة الأوثان ، وياويلاه على مسجد جامعها المكرم وقد كان مأنوساً بتلاوة القرآن العظيم ، تطؤه الكفرة الفساق بذميم أقدامها ويؤملون أن يدنسوه بقبيح آثامها ، ويعمروه بعبادة أصنامها ، ويتخذوه معاطن لخنازيرها ، ومواطن لخماراتها ومواخيرها ، ثم ياحسرتاه على نسوة مكنونات عذارى ، بعدن في أوثاق الأسارى ، وعلى رجال أضحوا حيارى بل هم سكارى وما هم بسكارى ، ولا كن الكرب الذي دهمهم شديد ، والضر الذي مسهم عظيم جهيد . من حذرهم على بنيات قد كن من الستر نحيان الوجوه ، أن يروا فيهن السوء والمكروه ، وقد كن لا يبدون للنظار ، فالآن حان أن يبرزن إلى الكفار . وعلى صبية أطفال قد كانوا نشأوا في حجور الايمان يصيرون في عبيد الأوثان ، أهل الكفر وأصحاب الشيطان ، فما ظنك أيها الأمير ، بمن يلوذ به ، بعد الله ، بأمة هي وقاية هذه العظام الفادحة

والنوائب الكالحة ، هو المطالب بدمايها ، إذا أسلمها في أخر ذمايها ، وتركها أغراضاً لأعدايها ، حين أحجم عن لقايها . فإلى الله بك المشتكاء ثم إلى رسوله المصطفى ، ثم إلى ولي عهده أمير المسلمين المرتضى ، حين ابتعثك بأجناده ، وأمدك بالجم الغفير من أعداده ، نادباً لك إلى مقارعة العدو المحاصر لها وجهاده ، والذب عن أوليائه المتصمين بحبل طاعته ، والمتحملين السبعة الأشهر الشداد الهايلة في جنب موالاته ومشايعته ، من أمة قد نهكهم ألم الجوع ، وبلغ المدى بهم من الضر الوجيع ، قد برح بهم الحصار وقعدت عن نصرتهم الأنصار ، فترى الأطفال بل الرجال جوعاً يجرون، يلوذون برحمة الله ويستغيثون ، ويتمنون مقدامك بل يتضرعون ، حتى كأنك قلت : اخسؤوا فيها ولا تكلمون . وما كان إلا أن وصلت ، وصل الله برك بتقواه ، على مقربة من هذه الحضرة ، ونحن نأمل منك ـ بحول الله ـ أسباب النصرة ، بتلك العساكر التي أقر العيون بهاؤها ، وسر النفوس زهاؤها فسرعان ما انثنيت وما انتهيت ، وارعويت وما أدنيت ، خايباً من اللقاء ، ناكصاً على عقبيك من الأعداء ، فما أوليتنا غناءً ، بل زدتنا بلاءً وعلى الداء داء بل أدواءً ، وتناهت بنا الحال جهداً والتواءً ، بل أذللت الاسلام والمسلمين ، واجترأت فضيحة الدنيا والدين ، فيالله ويا للإسلام ، لقد اهتضم حرمه وحماه أشد الاهتضام ، إذ أحجمت أنصاره عن إعزازه أقبح الاحجام ، ونكصت عن لقاء عدوه وهو في فئة قليلة ، وملة رذيلة ، وطايفة كليلة ، ويستنفر بالصلبان والأصنام ، وأنتم تستنفرون بشعار الاسلام . وكلمة الله هي العليا ، ويده الطولى ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وإن من وهن الايمان وأشد الضعف الفرار عن الضعف ، فكيف عن أقل من النصف : فيا قبح من رضي بالصغار ، وسماخطة الخسف . فما هذا الجبن والفزع ، وما هذا الهلع والجزع ؟ بل ما هذا العار والصنيع . أتحسبون ، يامعشر المرابطين ، وإخواننا في ذات

الله المؤمنين ، إن سبق على سرقسطة القدر . بما يتوقع من المكروه والحذر أنكم تبلعون بعدها ريقاً ، وتجدون في ساير بلاد الأنـــدلس ، عصمها الله مسلكاً من النجاة وطريقاً ؟ ! كلا والله ليسومنكم الكفار عنها جلاءً وفراراً وليخرجنكم منها داراً فداراً . فسرقسطة ، حرسها الله ، هي السد الذي إن فتق فتقت بعده أسداد ، والبلد الذي إن استبيح لأعداء الله استبيحت له أقطار وبلاد ، فالآن ، أيها الأمير الأجل . هذه أبواب الجنة قد فتحت ، وأعلام الفتح قد طلعت ، فالمنية ولا الدنية ، والنار ولا العار ، فأين النفوس الأبية وأين الأنفة والحمية ، وأين الهمم المرابطية ، فلتقدح عن زنادهـا بانتضاء حدها ، وامتضاء جدها واجتهادها ، وملاقاة أعداء الله وجهادها ، فإن حزب الله هم الغالبون ، وقد ضمن تعالى لمن يجاهد في سبيله أن ينصره ، ولمن حامى عن دينه أن يؤيده ويظهره . فما هذا ، أيها الأمير الأجل ، ألا ترغب في رضوانه ، واشتر جنانه بمقارعة حزب شيطانه ، والدفاع عن أهل إيمانه فاستعن بالله على عدوه وحربه ، واعمد ببصيرة في ذات إلى إخوان الشيطان وحزبه . فإنهم أغراض للمنايا والحتوف ، ونهر للرماح والسيوف ، ولا ترض بخطة العار وسوء الذكر والصيت في جميع الأمصار ، ولاتك كمن قيل فيـــه :

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ولا يرزأ من العـــدو فتيلا

ولن يسعك عند الله ولاعند مؤمن عذر في التأخر والارعوا عـــن مناجزة الكفار والأعدا . وكتابنا هذا ، أيها الأمير الأجل ، اعتـذار تقوم لنا به الحجة في جميع البلاد وعند ساير العباد ، في إسلامكم إيانا إلى أهل الكفر والالحاد . ونحن مؤمنون ، بل موقنون إجابتـك إلى نصرتنا ، وإعدادك إلى الدفاع عن حضرتنا ، وأنك لاتتأخر عـــن تلبية ندايئا ، ودعايئا إلى استنقاذنا من أيدي أعدائنا ، فدفاعك انمـا هو في

ذات الله وعن كلمه ، ومحاماة عن الاسلام وحزبه ، فذلك الفخر الأنبل لك في الأخرى والدنيا ، وموروث لك عند الله المنزلة العليا . فكم يحيي من أمم ، ويجلى من كروب وغم ، وأن تكون منك الأخرى ، وهي الأبعد عن متانة دينك وصحة يقينك ، فأقبل بعسكرك على مقربة من سرقسطة - عصمها الله - ليخرج الجميع عنها ، ويبرأ إلى العدو - وقمه الله - منها ، ولا تتأخر كيفما كان طرفة عين ، فالأمر أضيق والحال أزهق ، فعد بنا عن المطل والتسويف قبل وقوع المكروه والمخوف . وإلا فأنتم المطالبون عند الله بدمائنا وأموالنا ، والمسؤولون عن صبيتنا وأطفالنا ، لإحجامكم عن أعدائنا ، وتثبطكم عن إجابة ندائنا . وهذه حال نعيذك ، أيها الأمير ، عنها ؛ فإنها تحملك من العار ما لم تحمله أحداً ، وتورثك وجميع المرابطين الخزي أبداً . فالله الله اتقوه ، وأيدوا دينه وانصروه فقد تعين عليكم جهاد الكفار ، والذب عن الحرم والديار . قال الله : (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة [1]...) الآية . ومهما تأخرتم عن نصرتنا فالله ولي الثأر لنا منكم ، ورب الانتقام . وقد بريتم بإسلامنا للأعداء من نصر الاسلام . وعند الله لنا لطف خفي ، ومن رحمته ينزل الصنع الخفي . ويغنينا الله عنكم وهو الحميد الغني . ومن متحملي كتابنا هذا ، وهم ثقاتنا ، تقف من كنه حالنا على ما لم يتضمنه الخطاب ، ولا استوعبه الإطناب بمنه ، وله أتم الطول في الاصغاء إليهم واقتضاء ما لديهم ، إن شاء الله تعالى . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

عصر المرابطين لعنان حـ ١ ٥٣٨ - ٥٤١

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٣

٢١١ ـ شروط تسليم سرقسطة للملك الفونسو المحارب بن رذمير .

استسلمت سرقسطة إلى الملك الفونسو المحارب بعد حصار دام فترة طويلة وبعد أن تخلى عنها المرابطون وذلك سنة ٥١٢ هـ . وكانت شروط التسليم كما يلي :

أن تسلم سرقسطة إلى ملك أراجون [ابن رذمير] . ومن أحب المقام بها من أهلها فله ذلك على أن يؤدي جزية خاصة ، ومن أحب أن يرحل إلى حيث شاء من بلاد المسلمين رحل وله الأمان التام . على أن يسكن الروم [الأرجونيون والفرنج] المدينة ، والمسلمون ربض الدباغين . وعلى أن كل أسير يفلت الروم من المدينة ويحصل عند الاسلام ، فلاسبيل لمالكه إليه ولا اعتراض له عليه .

عصر المرابطين لعنان حـ ١ ـ ١٠٠

٢١٢ ـ رسالة أرسلها إلى أهل فاس علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين يذم قاضيهم ابن الملجوم ويعلن عزله عنهم .

فصول منه :

أبقاكم الله ، وأكرمكم بتقواه ويسركم لما يرضاه . وقد أنهي إلينا وتحقق لدينا أن الجهول ابن الملجوم أجهل بأحكام القضاء من العلجوم ، وأنه أظهر فيكم أحكاماً يترحم من مثلها على سدوم . فقد وليناه خطة الملوم ، ونبذناه بالعراء وهو مذموم ، وجعلنا شهب العزلة لشياطينه كالرجوم . ولعل متعسفاً يتعسف أو متكلفاً يتكلف .... يلومنا في تقديمه ، وينالنا من العتب بأليمه ، ولاقدح ، فقد اختار رسول الله عليه السلام لوحي الله ... لعين بني سرح ، وقد اغتر عثمان بحمران ... الخ .

البيان المغرب لابن عذاري حـ ٤ ـ ٩٢

٢١٣ - رسالة أرسلها إلى علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين أحد قواده يخبره بفتح أقليش . والرسالة من إنشاء الوزير الكاتب ابن شرف .

أطال الله بقاء أمير المسلمين وناصر الدين ، عماد الأنام وعتاد الاسلام السعيد الأيام الحميد المقام ، كبير بالقدر ، ظهيري على الدهر ، الذي أجله بحقه ، وأقر له بسبقه ، وأدام خلوده مؤيد الارادة ، مؤبد السعادة ، مجدد النمو والزيادة . والحمد لله الجبار القهار . الذي شد الأزر وأمن النصر ، وأعطى الفلج عن قسر ، ففلق عنه يد الماطل ، وفرق بين الحق والباطل . والحمد لله الذي أسعد بدولة أمير المسلمين الأيام ، ونصر بسيفه الإسلام ، وغاظ به الكفار ، وجعل عليهم الكرة فولوا الأدبار . والله تعالى يشفع سعوده ويضمن مزيده وينصر جنوده بمنه .

ولما أن وضعني أمير المسلمين - أدام الله نصره - حيث شاء من آلة التشريف والعز المنيف ، وألحقني من النعماء سربالها وأسحبني أذيالها ، وصرف إليّ من عدده وبلده ما أولاني نعمه ووالاني كرمه ، حفظت تلك الحرمة ، وأخذت في الاجتهاد في الجهاد عالقاً بسببه ، آخذاً بمذهبه ، وهيأت من ماله عندي جيشه الموضوع بيدي ، وأجبت داعي الله بأعظم نية على أكرم طية ، لعزمة بيمناه رأسها ، وعلى تقواه أساسها وأصلها وسرت عن حاضرة غرناطة - حرسها الله - في العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم ، بجيش تصم صواهله ، وتطم كواهله ، راياته خافقة وعزماته صادقة ، ونبراته على ألسنة السعد ناطقة . ومررنا من طاعة أمير المسلمين وناصر الدين على جهات سمعت منادينا وتبعت هادينا ، وانقادت وراءنا أعداد وأمداد ، برزوا من كمون ، وتحركوا عن سكون

وأنخنا بثغر بياسة ، وقد توافد الجمع وملىء البصر والسمع ، وآخذت في الرأي أحمره ، والذيل أشمره ، وجددت الاستخارة لله تعالى والاستجارة به ، وابتهلت إليه داعياً ضارعاً ، وعولت في جميع أموري على حكمه خاضعاً متواضعاً . ولحقنا بطرف بلاد العدو ـ أعادها الله ـ فوطئناها من هنالك . وقد بان عنوان الأهبة ، والتأم بنيان الرتبة ، وسرنا بجيش يفيض فيضاً على أرض تفيض غيضاً ، ولسيول الخيل إغراق ، ولبروق البواتر إشراق . وقد نطقت ألسنة الأعنة بقدام قدام . وأشرقت كواكب الأسنة في غمام القتام ، وسدت الهموات كل نهج وسبيل ، واستقلت الرايات عن قبيل فقبيل ، وأفضت بنا الخيرة إلى المدينة الحصينة «أقليش» قاعدة القطر وواسطة الصدر ، ذات العدد العديد والسور المشيد ، فبدر السابق وشفع اللاحق . وغدونا يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من شوال ، فدرنا بها دور الحلقة بنقطها ، واكتنفناها اكتناف السبحة بسبطها ، وبهت القوم واتسع البحر عن العوم ، وحاروا وحاموا ، حين راموا ، وجئنا بكل ضرب من الحرب ، نخسف عاليها وننسف هاويها ، وننازها بالرماح ونهزها هز الغصن في أيدي الرياح ، حتى فُض الختام وعض منهم الابهام ، وعجل الله بالنصر وفتحها بالقسر ، ونفخ في صورهم ودارت دائرة السوء بدورهم ، ومحقتهم السيوف محق الربا ، وأذرتهم ريح النصر فصاروا هبا ، وبطحوا بطح زرع الحصيد ، وبسطوا بسط كلب الوصيد ، وأخذتهم فجأتنا أخذة ، ونبذت بهم سطوتنا نبذة ، فخروا إلى الأذقان ، وسيقوا إلى الموت والإذعان ، فما كدنا ننزل حتى كدنا ذلك المنزل وما أنخنا حتى أرضخنا ، ولا وصلنا إليه حتى حصلنا عليه ، فوردنا ماأردنا.

ولما استحر فيهم القتل ، واجتث منهم الأصل ، وضاق بهم المزدحم ، وغص ذلك الملتحم ، قصر الوقت المبغت ، وشغل الأخيذ عن المفلت ، وألهى

الكثير عن من قل ، ونام الجم الغفير عن الفل ، وعاذت بقاياهم بقصبة المدينة فولجوها كما يلج العصفور ويقوم العثور . قد غلقوا الأبواب ، وأسدلوا الحجاب ونحن نصل الجد ، ونوجر لأقل غرب ، ولا ملت حرب تجتث الجرائم ، وتحتز الغلاصم ، وتخرب الديار وبنيانها ، وتهدم البيع وصلبانها ، ونتماحفوا بهدايا السبايا ، ونتكاشفوا عن بقايا الجنايا ، ونصرحوا بنيانا صدعته الحتوف ، وغلبته السيوف ، فلأطلاله هدم ، وعلى رسومه ردم ، حتى علا على الشرك الايمان ، وبدل الناقوس بالأذان ، وزحزحت الهيا كل عن موضعها ، وطرحت النواقيس عن بيعها ، ولاذ بنا من هنالك من المسلمين عائذين بنا مستسلمين لنا ، فناشدونا بالملة وحرمتها ، وكشفوا لنا عن الخلة وسدتها ، وفروا من الحملة إلى الحلة ، فآوينا شاردهم ، وأقمنا قاعدهم . فانجابت كربتهم ، وعادت بعد البوار ومجاوبة الكفار بشر ٍ دار ملتهم ، وأنار لهم الاسلام على منار الايمان المجدد ، واشتهر فيهم التوحيد اشتهار الحسام المجرد ، وكشف الدين عن مضمره ، وخطب الحق المبين على منبره . وأقمنا بقية يومنا على ذلك إلى أن غام النهار وحان من الشمس الاصفرار . فعند ذلك أرحنا البواتر ، وغيضت تلك الدماء الهوامر . وغدا الخميس في الخميس ، مبنياً على ذلك التأسيس ، يجر أذيال الظفر في المدد الأوفر ، ويشفع الأوالي بالتوالي ، ويشتري العوالي بالعوالي ، فأصبحنا في عز وأنس ، وأصبحوا لاترى إلا مساكنهم كأن لم يغنوا بالأمس . وتضامت تلك العصبة إلى تلك القصبة ، والقوم في السجن والقصر ، والحصن كالواحد في العالم والاصبع في الخاتم . والمحصور مأسور وصاحب الحائط مقهور . ولم نزل نوسعهم قتالاً ، ونوسعهم ضراً ونكالاً مسافة اليوم ، إلى أن جزر النهار مده ، وبث الليل جنده ، فعدنا إلى محلتنا وقد أمل الكالىء أينه ، وغلبت الساهر عينه . وكنت لم آل احتراساً للمحلة بطلائع تحرس جهاتها ، وتدرأ آفاتها ، وفي القدر مايسبق النذر ، ويفوت

الحذر ، لا كن كفاية الله خير من توقينا . وكان الطاغية ـ زاده الله ذلاً ـ قد حشد أقطاره ، وحشر أنصاره ، وأبعد في الاستصراخ مضماره ، وعبأ جيشاً قد أسر إلى ذمر ، وانطوى على غمر ، فأقدم وصمم ، وبئس ما تيمم ، فاستسلمت جماعتهم على ابن الطاغية أذفونش ، وشيخهم وزعيم فرسانهم غرسين أرنونش ، وصاحب شوكتهم البرهانس ، والقمط بقبدره ، وقواد بلاط طليطلة وصاحب « قلعة النسور » و « قلعة عبد السلام » وكل قاص ودان ، وعاجل ووان ، أخزى الله جميعهم ، وطل نجيعهم ، ولا أقام صريعهم .

وهذا دعاء لو سكتُّ كفيته   لأني سألت الله ربي وقد فعل

وطرقوا من طرف مجتمعهم يريدون العزة ، ويظهرون صلفاً تحت الغرة ، وتقدموا فتندموا ، ودنوا فهووا ، ووصلوا فحصلوا . وأرسل الله تعالى من جنده فتى كانوا قد سبوه صغيراً ، واقتنوه أسيراً ، ولله تعـــالى فيه خبأة أعدها من عنده ، وبعثها من جنده ، ونزع الفتى إلينا من معسكرهم منبئاً بهم ودالاً عليهم ، وكاشفاً بهم على النبأ العظيم ، ومطلماً منهم على المقعد المقيم . فعند ذلك ثارت ثائرتنا ، ودارت على مركز التوفيق دائرتنا ، وقام القاعد ، وأشار البنان والساعد ، وتضام القريب والمتباعد . والليل قد هدأ ، والصبح قد بدأ ، والدياجير ممدودة السرادق ، مجموعة الفيالق . لا جار إلا الغاسق ، ولا مار إلا الســـماء والطارق . وكنت قد استدنيت القائدين المجربين ذوي النصيحة والآراء الصحيحة أبا عبد الرحمن محمد بن عائشة ، وأبا محمد عبد الله ابن فاطمة ، ولييَّ ، أعزهما الله ، فجالا في مضمار وساع واضطلاع ، بذرع وذراع . فاجتمعنا على كلمة الله متعاقدين ، وخضعنا إلى حكمه مستسلمين . فعند ذلك حل يده المحتبي ، وقيل ياخيل الله اركبي . فعادت الآراء بالرايات وحكمت النهى في النهايات ، والأسنة تجول في آمادها ، والنصول تصول في أغمادها . وثرنا كما ثار الشهم بفرصته ، وطار السهم لفوضته ، وأمرت رجالاً

بلزوم المحلة ، فسدوا فرج أبوابها ، ولاذوا بأوتادها وأسبابها ، فداروا بها دور السوار وانتظموها انتظام الأسوار ، قد شرعوا الأسنة من أطرافها وأجالوا البواتر في أكنافها ، وأضافوا الأفنية ، وقاربوا بين الأخبية . وعبأنا الجيش يمناه ويسراه ، وصدره ولهاه ، وساقته وأولاه ، ونهضنا بجملتنا من محلتنا ، والصبر يفرغ علينا لامه ، والنصر يبلغ إلينا سلامه .

وتوجهنا إلى الله نقتفي سبيله ، ونبتغي دليله ، فما رفع الفجر من حجابه ولا كشر الصبح عن نابه ، حتى ارتفعت ألوية الدين سامية الأعلام ، واتسعت أقضية المسلمين ماضية الأحكام ، وقبض الليل خمسه ، وفضح الصبح نفسه ، ولسن السنان لمعان ، ولشباب العراك ريعان ، وللإنفاق الإعلام ضراب أو طعان . وعند ذلك نجم « العجم » في سواد الليل وإزباد السيل يهبطون إلى داعيهم ويهرعون إلى ناعيهم ، في دروع كالبواري ورماح كالصواري كأنما شجروا بالحديد وسجنوا في الحديد ، يزحفون والحين يعجلهم ، ويركبون والحتف يزحلهم ، يتلمظون تلمظ الحيات ، قد تحالفوا أن لا يتخالفوا وتبايعوا أن يتشايعوا ، ووصلوا إلى مقدمتنا .

وكان هناك القائد « أبو عبد الله محمد بن أبي زنفي » مع جماعة فصدمهم العدو بصدور غرة وقلوب أشرة . فأنحوا بكلكل ورموه بجندل وشدوا فما ردوا ، وصادروا فما صدوا . وتقهقر القائد « أبو عبد الله » غير مول وتراجع غير مخل ، إلى أن اشتد منا بطود ، وزحم من جيشنا بعود ، فتراءى الجمان ، وتدانا العسكران ، وأمسكنا زلاجين ، ووقفنا والأناة زين . فعند ذلك ثار النصر فمديمناه ، وأناط الصبر فأشرق محياه ، ونزلت السكينة وأخلصت القلوب المستكينة ، واهتزت الفيالق مائجة وهدرت الشقائق هائجة ، وجحظت العيون غضباً ، وطلبت البواتر سبباً وأذن الحديد بالجلاد ، وبرزت السيوف من الأغماد ، وتصاهلت الخيول

وتصاولت القيول . فعند ذلك تواقف القوم كوقفة العير بين الورد والصدر فبرز فارس من العرب فطعن فارساً منهم فأذراه عن مركبه ورماه بين يدي موكبه ، فانتهج ما ارتج وانفتح المبهم وأفصح المعجم ، فعند ذلك اختلطت الخيل بل سال السيل وأظلم الليل . واعتنقت الفرسان واندقت الخرصان ، ودجاليل القتام ، وضاق مجال الجيش اللهام ، واختلط الحسام بالأجسام ، والأرماح بالأشباح ، ودارت رحى الحرب تغر بنكالها ، وثارت ثائرة الطعن والضرب تفتك بأبطالها ، فلثغر الصدور ابتراد ، ولجزم القلوب انتهاد ، فما وضح النهار ولامسح الغبار حتى خضعت منهم الرقاب وقبلت رؤوسهم التراب ، واتصل الهلاك بالشرك وعادت الضالة إلى الملك ، وقلم ظافر الكفر وطالت أيمان الإيمان ، وفر الصليب سليباً ، وعجم عود الاسلام فكان طيباً ، وغمرهم الحيف فهمدوا ، وأطفأهم الحين فخمدوا . ومات جلهم بل كلهم ، وما نجا إلا أقلهم ، وحانوا فبانوا ، وقيل كانوا وكشفت الهبوات وانجلت تلك الهنات عن رسوم جسوم قد قصفتها البواتر ووطئتها الحوافر ، خاضعة الخدود عاثرة الجدود وأخذت ساقتنا في الطلب وضم السلب إلى السلب ، وملئت الأيدي بنبيل وافي الكيل خيلاً وبغالاً وسلاحاً ومالاً ودروعاً ، أكلهم حملها ، وأثقلهم جملها ، فساءت ملبساً وصارت محبساً ، فطرحوها كأنهم منحوها ، والقوها كأنهم أعطوها ، اخترناها نهباً ، وأخذناها كأن لم تكن ، غصباً لقطة ولا نكر ، وعطية ولغيرهم شكر . ثم أمرت بجمع الرؤوس ، فاخترت الدانية وزهد في جمع النائية ، فكان مبلغها نيفاً على ثلاثة آلاف منهم غرسيه أرذونش والقومط وقواد بلاط طليطلة ، وأكابر منهم لم يكمل الآن البحث عنهم ، فكانت كالهضب الجسيم ، بل الطود العظيم ، وأذن عليها المؤذنون ، يوحدون الله ويكبرون . فلما جاء نصر الله ، ووهب لنا فتح الله ، شكرنا مولى النعم ومسديها ، ومعين

المنن ومهديها ، وصدرت غانماً وابت سالماً ، وبقي القائدان محاصرين لحصن أقليش آخذين بخنقهم ، مستولين على رمقهم .

فخاطبت أمير المسلمين ، أدام الله سروره ، ووصل حبوره ، معلماً بالأمر ، مهنياً بالنصر ، ليحمد الله عز وجل على ماوهب ، ونشكره على ماسنى وسبب . والله يتكفل بالمزيد ، ويشفع القديم بالجديد ، ويمن بالظفر والتأييد . فهو ولي الامتنان ، والملي الفضل والاحسان ، لارب غيره ولامعبود سواه .

دول الطوائف لعنان ح ١ ٥٣٣ ـ ٥٣٨

٢١٤ ـ رسالة جوابية من علي بن يوسف بن تاشفين الى أبي محمد بن أبي بكر عن هزيمة القلمة سنة ٥٢٣ هـ .

أصيب المرابطون بهزيمة شنيعة عند القلمة في الأندلس أمام الفونسو المحارب ملك أرجون ، وكان قائد جيش المرابطين ابن أخت علي الأمير أبو محمد بن أبي بكر بن سير اللمتوني . وقد دارت عدة مراسلات من أجل هذه الواقعة هذه إحداها .

كتابنا ـ وفق الله رأيك وحسن هديك ، ولا أمال عن الهدى والرشد سعيك ـ من حضرة مراكش ، حرسها الله ، في السابع من شعبان المكرم سنة ثلث وعشرين وخمس مائة . وقبله وافي كتابك تذكر فيه المثيلة التي كانت للعدو ـ دمره الله ـ عليك في اليوم الذي واجهتموه فيه بعد أن كان لكم صدره ، وأتيح لكم نصره ، فأواخر الأمور أبداً أوكد وأهم ، والعواقب هي التي تحمد أو تذم ؛ وإذا حسنت خواتم الأعمال فالصنع أبهى وأتم . وإن لسان العذر لتلك الحال لقصير ، وإن الله على ذلك المشهد المضيع لمطلع بصير . توافقتم مع عدوكم وأنتم أوفر منه عدة وأكثر جمعاً ، وأحرى أن تكونوا أشد عن حريمكم منعاً ، وأقوى دونه

دفعاً ، فثبت وزللتم ، وجد ونكلتم ، وشد عقد عزيمته وحللتم . وكنتم في تلك الوقعة قرة عين الحاسد وشماتة العدو الراصد . وقد كانت نصبة توليكم بين يديه بشيعة هائلة ، ودعامتكم لولا انثناؤه عنكم مائلة ، فشغله عنكم من غررتموه من الرجل الذي أسلمتموه للقتل وفررتم ، ونصبتموهم دريئة للرماح ثم طرتم . ولولا مكان من أوردتموه من المسلمين ولم تصدروه وخذلتموه من المجاهدين ولم تنصروه لانكشف دون ذلك للرماح جنتكم ووقاؤكم ، وأصيبت بها ظهوركم وأقفاؤكم . عاقبكم الله بما أنتم أهله ، فأنتم أشجع الناس أقفاء وظهوراً ، وأجبنهم وجوهاً ونحوراً . ليس منكم من تدفع به كريهة ولاعندكم في الرشد روية ولابديهة . فمتى وأي وقت تفلحون ولأي شيء بعد ذلك تصلحون ؟ ونحمد الله عز وجهه كثيراً ، فقد دفع بفضله الأهم الأكبر ، وأجرى بأكثر السلامة القدر ، فاكشفوا بعد أغطية أبصاركم ، وقصروا حبل اغتراركم ، والبسوا منه جنة حذاركم واعلموا أن وراء مجازاتنا إياكم جزاء توفونه ، ويوماً عصيباً تلقونه ، فكونوا بعد هذه الهناة لداعي الراشد بين مطيع وسامع ، ومن كلمة الاتفاق والتآلف على أمر جامع ، فإنكم لو خلصت عيوبكم ، وحسنت سريرتكم واطمأنت على التقوى قلوبكم ، لظهر أمركم ، وعلا جدكم ، ولما ذهب ريحكم ولا فل حدكم ، فتوخوا في سبيل الله وطاعته أخلص النيات ، وأصدق العزمات واثبتوا أحسن الثبات ، وكونوا من الحذر والتقوى على مثل ليلة البيات وقد ذكر أن للعدو ـ دمره الله ـ مدداً يأتيه من خلفه ، والله يقطع به فلتضعوا على مسالكه عيوناً تكلأ ، ولتكن آذانكم مصيخة لما يطرأ ، فإن كان له مدد كما ذكر ، قطعتم به السبيل دون لحاقه ، وأقمتم الحزم على ساقه والله تعالى يفتح لكم فيكم الأبواب ، ويأخذ بأزمتكم إلى الصواب ، إنه الحميد المجيد ، لا إله غيره .

عصر المرابطين لعنان ج ١ ٥٤١ ـ ٥٤٢

٢١٥ - رسالة جوابية أخرى من علي بن يوسف بن تاشفين الى قواده الذين أخبروه بهزيمتهم في معركة القلعة سالفة الذكر .

كتابنا - أبقاكم الله وأكرمكم بتقواه ، وكنفكم بعصمته وجعلكم في حماه وأسبغ عليكم عوارفه ونعماه - من حضرة مراكش - حرسها الله - في الحادي عشر من شعبان المكرم من سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة ؛ غب ما وافانا كتابكم الأثير مضمناً وصف اليوم الذي جرت به خزية المقادير ، فاستعرضناه وتقرر لدينا جميع ما حواه ، وفي علمه سبحانه موقع ذلك لدينا ، وعزازة شأنه علينا ، ولكن لا مخرج عن القضاء وحكمه ، ولامحيد عن القدر وحتمه . ولن يرد حول محتال ما سبق في علمه . وما ألونا - وهو عز وجهه أعدل الشاهدين - جداً وعزماً وكدحاً لاعلاء كلمة الاسلام ، وحزماً ببذل الأموال وتخير الرجال ، واعتيام الأسلحة والأفراس ، والجمع بين الايحاش والايناس ، في الوعد والوعيد ، والتخصيص والتأكيد ، وعرض الآراء المتخيل فيها السداد ، وبلوغ مدة جهاد في كل نحو والاجتهاد ، لو كان العون موجوداً ولم يكن التعذير ... حاضراً عتيداً ، والله يجزي كل خاين ماين بإسخاطه تعالى داين جزاه ، ويرد به برد مضمره ورداه . ويوشك مقارضته وارداه بحوله وطوله . وبالله القسم الأعظم ، لو أمكننا أن نكون لديكم حاضرين لأسرعنا بذلك مبادرين ، ولما ثنانا عن حمايتكم بأنفسنا ثانٍ ، ولا قعد بنا عن معالجة نصركم تراخ ولا توان . وقد جددنا الآن أحث نظر . ونحن نردفه بما يكون عليكم ألمّ وارد وأسرع منتظر ، فلتهدأ ضلوعكم ، ويسكن روعكم فما لنا - والله يشهد - هم سوى الذياد عنكم والدفاع ، والانفراد لذلك والاستجماع ، والاجتهاد والتوفير عليه بأتم الاضلاع . والله عز وجل المبين المنجد ، فلم يزل يعضد على ما يرضيه ويؤيد ، لا إله إلا هو .

٢١٦ - رسالة وجهها علي بن يوسف بن تاشفين الى قواده وجنده، يقرعهم ويوبخهم عقب هزيمتهم أمام ابن ردمير [الفونسو المحارب] في أراضي بلنسية

من أمير المسلمين وناصر الدين. أما بعد:

يافرقة خبثت سرايرها، وانتكثت مرايرها، وطايفة انتفخ سحرها، وغاض على حين مرة بحرها، فقد آن للنعم أن تفارقكم، وللأقدام أن تطأ مفارقكم حين ركبتموها جلواء عارية، وأصبحتم في أدراع عارها أمثالاً سواسية، واختلط المرعى منكم بالهمل، فما يتبين الأنقص من الأكمل، فطأطأتم لها رؤوس عشايركم، وقضيتم بالفسولة على سايركم، لاجرم أن قد صرتم سمر الندى، والأحاديث الململة بالغداة والعشي، بما خامركم من الجبن والخور، واستهواكم من لقاء عدوكم بالجانب الأزور، لاتواجهونهم طرفة عين ولا تعاطونهم حمة حين، بل تعطونهم الظهر هنياً مرياً، وتتخذونهم وراءكم ظهرياً، والرماح نحوكم لم تشرع، والخيل لم تسرع، والنفوس في حياض المنية لم تكرع، فإنكم ثلة ذيابهم، وفريسة أنيابهم، قد نعموا في بوسكم، وناهضوكم بلبوسكم، وحاربوكم عاماً على إثر عام، حتى ألزقوكم وتركوكم أسلح من حبارى وأشرد من نعام.

فالآن حين ملأتم أيديهم متاعاً، ووراديهم سلاحاً وكراعاً، قد غزوكم في عقركم، وأذاقوكم وبال أمركم، فلذتم بالجدران، وبؤتم بالندامة والخسران. يابغايا بني الأصفر، وسجايا ذوات الدل والخفر، أكرهتم زحافهم، وكنتم - علم الله - أضعافهم، أنى لكم بالمعذرة، وأين؟ وقد فرض الله الواحد منكم بالاثنين فقال: (إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين)[1] هذا وكلمتكم

(١) سورة الأنفال الآية ٦٦

العليا ، وحلوبتكم الحياة الدنيا ، ماشئتم من صارم وطرف ونحض وركايب وسوام ونضايد وخيام .

فيا أسفاً للحق يدمغه الباطل ، والحالي يبهره العاطل ، لا بالحنيفية تحرزتم ولا إلى الحفيظة والاناابة تحيزتم . ليت شعري بماذا تقلدتموها هندية ، واعتقلتموها سمهرية خطية ؟ وركبتموها جرداً سوابق ، وملكتموها مغارب ومشارق ، ثاوين في غير عدادكم ، منتزين على أضدادكم ، يؤدون الاتاوة إليكم حين أشرقتموهم بالهوان ، وأنتم فيه غرباء الوجه واليد واللسان ، وصيروكم عبيد العصى ، ولستم بالأكثرين منهم حصى ، بل شرذمة قليل نفعها كثير نجعها . فياعجباً لذهولكم ، شبابكم وكهولكم ، تأكلون ثمرها ، ولاتصلون جمرها ، وتذهبون بحلوائها ، ولا تصبرون على لأوائها ؟ أي بني اللئيمه وأعيار الهزيمة إلامَ يريعكم الناقد ، ويردكم الفارس الواحد ؟

إلامَ يريعكم الناقد يردكم الفارس الواحد
ألا هل أتاها على نأيها بما فضحت قومها غامد
تمنيتم مائتي فارس فردكم فارس واحد
فليت بكم بارتبط الخيول ضئاناً لها حالب قاعد

ومن لرعاة الابل بالجد المقبل ؟ لقدماً ما أذهبتم التالد والطارف ، وعجباً عجيباً من جذامى المطارف وأنتم قد قدحتم في ملكنا ، وأذنتم بانتثار سلكنا فلولا من لدينا من ذويكم ، وضراعتهم إلينا فيكم ، لألحقناكم عجلاً بصحرائكم وطهرنا الجزيرة من رحضائكم بعد أن نوسعكم عقاباً ، ونحد أن تلووا على وجه نقاباً . فاللؤم تحت عمايكم ، والوهن والفشل طي عزايمكم ، لاكن ما جبلنا عليه من الأناة ، وتوخيناه قدماً من إيقاظ ذوي الملكات يكفنا عن استيصالكم ويحملنا على شحذ نصالكم .

فاستنسروا يابغاث الهيجا ، واستيئسوا بعد الرجا ، واحذروا حلماً أغضبتموه ووادياً من الصبر أنضبتموه ، وتوقوا صدراً أحرجتموه ، وليثاً من أجمته أخرجتموه ، وايم الله نقسم إنذاراً بكم وإعذاراً لكم ، لنوردن الفار منكم من الزحف ما عافه من موارد الحتف ، ولنتجاوزن السوط إلى السيف ولنبدلن المعدلة فيكم بالحيف ، فليعلم المقدم المحجم منكم عن الاقدام ، أنه سلم من الحمام إلى الحمام ، وتخطى مصرع الأسد الباسل إلى جذع مائل . وشهادة الأبرار إلى مشهد الذل والصغار . كما أن من أصيب منكم في حرب ، أو أبلى بطعن أو ضرب ، خلفناه في الأهل والولد ، وبعناه الأثرة والكرامة يداً بيد ، فاختاروا لأنفسكم وأعقابكم ، وانضوا ثوب الخزي عن رقابكم والسلام على من حمى الاسلام ، كمل ما كتب به الفقيه الأديب الكاتب البليغ الأريب ذو الوزارتين أبو عبد الله ابن أبي الخصال عن أمير المسلمين ،

عصر المرابطين لعنان جـ ١ ٥٤٤ – ٥٤٦

٢٧ – رسالة علي بن يوسف بن تاشفين إلى قاضي بلنسية وفقهائها ووزرائها وأعيانها وكافة سكانها عند نزول الفونسو المحارب ابن رذمير عليها وحربه إياها .

كتابنا – أبقاكم الله وأمدكم بتقواه ووفقكم لما يرضاه ، ولا أخلاكم من لطايف رضاه وعوارف نعماه – من حضرة مراكش ، حرسها الله ، لسبع خلون من شعبان المكرم سنة ثلث وعشرين وخمس مائة .

وقد وصل إلينا كتاب الخطيب القاضي أبي الحسن منكم – أعزه الله بتقواه – متضمناً من ذكر ما بلغه الوجل من نفوسكم ، ما لا نزال نتوخى بحسبه – إن شاء الله – ما يفي بترفيهكم وتأنيسكم . فلا يذهبن بكم الجزع لما

كان من انكشاف المسلمين هناك عن مراكزهم ، وتصيرهم ماصيروه من محلتهم ، فرصة لمناهزتهم وانهزامهم بغير سبب سوى تخاذلهم المعتاد ، مع ماكانوا عليه من تكاثر الأعداد وتظاهر الأجناد ، فحسبناهم جميعاً وقلوبهم شتى . ولشد ماوعظناهم في ذلك وذكرناهم فما نجعت فيهم الموعظة ، ولا نفعتهم الذكرى . وبعد ، فإنا لا ندعكم ـ بحول الله ـ لضياع ، ولا نألوكم إلا اهتبالاً يذهب بمشيئة الله مانالكم من توقع وارتياع ، فطيبوا نفساً واطمئنوا قلوباً . والله يجعل من دون ماتوقعتموه فتحاً قريباً ، إنه هو الفتاح العليم المنان الكريم ، لارب غيره .

واعلموا أنه قد نفذت الآن كتبنا ثانية إلى ولاة أعمالنا ـ كلأهم الله وإياها ـ نأمرهم بتسريب الأقوات وتعجيل إنفاذها نحوكم من كل الجهات ، وسيرد عليكم منها الكثير الموفور لأقرب الأوقات . ثم لاتزالون من بالنا بأحق مكان من المراعاة والمحاماة ، إن شاء الله تعالى ، وهو سبحانه ، يوفقنا لصالح نتوخاه من لمّ شعثكم وسد خللكم واذهاب مكترثكم وحسم عللكم ، ويقضي بما يضم نشرهم ويشد أزرهم ويصلح أمرهم ويسد ثغرهم ويحفظ الالفة عليهم ، ويربي النعمة لديهم برحمته . وتبلغوا ـ أبقاكم الله ـ سلاماً كثيراً أثيراً خطيراً موفوراً .

عصر المرابطين لعنان ح ١ ـ ٥٤٣

٢١٨ ـ رسالة لعلي بن يوسف بن تاشفين من أحد قواده تتعلق بشؤون حصن أرلبة (أوريخا) وهي من إنشاء أبي عبد الله بن أبي الخصال .

أطال الله بقاء أمير المسلمين وناصر الدين ، مؤيداً بجنوده ، معاناً بتوفيقه وتسديده ، ولا زال عدله ينعش الأمم وسعده ينهض الهمم .

كتبت ـ أدام الله تأييده ـ من قرطبة ، حرسها الله ، لست بقـــين من جمادى الآخرة ، وقبل بثلاث وافيتها من الوجهة التي صحبتـني ومن معي فيها يمن أمره ، واكتنفتنا عزة نصره ، بعد أن أودعنا حصن أرلبـة ، حماه الله ، قوتاً موفوراً ومرفقاً كثيراً ، وحطت عندهم الأسعار وعـــم الاستبشار . وتسلم أبو الخيار مسعود الدليل ، سلمه الله ، الحصن ، واحتوى عليه ، وصار أمره إليه . ووافينا فلاناً ـ أبقاه الله ـ قد استاق غنيمة ظاهرة ، وجملة من البقر وافرة ، وقتل من العدو ـ قصمه الله ـ عدداً ، وقضى وطراً وشفى وجداً ، فتيمن الناس هناك بولاية الأمير أبي يحيى ، أعزه الله ، وبقيادة هذا القائد الذي اقترن الفتح بمأتاه . وكانت [عند] مقدمنا هذا الحصن خيل طليطلة ـ بددها الله ـ مجتمعة ، فوقذهم الرعب وشملهم الصغار والرغم . وتحققنا هناك أن مواشي تلك الجبال قد أخذت في الا ... نبساط والاسهـال ، والدنو من الوادي في طلب الخصب وتحوله من البرد إلى الدفء . والله يجعلها للمسلمين طعمة ، ويزيدهم بها قوة بعزته . وأنباء العدو ـ قصمه الله ـ الآن خامدة ، وعزائمهم هامدة ، وأيديهم جامدة ، استأصل الله ، بجد أمير المسلمين نعمتهم ، وقصف قممهم وأداخ بلادهم وانتسف طارفهم وتلادهم . وألفيت الحضرة ـ حرسها الله ـ وقد أخذ السرور من أهلها كل مأخذ ، وسرى فيهم كل مسرى ومنفذ بولاية الأمير أبي يحيى ، أعزه الله ، وكثر الدعاء لأمير المسلمين ، أيده الله ، بمـا جدد لديهم من حسن نظر وخلع عليهم من جمـال سيرة . ولقيته فلقيت كل ما أبهج وكان وفقاً لمـا انتشر ، ومشاكلاً لما استذاع وظهر ، تمم الله النعمة وظاهر عليه الكفاية والعصمة ، ووافتـني كتبه الكرام بما بلغ الأمل وحسم العلل . وأنا متمثل في كل معنى مايحده ، مجتهد فيما يقيم ذلك الثغر ويسده إن شاء الله عز وجل .

عصر المرابطين لعنان حـ ١ ـ ٥٤٧

٢١٩ ـ رسالة أرسلها تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين إلى قاضي بلنسية وفقهائها ووزرائها وعامة سكانها وذلك بعد أن أصبح أميراً للمسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً . من أمير المسلمين وناصر الدين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين .

إلى وليه في الله تعالى الأعز الأكرم الأحظى في ذات الله لديه ، أبي زكريا يحيى بن علي ، والفقيه القاضي أبي محمد بن جحاف وساير الفقهاء والوزراء والأخيار والصلحاء والكافة ببلنسية ، حرسها الله ، وأدام كرامتهم بتقواه .

سلام مبرور كريم ، مردد عميم على جميعكم ، ورحمة الله وبركاته . وبعد : فإن كتابنا إليكم ، كتبكم الله ممن آثر الحق واتبع سننه ، وادرع الحزم ولبس جنته ، وسمع القول واتبع أحسنه ، وحافظ على كتاب الله الذي يسره للذكرى وبينه ، وجعلنا وإياكم ممن جمله بتقواه وزينه ، من مناخنا بكرنطة في العشر الأول من جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة . وبحمد الله من صحيفتنا هذه صدرها الأكرم ، وكل قول فبعده يترتب وينتظم ، وقد جاء في الآثار : « كل كلام لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أجذم » . وبعد أن نستوفي واجب الحمد والشكر ، ونذكر نعمه السابغة علينا أجمل الذكر ، فنسأل الله توفيقاً قايداً إلى الرشد ، وقوة على طاعته نحمل بها من تلزمنا رعايته ، على المنهج الأفضل والسنن الأحمد ، ونستعيذه من قلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع ، وموعظة لا تنفع ، وسجية لا تطاع ، وهوى يتبع . ونصلي على محمد نبيه ورسوله الذي طهره تطهيراً ، وأرسله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلغ رسالة

ربه وهداه، وصبر على مشقة البلاغ وأذاه، ولم يخش أحداً إلا الله الذي رجاه إلى أن بلغ الكتاب أجله والدين مداه، وانتهى ملك أمته إلى ما كان الله له زواه، صلى الله عليه وعلى صحبه الذين ذبوا عن هذا الدين وحموا حماه ووالوا من والاه وعادوا من عاداه.

ولما كان، أعزكم الله، الدين ينعت بالنصيحة لله ولرسوله وللمسلمين والذكرى تنفع المسلمين المؤمنين، وجب أن نتخذ لكم من الموعظة به أنفسها الذي مرُّها في العاقبة حلو، وأخفض مراتبها في الله علو، فاعلموا - أعلمكم الله، ولا أقامكم مقاماً يرديكم - أن أقرب الناس إلى الله أحناهم على عباده وأمحضهم للنصيحة لهم بمبلغ جده واجتهاده، وإن أولى الناس بنا من طاب خبره، وكرم أثره، وحسن مورده في الأمور ومصدره، وكذلك «العامل» منكم و «القاضي» وفقهما الله، إنما اقعدا بذلك المكان لخير يتوليانه، وشر يردعانه وعدل يقضيانه، فليقدما أولاً تسديد أمرهما، ولينظرا في إصلاح أنفسهما قبل إصلاح غيرهما، فمن لا يصلح أمر نفسه لا يصلح سواه، ومن لا يسدد أموره لا يسدد أمر من تولاه، وعليكم أجمعين بتقوى الله في السر والإعلان والتمسك بعصم الإيمان، والاستعانة على حوائجكم بالكتمان، والتنزه عن فلتات اليد واللسان. ولم تخل أمة من جاهل وعليم، ومعوج وقويم، فليردع الجاهل العليم، وليُنبه المعوج القويم. ولن يزال الناس بخير ما لم يتساووا، فإذا تساووا هلكوا.

وأهم أموركم الصلاة التي هي سبيل النجاة لسالكها، ولا حظ في الاسلام لتاركها، فالزموها في جماعاتها، ولا تخلوا بشيء من مسنوناتها ومفروضاتها وأخلصوا فيها لله العلي الأكبر، واعلموا أنها كما قال سبحانه: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)(1).

---

(1) سورة العنكبوت الآية ٤٥

وعليكم ـ وفقكم الله ، بإصلاح ذات البين ، واعتماد الحق المخلص في الدارين ، وتخير الرفقا ، وانتخاب الجلسا ، فـــإن مثل الجليس كمثل القين والصاحب الصالح قوة في الدين وقرة في العين .

وانتدبوا واندبوا من قبلكم إلى الجهاد الذي هو من قواعد الإيمان والرشاد . أمر الرحمن ، وفرض على الكفاية والأعيان ، واتصال الهدو بفضل الله والأمان . وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القايم الصايم الذي لا يفتر عن صلاة ولا صيام » .

والذي نأخذ بـه عهد الله على العامل منكم الرفق بالرعية ، والحكم بالسوية ، وإجراء أمورها على السبيل الحميدة المرضية ، فهي العنصر الذي منه الاستمداد ، والأصل بثبوته تعمر البلاد ، وتتوفر الأجناد ، ويتمكن الرباط في سبيل الله الجهاد ، وليعلم أن العدل يقسطها ، والجور يسخطها ، وقلة المساواة تشتتها وتقنطها ، ولا سبيل أن يستعمل عليها إلا من يستوثق جانبه ، وتحسن الأحدوثة عنه ، وإن ظهر أحد منهم بنظر جميل فيه ، وكان في نفسه ما يخفيه ، فالبدار البدار إلى عزله وعقابه والتشدد فيما نأمر به .

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن مدار الفتيا ، ومجرى الأحكام والشورى في الحضر والبدا ، على ما اتفق عليه السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ من الاقتصار على مذهب إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه ، فلا عدول لقاض ولا مفت عن مذهبه ، ولا يأخذ في تحليل أو تحريم إلا به . ومن حاد عن رأيه بفتواه ، ومال من الأئمة إلى سواه ، فقد ركب رأسه واتبع هواه ، ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة فإياكم وإياه ، وخاصة ـ وفقكم الله ـ كتب أبي حامد الغزالي ، فليتتبع أثرها وليقطع بالحرق المتتابع ضرها ، ويبحث عنها وتغلظ الأيمان من يتهم بكتمانهـــا .

والخمر، نزهكم الله عن خبايث الأمور التي هي جماع الاثم والفجور والباب المفضي إلى سواكن الفسق والشرور، فاجتهدوا في شأنها، وأوعزوا في جميع جهاتكم بإراقة دنانها، فقد جاء عن رسول الله ﷺ انه قال: لعن الله الخمر، وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه، وكذلك نوكد العهد فيما نوصي به دايباً، مما أوجبه الله تعالى في حقوق المسلمين من الأعشار والزكوات والأموال المفروضة للأرزاق والمساة، فليؤخذ ما فرض الله منها في نصابها المعلوم، على سنة نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وكذلك نوكد عليكم أتم تأكيد أمر أهل الذمة ألا يتصرف أحد منهم في أمور المسلمين لأنه من فساد الدين.

والسلام الأبر الأكرم الأخطر على جميعكم ورحمة الله وبركاته، وعلى من هناك من المسلمين.

عصر المرابطين لعنان ج ١ ٥٤٨ ـ ٩٥٠

٥ ـ الموحدون ٥١٥-٦٦٨هـ / ١١٢١-١٢٦٩م

١ ـ المهدي بن تومرت والدعوة الموحدية ٥١٥-٥٢٤هـ / ١١٢١-١١٣٨م

٢٢٠ ـ خطبة المهدي في أتباعه لما قرر إعلان دعوته ومبايعتهم له بالمهدية.

لما استوثق المهدي من أتباعه وقبيلته ومنعته، قصد قرية إيجيليز من قرى السوس الأقصى، وهناك في ركن يستظل تحته على الماء جمع أصحابه وقام فيهم خطيباً فقال:

الحمد لله الفعال لما يريد، القاضي بما يشاء، لا رادّ لأمره، ولامعقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً

وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل ، وأزيل العدل بالجور ، مكانه المغرب الأقصى ، وزمنه آخر الزمان ، واسمه اسم النبي عليه الصلاة والسلام ، ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم ، وقد ظهر جور الأمراء ، وامتلأت الأرض بالفساد . وهذا آخر الزمان ، والاسم الاسم ، والنسب النسب ، والفعل الفعل .

يروي عبد المؤمن راوي القصة قوله :

لما فرغ الامام المهدي رضي الله تعالي عنه من كلامه ، بادر اليه عشرة رجال منهم أنا ، فقلت له : هـــذه الصفة لاتوجد إلا فيك فأنت المهدي . فبايعناه على ذلك[١] .

نظم الجمان لابن القطان ـ ٧٥

٢٢١ ـ رسالة أرسلها المهدي إلى سلطان المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين لما أعلن دعوته .

بسمـــلة

صـــلاة

من القائم بدين الله العامل بسنة رسول الله محمد بن عبد الله وفقه الله ، إلى المغرور بدنياه علي بن يوسف .

أما بعد : فإنا ماوجدنا لأكثركم من عهد ، وإن وجدنا أكثركم لفاسقين لم تخشوا عقوبة رب العالمين ، ولم تتفكروا فيمن حولكم من الظالمين الذين غووا فأصبحوا نادمين ، فتبعهم الناس أجمعين ، فإذا هم أخسر الخاسرين .

وقد أمرني الله بإدحاض حُجة الظالمين ، ودعاء الناس إلى اليقين ،

---

(١) ورد نص مطابق للنص أعلاه في الدولة الموحدية لعلام ٦٥ ـ ٦٦ وعصر المرابطين لعنان حـ ١ ـ ١٧٣

ونسأل من الله أمير المحسنين . لاتغتروا فإن المسلمين إليكم فلابد أن بجيش ونفوز لقتال من زاغ وجنف وكفر بنعمة الله ، وقد جاء في التنزيل أنكم لستم بمؤمنين ولا تؤمنون بلا إله إلا الله . وإنها كلمة تقولونها عند الخوف والتعجب ، وتارك واحدة من السنة كتاركها كلها .

ومن أجل ذلك دماؤكم حلال ، ومالكم فيء ، وقد بينا لكم وأوضحنا السبيل ، وماتغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون . وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، والسلام على من اتبع الهدى وخشي الرحمن .

صـــــلاة

من محمد بن عبد الله العربي القرشي الهاشمي الحسني الفاطمي
الدعوة الموحدية بالمغرب لعلام ٣٤٧ - ٣٤٨

٢٢٢ - رسالة وجهها ابن تومرت إلى الموحدين يحرضهم على قتال المرابطين

وهذا الوعد العظيم ، والعذاب الأليم فيمن ركن إليهم فكيف بمن أعانهم بنفسه وماله على سفك دماء المسلمين ، وأخذ أموالهم ، ومعونتهم على ظلمهم ولو بدرهم واحد ، لما رواه كعب بن عجرة عن النبي ﷺ قال :

« أعينك بالله ياكعب بن عجرة من أمراء يكونون بعدي ، فمن غشي أبوابهم وصدقهم على كذبهم ، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ، ولا يرد على الحوض . ومن لم يغش أبوابهم ، ولم يصدقهم على كذبهم ، ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه ، وسيرد على الحوض » .

وأجمعت الأمة قاطبة - خلفها وسلفها - [على] أن الظالم لايعان على ظلمه ، ولا تجوز طاعة في معصية الله ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لما رواه عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « على المرء المسلم السمع

والطاعة ما لم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » إلى غير ذلك من الأخبار الصحيحة مما يطول تتبعها ، وتحريم طاعة المخلوق في معصية الله معلوم من دين الأمة ضرورة ، ولا يحتاج فيه إلى بسط الأدلة ، فكل من أعانهم من القبائل فادعوهم إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الكتاب والسنة وترك معونة المجسمين والمرتدين والمعتدين . فإن قبلوا منكم رجعوا إلى السنة وأعانوكم على جهاد الكفرة ، فخلوا سبيلهم ، وهم إخوانكم في دين الله وسنة رسوله ، وإن عاندوا الحق وأصروا على معونة أهل الباطل والفساد ، فاقتلوهم حيث وجدتموهم . ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً . وكل من امتنع عن الرجوع إلى السنة فهو عدوكم إلى الممات . وكل من قتل من الكفرة والمجسمين فهو مخلد في نار جهنم وبئس المهاد ، وكل من قتل من المؤمنين فهو من أهل الجنة لقول رسول الله ﷺ : « من قتل دون دينه فهو شهيد » وهذا ما لاشك ولا ريب فيه . واعلموا ـ وفقكم الله ـ أنكم في قتال الكفرة على الحق المبين ، لاترتابوا في ذلك ، لأنكم إنما قاتلتم عن دين الله الذي قاتل عليه الرسول عليه السلام وأصحابه ، فاجتهدوا في قتال الكفرة وأعوانهم ، واطلبوا غرتهم بالليل والنهار (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)[1] .

فإذا صبر الكفرة على القتال على الظلم والفساد ، فكيف نحن لا نصبر على ديننا ، ونتمسك بسنة نبينا ، ونصبر كما صبر الرسول وأصحابه ، ولنا أسوة حسنة في الاقتداء بهم ، واتباع سبيلهم ، في صبرهم على البأساء والضراء وجهادهم على دين الله بأموالهم وأنفسهم محتسبين ، حتى امحت بهم آثار الكفر وانطمست بهم مراسم الباطل والماطل ، حتى أجلى الله بهم الحق ، وأعز بهم الدين ، ففازوا بذلك عند الله فوزاً عظيماً ، وبقي عندهم الجميل والثناء

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠

الحسن ، فكانوا لمن بعدهم [منارة] يهتدون بها ، فاهتدوا بهديهم ، واقتدوا بفعلهم رضى الله عنهم أجمعين .

واعلموا ـ وفقكم الله ـ أن الدين الذي جاهـــدوا عليه هو هذا الدين ولاتبديل له ولا تحويل حتى ينفخ في الصور ، والصبر على إحياء هذا الدين فرض علينا كما صبروا ، والاجتهاد في المسارعة إلى الخيرات فرض علينا كما اجتهدوا ، والله يسلك بنا سبيلهم ، ويحشرنا معهم ، فأخلصوا نياتكم ، وقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا ، ولا تقاتلوا للدنيا الفانية والأعراض الزائـلة فإنه من قتل على ذلك فقد بطل جهاده ، وذهب أجره ، ولكن من قتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر [كان] على الله أجره .

واعلموا ـ وفقكم الله ـ أن العدو لا يغلب بالعدد ولا بالعدد ، وإنما يغلب بحسن النية والتقوى ، والأعمال الصالحة والتوكل على الله ، كما قال أبو الدرداء : إنما تقاتلون بأعمالكم ، يعني إذا صلحت الأعمال انهزم الأعداء ، ولا يستقر لهم قدم في مقابلة الحق ، فاتقوا الله وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ، وبادروا إلى الأعمال الصالحة ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

واعلموا ـ وفقكم الله ـ أن المجسمين والمكارين ، وكل من نسب إلى العلم ، أشد في الشذ عن سبيل الله من إبليس اللعين ، فلا تلتفتوا إلى ما يقولون ، فإنه كذب وبهتان وافتراء على الله ورسوله ، وما نسبوكم إليه من الخلاف لله والرسول فـذلك خب وغش للمسلمين ، وخيانة لله ورسوله ويـــأبى الله ورسوله أن يكون من تمسك بالحق واتبع سنة رسول الله ـ ﷺ ـ وأناب إلى الله مخالفاً لله ورسوله ، بل المخالف لله ورسوله من اتبع الباطل وخطوات الشيطان .

فانتبهوا ـ وفقكم الله ـ لهذه الحيل التي يحتالون بها على عيشهم ودنياهم حتى حملهم ذلـك على الافتراء على الله ورسوله ، حتى عكسوا الحقائق

وقلبوها ، وحرفوا الكلام عن مواضعه ، ونسبوا من دعا إلى التوبة والتوحيد واتباع السنة إلى الخلاف ، وسموه مخالفاً بغيهم ، وسموا من اتبع الباطل وخطوات الشيطان من اتباع عادات الجهل والمداهنة ، وأكل الحرام ، وارتكاب الآثام ، والإصرار على الكبائر والفجور ، وأكل الدنيا بالدين ، وأكل أموال الناس بالباطل ، سموا هؤلاء كلهم مطيعين ، وسموا أتباع الباطل وخطوات الشيطان طاعة ، افتراء على الله ورسوله ، فلا تلتفتوا إلى تلبيسهم ، ولا تنظروا إلى تدليسهم ، فإنه ظهرت أباطيلهم ، وتعاضدهم على إخماد الدين ، وتعاونهم على الإثم والعدوان ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

فاجتهدوا في تعليم ما يلزمكم من فرائضكم ، واشتغلوا بتعليم التوحيد فإنه أساس دينكم حتى تنفوا عن الخالق التشبيه والتشريك والنقائص والآفات والحدود والجهات ، ولا تجعلوه في مكان ولا في جهة . فالله تعالى موجـــود قبل الأمكنة والجهات ، فمن جعله في جهة ومكان فقد جسمه ومن جسمه فقد جعله مخلوقاً ، ومن جعله مخلوقاً فهو كعابد وثن ، فمن مات على ذلك فهو مخلد في النار ، ومن تعلم توحيده خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فإن مات على ذلك فهو من أهل الجنة .

وتعلموا ما لا تصح الصلاة إلا بـــه مثل فاتحة الكتاب وسورة معها وحافظوا على الصلوات في أوقاتها ، واعمروا مساجدكم ، ومروا بها أولادكم وعبيدكم ، وإماءكم ، وكل من تعلق بكم ، واجتنبوا المحارم ، وردوا المظالم وتحاللوا ، وتغافروا فيما بينكم ، يغفر الله لـــكم ، وأصلحوا ذات بينكم ولا تفسدوا في الأرض ، ولا تبذروا ، ولا تسرفوا ، ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل .

ولا تخونوا،ولا تغدروا،ولا تحسدوا،ولا تغلوا ولا تمثلوا،ولاتولوا الأدبار عند

لقاء العدو ، فمن فعل ذلك فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصـــير .

وإياكم والغلول[1] ، فإن الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة واقسموهـا على موافقة الكتاب والسنة ، ولا تغيبوا منها قليلاً ولا كثيراً للراجل سهم وللفارس ثلاثة أسهم ، بعـد إخراج الخمس من رأس الغنيمة والغنيمة لمن شهد الوقيعة ، واجتنبوا الخمر لأنها أم الفواحش ، ولا تشربوها ولا تسقوها ، ولا تعصروها ، ولا تبيعوها ، ولا تبتاعوها ، فإنها رجس من عمل الشياطين ، وشاربها ملعون ، لما رواه عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لعنَ الله الخمرَ ، وشاربها ، وبائعها ، وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمول إليه » . وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلـــحون .

واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير .

واعلموا ـ وفقـكم الله ـ أن الموحدين في الأمن والأمان ، ونصر من الله وعافية وفضل وإحسان ، وتتـابعت عليهم النعم ، وترادفت عليهم المنن ، لله الحمد على ذلك .

اشتغلوا بتعليم مايلزمهم ، والاهـــتمام في دينهم ، والقيام بفرائضهم ، والاستعداد للقاء ربهم . فالله يتم علينا وعليهم ، ويوزعنا شكر أنعمه ، أذل الله لهم عدوهم ، وقذف في قلوبهم الرعب ، وزلزل أقدامهم وانتقم منهم بجورهم وأخذهم بسوء أفعالهم ، وأخذهم الله في كل ناحية ، وقطع الله لهم كل حيلة : هم في خزي وخسران ، ورعب وخذلان ، وذلك كله من حول الله وقوته لا منا ولا من أفعالنا ، إنما هو من وعد الله الذي لايخلفـــه لأوليائه ،

---

(١) الغلول : الطمع في مال الغنيمة .

وخزي من حاد الله ورسوله من أعدائه ، أرسل عليهم جنوداً لاقبل لهم بها وأظهر عورتهم وذلهم لأوليائه ، وكل من استند إليهم من حزب الشيطان من أوليائهم لاشك فيه ولا ريب . إن من اعتصم بغير الله تعالى ضل سعيه ومن اتكل على غيره خسر دنياه وآخرته ، لا عاصم لمن أراد الله هلاكه ولا حيلة لمن أراد الله فتنته . والكفرة اليوم قد تبين للناس ماهم عليه من تبديـــل الدين وعكس الأمور وإيثار الضلال على الهدى ، وإيثار العناد والطغيان على العدل والاحسان ، وإيثار الاستنكاف والاستكبار على الاستسلام للأمر ، والانقياد للحكم ، وإيثار الفساد في الأرض على الاصلاح فيها ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل من حسن الزاد وحسن الاستعداد للمعاد ، وحملهم الغي والبغي على أن جعلوا الحق باطلاً . والباطل حقـــاً ، والكفر إيماناً ، والإيمان كفراً . والهدى ضلالاً والضلال هدى ، والعدل جوراً والجور عدلاً ومن يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . فقد كشف الله لعباده المؤمنين تلبيسهم ، وأظهر كيدهم الآن ، لاخفاء به ، فقد وضـــح سبيله ، وكذلك الباطل ، إلا لمن سبقت عليه شقوته من الله ، فقد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطـاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لا انفصام لها ، والله سميع عليم .

ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ، أعاذنا الله من الزيغ والزلل ، وعصمنا من المحن والفتن .

كتبنا لـكم هذا الكتاب إعلاناً لكم بأن فضل الله علينا يتزايد ، وإحسانه لدينا يتضاعف ويتجدد ، ولم نزل منه في زيادة وستر ، ورحمة ونصر ، ونعم أسبغها ظاهرة وباطنة ، حتى زادنا بذلك بصيرة وتبياناً . ورأينـا مواهبه لايسعها شكرنا ، وعجزت عن القيام بحقه قوانا ، وقصرت على إحصاء ذلك كله عقولنا وألسنتنا .

منَّ الله علينا بالاعتصام بدينه في زمن عمَّ هوله ، وأشرب قلوبنا الحق رغبة في دينه ، واليقين بوعده ونصره مصدقين ، لايضرنا من ناوأنا أو عادانا أو خالفنا أو خذلنا مادامت أرواحنا في أجسادنا ، وما دامت السموات والأرض . ونحن لذلك معتقدون وعليه ثابتون ، لانمله ولا نيأس منه حتى نلقى ربنا غير مبدلين ولا مغيرين إن شاء الله .

نسأل الله تمام النعمة التي أنعم بها علينا ، والمزيد فيا به أحسن إلينا فمن كان على هذا فهو منا ومن حزبنا .

وعند الصباح يحمد القوم السرى ، أعانكم الله على طاعته ، وأمدنا وإياكم بالتقوى وختم لنا ولكم بالحسنى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدعوة الموحدية في المغرب لعلام ٣٤٩ ـ ٣٥٥

٢٢٣ ـ مقتطفات من خطبة المهدي بن تومرت في أتباعه قبل معركة إيجليز ، وهي أول معركة نشبت بينه وبين المرابطين عند السوس الأقصى سنة ٥١٦ هـ .

انظروا إلى أعدائكم واعلموا أن كل ما جاءوا به من خيل وعدة إنما هو هدية من الله تعالى لكم على غربتكم وفقركم ، فأعطاكم وأغناكم .

عصر المرابطين لعنان ١ / ١٧٨

٢٢٤ ـ رسالة المهدي إلى المرابطين بعد أن انتصر عليهم عدداً من المرات :

إلى القوم الذين استذلهم الشيطان ، وغضب عليهم الرحمن ، الفئة الباغية الشرذمة الطاغية لمتونة . أما بعد : فقد أمرناكم بما نأمر به أنفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته ، وأن الدنيا مخلوقة للفناء ، والجنة لمن اتقى ، والعذاب لمن عصى . وقد وجبت لنا عليكم حقوق بوجوب السنة ، فإن

أديتموها كنتم في عافية ، وإلا فنستعين بالله على قتالكم حتى نمحوا آثاركم ، ونكدر دياركم ، ويرجع العامر خالياً ، والجديد بالياً . وكتابنا هذا إليكم كتاب إعذار وإنذار ، وقد أعذر من أنذر ، والسلام عليكم سلام السنة لا سلام الرضى .

عصر المرابطين لعنان ح١ - ١٧٩

٢٢٥ - صيغة التوحيد التي وضعها المهدي بن تومرت لأتباعه ، وهي توحيد الباري سبحانه وتعالى :

لا إله إلا الذي دلت عليه الموجودات ، وشهدت عليه المخلوقات ، بأنه - جل وعلا - وجب عليه الوجود على الاطلاق ، من غير تقييد ولا تخصيص بزمان ولا مكان ولا جهة ولا حد ولا جنس ، ولا صورة ولا شكل ، ولا مقدار ولا هيئة ولا حال، أول لا يتقيد بالقبلية، آخر لا يتقيد بالبعدية، أحد لا يتقيد بالأبنية، صمد لا يتقيد بالكيفية ، عزيز لا يتقيد بالمثلية، لا تحده الأذهان ولا تصوره الأوهام ، ولا تلحقه الأفكار ولا تكيفه العقول ، لا يتصف بالتحيز والانتقال ، ولا يتصف بالتغيير والزوال ، ولا يتصف بالجهل والاضطرار ، ولا يتصف بالعجز والافتقار ، له العظمة والجلال ، وله العزة والكمال ، وله العلم والاختيار ، وله الملك والاقتدار ، وله الحياة والبقاء ، وله الأسماء الحسنى، واحد في أزليته ليس معه شيء غيره ، ولا موجود سواه ، لا أرض ولا سماء ، ولا ماء ولا هواء، ولا خلاء ولا ملاء ، ولا نور ولا ظلام ، ولا ليل ولا نهار ، ولا أنيس ولا حسيس ، ولا رز ولا هميس ، إلا الواحد القهار انفرد في الأزل بالوحدانية والملك والألوهية ، ليس معه مدبر في الخلق ولا شريك في الملك . له الحكم والقضاء وله الحمد والثناء ، ولا دافع لما قضى ، ولا مانع لما أعطى ، يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه ما يشاء

لايرجو ثواباً ولايخاف عقاباً . ليس فوقه آمر قاهر ، ولامانع زاجر ليس عليه حق ولا عليه حكم ، فكل منة منه فضل ، وكل نقمة منه عـدل ، ولايسأل عما يفعل وهم يسألون (١) .

عصر المرابطين لمنان حـ ١ ـ ٥٥١

٢٢٦ ـ رسالة وجهها المهدي الى اتباعه في الرافة وتحري الصدق في تقديم المخالفين إلى عمليات التمييز :

بسملة . صلاة .

من محمد بن عبد الله ...

... فعرفونا بشرح ذلك وإيضاحه ليتبين الفاسد بفساده ، والصالح بصلاحه ، ولتصل منكم جماعة فيها شيوخكم وأعيانكم النبهاء ، وفقهم الله أنبين عندهم ماتضمنه كتابكم المذكور من تلك العلامات [ليبحثوا] عنهـا بحثاً بالغاً على أوفى الحالات ، ويعرفونا بذلك لننظر فيما هنالك .

والله يتوب على من تاب وأصلح وتبين ، ويعيننا جميعاً على القيام بمـا أوجب [بفضله] وكرمه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

صلاة

توقيـع

الدعوة الموحدية في المغرب لعلام ـ ٣٥٦

٢٢٧ ـ وصية المهدي بن تومرت لأتباعه قبيل وفاته .

قال بعد ما حمـــد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ، وترضى على الخلفاء الراشدين وذكر ماكانوا عليه من الثبات في الحق .

---

(١) يذكر المؤلف أنه أخذ صيغة التوحيد هذه من كتاب أعز مايطلب . ٢٤٠-٢٤١

... فانقرضت هذه العصابة ـ نضر الله وجوهها ، وشكر لها سعيها وجزاها خيراً عن أمة نبيها ـ وخبطت الناس فتنة تركت الحليم حيران والعالم متجاهلاً مداهناً ، فلم ينتفع العلماء بعلمهم ، بل قصدوا به الملوك واجتلبوا به الدنيا ، وأمالوا وجوه الناس إليهم ... في أشباه لهذا القول إلى هلم جرا .

ثم إن الله ـ سبحانه وله الحمد ـ منّ عليكم أيتها الطائفة بتأييده ، وخصكم من بين أهل هذا العصر بحقيقة توحيده ، وقيض لكم من ألفاكم ضلالاً لاتهتدون ، وعمياً لاتبصرون ، لاتعرفون معروفاً ، ولاتنكرون منكراً ، قد فشت فيكم البدع ، واستهوتكم الأباطيل ، وزين لكم الشيطان أضاليل ، وترهات أنزه لساني عن النطق بها ، وأربأ بلفظي عن ذكرها ، فهداكم الله به بعد الضلالة ، وبصركم بعد العمى ، وجمعكم بعد الفرقة ، وأعزكم بعد الذلة ، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين ، وسيورثكم أرضهم وديارهم . ذلك بما كسبته أيديهم وأضمرته قلوبهم ، وماربك بظلام للعبيد ، فجددوا لله سبحانه خالص نياتكم ، وأروه من الشكر قولاً وفعلاً مايزكي به سعيكم ويتقبل أعمالكم ، وينشر أمركم . واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة وشتات الآراء ، وكونوا يداً واحدة على عدوكم ، فإنكم إن فعلتم ذلك هابكم الناس ، وأسرعوا إلى طاعتكم وكثر أتباعكم ، وأظهر الله الحق على يديكم ، وإلا تفعلوا شملكم الذل ، وعمكم الصغار ، واحتقرتكم العامة ، فتخطفتكم الخاصة . وعليكم في جميع أموركم بمزج الرأفة بالغلظة ، واللين بالعنف .

واعلموا ـ مع هذا ـ أنه لايصلح أمر آخر هذه الأمة إلا على الذي صلح عليه أمر أولها . وقد اخترنا لكم رجلاً منكم وجعلناه أميراً عليكم .

هذا بعد أن بلوناه في جميع أحواله من ليله ونهاره ومدخله ومخرجه ، واختبرنا سريرته وعلانيته ، فرأيناه في ذلك كله ثبتاً في دينه ، متبصراً في أمره ، وإني لأرجو ألا يخلف الظن فيه . وهذا المشار إليه هو عبد المؤمن فاسمعوا له وأطيعوا مادام سامعاً مطيعاً لربه ، فإن بدل أو نكص على عقبيه أو ارتاب في أمره ، ففي الموحدين - أعزهم الله - بركة وخير كثير ، والأمر أمر الله يقلده من يشاء من عباده .

فبايع القوم عبد المؤمن ، ودعا لهم ابن تومرت ومسح وجوههم وصدورهم واحداً واحداً .

المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي ٢٦٣ - ٢٦٤

٢ - عبد المؤمن بن علي ٥٢٤ ٥٥٨ هـ/١١٣٠-١١٦٣ م

٢٢٨ - منشور أصدره عبد المؤمن الى ولاة المرابطين لما استلم السلطة بعد وفاة المهدي .

من أمير المؤمنين وخليفة المهدي إلى سبيل الموحدين إلى أهليه .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، أما بعد :

ياعضد الفجار، وعباد الفساق الأشرار ، فقد كاتبناكم بالبنان ، وخاطبناكم بالبيان ، حتى سار كالبدر ، واستمر مرور الدهر ، فلم تجيبوا ولا أطعتم ، بل تثاقلتم عن الحق وعصيتم ، وإن الله سينتقم منكم لأوليائه نقمة من كان قبلكم من الأمم الجاحدة ، والفرق المعاندة ، سيف الدم يهلكم ، وحجارة المدر تدفعكم ، ثم لا يكون لكم استرجاع ، ولا يقبل فيكم استشفاع ، وهذه خيل الله قد أظلكم وبلها ، وطمى عليكم سيلها ، فتأهبوا للموت ، والسلام

على من اتبع الهدى هداه . ولم يغلب عليه هواه ورحمة الله وبركاته .

ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي – ٢٩٣

٢٢٩ – فصول من رسالة وجهها عبد المؤمن إلى الموحدين لما تم فتح السوس الأقصى سنة ٥٢٩ هـ على يد أتباعه :

. . . وذلك أن فيها فتح السوس ، وأن الموحدين – أعزهم الله تعالى – لما استولوا على بلاد السوس من أوله إلى آخره ، ومن فوقه إلى أسفله فقتل أهله ، وانجلى من لم يقتل منهزمين إلى كل أفق ، مما حواليه من هنكيسة وجزولة ، وبعضهم قد انحصر مع الملثمين بتيونوين ، فكان آخر هزائمهم التي هزمهم الموحدون – أعزهم الله تعالى – فيها هي الهزيمة التي قتل فيها توجين . ثم قنطوا من سوس ويئسوا منه ، فانقبضوا بتيونوين في ذل وخزي ورعب ، لا يستطيعون حيلة ، ولا يقدرون على حركتهم ، والحمد لله الذي أظهر ضعفهم ، وأخذهم بسوء فعلهم .

ولما بلغوا هذا المبلغ ، زادهم الله تعالى استدراجاً ومكراً ، فقام المخذول العلج الأعرج من أجر فرجان ، فاقتحم بنفسه في طريق إيغيران تطوف في حال غفلة من الموحدين ، أعزهم الله تعالى ، الذين عليها ، حتى جاز عليهم ولم يشعروا به حتى فاتهم بمن معه هاربين ، فاتبعهم الموحدون حتى وصلوا إلى بلاد السوس ، ولا شك في أن الله تعالى قد علم في ذلك خيراً ، إذ هو المدبر لهذه الأمور ، ولم يكلها إلينا والحمد لله رب العالمين .

ولم يصل العلج إلا بنحو أربع مئة برذون ، فلما وصل إلى تيونوين تسامع به من فر إلى الأطراف من بقية أهل سوس ، فكان هو معبودهم ومتبعهم ، فاتكلوا عليه ونسوا ربهم ، وجهلوا أمر الله تعالى ، واغتروا بقدمه فرجعوا إلى أوطانهم ، وحسبوا أنه يمنعهم من بأس الله ، مع أنهم لم يجدوا

في الدنيـا مهرباً ولا ملجأ ، فبادروا إلى النزول في بلادهم ، فميزنا عسكراً مباركاً من خيل ورجل ، فخرجوا إلى ناحية تارودانت ، وبعثنا تلك الليلة سرية إلى أسفل السوس ، فوجدوا بلاد المجسم معمورة ، قد سكنوا بأهاليهم ومواشيهم ، فقتلوهم وغنموا أموالهم بقراً وغنماً ودواباً وعبيداً ، وسبوا ذراريهم وأهاليهم ، ورجعوا سالمين غانمين ، ثم بعثنا سرية أخرى في الليلة التي تليها إلى بقية تلك الناحية ، أعني أسفل السوس ، فقتلوا مقتلة أكثر من الأولى ، وغنموا أكثر مما غنم أصحابهم .

وأما العسكر ، فقصدوا إلى تارودانت حتى دخلوها ، فوجدوا البقية التي رجعت إليها هاربين ، قد بعث إليهم الملثمون المحصورون بتنونين حين عاينوا عسكر الموحدين ـ أعزهم الله تعالى ـ قد أقبل إليهم فقالوا لهم : انجوا بأنفسكم قد عشيكم عسكر الموحدين ـ أعزهم الله تعالى ـ فهربوا . إلا بعض من كان في أطراف البلد مثل تاجندويت ورقـالة ، فقتل الموحدون من وجـــدوا .

ثم نزل الموحدون في وسط تارودانت ، واستقروا بها ساكنين ، وهزموها وحرقوها ، وأطلقوا النار في القصب ، إذ لا يقدر عليه من كثرته إلا بالنار ونحن ننظر إلى الدخان قد علا وارتفع في الهواء ، وتألف فصار كالسحاب المتراكم ، والكفرة بتيونوين لا يقدرون على أكثر من النظر إلى الدخان والنيران تضرم منازلهم وأوطانهم ، وهم مع الملج لم يزدادوا بقدومه عليهم إلا شدة هول وحصار وخوف وجوع ، ولما أيقين البربر وغيرهم بعجز الملج انكسرت قلوبهم ، واستمرت الهزيمة عليهم . والحمد لله الذي أخذهم بذنوبهم وانتقم منهم بجربهم .

نظم الجمان لابن القطان ٢١٠ ـ ٢١٢

٢٣٠ - رسالة وجهها إلى عبد المؤمن أبو حفص عمر الهنتاني قائد جيش الموحدين الذي أرسله عبد المؤمن لحرب الثائر الماسي بالسوس فهزمه وقتله سنة ٥٤٢ هـ، وأرسل الرسالة التالية إلى عبد المؤمن مبشراً بما منّ الله به من الفتح بقتل الماسي، وهي من إنشاء أحمد بن أبي جعفر ابن عطيـــة .

كتبنا هذا من وادي ماسة بعدما تزحزح من أمر الله الكريم ونصر الله المعلوم، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، فتح بسرى الأنوار إشراقاً وأحدق بنفوس المؤمنين إحداقاً، ونبه للأماني النائمة جفوناً وأحداقاً واستغرق غاية الشكر استغراقاً، فلا تطيق الألسن كنه وصفه إدراكاً ولا لحاقاً، جميع أشتات الطب والأدب، وتقلب في النعم أكرم منقلب، وملأ دلاء الأمل إلى عقد الكرب.

فتح تفتـــح أبواب السماء له وتبرز الأرض في أثوابها القشب

وتقدمت به بشارتنا جملة، حين لم تعط الحال بشرحه مهلة، كان أولئك الضـالون المرتدون قد بطروا عدواناً وظلماً، واقتطموا الكفر معنى واسماً وأملى لهم الله ليزدادوا إثماً، وكان مقدمهم الشقي قد استمال النفوس بخزعبلاته، واستهوي القلوب بمهولاته، ونصب له الشيطان من حبالاته، فأتته المخاطبة من بعد ومن كثب، ونسلت إليه الرسل من كل حزب، واعتقدته الخواطر أعجب عجب، وكان الذي قادهم لذلك وأوردهم تلك المهالك وصول من بتلك السواحل، من أرتسم برسم الانقطاع عن الناس، فيما سلف من الأعوام، واشتغل على رغمه بالصيام والقيام، آناء الليل والأيام، لبسوا الناموس أثواباً، وتدرعوا الرياء جلباباً، فلم يفتح الله لهم إلى التوفيق باباً.

ومنها في ذكر صاحبهم:

فصرع ـ والحمد لله ـ لحينه وبادرت إليه بوادر منونه ، وأتته وافدات الخطيئات عن يساره ويمينه ، وكان يدعي أن المنية في هـــذه الأعوام لاتصيبه ، ويزعم أنه يبشر بذلك ، والنوائب لاتنوبه ، ويقول في سواه قولاً كثيراً ، ويختلق على الله إفكاً وزوراً . فلما عاينوا هيئة اضطجاعه ورأوا ماخطته الأسنة في أعضائه ، ونفذ فيه من أمر الله مالم يقدروا على استرجاعه ، هُزم لهم من كان لهـم من الأحزاب ، وتساقطوا على وجوههم كتساقط الذباب ، وأعطوا عن بكرة أبيهم صفحة الرقاب ، ولم تقطر كلومهم إلا على الأعقاب ، فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم ، وأذنت الآجال بانقراض آمالهم . وأخذهم الله بكفرهم وفسادهم ، فلم يعاين منهـم إلا من خر صريعاً وسقى الأرض نجيعاً ، واتي من أمر الهنديات أمراً فظيعاً ، ودعت الضرورة باقيهم إلى الترامي في الوادي ، فمن كان يؤمل الفرار منهم ويرتجيه ، ويسبح طامعاً في الخروج إلى ماينجيه ، اختطفته الأسنة اختطافاً ، وأذاقته موتاً ذعافاً . ومن لج في الترامي على لججـه ورام البقاء في ثبجه قضى عليه شرقه وألوى فرقته غرقه . ودخل الموحدون إلى الباقية الكائنة فيه ، يتناولون قتالهم طعناً وحرباً ، ويلقونهـم بأمر الله هوناً عظيماً وكربا ، حتى سطت مراقات الدماء على صفحات المـاء ، وحكت حمرتها على زرقة حمرة الشفق على زرق الماء . وظهرت العبرة للمعتبر في جري الدماء جري الأبحر .

الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ١/٢٧٧ ـ ٢٧٨

٢٣١ ـ رسالة أرسلها عبد المؤمن سنة ٥٥٥ هـ إلى ولده والي إشبيلية يذكر فيها عزمه على الإياب .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم . والحمد لله

وحده . أعزكم الله وجعلنا وإياكم من الشاكرين لنعماه . إن من الواجب الحتم والمفترض الجزم ، على من لزمه شكر النعم لمسديها ، ممهد الآلاء لمهديها أن يقدر أولاً النعمة بكمالها . ويعمر خاطره بتفصيل إجمالها ، ويحضر في ذهنه بهجة جمالها ، ويسرح عين اعتباره في مناقل أحوالها حتى يفيض على باطنه نور إشراقها ، وتهميّ ينابيع مقوله بهاطل غيداقها ، وتتبارى له نفحات الشكر في ميدان استباقها ، وهو الفتح الذي برز في الاعجام والإعراب ، وأضحى نسيج وحده في الأشباه والأتراب ، وعقم عن مثله الزمن السالف ، وخلت عن وصف نظير له الكتب والصحائف . تتأكد بمحله وجول الاعتبار ، ولايزال موقعه يعظم بزيادة الاستيضاح والاستبصار ، وقد أبرزت لكم صوره ، وتليت عليكم آياته وسوره . ووراء ذلك من تفاصيله مطلعات لاتنتهي إليها الأوصاف ، وغايات لاتحيط ببعضها الأكناف . فاجعلوا لأنفسكم حظاً من الاعمال في وزنه لميزانه ، وقدره على حقيقة كنهه وكيانه . واعلموا أن هذه الجمرة التي أطفأ الله تعالى لهبها . والجمرة التي أبادها الله وأذهبها ، وقطع بحبله القوي وسببه المتين حولها وسنمها ، وهي شوكة الأمة التي لم تزل الأمم صالية بنيرانها ، والجن والإنس مستعيذين من شيطانها ، ومردة كل طائفة متحيرة من تمردها وطغيانها ، قد دوخت الملوك والمالك ، واستحقت المسارح والمسالك ، واقتحمت بيأسها المتالف والمهالك ، ومرت عليها قرون لم يهض لها جناح ، ولاريع لها صباح ، ولاقارنها في مطالبها الغوية إسجاح ، حتى ظنت أن الحتوف تهابها ، وأمر الله لايطرقها ولاينتابها ، إغتراراً بعددها وعديدها ، وثقة بأن الأيام لاتنتقل فيهم عن معهودها . وقد خبأ الله لأوليائه الموحدين من الفتح فيهم صنعاً اختصهم به من بين الأنام ، وأجراه عدة لهم في مأثور كلام نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام . فلما حقت عليهم كلمة عذابه ،

وأراد الله إنفاذ حكمه فيهم بما تقدم من أسبابه .

تتسني لأهل الحق نيل مرادهم وطاب لهم فيما يرومونه الورد
ويُسرت الأسباب فاختيرت المنى وأحكمت الآمال فانتضى الجد
ودبر رأيٌ فالتقت عزماته على حكم ماقد أحكمت ضربه الهند
فسار بأمر الله جيش عرمرم يقود به سعد ويحدو به سعد
بكل بسيط الشأو منقبض النسًا يصول عليه في الوغى أسد ورد
سروا ، ورياح النصر تحرد بينهم فأضحت رياح مالها منهم حرد
بضرب يزيل الهام عن سكناته وطعن شتيتات القلوب به سرد
شفي كل صدر نور الله قلبه وأشقى صدوراً مالها بالهدى عهد
وطهرت الآفاق من كل كافر فحصحص حق الله واستحكم العقد
ولما طغت جهلاً رياح وصرصرت دهتها بأمر الله داهية إدٌّ
فلم تغن عنها اللات شيئاً ولا حمى نفوسهم عنا سواع ولاود
وقد مزقوا في الأرض كل ممزق فمن فاته قد أحاط به قد
وهذا هو الفتح الذي بكماله تكامل أمر الله وانتجز الوعد
به تفتح الدنيا به تبلغ المنى به يسجح العاصي به يقرب البعد
لقد جل قدراً أن يحيط بوصفه لسان وأن يحصي معانيه عد
ولله سر فيه لابد أن يجتلي بآثاره في كل مفتتح بعد
ستلقى بلاد الروم منه حتوفها ويغشى أولى الالحاد من ذكره جهد
وماكان هذا الغزو إلا من أجله فلما تجلى صبحه كمل القصد
وقد صرفت نحو المغارب عزمة يبين لها في كل ناحية وقد
معودة ألا تهم بمطلب فيلفى له من دونها أبداً بدٌّ
وجدٌّ لأهل الحق أدب معجل فلله ذاك الرأي والمذهب الجد
وحاجاتهم بالشرق قد قضت لهم فآمالهم نحو المغارب تمتد

إلي الأفق الغربي صرنا صدورها ... خفافاً كما طارت بجرعاتها الربد
فيامعشر الأشياخ من كل طالب ... ومن حافظ للذكر ألفاظه سرد
نبشركم أنا اهتممنا بأمركم ... فليتكم منا المسومة الجرد
ويصحبنا من خالص العرب معشر ... أنابوا فما ردوا وتابوا فما ارتدوا
رأوا في ذويهم عبرة فتيقظوا ... وكان لهم في غي غيرهم رشد
ستغزو بلاد الروم منهم عصائب ... وتحمي حمى التوحيد من خيلهم جند
فطوبي لأهل الغرب ماذا يرونه ... لقد جل قدراً أن يحيط به حد
جيوش بنصر الله تهمي عليكم ... يروق بها وهدٌ ويزهي بها نجدُ
ويشجى بمرآها الأعادي كأنما ... عليكم بها صم الشوامخ تنهد
ستعلم أرض الروم أي فوارس ... على ظهرها منهم إذا وفد الوفد
وأي رجال للحروب إذا بدت ... أسود شرى يخشى ترابها الأسد
ودنا وإياهم لحتم غلابنا ... لهم وكلام الوحي ليس له ردٌ
وإنا لنرجو الله في كل حالة ... فيوسعنا فضلاً له الشكر والحمد

وهذه الفتوح التي تفتحت لها السماء ، وأشرقت بأنوارها دياجير الظلماء ، إنما صلى بنيران سيوفها ، ودارت أرحية حتوفها على الرياحيين ، ومن انضاف إليهم من الذين خلعوا عن أعناقهم ربقة الإيمان ، ونبذوا وراء ظهورهم أسباب الأمان ، وآثروا ناعق الشيطان على داعي الرحمن . وأما سائر الأعراب فالرجاء فيهم متمكن ، وطريق إحدى الخطتين لهم متبين ، والقصد إليهم بحسب نفيرهم أو نفورهم متعين ، لا محيص لهم عن إحدى السبيلين ولا بد لهم من ركوب إحدى الطريقتين ، فأما من ظلم نفسه واعتزل الحق وأهله ، فسيذوق من العذاب الأدنى مراً ، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يُسرا . الوعد بفتحهم وملكهم سابق ، وخبر الوحي لا محالة صادق ، والنظر

في أمرهم متدارك متلاحق ، والعمل على شاكلة الصواب بحسب مايكون منهم متناسق ، فاستبشروا – وفقكم الله – لما تستقبلونه من المواهب الجسيمة والفتوح العميمة ، فإنها لهذه التي بين اليد – وإن عظم خطرها ، وجل في النفوس أثرها – بمنزلة الجملة للعنوان ، أو الروح من الجثمان . والله تعالى يجعلنا وإياكم ممن شكر النعمة وآثر العمل الصالح وقدمه بمنه ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

تاريخ المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ٢/١٣١-١٣٥

٢٣٢ – رسالة وجهها عبد المؤمن الى الموحدين في الأندلس القائمين بأمر الدعوة والحكم فيها .

من أمير المؤمنين – أيده الله تعالى بنصره وأمده بمعونته – إلى جميع الطلبة الذين بالأندلس ، ومن صحبهم من المشيخة والأعيان ، والكافة – وفقهم الله واستعملهم بما يرضاه – سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد : فالحمد لله ، وهو اللطيف الكريم ، الرؤوف الرحيم ، الذي بعدله قامت السموات والأرض ، وبه تقوم . وعلى محمد نبيه المصطفى الصلاة المباركة والتسليم ، ولأمته المخلصة في عليين كتابها المرقوم ، والرضا عن الإمام المعصوم . المهدي المعلوم الذي بعثه رحمة للمؤمنين ، ينيلهم به الروح والنعيم ويريهم رحيقها المختوم .

وكتابنا هذا : كتب الله تعالى لكم كل رأفة ورحمة ، وسوغكم من اليمن والأمن أنعم نعمة ، وجعلنا وإياكم فيمن قدم لدار قراره ونعمه من الحضرة العلية بتنميل – حرسها الله تعالى – في سادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة . وقد وصلناها – والحمد لله – وجناح الرحمة مخفوض وطرف المكاره مفضوض ، وفيض العدل والبذل منتشر مستفيض ، وشأن

الظـلم ـ بإذن الله تعالى ـ مكفوف مقبوض ، والحق أبلـج ، لا كناية ، ولا تعريض .

وكان مقصودنا من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر المكرم المهدي ـ رضي الله عنه ـ لتجديد عهد به تقادم ، وشفاء شوق إليه لزم ولازم ، والنظر في بناء مسجده المكرم ، تمتعاً ببركاته ورجاء في تضاعف الأجر بكل لبنة من لبناته ، وحرصاً على أن يتوافر به حظ التوفيق وقسمه ، ويعـلو في الملأ الأعلى ذكره ورسمه ، ورغبة في رفع بيت من أفضل البيوت التي أمر الله عز وجل أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ولتنعم الجوارح بمشاهدة هذه المشاهد المنعمة ، والمواسم المعظمة ، وتتزود بالقطوف على ما عهـدته من العوارف المتممة . كل ذلك غرضاً في ذات الله تعالى غرضه ، وأمر يستحب المرء إليه طلب ذلك الخير وبستنهضه . وقد تم ـ بحمد الله تعالى ـ هـــذا الوطر ، واقتضى الاياب إلى النظر في المصالـح ، والرأي الجميل النظر ، وتفجرت بحمد الله ـ منابع الخير وفاضت ، وعادت روابض الأمر إلى شرف حالاته وآمنت ، وانبعثت موارد البركات ـ بعدما غارت ـ في غير هذا الزمان المذكور ـ وفاضت . ونسأل الله تعالى عوناً على شكر هذه النعم التي غلت ملابسها ، ودعت الأفئدة نفائسها ، وخاب عن رحماها خاسر الكلمة وبائسها و... وقـــد اتصل بنا ـ وفقـكم الله تعالى ـ أن من لا يتقي الله ولا يخشاه ولا يراقبه في كبيرة يغشاها وتغشاه ، ولا يؤمن بيوم الحساب ، فيما أذاعه من المنكر والفحشاء ، يتسلطون بأهوائهم على الأموال والأبشار ، وينتشرون بالقتل بأعراض الدنيـا أقبح الانتشار ، يستحلون حرمات المسلمين من غير حلها ، ويسارعون إلى نقض عقد الشرع وحلها ، ويضعون الشـدة والغلظة بطراً ورياءً في غير محلها ، ويبتدعون من وجوه المظالم ماتضعف شواهق الجبال عن حملها ، ويستنبطون من فواحش الآثام ، ماتذهب نفوس المؤمنين

لأجلها ، ويتسببون إلى قتل المسلمين ، فضلاً عن استباحة أموالهم وأعراضهم بتلبسات يسيئونها ، وضرورات يضيفونها إليهم وينسبونها ، وينظرون إلى اهتضام حق الله - تعالى - فيهم بأباطيل يمدونها ظلماً ويحسبونها ، ويسعون في استئصال نفوسهم بكل قاطعة موجعة ، ويعبثون فيهم بكل غاضبة للقلوب منتزعة : والنبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم يقول : « من قتل عصفوراً بغير حق عبثاً ، جاء يوم القيامة وله صراخ عند العرش يقول : يارب : سل هذا فيم قتلني عبثاً من غير منفعة . . » ولا يلتفتون إلى عاقبته ولا يحرون (؟) بآذانهم مايفعل الله بأمثالهم ، ولا يخطرون : يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . هيهات ، هيهات... إنهم ساء ما كانوا يعملون . تالله ليأتينهم من العقاب الأليم في أقرب أمد مايهدهم هداً ويجعل بينهم وبين النجاة من اشتداد الهلكة سداً ، ويتأصلهم بصواعق الانتقام فقد جاءوا شيئاً إداً . أما علموا أن الله تعالى يطلع على نجواهم ويوقعهم في مهاوي بلواهم ، ويلبسهم أردية سرائرهم ، فيما استهواهم الشيطان به . واستغواهم ، أما علموا أن أمر المهدي - رضي الله تعالى عنه - تساوى به في الحق به أضعف المسلمين وأقواهم ، ألم يقل رسول الله - صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم - « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى لذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » ، لقد أمنوا مكر الله جرأة عليه ، وإقداماً وأعمت الشهوات بصائرهم إذهاباً لنور الحق من نفوسهم ، وإعداماً ، وتالله لو تعين لنا فاعل ذلك وتشخص ، لما خرج من حياله مكروه ولا تخلص ، ولسارع إليه من أسرع بعقابنا ، ما يمحو رسمه محو الفنا ، ويكبت يديه بما قدمتا من الخنا ، لقد ذكر لنا من تلك المعالم المستغرقة لأنواع المآثم الموبقة لأهلها ، حين يقرع سن الندم النادم ، أن أولياءك الخائفين في غمرات أبحرها المشيرين لأسباب منكرها ، الصارمين لعلق الشريعة ، القاطعين لأبهرها

يمدون أيديهم إلى ضرب الناس بالسياط إبلاغاً في الانتهاء بكثرتها، وأمجاشاً (١) ويتسببون بذلك إلى أخذ أموال الناس إيغالاً للصدور، وإيحاشاً. وذلك أمر ـ معاذ الله ـ أن يرضى به مؤمن بالله أو يتجه إليه حق نبوع من الاتجاه ما أبعد العدل أصلحكم الله تعالى ـ عن هذه الأمثال والأشباه.

وقد علمتم أن عادتنا فيها يستوجب الضرب أو يستحقة، من يظلم الأمر الشرعي أو يعقه بحدود معلومة دون إفحاش ولا انتهاك، ومواقف مرسومة تقابل كلاً بمقتضى جرمه من أثيم، أو أفاك. ولقد ذكر لنا من أمر المغارم والمكوس، والقبالات، وتحجير المراسي، وغيرها ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرماً وإفكاً، وأدناها إلى من تولاها دماراً وهلكاً، وأكثرها في نقص الديانة عبثاً وفتكاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون. هل قام هذا الأمر العالي إلا لقطع أسباب الظلم وغلقه، ووصل سبيل الحق وطرقه، وإجراء العدل إلى غاية شأواه وطاقه؟ اللهم إنا نشهدك أن سبيلنا، سبيلك، وإنا نستعيذك مما استعاذ منه محمد رسولك، روي عنه ـ ﷺ ـ أنه قال: «أعوذ بالله من الغرم، والمأثم»، تنبيهاً على ما في إغرام الناس من الظلم المظلم، ولئن نقل إلينا ـ والله الشاهد ـ أن نوعاً من هذه الأنواع، أو صنفاً من تلك الأصناف المظلمة، يتولاه أحد هنالك من البشر، أو يأمر بشيء من ذلك الفعل المستنكر لنعاقبه بمحو آثاره عقاباً يبقى عظة لمن اتعظ، وعبرة لمن تنبه لزاجر الحق واستيقظ.

وأن من ذلك الرأي الذميم، والسعي المنقوم، ما ذكر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها، والطوائف المارة على البلاد، لمعنى تجارتها، يتسبب إليه قوم من هؤلاء الظلمة الدخلاء، الذين يضمون الغش على ما يوهمون به من النصيحة، ويستنبطون المكر في تصرفاتهم القبيحة

(١) الأمجاش: خدش الجلد حتى يخرج منه الدم.

ويقولون للرجل منهم « عندك من حقوق الله كيت وكيت ، وإن المخزن جميع ما به أتيت » ويقرنون بهذا من الوعيد والإغلاظ الشديد ما يرضى به المذكور من الخروج عن جملة ماله ، ويعتقد السلامة من ذلك الظالم الغاصب ، أعظم مناله . وإنها لداهية عاقرة ، قاسمة للظهر فاقرة ؛ ويا عجباً لكم معشر الطلبة والشيوخ ، وكافة الموحدين ، فإنكم بذلك مطلوبون ، وما حجتم وما أنتم على حق ؟ كيف تتكيف هذه الكبائر ، وأنتم هناك للأمور رصد ؟ أم كيف تجري هذه الظلامات وقد قام للحق أود ؛ أم كيف تكون الدماء على هذه الصورة تسفك ، والحرمات تنتهك ، ولا يتمعض لذلك منكم أحد ؟ كلا ليعاقبن كل من جنى ، وليظهرن ما قصد القاصد وما عنى . وإن من وراء قولنا لتتبعاً يبحث عن ذلك ويمحص ، ونظراً يفرق بين المشكل منه ويخلص .

ولا شك ـ والله أعلم ـ في أن أسباب تلك المنكرات ، وداوعي تغير تلك الأحوال المتغيرات قوم يتوسطون بينكم وبين النـاس ، يقولون ما لا يفعلون ذهاباً إلى التلبيس عليكم والإلباس ، ويجعلون التفسير بالظـلم والعدوان بدلاً من العقل ، والقول الجميل والايناس ، وذلك لغيب المباشرة ومباينتها وبعدكم عن مباشرة الأمور ومعاينتها ، والتحجب عن مطالعة الأمور ، داعية كبرى لفسادها واختلالها ، وسبب قوي في انتقاضهـا وانحلالها ، وفرصة لوسائط السوء بانهاكها في البواطل واسترسالها ، فلا تكلوا النظر فيها إلى سواكم ، ولا تبعدوا بغلظ الحجاب عن قصدكم من الخير ونواياكم ، وباشروا الأحكام هناك مباشرة المتعهد المتفقد ، وعليكم بالتواضع لأمر الله تعالى وترك الاستعلاء المنتقد ، وتحفظوا في جانب المسلمين من كل خفيف المقال كثير الاضطراب ، في الباطل والانتقال ، فقد « نهى رسول الله ﷺ عن القيل والقال » وتثبتوا ـ وفقكم الله تعالى ـ في الأحكام التي لا بد لكم من النظر فيها تثبت الباحث عن حقائق الأمور ، وتمهدوا الناس بالتحذير من اللدد

في الخصام ، وبالغوا في الايضاء ، ولا تظنوا أن الاجتهاد في الأمور يؤدي إلى الهجوم عليها والاقتحام ، ويخرج النظر عن التثبت في القضاء والأحكام ، فاذهبوا فيها مذهباً وسطاً ، واقصدوا الاعتدال مقصداً مقسطاً ، ولا تجتهدوا في شيء لا تعلمون فيه حكماً ، وشاورونا فيما يخفى عنكم وجهه ، لنرسم لكم فيه رسماً ، فليس كل مجتهد مصيباً برأيه ، ولا كل هاجم على رأي منجحاً في سعيه ، وبين طرفي الأحوال واسطة جميلة ، فيها معقد السياسة ومناطها ، « وخير الأمور ـ كما قال عليه الصلاة والسلام ـ أوساطها » .

وعليكم أن تبحثوا بغاية جدكم عن أولئك المسببين لتلك القبائح ، الساعين في صد ما يرضاه الله تعالى من المصالح ، وتعرفونا بهم — بعد تثقيفهم — لنشرد بهم من خلفهم ، ونكف بعقابهم نوعهم الظالم وصنفهم . وقد استخرنا الله في سد تلك الذريعة ، وصد تلك الأفعال الشنيعة ، فرأينا أن ترفعوا إلينا أحكام المذنبين الكبائر ، وتعلمونا بنبأ ، كل من ترون أنه يستوجب القتل بفعله الخاسر ، دون أن تقيموا الحد عليه ، أو تبادروا بالعقاب إليه ولا سبيل لكم إلى قتل أحد من كل من هو في بلاد الموحدين وأنظارهم ومن هو منهم وداخل في مضمارهم . وكل من ترون أنه يستوجب القتل ممن يريد المكر في أمر الله تعالى والختل ، فعرفونا بجلية أمره وتصحيحه ، وخاطبونا بحيز أمره ومشروحه ، لينفذ فيه من قبلنا ما يوجبه الحق ويقتضيه ونمضي في عقابه بما ينفذه الشرع ويمضيه . فإياكم من مخالفة أمرنا هذا من قتل أحد ممن ذكرنا كائناً من كان ، كبر ذنبه عندكم أو هان ، ولتباشروا إلى إعلامنا بذنبه بعد سجنه وتثقيفه لنقابله بما نراه ، ونجري الحق في مجراه .

وقد أعلمنا بأن من يرضى بتلك الفواحش بما يرضاه ويستبيحه ، ولا يبالي بأحسن الفعل وقبيحه ، يبتاع المرأة ويبيعها دون استبراء ، ويعبث في ذلك بكل إقدام على الله تعالى واجتراء ، ولا يتحفظ عن مواقعة الزنا

المحض ، ومخالفة الواجب مع الفرض ، وإن في ذلك من إطراح ما أمر الله تعالى به من اتباع الشرع وإفساد الأصل من السنة والفرع ، مالايحل سماعه ، ولايستقر بنفس مؤمنة استطلاعه ، فلا سبيل لأحد من هنالك أن يبتاع شيئاً منهن أو يبيع حتى يستأذن الحاكم لأمره منكم والشيوخ لئلا يذهب الحق في ذلك ويضيع ، ولتقدموا للنظر في أسواقهن من ترضون دينه وأمانته وتتحققون ثقته وصيانته : فمن أبيح له البيع والابتياع أحضره الأمين المذكور ليرتفع بشهادته الشك والنزاع ، وتجري السنة مجراها ، ويمتثل الأمر المطاع . وكذلك فليتوقفوا عن بيع النساء في جميع ماتغنمونه منهن في تلك الأرجاء حتى تخاطبونا بأصل أمرهن وكيفيته وتعلمونا من ذلك بجليته لنرسم لكم ما يكون اعتمادكم ويجري إليه اقتضاؤكم .

والله الله في البحث عن الخمور وتقديم النظر في أمرها فهو من أهم الأمور ، فإنها مفتاح الشرور ورأس الكبائر والفجور ، وهي رابطة أهل الجرم ، وجامعة أشتات الظلم . قال النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « الخمر جماع الإثم » فجدوا في طلبها في المواطن المتهمة بشأنها ، واجتهدوا في إراقتها وكسر دنانها ، واعمدوا إلى السبب الذي يؤدي إلى التمكن منها فارعوه والحظوه ، واطرحوا الإغفال لذلك والفظوه ، وقدموا أمناء متخيرين للتطوف على مواضع الترتيب يكون بالمحافظة على ذلك محل المكالىء الرقيب ، ولايكن منهم إلا من يفرق بين الحلال [والحرام] ويميز ، ويعرف مايجوز شربه ومالا يجوز ، ومروهم بالتعهد لمواضع بيع الرب واعتصاره ، وخذوهم بتوقف جدهم على ذلك واقتصاره فما حل منه أباحوه ، وما كان غير ذلك قطعوه أصلاً وفرعاً وأراقوه [الحلال بينٌ والحرام بينٌ] ، ولقضايا الشرع نظام . قال رسول الله

صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : «ما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام» وإن من يسعى في نوع من أنواع الفساد، ويستصحب الإضرار بالمسلمين في الاصدار والايراد ، هؤلاء **الراقصون** (١) الذين يردون بالكتب ويصدرون ويمشون فيما بيننا وبينكم وينفرون ، فإنه ذكر لنا أنهم يأخذون الناس بالنظر في كلفهم ، ويلزمونهم في زادهم من كل موضع وعلفهم ، وهذا فعل كل فرقة منهم في سيرها وسوء رأيهم بذلك في المخازن وغيرها . وإن من جملة ماحكي عنهم أنهم يتألفون في الطرق جموعاً ، ويحلون بأفنية الناس حلولاً شنيعاً ، ويكلفونهم مؤوناتهم تكاليف المجرم ، ويتحكمون عليهم بحكم المغرم ، حتى إنهم لايرضون في ضيافاتهم إلا بأسمن الجزر وناهيكم بهذا الاجتراء العظيم الضرر ، فسارعوا ، وفقكم الله تعالى ، إلى حسم هذه العلة من أصلها ، وبادروا إلى قطع هذه العادة الذميمة وفصلها ، وتخيروا لرسائلكم أرسالاً ، وانتقوا من أهل المقدرة على ذلك والثقة رجالاً ، وادفعوا إليهم زاداً يقوم بهم في المجرى والانصراف ، ويقطع شأنهم من التكاليف والالحاف ، وارسموا لهم أياماً معروفة العدد معلومة الأمد ، لينتهوا بها إلى مواقف رسائلهم ويوزعوها على مسافات مراحلهم ، وحذروهم من تكليف أحد من الناس ولو مثقال ذرة ، وأوعدوا من تسبب منهم إلى مسلم بمساءة أو مضرة . والله المستعان على دفع أسباب الجور ، ونستعيذ به سبحانه من الحور .

وكذلك ذكرنا ـ وفقكم الله تعالى ـ من التحكم في الأموال ، وقلة المبالاة بالتفريق بين الحرام منها والحلال .

إن أولئك الذين ذكرت خدعهم ووصف غرضهم الذميم ومنزعهم ،

(١) يقصد بالراقصين سعاة البريد .

يفعلون في أموال الناس ماتقدم ذكره وشرح فكره ، وتمتد أيديهم إلى المخازن هناك فيعبثون فيها ، ويتحكمون ويجترئون في التعدي عليها ملء شأوهم ، وأنفسهم يظلمون ، فاتقوا الله تعالى فيها ، فإنها أمواله المخزونة في أرضه وبادروا إلى كف كل معتد وقبضه ، ولاسبيل لكم أن تنفذوا منها قليلاً ولا كثيراً ، إلا بعد استئذاننا وتعريفنا بالدقيق والجليل مما هنالك ، وهذا أمر منا لكم ، ولكل من وقف على كتابنا هذا من الطلبة والشيوخ ، والموحدين كافة أمراً دائماً لازماً ، سنته بالاستمرار مستظلة وصحبته بفضل الله لاتدخلها العلة .

وقد خاطبنا بمثل ما خاطبناكم به جميع الطلبة الموحدين ، وكافة البلاد التي هي بالدعوة المهدية معمورة ، وبكلمة الإيمان مشرقة منيرة . فأمرنا بجميع فصول كتبنا هذه اليكم ، ولسواكم شامل ، وفي جميع أقطار الموحدين نافذ عامل . فمن خالفه بوجه من وجوه الخلاف ، فقد تبين عناده ، وساء في العاجل والآجل مآله ومعاده ، ومن لم يمتثله بواجب الامتثال ويكف يده عمّا رسمنا في كافة الأحوال ، فقد تعرض لأشد العقاب وأوحاه (1) ، واستقبل من ارتكاب النهي مايصده الانتقام به عن سواه ، فاستصحبوا حدنا هذا استصحاباً مؤيداً ، واتصلوه في كافة أحوالكم مستنداً ومعتمداً . وعلى كل من إلى نظركم من أهل تلك البلاد المنتظمة في سلك التوحيد ، الآخذة بالمذهب الرشيد عون الأمير ـ أيده الله تعالى ـ على بسط العدل ، وإفاضته على الكل ، ورفع العبء المثقل ، وعلى الكل أن يسلكوا في تصرفاتهم سبيل الاستقامة ، ويستمروا على استعمال الحقائق الواصلة لذلك والاستدامة ، ويتجافوا عن مواقع الظلم ، فالظلم ظلمات يوم القيامة ، وينقادوا للواجبات بداراً إليها وسراعاً ، ويكونوا

(1) الأوحى : الأسرع .

في التساعد على الصلاح كالنفس الواحدة تآلفاً واجتماعاً .

ولما كان هذا الأمر عندنا ـ وفقكم الله تعالى ـ أهم أمر وأوجبه ، وأحق ما أدناه الحق وقربه ، وكان اهتمامنا به قد جعله على كل حالة مقدماً ، وإنفاذه ـ بأمر الله تعالى ـ إنفاذاً ملتزماً رأينا أن نجعل في كتابنا هذا علامة بخط يدنا ، وهاهي قد رفعت الأشكال رفعاً بيناً ، وأرتكم فرط إهبالنا حقاً مبيناً، فبادروا إلى تلقيها بالامتثال والمسارعة ، وصلوا ابتدار شأنها بالمواصلة والمتابعة، وأحضروا بالاجتماع على هذا الكتاب جميع من في تلكم البلاد من الطلبة والعمال وكافة المقدمين للأعمال ، لا تقدموا أمراً من الأمور على إنفاذ جميع ماتضمنه، والاعتمال بكل ماشرحه وبينه ، ولا تشتغلوا بشغل قبل الاشتغال بمعانيه وبما أمركم به على قواعده ومبانيه ، ومخاطبتنا بما يكون منكم في تلقيه ، واتباع ماينهيه إليكم ويلقيه ، واقرأوه على الكافة من أعالي المنابر ، واستحضروا له وفود القبائل من البوادي والحواضر ، وأسمعوا به إفصاحاً وإعلاناً وأشربوه قلوب الناس جماعات ووحداناً ، وأحسنوا إيصال أغراضه إليهم ، فإن الله تعالى يجزي الاحسان إحساناً .

فإذا تفرغتم من قراءته على الجماهير ، وبلغتم صحته بواجب التبليغ والتقرير، فاكتبوا عنه نسخاً إلى كل قبيلة من قبائل ذلك النظر ، وكل كورة من تلك الكور ، وأكدوا عليهم فيما أكدنا عليكم فيه من تقديم العمل به على كل الوجوه وامتثال مضمنه على مايحبه الله تعالى ويرضيه ، وحذروهم من التعرض لمخالفته ، فلا عذر لمن لايقصده على الفور ويأتيه ، ونحن بمرصد التطلع والتسمع لما يكون منكم ومنهم ، لنقابل بالواجب مايصدر عنكم وعنهم . وقد علم الله تعالى أن غرضنا بجميع المسلمين إشفاق وحنان ، وجانبنا لهم دعة مستمرة وأمان ، وأدينا من التراوف عليهم والرفق بجانبهم شأن لايفارقه ـ من فضل الله تعالى ـ شأن . وقد علمتم ذلك منا واختبرتموه على مر الزمان وسبرتموه ،

فلتتلقوا كل من استرعاكم الله تعالى أمره بكل طلاقة ويسر ، ولتنشروا عليهم جناح الرحمة أكمل نشر ، ولتعلموا ـ رعاكم الله ـ أن من شملته كلمة التوحيد في العهد القريب ، أو البعيد في مضمار واحد من العدل محمولون ، وأنكم عن كل من هنالك مسؤولون ، ولفظ الموحدين بيننا وبينهم جميعاً ، والحق يسلك بينهم من التناصف مسلكاً مشروعاً . وقد ألفت الكلمة العليا بينهم ، فبعضهم لبعض في الخير أسرة . وقد قال الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة)[1] فاعتقدوا فيهم هذا الاعتقاد الجميل ، قصداً إلى مرضاة الله تعالى وإيقاناً ، وكونوا عباد الله إخواناً ، وحسنوا بهم ـ رعاكم الله ـ ظناً ، وعودوهم الخير لفظاً ومعنى ، وتخلقوا معهم بمحاسن الأخلاق ، وقولوا للناس حسناً ، واستألفوا الناس بالتي هي أحسن ، وابذلوا لهم من المساعدة في ذات الله تعالى غاية ما يمكن ، وانهجوا لهم من المبرات منهجاً يبدو به منظركم الجميل ويتبين ، وسروا بصالح عملكم وبشروا ويسروا ـ كما قال عليه الصلاة والسلام ـ «ولا تعسروا» وسكنوا ولا تنفروا . واعلموا أن السعي في هذا الغرض واجب ، والاعمال في رفع ذلك الحاجب لا يتأتى لكم جملة واحدة ، حتى تكون نفوسكم متآلفة عليه متساعدة ، وتعاونوا على مرضاة الله تعالى تعاوناً يجمع في الصلاح آراءكم ويضمن التجمع التام لكم ولمن وراءكم ، فعليكم بالمظافرة والمناصرة والمؤازرة فهي سواعد السعد ، وقواعد الود ، وشيم الكرام المحافظين على العهد . وبها يعمر محل الرضا ونديه ، وبها أوصى الله تعالى ورسوله ومهديه .

وقد نصحنا لكم فاقبلوها نصيحة قصدت في ذات الله تعالى قصدها ، وذكرنا لكم بهذه التذكرة فاستقبلوها رشدها ، ونبهناكم تنبيهاً بالنأ وللحال مابعدها . جعلنا الله وإياكم ممن امتثل أمره المطاع بخالص نيته ، وأفرغ

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٠

الرحمة على قالب سجيته ، وحفظ ما استرعاه الله تعالى ، فكل راع مسؤول عن رعيته .

وكان مما بعثنا ــ وفقكم الله تعالى ــ على تنبيهكم وإذكاركم وإيقاظكم للنظر في تلك المصالح ، وإشعاركم ، ما ألفيناه بحضرة مراكش ــ حرسها الله تعالى ــ من بعض تلك الأنواع مما أحدثه فيها بعض أهل الابتداع ، كنوع القبالة ، ومايجرى مجراها في وجوب الإزالة والاحالة ، فإننا هنا لانبحث عن ذلك لتخيلنا أنه لايجرؤ أحد أن يسلك في هذا الأمر الذي أظهره الله تعالى تلك المسالك . فلما كان الحث عما يجب ، وزال عن وجه المشاهد ما كان يحتجب طلعنا على ذلك فأنكرنا ما كان نكيراً ، وأزال بعون الله تعالى ما كان محذوراً وبالشرع محظوراً ، حتى تطهر ثوب الأمن من دنسه ، وتجلى الوجه الخالص عن ملتبسه ، واقتبس نور الحق من مقتبسه ، وجرت الأمور على ماعهدناها عليه من الاعتدال والقوام ، بحكمة ماأحكمه الامام المهدي ــ رضي الله تعالى عنه ــ في القضايا والأحكام . وإذا كان الافتيات في شيء من هذا ، ونحن على اقتراب ، فكيف فيما هو في حكم ما كان في بُعدٍ عنا واغتراب .

فانظروا هذا ــ وفقكم الله تعالى ــ نظرة أولي الألباب ، ولتسعوا جهدكم في رفع ذلك العمل المستراب ، ولتذهبوا إلى إظهار أمر الله سبحانه على موجب الكتاب . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (١) .

الدوله الموحدية لعلام ٣٩٤ ــ ٤٠٥

---

(١) ورد نص مشابه كل المشابهة للنص أعلاه في نظم الجمان لابن القطان ١٥٠-١٦٧ لايختلف عنه إلا ببعض اختلاف .

٢٣٣ – رسالة أرسلها عبد المؤمن إلى العرب الموجودين في المغرب يستنفرهم للجهاد في الأندلس ، وكتب في آخرها هذه الأبيات :

أقيموا إلى العلياء هوج الرواحل ... وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قومة ثائر ... وشدوا على الأعداء شدة صائل
فما العز إلا ظهر أجرد سابح ... يفوت الصبا في شده المتواصل
وأبيض مأثور كأن فرنده ... على الماء منسوج وليس بسائل
بني العم من عليا هلال بن عامر ... وما جمعت من باسل وابن باسل
تعالوا فقد شدت إلى الغزو نية ... عواقبها منصورة بالأوائل
هي الغزوة الغراء والموعد الذي ... تنجز من بعد المدى المتطاول
بها تفتح الدنيا ، بها تبلغ المنى ... بها ينصف التحقيق من كل باطل
أهبنا بكم للخير والله حسبنا ... وحسبكموا والله أعدل عادل
فما همنا إلا صلاح جميعكم ... وتسريحكم في ظل أخضر هاكل
وتسويغكم نعمى ترف ظلالها ... عليكم بخير عاجل غير آجل
فلا تتوانوا فالبدار غنيمة ... وللمدلج الساري صفاء المناهل

المعجب للمراكشي ٢٩٤ – ٢٩٥

٢٣٤ ـ مقتطفات من رسالة أرسلها الى عبد المؤمن أحمد بن أبي جعفر بن محمد القضاعي في الاستعطاف ، وقد بلغه أن صدره قد وغر عليه .

تالله لو أحاطت به خطيئة ، ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة ، حتى سخرت بمن في الوجود ، وأنفت لآدم من السجود ، وقلت إن الله لم يوح إلى الفلك إلى نوح ، وبريت لقرار ثمود نبلاً ، وأبرمت لحطب نار الخليل حبلاً ، وحططت عن يونس شجرة اليقطين ، وأوقدت مع هامان

على الطين ، وقبضت قبضة من الطين من أثر الرسول فنبذتها ، وافتريت على العذراء البتول فقذفتها ، وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة ، وظاهرت الأحزاب بالقصوى من العدوة ، وذممت كل قرشي ، وأكرمت لأجل وحشي كل حبشي ، وقلت إن بيعة السقيفة لا توجب لإمام خليفة ، وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبة ، واعتلقت من حصار الدار وقتل أشمطها بشعبة ، وغادرت الوجه من الهامة خضيباً ، وناولت من قرع سن الحسين قضيباً : ثم أتيت حضرة المعصوم لائذاً ، وبقبر الإمام المهدي عائذاً ، لقد آن لمقالتي أن تسمع ، وأن تغفر لي هذه الخطيئات أجمع .

ثم يتلو ذلك أحد عشر بيتاً من الشعر في الاستعطاف .

الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ١/٢٧٥ - ٢٧٦

٢٣٥ - خطاب وجهه عبد المؤمن إلى عامله على سبتة وطنجة وإلى مشايخ الموحدين وطلبتهم بشأن تنصيب ولده محمد ولياً للعهد من بعده ، والمنشور من إنشاء أبي جعفر بن عطية .

مقتطفات :

.. ولما كنتم - أكرمكم الله - ممن اعتصم في هذا الأمر العظيم بحبله وعروته ، واقتدى بوجوب الاتباع بأسرته الهادية وقدوته رأينا أن نعلمكم بما عقده إخوانكم الموحدون على تقوى من الله ورضوان .

ثم يقول :

واعلموا أن محمداً - وفقه الله - هو الذي ارتضوه لحمل عبئهم وتخيروه، ورغبوا في تقديمه على بلادهم ، وإنفاذه معهم على قصده في توليته ومرادهم، وكان استدعاؤنا لهم في هذه الوجهة المذكورة والحركة المبرورة، لأمور قصدت فيها مذاكرتهم ونويت بها مباشرتهم .

المغرب عبر التاريخ لحركات - ٣٣١

٣ ـ أبو يعقوب يوسف الأول بن عبد المؤمن

٥٥٨ ـ ٥٨٠ هـ/١١٦٣ ـ ١١٨٤ م

٢٣٦ ـ رسالة وجهها إلى شيوخ الموحدين والطلبة والأعيان وعموم الناس في إشبيلية السيدان أبو حفص وابو سعيد أخوا الخليفة أبي يعقوب يوسف يخبرانهم بالنصر على ابن مرادنيش في معركة الجلاب شمالي مرسية سنة ٥٦٠ هـ وهي من إنشاء الكاتب ابي الحسن عبد الملك بن عياش .

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمد وآله وسلم .

من عمر وعثمان ابني أمير المؤمنين إلى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة بإشبيلية ، أدام الله كرامتهم بتقواه .

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد : فالحمد لله تعالى وبركاته . أما بعد : فالحمد لله القاهر الغالب، ناصر جنده ، ومنجز وعده، في المشارق والمغارب ، والصلاة على محمد المبتعث وسيطاً في ذؤابة لؤي ابن غالب، وعلى آله وأصحابه والماشين على سننه وسنته على أوضح المسلك الواجب ، والرضا عن الامام المعصوم ، الهدي المعلوم ، الناهض بأمر الله تعالى قياماً بالواجب ، للحاد المحاد والمجانب ، والدعا لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين حامل لوائه والملة على منهاج الحق ، الناسخ لمفترقات المذاهب ، مثني الدعوة الإمامية والكلمة الموحدية في شعاع نوره المجلي للغياهب ، ثم لفرعه الأنمى ونجله الأزكى ، الأمير الأجل الملك الأسعد الأعدل ، أبو يعقوب ، ذو الحسب المحلى بالمناقب ، والسامي للنجوم الثواقب ، المختار مذخوراً لأمر الله تعالى ، المخصوص بغرائب الرغائب . فكتبناه ـ أكرمكم

الله بتقواه ، وأوزعنا وإياهم شكر نعماه ـ من مضرب محلات الموحدين ـ أنجدهم الله ـ بظاهر مرسية ، يسرها الله ، وصنع الله الجميل وفتحه الجزيل ، قد وضح نهاراً وفهق أنهاراً وعلت كلمته العليا جهاراً ، وبركة الامام المهدي وسعادة سيدنا ويمن الأمير الأجل ـ أيدهم الله ـ قد سوغت طائفة الحق نصراً وإظهاراً ، واعتضاداً في ذات الله واستظهاراً ... والحمد لله رب العالمين .

وقد خاطبناكم قبل ، بما كان من صنع الله تعالى في فتح أندوجر وتوحيد الحصون التي تليها ـ عمرها الله ـ وتجدد بعد ذلك لكم من صنع الله وحده من مطرد الفتح الموعود المحفوف بالمناجح والسهود ، ماجل عن نعت الناعت ، وشذ عن الشاذ الفايت وكبر عن وصف الواصف ونثر الناثر ورصف الراصف . وأظهر من آيات الله تعالى مافاق بيان ذوي المعارف ، من صنع لم ير مثله في كثير من الحقب ، ويوم كيوم ذي قار انتصف فيه الموحدون والعرب من العجم ، ولمن سار لهم في الزي والكلم وتمسك منهم بسبب .

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب

وذلك أن عساكر الموحدين استقبلت هذه البلاد الشرقية ، فتحها الله ، تتوغل في أرجائها ، وتحول بحول الله ، بينها وبين رجائها . فكلما مر الموحدون بمدينة من مدائنه أو حصن من حصونه انحجر الأشقياء الذين يضيطونها انحجار الثعالب ، وازوواء المغلوب بعزة الغالب ، وأجال أولياء الله على الأرزاق الموجودة في نواجيها ، ينتشقون رغدها ويلحقون بيومها غدها ، حتى كثرت نعم الله بالمحلات المؤيدة من الأطعمة والأعناب وضروب الفواكه من الرطبة واليابسة . وفي كل ذلك لاتعرض

لبلدة بقتال احتقاراً لها ولمن بها ، وتصميماً لغزو غيرها ، ولأنها الناظم لنثرها ، إلى أن وصلت المساكر جهات بسطة ، فنزلوا منزلاً يصاقبها يسمى وادي القشتالي ، واقتضى النظر إقامة بعض الأيام هناك لانتظار العسكر والحشد والرماة الواصلين من غرناطة . وفي خلال مقام تلك الأيام بعثتْ خيل مباركة من الموحدين والعرب لشن الغارة في الميمنة والميسرة من تلك الأقطار والجهات ، فاستاقوا من الغنائم من جهة غليرة، وقرباقة ، وبسطة ، وجبال شقورة عدداً جماً وسوائم كثيرة من الدواب والبقر وعشرات الآلاف من الغنم فملأت الوادي واشتملت على كريتها الأيادي .

وتقلب الموحدون في نعم لا تحصى عدة ، تتناسق منها نعم فنعم ، والشكر لله على ما أولاه ، ولما وصل العسكر المنتظر في غرناطة أخذنا في الحركة إلى أن انتهينا إلى حصن قلية ، فساعة الاطلال عليه نزل أهله من ذروته تائبين آيبين ، موحدين مستجدين نظراً لأنفسهم ، وأخذاً لحظهم ، ثم حللنا بجهة بلس ، عمرها الله ، من سقع كثير القرى والعمائر ، ونظر معدوم النظائر وفي حصون وقلاع سمت مبانيها بالبقاع ، وتناسقت الأعيان في الارتفاع، فمنذنا عاينوا من أمر الله وجنوده ، ما ضر عيونهم وملأ قلوبهم ، نزل قائدهم الشرفي وأصحابه الرعية مستأمنين مذعنين ،، فأمنوا تأميناً ، وأضحوا نذراً لعشائرهم يساراً ويميناً ، وقدم في حصونهم من تقدم لضبطها ، وتشمر بحول الله في حوطها . وهنالك استوضح أن الشقي ابن مردانيش وأصحابه النصارى ـ دمرهم الله ـ قد خرج بحملته الذميمة من مرسية إلى لورقة خائفاً عليها بعد أن استوثق خروج أهل مرسيـــة وشيوخها ، وأهل التمييز فيها مع كثير على لفيفها ، لما أوقـــع الله في قلبه من الرعب الذي تقدم إليه جيشه ، حتى خف به طيشه ، فلم يزد أولياء الله إلا عزماً ومجداً ، في التصميم إلى جهته ، والتعويل على غزوه في عقره ، إذلالاً له ولفيئته ، وأقاربه وحوزته

إلى أن قارب الموحدون جانب لورقة ، وأموا البسيط السهل المعروف بالفندون على مرأى من الأشقياء الكفرة ، وإظهار آيات أمر الله العزيز ، وأعداء الله لا ينبس لهم نابس ، ولا يظهر منهم راجل ولا فارس ، وفي كل ذلك تخونهم آمالهم الخائبة ، وظنونهم الكاذبة ، إن الطرق تناكب عنهم تيامنا إلى الساحل وتعريجاً بالمراحل والرواحل إلى أن استوضحوا أن القصد مرسيتهم مرسى الوفود والورود ، فسقط في أيديهم ، حيرة وتباراً ، ثم أبدوا قرب بلدهم تجلداً فأقلـــع الخاسر عن لورقة أخر النهار ، إقلاع الصغار ، آخذاً بحزن الجبل ، والموحدون بسهل البساط ، فساير الموحدون مرحلتين ملاحظاً ، فانفهج فؤاده ، وحقر أعداده ، وأجناده ، وفي كل يوم من مسايرته تنتشر مواكب الموحدين على ترتيبهم ، وتأهبهم ، رجاء أن يغره العجب والأشر المقطب ، فينجز فيه وعد الله المرتقب ، فلما كان يوم السابع من ذي الحجة في حين الزوال استخار الله الموحدون على أن يأخذوا بينه وبين الثنايا التي تحول بينه وبين مرسية ، فتميزوا شعوباً وقبائل ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه من إخلاص التوبة ، وإمحاض النية ، فرأى الأعداء ما هالهم ، وأهلهم ، وأحال حالهم ، هذا على امتداد شوكتهم وكثرة عدتهم ، وترددوا بسفح الجبل زهاء ثمانية آلاف فارس أكثرهم أراغون ، وقفوا يتشاورون ويتنازعون ، ولم يجدوا محيداً عن الطريق التي ضمتهم ، ولا منفذاً إلا في الساقات التي حفت محيطة بهم وعمتهم وضربوا قليل أخبية في الجبل الذي به آبادهم ، وهو فيما دبروا مصادهم ومعادهم ، وعولوا أن في مشارهم أن تكون ملجأ يأوي إليها الفل ، ويجدها منهم البعض إن لم يجدها الكل ، فأبدوها يعلوها القتام . ويبدو عليها الذل وصافهم جنود الله في ضحى النهار إلى أن نودي للصلاة من يوم الجمعة ، في أيام يقبل فيها التوب ، ويغفر فيها الذنب ، ويخشع القلب ، ويعبد الرب ، فلما كان وقت الصلاة اختار الله للموحدين أن ناشبوهم القتال ، وقد كثر الذكر

والإهلال ، فزحفت العساكر إليهم حتى دنا السواد ، وتشوفه بالكلم والطراد ، وحملت الروم حملتهم المعلومة المعهودة وصمدت جملتهم إذ صمدت قبيل رياح من الغرب، فأقر جوالهم ، والتفت عليهم قبائل الموحدين، واحتدمت الحرب ، وحمي الوطيس ، وثارت سماء النقع دون الجو كواكب الظبا والأسنة، وثبت الله أقدام الموحدين، وزلزل الله أقدام الموحدين ، وثبت الساقة التي فيها الأعلام ، كأنها الجبال الراسيات والأعلام ، وانبرى الموحدون الأول من أهل تينملل وهنتاته ، فصبروا صبر أمثالهم ، وخولهم الله إقبالاً في استقبالهم ، وأجفل الكفرة منهزمين وولوا الأدبار مدبرين ، والسيف يأخذ منهم فوق ما يدع . وحزب الله يتقدم غالباً فيصرع ، ويصدع ، وقتل رجال الشقي ومشاهيره ، والروم أكثر القتلى فيهم ، فخروا كأنهم أعجاز نخل خاوية ، وعجل الله بأرواحهم إلى ناره الحامية ، وسقطوا من مهواهم إلى الهاوية . ولاذ الشقي الفليل في المدد القليل إلى الأخبية التي أعدها للفرار لا للقرار ، وقد خبر من حد السيوف وأنبائها ما أغناه عن الأخبار ؛ وشفى الله صدور المؤمنين من أعدائهم الكفار ، وصاروا بين أيديهم جزراً ، قد افترشوا فناء في مقتلهم هذا وعقراً ، ونفل الله من خيلهم ، ومطاياهم ، وأدراعهم ، وسائر أسلحتهم ما جل قدره ، وعم كثره ، والحمد لله رب العالمين ، جاعل العاقبة للمتقين ، وبعدما تبعهم الحسام إلى الأصيل ، وصرعهم بكل مسيل ، وقف الخاسر خائفاً يترقب وقوف الذليل ، وسلب قتلاهم من ملابسهم بكل واد ومسيل ، بادر الموحدون في غدهم على مهلهم إلى فناء مرسية ، فضربت بساحتها المضارب والأبنية ، بإزاء حدائقها المعروشة ، وبسائطها وبساتينها المشيدة المغروسة : فكان سباق الموحدين إياه إلى ناحيتها من أشق ما أخزاه الله به ونقرت الطبول تصك أسماعهم ، فمكنت الزلازل في جوانبه ، وركب الليل جملاً واختل البلد ولم يكد تسللاً ، وانبسط تباع الموحدين على تلك الحدائق

محصلين لأنواع الفواكه ، وعادت مباني تلك البساتين ، وأعواد الأشجار والرياحين ، محتطباً ومتاعاً للمقوين من الجنود ، وصار سعد الأخبية سعد السعود [1] . وأقام الموحدون للتعبيد ، وقد جمع الله لهم الأعياد في عيد ، والله تعالى يوزع شكر هذا الفتح العظيم ، ويقضي لناديه بأكرم عواقب التتميم ، إنه منعم كريم ، وأعلمناكم وصل الله سراكم - بهذه البشارة العظمى التي هي نادرة المسار النعمى لتأخذ بما وفر حظكم من شكر الله عليها وتتسوغ آلاء الله السابغة باجتلاء ماالديها فهو فتح الأندلس ، وإذلال عدوها المتمرد المتصحب ، مسلط الروم عبدة الأوثان ، والصلبان على أهل الإسلام والإيمان والله يشفع ذلك بأمثاله ، ولا يخلي من ينصر الحق من عضده وإقباله .

وقد بهت هذا العدو الخائن محصوراً ، ودهش مذموماً مدحوراً ، ونظر بعين الحسره حسيراً ، وهلك بعين الحسرة بالمعنى المحسوس إلا يسيراً ، عرف الله الموحدين بركة مقاصدهم وتولاهم بعهود إظهارهم في مصادرهم ومواردهم بعزته ، وقدرته ، وطوله ، لارب سواه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب في العشر الأوسط من ذي الحجة عام ستين وخمس مئة .

وبعث السيد الأعلى مع هذه الرساله مدرجاً فيها قصيدة شعر ، وهي تقع في ستة وثلاثين بيتاً كلها في وصف المعركة ومدح الموحدين ،

المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ٢ / ٢٧٦ - ٢٨٣

(١) يعني أذن الله بتقليب الأحوال من شؤم إلى يمن . فقد عرف أن سعد السعود هو أحمد السعود لذلك أضيف إليها وهو كوكب نير ، كما عرف أن كوكب سعد الأخبية ليست مضيئة وليست نيرة ، وأنه سمي كذلك لأنه يخرج فيه حشرات الأرض وهوامها من جحراتها وأخبيتها .

٢٣٧ - رسالة من الخليفة ابن يعقوب يوسف من مراكش الى أخيه أبي سعيد في قرطبة سنة ٥٦١ هـ من إنشاء أبي الحسن بن عياش تتضمن طائفة من النصائح، والأمر بالعدل، والنهي عن المنكر، وهي أول رسالة له بعد أن أصبح خليفة.

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، والحمد لله وحده من أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين - أيدهم الله بنصره، وأمدهم بمعونته - إلى الشيخ الأجل أخينا، الأعز علينا، الأكرم لدينا، أبي سعيد وأصحابه الطلبة الذين بقرطبة، أعزهم الله وأدام كرامتهم بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله ورضي عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم نجله وسليله، ونوالي الدعاء لسيدنا أمير المؤمنين القائم بأمره، والداعي إلى سبيله، وإنا كتبناه إليكم - أكرمكم الله بتقواه، وكلأ جانبكم وحماه - من حضرة مراكش، حرسها الله، والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته، والاستعانة به، والتوكل عليه وموالاة شكره على ما هدى إليه أولياء أمره وأنصار دعوته، وحماة كلمته من صرف أعنة المحبة والاهتمام، وإحكام قرار الأحكام فيما وكله إليهم من أمور الاسلام، إلى أن تجري على السداد وتتسق على سبيل الرشاد، وتستقيم على المهيع، وتمضي على المنهج وتسير في الواضح، وتهدي على اللاحب ويسلك بها في الجدد الذي من سلكه أحمدت منه الآثار، وأمن عليه العثار وارتضى له الايراد والاصدار، فيكون العمل فيها على اليقين الهادي إلى الصراط المستبين المأمون في سلوكه من المزلة والضلال، المرجو في الاهتداء به حسن العاقبة وصلاح الحال. فنسأله - تعالى جده - عوناً من قبله على هذا

الفرض العام الجدوى ، يصاحب ، وتوفيقاً من لدنه في هذا النظر الشامل المنفعة يجاوز ويصاقب ، وأنه ـ أدام الله كرامتكم ـ لما كانت مباني هذا الأمر العزيز ـ أدامه الله ـ على التقوى مؤسسة ، وأوامره ونواهيه على أمر الله ورسوله جارية مترتبة ، وإليها في الأخذ والترك مستندة ، وبمقتضياتها في جميع الأحكام آخذة عاملة ، إذ هي نور الحق وسراجه ، وعمود الصدق ومعراجه ، وسبيل الفوز ومنهاجه ، ورائد الثواب وبشيره ، وقائد العقاب ونذيره ، ممن ائتم بكتاب الله الذي هو الإمام الهادي ، والحق الواضح البادي وسنة رسوله ﷺ التي جعل العمل بها كالعمل بكتابه ، والوقوف عند حدها كالوقوف عند حده ، أمن من الغوايل في العاجل والآجل ، وبلغ من السلامة في الحالين إلى أقصى أمل الآمل ، ولم يوجد للناظر إليه سبيلاً ، ولم يتمكن للشيطان أن يجد في تضليله ، واستهدائه صرفاً ولا حولاً ، فتوفرت الدواعي على الدعاء إليها ، وحمل الكافة عليها ، وأخذ الجميع بما يقفهم لديها وقد أمر الله تعالى من أمر الناس بطاعته ، أن يحكموا بالعدل ، ويضعوا للعباد موازين القسط ، فلم يكن بد من امتثال أمره والاستناد إلى حكمه. وكانت الوجوه التي تفضي إلى الحق في فصل قضايا العباد متنقبة ، والطرق المؤدية إلى معنى الصدق ومعناه ملتبسة متشعبة ، فخرج فيها بنيات تخطىء الصراط المستقيم ، وتضل الضلال البعيد ، فصار إمضاؤها عن غير استناد إلى هذا الهدى المتبوع ، والعلم المرفوع ، خطراً على ممضيها ، وإنفاذها على غير هذا السنن غرراً على منفذيها. ولما كان الأمر كذلك تعين ووجب ، وثبت وترتب أن نخاطب جميع عمال بلاد الموحدين ـ أعزهم الله ـ شرقاً وغرباً وبُعداً وقرباً ، خطاباً يتساوى فيه جميعهم ، ويتوازى في العمل فيه كافتهم بألا يحكموا في الدماء حكماً من تلقائهم ، ولا يهريقوها بباد أو برأي من آرائهم ، ولا يقدموا على سفكها بما يظهر إليهم ، وينفر فيما يرونه لديهم ، إلا

بعد أن ترفع إلينا النازلة على وجهها وتؤدى على كنهها ، وتشرح حسب ماوقفت عليه ، وتنهي بالتوثق والبيان على ما انتهت اليه ، وتقيد بالشهود والعدول ، المعروفين في مواضعهم بالعدل والرضى الموجبين للقبول ، وتكتب أقوال المظلومين وحججهم وإقرارهم واعترافهم ، وحجج الطالبين في مقالاتهم واستظهارهم في بيناتهم . معطي كل جانب حقه ، موفي كل قائل قوله . فتكون مخاطبتكم ـ أعزكم الله ـ ومخاطبة من يتناوله هذا الكتاب ، وتوجه إليه هذا القصد ، خطاب من تحمل الشهادة ، ويؤدي فيها الأمانة على مايجب من البيان الذي لايعتوره التباس ، ولا يطمس وجهه إشكال ، ويتوثقون في المطلوبين بالدماء . بسجنهم وتثقيفهم ، ويتوكفون ماتصلكم به المخاطبة فتقفون عند مقتضاه ، ولا يعدلون عن شيء من معناه ، مراقباً كل منهم إلهه ومولاه ، عالماً بأنه يعلم سره ونجواه ، وأنه يسمعه ويراه . واعلموا ـ وفقكم الله وأسعدكم ـ أن هذا الحكم عام في سائر النوازل التي أطلقت السنة فيها القتل وسنته ، وحكمت به وشرعته ، كمن قتل نفساً وأقر بالقتل ، أو شهد العدول عليه به ، ومن بدل ديناً وارتد عنه ، ومن أتى الفاحشة بعد الاحصان باعتراف أو دليل أو شهادة مقبولة ، وما خُيِّر الأئمة فيه من قتل المحاربين والساعين في الأرض بالفساد ، والمتأولين أمر الله بالاستهزاء والعناد ، سواء من ذلك كله أو وقع فيه ضرب بشكله . فمجراه واحد في التوقف عن إمضائه والتأخر عن تنفيذه إلا بعد المطالعة ، وتعرف وجه العمل في المجاوبة . وكذلكم ـ وفقكم الله ـ يكون التوفيق فيما عدا المذكور من النوازل التي تكون أحكاماً دون النفوس من قتل الخطأ وديات الشجاج ، وعقول الأعضاء ، وأروش الجراحات ، ووجه القصاص ، والقطع في السرقات إلى غير ذلك من القضايا المشكلة في الأموال وإطلاقها واستحقاقها ، وفي الرقاب وإعتاقها واسترقاقها ، وملتبسات المناكحات والمعاملات ، وما أشبهها من الأمور التي

الإقدام على الحكم فيها تهجم ، والعمل فيها بغير استناد إلى مايجب تسور ، فتوقفوا ـ أعزكم الله ـ عن جميع مافسر لكم ولواحقـه توقف الساعي في نجاته ، العامل لدنياه وآخرته . فقد ورد في كتاب الله تعـالى وسنة رسوله عليه السلام من الحظر الوكيد ، والوعيد الشديد في إراقـة الدماء واستباحة الأموال واستحلال المحرمات ، إلا بوجه صحيح لايسلم إلا من طريق العصمة ، ولا تهتدي إليه إلا أنوار الحكمة ، مايزع العقلاء ، ويكف الألباء ، ويحذرهم من سطو الله تعالى وعقابه ، ويخوفهم من ألـيم عذابه .
فعولوا على مارسم في هذا الكتاب من التعريف بما يطرأ ، وإنهاء كل ماينزل ليصلكم من التوقيف والبيان والتعريف ، لما يظهر لكم به بركة الاقتداء ، وتشرق منه عليكم أنوار الائتمام والاهتداء ، ويتراءى لكم به الحق في صوره الصادقة ، ومثله المطابقة ، ومناظره الموثقة ، ومطالعه المشرقة بفضل الله ورحمته وملاك مايسدد مقاصدكم في جميع أحوالكم ، ويوجب لكم الرضا في كافة أقوالكم . تقوى الله في السر والجهر ، وخيفته في البـاطن والظاهر . وقمع النفس عن هواها ، وكبحها بلجام النهي عن الركض في ميدان رداها وطاعة أمره العظيم ، والجري على سننه المستقيم ، فذلك عصمة من الزلل ، وتوفيق في القول والعمل ـ بفضل الله ـ وقـد وجب ـ أكرمـكم الله ـ لهذا الكتاب ، بما انطوى عليه من الأغراض الشاملة المنفعة العامة المصلحة أن يعطى حقه من الإشاعة والتشهير ، وينهض مقتضاه إلى الصغير والكبير ويجمع الناس لقراءته وتلقي مضمنـه ، ويساوى فيه بين الغائب والشـاهد ، والبادي والحاضر ، بإسماع من حضر ، ومخاطبـــة من غاب ، ممن يتعلق بنظركم ويدخل تحت عملكم ، فتوجهوا بنسخ منه إلى كل جهة من جهاتكم وعمل من أعمالكم ، ليأخذ الجميع بقسطه من المسرة به ، وتعرف بركـته واستثمار عائدته ، وأنه بما أمر به هذا الأمر العزيز من إفاضة العدل وبسط

الدعة والأمن ، وإقامة أمر الله تعالى على وجهه المتين ، وسننه الواضح البين إن شاء الله تعالى . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . كتب في الثالث من شهر رمضان المعظم سنة إحدى وستين وخمس مئة .

المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ج٢ / ٣٠٢ - ٣٠٦

٢٣٨ - رسالة أرسلها الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف إلى الطلبة والأشياخ والموحدين والأعيان في قرطبة عقب قتل سبع بن منخفاد زعيم فتنة غمارة . وقد وجهها لهم من جبل الكواكب بتاريخ ١٤ شوال سنة ٥٦٢ هـ . وهي من انشاء أبي الحسن بن عياش .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً ، والحمد لله وحده .

من الأمير يوسف بن أمير المؤمنين - أيدهم الله بنصره ، وأمدهم بمعونته - إلى الطلبة الموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بمدينة قرطبة - أمدهم الله بتوفيقه ووصل كرامتهم بتقواه - سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد: فإنا نحمد الله الذى لا إله إلا هو إليكم ، ونشكره على الآئه ونعمه ، ونمتري بالمحافظة على ذلك سني عطاياه وجزيل قسمه ، نعترف له بعوارفه الجميلة في إظهار أمره العزيز وإعلاء قدمه ، ونصر لوائه في كل مقام ، ورفع علمه وأن له مع كل متعرض بالمحادة والشقاق ، منطوٍ على المداجاة والنفاق ، من وشيك أخذه وعاجل نقمه ، ما يوطئه ممتط أنفه وممتد قممه ، ويقف به مما جنى من ثمرة غرسه وجنى بعمله الذميم على نفسه ومواقف حيرته وندمه كما أن من صدق في الاعتلاق بحبله ، والتمسك بعصمه ، وركن إلى ذراه وآوى إلى حرمه فقد أخذ بالوثيق من جهود ذممه ، وارتقى في مرتقى فوزه في سببه المتين وسلمه . ونصلي على محمد رسوله ونبيه الذي ابتعثه بباهر حكمه ومعجز كلمه ، فهدى إلى نهج الحق وأممه ، ودل على سمته ولقمه ، وأنار

برسالته الجامعة ما غطي من غياهب الضلال وظلمه ، وأبلغها حنيفية سمحة إلى عرب الأنام وعجمه ، ونسأله الرضا عن الإمام المعصوم ، المهدي المعلوم شافي الدين من وصبه وألمه ، ومبريه من عدد دائه وسقمه ، وهادي كل حائر وسادم من حيرته وسدمه ، ونوالي الدعاء لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين بحكم ذلكم المبدأ الشريف ومبرمه ، وضام شمله ومنتظمه ، ومكمله بما يجب ومتممه ، ومنهي دعوته الغالية إلى نجد العالم وتهمه ، وواسع البرايا بعلمه وحلمه وكرمه ، والحمد لله عوداً بعد بدء ، مولي أوليائه ما وعدهم من نصر وتأييده ومولاهم على الظهور والاستيلاء في القريب والبعيد ، ومؤويهم من مظاهرته إلى الوزر المنيع والركن الشديد ، حمداً ينال به من مواهبه كل خير عتيد ، ويوفي على استمداد المستمد واستزادة المستزيد ، وله الشكر على أن لم يزل ينهض حماة أمره العزيز حتى حاولوا فصل قضية ، ونهضوا في سداد ثغر وسداد رعية ، بعزم لا يطرف طرفه بدء ، ولا يثني يـــده يدٌ مشوبة ، تعريفاً بما لأمره العزيز الذي هو ذخيرة الوجود ، وسر البناء المقصود ومعنى المقام المحمود ، ومفهوم الخير المنتظر والوعد الموعود ، والذي علم به التوحيد والإيمان ، وعرف منه العدل والأمان ، وتعلم من تعليمه في أي جانب الربح ، وفي أي جانب الخسران من الفلح في كل مقام ، والظفر بكل مرام ، والتوفيق إلى ما يعود بالانتظام والالتئام ، وحفظ دينه من عيث المهج الطغام ، وحماية سرحه من ضعفاء العقول وسفهاء الأحلام ، ممن دان بدينه واستبصر بيقينه ، وأسرى بضوئـه واستسق بنوئه ، فقد فاز قدحه وأورى قدحه ، واهتدى قايده ودليله ، وانتقع صداه وابتل غليله . ومن ألحد في آياته وكذب ببراهينه وبيناته ، فإلى التباب مثاله وفي الخيبة والخسار حاله ومقاله وفعاله . أعانكم الله على القيام بما له من واجب الحق ، ووهبكم الإقبال على قبول ما جاء به من الصدق عنه ، وإنا كتبناه إليكم ـ كتب الله

لكم يسرا ونجحاً ، وأسمكم مدى الأيام نصراً لأولياء أمره وفتحاً ـ من منزل الموحدين ، أعزهم الله ، بداخل جبل الكواكب ، الذي نوصيكم به تقوى الله والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه ، وقد كنا ـ وفقكم الله إلى ما يرضاه وأسبغ عليكم نعماه ورحماه ـ بما لله علينا من عهد القيام بحقوق هذا الأمر العزيز ، والحياطة لأرجائه ، والذب عن جوانحه ، وتجديد العناية لتصفية مشارعه من الأقذاء ، وتحلية الحومين عليها من أهل الأهواء ، والقصد لما يراه من تذكير الغافل وتبصير الجاهل وإقالة العاثر وهداية الحائر ـ توجهنالها بالحركة المباركة بنية خلص لله عقدها ، وصفا له ـ تعالى جده مقصدها ، وارتبط للجهاد في سبيله ميثاقها المذكور وعهدها ، وانبنت على حسم الأدواء النازلة بهذا المغرب من هذه الفرق التي فارقت الجماعة فتفرقت بها السبل والأهواء ، ورمت بها في مساقط الفتن الأفئدة الهواء ، واستولى عليها ـ بعمى البصائر والأبصار التلدد والالتواء ، فظلت من عدم الفهم كسائمة البهم ، بشراً بدداً ، لا تميز من غي رشداً . ولما صدقت لها العزائم وشدت إليها الحيازيم ووقع على قصدها التعويل والتصميم ، قايسنا بين جهة المرتدين من صنهاجة وغمارة ، فرأينا غمارة أوفى سراية وأبلغ نكاية ، وأفصح عن استصحاب الجهالة والغواية ، وإنهم قد فشا ضرهم ، وساء أثرهم ، وتعدى أذاهم وسرت عدواهم وأنهم أولى من تقدم إليهم واعتزم عليه ، فنظرنا عند ذلكم في تجهيز عسكر مبارك سعيد من الموحدين ـ أعزهم الله ـ صحبة الشيخ أبي سعيد يخلف بن الحسين ـ أكرمه الله بتقواه ـ يتوجه به إلى بلاد صنهاجة القلعة ـ حرسها الله ـ وكان الشيخ الأجل أبو حفص ـ أدام الله كرامته ـ بمن دفعه من عساكر الموحدين ـ أعزهم الله ـ في جهة أخرى من بلادهم ورسم لهم من العمل في تلك الجهات ما يدرج في طيه بمشيئة الله تعالى من النصر والفتح والفلح والنجح ؛ استخرنا الله تعالى على قصد بلاد غمارة لتوقل جبالهم

ودوس منازلهم وحلالهم ، وجوس خلال ديارهم ؛ فنزلنا بالموحدين ـ أعزهم الله ـ وسط بلادهم ، فأجلى منه الذين يلونه لائذين بالادعار ، مستعصمين بقنن الأحجار متوقلين في الشعاب ، وكنا عند وصولنا إلى أوائل بلادهم ، قدمنا إليهم من المكاتبة ما رجونا به هدايتهم ، وأمنا فيه فيئتهم إلى الحق وإنابتهم ، فلم يعرفوا على نصيحة ولا أذعنوا لدعوة ، ولا أرعوا سمعاً إلى موعظة ، وحين قامت الحجة عليهم ، وأسقط العذر عنهم ، استخرنا الله على قصد الجبل المعروف بودكه لاحتلال من كان احتله من غمارة ، وأيقن بأنه عصمتهم المنجية وذروتهم المؤوية ، فتركنا الحمولة والأثقال في المنزل الذي كنا فيه وهو المعروف بالمنزان ، وسرنا إليهم بالموحدين ـ أعزهم الله ـ متوكلين على الله مستعينين به ، مخلصين له .

فأجرى الله أولياءه من النصر والتمكن على ما عودهم وعرفهم من عونه وإنجاده ما لم يزل يعرفهم ، فاقتحموا عليهم في منعاتهم ، ودخلوا إليهم في موضع اعتصامهم ، فلم يكن إلا كلا ولا (١) ، حتى خلصوا في الجبل إليهم ، واقتحموه ، بحمد الله تعالى ومشيئته ، في جملة واحدة عليهم ، فأشرب المرتدون ارتياعاً ، وتفرقوا في تلك الاقطار شعاعاً ، لم تمنعهم حصونهم ، ولم تنفعهم معاقلهم ، إلى أن استولى الموحدون ـ أعزهم الله ـ بأعلى شواهقه وأعظم منعاته ، وأعلنوا هنالك بالتوحيد وأظهروا إعلاء كلمة الحق ، وأقبلوا على جمع الأنفال وضم الغنائم والأموال ، وتسنى فيه من الفتح الميسر ، والنصر المؤزر . وغزوا من غلب عليه الشقاء ، واستولى علية الحرمان ، إلى ما نفلهم إليه فيه من الغنائم الكثيرة ، والأرزاق الواسعة ، ما عظم مقداره ، وجلت

---

(١) تعبير يكنى به عن السرعة أي ان الفترة المنقضية هي كفترة زمنية يحتاج اليها نطق كلا ولا .

مواقعه وآثاره، وبشر بأن الذي يتلوه مما في ضمن الوعد وكفالة السعد أبهى مطلعاً، وآنق مرأى ومسمعاً. وأقام الموحدون ـ اعزهم الله ـ بأعلى ذلك الجبل يومين يتحرون بقاياهم، ويتتبعون قلالهم، ويجمعون أسلابهم، وينكئون فيهم، متنسمين من عوائد الله الجميلة نواسم تكميل الفتح، ومستروحين منها استرواح تعميم النصر، واثقين به ومستندين إليه، لارب غيره، وكان ذلك كله في الثالث من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وستين وخمس مئة، ولم نزل ـ بعدما فتح الله من هذا الفتح المذكور، الذي أظهر الله فيه آياته المؤذنة بالتأييد، القاضية باستمرار النصر الراهن العتيد، الموقظة للنائمين، والمنبهة للغافلين، نستأني بالضالين من غمارة مواقيت اعتبارهم، ومحال تثبتهم، وادكارهم، وأن يأخذوا لتجوب أمثالها، وترقب اختلالها، أهبة حذرهم واستشعارهم، وأن يكونوا ممن اتعظ بغيرهم، فكانوا بنجوة من سبلهم في الهلكة، وآثارهم معما أثرناه من راحة الموحدين وإجماعهم، وتفرغهم لوظايف صيامهم وقيامهم، وأن يكون غزوهم بعد الفطر على قوة ووفرة، ونشاط متمكن، وتنتقل بهم مناقل تتخلل بهم تلك الأوعار بالرفق والهوينى، وتتدرج إلى قطعها وتخليقها بالتؤدة والأناة وتتقدم إلى حيث ألقى الشيطان بركه وحط رحله.

وفي أثناء ذلك كانت قبائل منهم تظهر المتاب وتبدي الفيئة والإياب، وتلوذ بأكناف العفو، وتستمسك بأسباب الصفح، وتمد يد الضراعة إلى الاستقالة، فنقابلهم بعوائد هذا الأمر العزيز، من إقالة العثرة، وتجاوز الزلة والسقطة، وتقريب الأسباب المؤدية إلى الاستيلاف، الآخذة بالأيدى للتلافي عن مقاحم التلاف. قد حل منهم قبائل كثيرة في هذا الأمر العزيز وتداركهم من رحمته ما أمن خوفهم ومكن أمنهم، وكان بنو أنال وبنو بال من قبائل غمارة المختصون بملكة الجبل المشهور بالمنعة، المعروف بجبل الكواكب الذي هو أشهرها جبلاً وأوعرها مرقى، قد استحكم فيهم الفساد، وتمكن منهم الارتداد، واستشرى ذلك فيهم بغوي منهم يعرف بسبع بن منخفاد،

أشرب وتمكن منه الارتداد قلبه ، وخالط إيثار السورة نفسه . ثقـة بهذا الجبل الصعب الموالج ، المبهم المناهج ، المستغلق المداخل والمخـارج ، الذي زاحم بمنكبه ، وتطاول بأنفه ، فلمنكبه العمم الذي لايفرع ، ولأنفه الشمم الذي لايقرع ولا يقدع . قد أغواه هو وإخوته ولف قومـه من يليهم ، واستهووا على مقاصدهم الغوية ممالئيهم ومحالفيهم ، وحسبوا أن ما اعتصموا به يعصمهم ، وما امتنعوا به يمنعهم . وأن باب الحوادث عنهم ناب ، وطرف الحوادث في محال التوصل إليهم كاب . فلجوا في طغيانهم ، واستمروا على غلوائهم ، وقرعوا مع ذلك أبواب المماكرة ، وسلكوا في سبل المخـادعة . ولما تحققوا دنونا إليهم ومزاحمتنا لهم ، أقبلوا يخلطـــون بالكدر الصفو ، ويسرون في الاتقاء الحسو ، ويتصرمون في أقوال يرون بها حبل المطـاولة ويرفعون بها أسباب المراوغة ، ليحوزوا بها مأمولهم من الاستبداد ، وغرضهم من الافتراء ، بأقوال لامحصول لها ولا فائدة وراءها ، مكشوف فيها سرهم ، متبين فيها مكرهم ، ويظنون أن ذلك يقنع منهم ، ويصرف عنان العزيمة عنهم . وما علموا أن هذا الأمر العزيز لايجوز على نقده الزائف ، ولا يستقر على تقويم عدله الجاير الحايف ، وأنه على ثقة من الله تعالى بعقب الأيام ، وتيسر المرام ، وتوفيق النقض والإبرام ، وأن من اضطمر فيـه على خبيئة ضغن ، أو انطوى فيه على كنينة غش ، فالعصمة له من كل ذلك واقية ، والعزة له دايمة باقية . ومما أعملوه من حيل المخاتلة أن سعي في الوصول الينا جملة من مشايخهم مع أخ لغويهم وموقد نارهم يعرف بعمران بن منخفـاد ، فوصلوا على تأمين يسر لهم مدركه ، وسهل عليهم مسلكه ، فلقوا من التطمين والتسكين ، والتأنيش والتأمين وقبول التوبة والاغضاء عما فرط من الحوبة مايعقل العقول بعقل وفائها ، ويوفر على الغرائز ماء حيائها ، وعرفوا بما لهذا الأمر العزيز من إرادة الخير التام والبر الشامل العام ، وأن يكون نهج

البرية قاصداً ، وداعيهم إلى النجاة والحياة واحداً ، لاتتفرق بهم السبل ، ولا تتطرق بهم بنياتها الطرق ، وضمنوا عن من وراءهم من غـويهم الشقي واتباعه السلوك على مدارجهم ، والجري على مناهجهم ، وأنهم يقتادونهم بزمام الارتجاع الى الانقياد والانطباع ، فمضوا على ذلك وقد حسن فيهم التأويل والظن الجميل ، وعزائمهم على النكث مبنية ، وضلوعهم على الغدر مطوية محنية وكان انفصالهم على أن يحضروا هم وجميع من وراءهم من تابع ومتبوع معنا عيد الفطر بالمحلات المنصورة ، فكان وعدهم كذباً وبرقهم خلباً ، وانكشف بعد ذلك في الغدر قناعهم ، وأبدت ماتكنه من العداوة جوانحهم وضلاعهم واتضح عندنا ما كانت تمتد إليه آمالهم ، وتسرع نحوه أطماعهم . وعند ذلك جد بنا في ذلك ، في توجيه الموحدين إلى جهاتهم الجد ، ولم يك لنـا من فصل هذه القضية بد ، فاستخرنا الله على أن وجهنا لغزوهم أخوينا : أباحفص وأبا سعيد ابني سيدنا أمير المؤمنين ـ أدام الله علاهم ـ مع الموحدين ـ أعزهم الله ـ وسألناه جل وعلا أن ينجز لأوليائه ماوعدهم ، ويجريهم من الظفر بأعدائهم على ماعودهم ، وتوافقنا معهم على الارتقاء اليهم لذلك الباذخ الشاهق والشامخ السامق ، والمرتدون قد وثقوا به ، وبرؤوا من حول الله وقوتـه اليه ، وأودعوه مع نفوسهم جملة أهليهم وأموالهم . وبنوا به ، بما بدا من أحوالهم ، أنهم يجدون في المجاولة ، ويصدقون في المكافحة ، ولا يغبون جهداً في المكاثرة والمكابرة ، كاشفين قناع المباداة ، مبدين صفحة المـاداة فأجمع الموحـــدون ـ أعزهم الله ـ أمرهم ، وأخلصوا لله سرهم وجهرهم ، لا يجعـلون ملجأ سند إلى كثرة عدد وعدد ، بل فوضوا أمرهم إلى الله تعالى الذي وعدهم الفتح ، وعودهم النصر ، فأنهدناهم إليه يوم الاثنين الخامس من شوال يسلكون إليهم في مسالك حرجة ، لايسلكها السالك إلى [1] بـين

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب إلا .

غيضة وحرجة ، قد التفت بشعرائها ، واحتفت بشجرائهـــا ، ذات حدب وآكام ، لاثبات فيها للحوافر ولا للأقدام . فاتصل مشيهم على ما أخذوا من أهبتهم ، وأعدوه من عدتهم ، وكتبوه من كتائبهم ، ورتبوه من رتبهم في هذا السفح الموصوف . والمرتدون قد أخذوا عليهم أعاليه ، وارتكبوا دونهم قتبه سادين لأنقابه معولـــين لمسالكه ، مخلـّقين للانصبا (١)... من ذراه ، والانقضاض من علاه . واستمر بالموحدين ـ أعلاهم الله ـ اليسر ، ونهضت بهم العزيمة ، واستقل بهم التصميم ، والتوكل يقودهم ، والثقة بالله تحدوهم، إلى أن شارفوا حد التسنم ، وأفضوا إلى باب التوقل ، وهناك تقف الأقدام عن الإقدام ، وقد اضطروا إلى أوعار لاتمكن من ترقيها ، ومقابـلة أعداء لايدرى كيف توقيها ، ومشاهدة أحوال على الجملة لاعهد بتلقيها ، والأعداء يتربصون بهم وقوعهم في مثل هذه الحال ، وحصولهم في مثل هذا المقام، ويرون أنهم بما حازوه من علو مكانهم ، واستحقـوه من ذروة وعرهم ، وأملوه من التصوب على من مد إليهم يد محاولة ، أو رام منهم يسر مناولة أنهم رابحو الصفقة ، مرتفقو الخطة . ولله تعالى من العناية بأمره ما يسهل الصعب ، ويذلل الوعر ، ويلين الشديد ، ويقرب البعيد . ولما انتهى الأمر إلى هذا الموقف ، ووصل إلى هذا الموصول ، ورأوا صدق العزيمة ومضـاء الصريمة في الصعود اليهم والترقي نحوهم ، غير مرتقب مكرهم ، ولا متخوف وعدهم ، جهد الأعداء في اللقاء جهدهم . وبذلوا من المكافحة جميع ماعندهم ولم يبقوا نكاية إلا أبدوها ، ولا غاية إلا استوفوها من كل فن وعلى كل وجه . فأفرغ الله على أوليائه الصبر ، ومكن لهم العزم ، وثبت أقدامهم ، وربط على قلوبهم ، وصرّف الفشل والرعب عنهم ، وأيـــدهم بروح منه ،

---

(١) كذا بالأصل ولعل الكلمة هي الانصباب .

وأوطاهم به ، مسالك ، بعيد في العادة أن تثبت بها قدم ، أو تسعى فيهـا رجل ، وكان من أغرب الآيات أن صارت الخيل فيها أنفذ من الرجل بل من الطير ، فأضحوا قلائد في أجيادها ، وأطواقاً في أجسادها . وأهب الله لهم ريح النصر ، ومنحهم أكتاف العدو ، وأخذهم الله هنالك أخذاً تنوع فيهم العذاب ، وتيقن به فيهم الانتقام ؛ فمن بين مضرج بدمه ، ومرتد في مزلة قدمه ، وفار لى حيث لامعتصم ولا ملجأ ، إلى حيث لا وزر ، واستولى الموحدون ـ أعزهم الله ـ على الجبل كله ، واستحقوه على أهله ، وضربت به خيامهم ، ورفعت في أعلاه أعلامهم ، واقتفوا أثر الفـــارين في كل شعب ، يقتلونهم قتلاً ، ويشلونهم شلاً ، لا ناصر لهم ، ولا مانع منهم ، وقد أسلمتهم ذنوبهم ، وأخلفتهم ظنونهم ، وأفضوا إلى جميع ما أعدوه فيه معهم .

وكان في الغرة عليهم مثل أنفسهم من حرمهم وفنون أموالهم ، إلى ما كان آوى إليهم من حرم غيرهم وأموالهم ، ونفله الله إياهم مغنماً كريمـاً جليلاً ، وعطاء جسيماً جزيلاً ، رحمة منه وفضلاً ، وإحساناً منه وطولاً ، وخلا هذا الجبل المذكور من أهله وأضحى يباباً بلقعاً كأن لم يغن بالأمس عبرة للمعتبرين وذكرى للذاكرين . وخاطبونا ـ أعـزهم الله ـ بهذه البشرى لحين وقوعها مبادرين إلى ذلك لقرب المسافة التي كانت بيننا وبينهم ، فإن مشيهم إلى هذا الغزو وحركتهم له وتصرفهم فيه كان منا بمرأى ومطـلع لم ينكتم عن عياننا كيف كان ارتقاؤهم إليهم ، وتسنمهم خوهم ، وعرفوا أنهم في اليوم الثاني من هذا الفتح الكريم يوالون تفتيش زواياهم والتنقيب عن خباياهم ، ففعلوا ذلك وحصلوا منه ما وجدوه ، وأضافوه إلى ما غنموه ، ولم يسمع بعد هذا التعقيب في التنقيب دعاء داعٍ هنالك ولا إجابـة مجيب لهؤلاء القوم ومن انضاف إليهم ممن وقعت به هذه الواقعة ، ودارت عليه

الدائرة ، هم مقدمو غمارة ومستتبعوها ، ومغووها ومضلوها، وهم كانوا شوكتها الناكية وثورتها النازية ، وكان قطب رحاهم ، ومدير حربهم ، وقائدهم في يومهم أبلقهم الفرد [1] ، الممتنع على من رامه ، المستصعب قديماً على من كاده ، فقد استفتح ممنوعه ، وخلت من الظالمين ربوعه ، وهُدت ـ بفضل الله عز وجل وبركة هذا الأمير العزيز ـ أصوله وفروعه . وكان فلهم وقلهم قد انحجزوا إلى أحجار لا تستقل بمنعتهم ، ولا تفي بحمايتهم . وكان هذا الشقي المذكور يوم الفتح قد فر برأسه ، ناجياً من ذلك المأزق بحشاشة نفسه ، وقد استبيح أهله وماله ، فسلك سبيل الانحجار ، وأمعن في زوايا الاختفاء والاستتار . ولما أتى أمر الله تعالى على هذا الجبل وأهله بما ذكرناه ، تنقلنا بالموحدين ـ أعزهم الله ـ من المنزل الذي منه توجههم إلى الفتح ، ونزلنا بهم المنزل الذي خاطبناكم منه ، واتصل تتبع هذا الفل ، وأخذ المراصيد عليهم ، وتمادى ذلك . وكل الجهات المجاورة لهذا الجبل المذكور ممن كانت أعينهم ناظرة ، وآذانهم إلى ما يقع مصغية ، قد رغبوا في الإقالة ، وأعلنوا في التوبة ، وسعوا في إحراز دمائهم وأموالهم ، وتسويغ برد العافية لهم ، وكل من قرع هذا الباب فهو له مفتوح ، ومن استمنحه فهو على عوايده مبذول ممنوح ، وفي خلال ذلك وافى من صنع الله الجميل الذي لم يزل يصاحب هذا الأمر العزيز في كل مقام ، ويتكفل له في كل مبدأ من مبادىء ظهوره بأفضل خاتمة وأشرف تمام ، ما جعله الله لهذا الفتح العظيم كمالاً ، واستوفى به مقاصده العلية استيفاءً . وذلك أن الشقي الغوي لما لم يجد نفقاً يؤويه ولا مدخلاً يجنح إليه ، آوى إلى بعض تلك الجبال ، واطمأن إلى بطانة له من غمارة ، ووثق بإيوائهم له واشتمالهم عليه ، مولياً عن أمر

(١) الأبلق الفرد : حصن السموأل بن عاديا ، مشرف على تيماء بين الحجاز والشام .

الله تعالى ، ومكايدا له ، مصمماً على الإعراض عنه ومتربصاً به من الدوائر ما أوقعه الله به ، فلعناية الله بهذا الأمر العزيز وفق الله تلك البطانة ، وأراهم رشدهم بالتقرب إلى هذا الأمر العزيز والتفادي منه ، والتعدي من شؤمه ، والانتزاح عن شره ، وما تحققوا من سوء عاقبته ، فوثبوا عليه ، واستوثقوا منه ، ووصلوا به مقتاداً برمته ، مشهراً بفضيحته ، مقلداً بعاره آية لمن أبصره ، وعبرة لمن نظره ، ومكن الله الموحدين منه فنزى غزوة شفى صدور المؤمنين ، وأقر عيون الموحدين ، وبت في أعضاء المارقين ، وأطفأ الله به نار الفتنة ، وأخمد به ضرمها ، فإنه كان الحاطب لها والمسعر لها وأكمل به هذا الفتح العظيم ، والصنع الجسيم ، ومقدار هذا الفتح المصنف والنصر المبين ، إذا وفر عليه حقه وحقق له قسطه ، وزن بميزانه ما لا تقوم به أقوال القائلين ، ولا يبلغ حقيقته إطناب المطنبين ، لانه جاء من نفحات رحمة الله تعالى التي يصيب بها من يشاء من عباده ، والحمد لله الذي جعل أولياءه ممنوحين من نفحاته وعظيم عنايته ، بما يعرفهم اختصاصهم بفضله ، وتميزهم بتأييده ونصره ، وله الحمد الكثير ، وعرفناكم بذلك مشروحاً لتحمدوا الله تعالى عليه وتأخذوا بحظكم منه ، وتعطوه حقه من الاشاعة ، وتوفوه واجبه من النشر والاذاعة ، فقد انحسمت به أدواء كانت في حد الاعضال وأخمدت نيران كانت من الفتن في اصطدام واشتعال ، وستكون آياتها منبهة وعبرها مذكرة ، يصلح بها الفاسد ، ويستقيم بهـــا المائل ، ونسأل الله تعالى أن يوزع شكر آلائه ، وينهض بما حمل من أثقال أمره العزيز وأعبائه ، بفضله وكرمه ، والذي نفل الموحدين ـ أعزهم الله ـ من ضروب المغانم والأنفال وذلك من البقر اثنا عشر ألفاً ، ومن الغنم سبعة وعشرون ألفاً وثلاث مئة ومن السبي ثلاثة آلاف وست مئة وسبعة وأربعون ، ومن الدواب ستمائة وسبعة عشر ، وهي الآن متصلة متتابعة ، فله الحمد على ما أولى أولياءه من الخير

الواسع والنصر الكريم المتتابع ، لارب غيره ، والسلام العميم الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته ، كتب في الرابع عشر من شوال سنة اثنتين وستين وخمس مـــئة .

المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ج ٢/ ٣١٠ – ٣٢١

٢٣٩ – رسالة أرسلها الأمير أبو حفص أخو الخليفة أبي يعقوب ضمن رسالة الخليفة السابقة عن نفس الموضوع : فتنة غمارة إلى الشيخ الحافظ أبي عبد الله ابن الشيخ أبي إبراهيم .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم . من عمـر ابن أمير المؤمنين إلى الحافظ أبي عبـــد الله بن أبي إبراهيم ، أدام الله كرامته وتقواه . سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . وبعد حمد الله والثناء عليه ، والصلاة على محمد رسوله وعلى آله ، والرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم ، والدعاء لسيدنا أمير المؤمنين ولولي عهده الأمير الأجل الملك الأسعد أبي يعقوب بدوام التمكين والفتح المبين ، فالكتاب إليكم ، كتب الله لكم نعماً ثرة وأعمالاً برة ، من منزل الموحدين – أعزهم الله – بجبـل الكواكب ، وفتوح الله لأوليائه متصلة النظام مؤيدة الأعلام ، آخذة بمجـامع الكمال والتمام ، فإنه تبارك وتعالى يسر للموحدين هذه الجبال الصعبة ، والمعـاقل الأشبة ، التي كان أهلها قد بطروا وأشروا النعمة ، وشقوا عصا الجماعة ، وأجابوا عن الفتنة ، فوصل الموحدون إليهم ، واستأمنوا بهم آخر الأجل في التبصرة والتذكرة والاستنابة ، فكان منهم من راجع الحق وتلافاه الله وأخذ بحجزته عن النار ، فأولئك نجحوا وربحوا ، وأحرزوا أموالهم وعيالهم ، ومن يهد الله فهو المهتدي ، واستمر سايرهم على اللجاج والعناد وظنوا أن معاقلهم مانعتهم من أمر الله ، ومن يضلـل الله فلن تجـد له

سبيلاً . ومازال الموحدون يستنزلونهم من هضابهم ويستخرجونهم من شعابهم حتى أتوا عليهم قتلاً وسبياً . وكان من آخر ذلك هذا الجبل العظيم الشأن ، المنيف من كل هذه الأرض على كل مكان . وكان فيه رأس غوايتهم وعميد ضلالتهم سُبَع بن منخفاد الشقي مدار قومه ، ألحق الله به أمثاله . وكان قد ضم إليه أمة عظيمة من الأشقياء ، زاعمين أنهم يعتصمون من الموحدين فيه ، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم ، فاستعان الموحدون بالله وصعدوا إليهم وقاتلوهم على مصعدة قتالاً شديداً أجهض الأشقياء عنه ورداهم منه ، وفر الشقي المذكور وأفلت من ذلك الهول ، وآوى إلى بعض قبائل غمارة ، فشرح الله صدرهم ببركة هذا الأمر العزيز وسعده ، فأخذوا الشقي وجاءوا به أسيراً موثوقاً ، فنزي فيه ورفع جذعه وعفي أثره وكمل أمر الله في هذه الجهة وانجلت عنها غيابة الكفر وفاض عليها نور العدل وانسكب فيها غمام الإحسان . والحمد لله رب العالمين . وهي نعمة عظمي وفتح أعظم يجب أن يعرف قدره ويوفى شكره ، فخذوا حظكم من المسرة بما منح الله إخوانكم الموحدين وخولهم من الخيرات وأفاء عليهم من المغانم التي جل قدرها وعظم خطرها ، حسب ماجرت به عوائد الله لهذا الأمر وأهله . جعلنا الله ممن شكر نعماه ونصر حزبه بمنه وكرمه ، ووصل - أعزكم الله - كتابكم إليه ووقفنا عليه وشكرنا اهتبالكم واستعنا الله لكم واستوهبناه لكم الكرامة والإمداد بالتوفيق . فكذلك توالون المطالعة وتستمرون على أعمال الخير والبر . والله ولي عونكم . والسلام الجزيل عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

كتب في الرابع عشر من شوال سنة اثنتين وستين وخمس مائة .

كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ج٢ / ٣٢٢ - ٣٢٣

٢٤٠ - رسالة جوابية أرسلها أمير المؤمنين الموحدي أبو يعقوب يوسف إلى أبي عبد الله بن أبي إبراهيم بغرناطة سنة ٥٦٢ هـ عن رسالة أرسلها إلى الخليفة الموحدي مبشراً له بفتح حصن تابع لابن فردنيش :

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد ورسوله وعلى آله . من الأمير يوسف ابن أمير المؤمنين ، أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته ، إلى الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي إبراهيم والطلبة الموحدين بأغرناطة - أكرمهم الله بتقواه ووفقهم لما يرضاه . سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد : فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، نشكره على آلائه ونعمه ، ونصلي على محمد نبيه ورسوله ، ونسترضيه عن الامام المعصوم المهدي المعلوم ، القائم بأمر الله تعالى والداعي إلى سبيله ، ونصل الدعاء للخليفة سيدنا أمير المؤمنين ، المنتهض بتتميم أمره تعالى وتكميله . وكتبناه إليكم - أتم الله نعمته عليكم - من حضرة مراكش ، حرسها الله . والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه . وقد وصلت إلينا مكاتباتكم ووقفنا منها على ماذكرتم من استبشاركم بما من الله تعالى لأولياء أمره من الفتح والنصر ، وبما سناه الله للموحدين هنالك من غزو المجسمين [1] ، واستنقاذ ما كانوا اغتنموه ، وانتظام أموركم كلها على الخير والصلاح ، وتمكن أسباب الأمن والدعة .

والحمد لله على مامنح من صنيعه الكريم وفضله العميم . فجددوا شكر الله تعالى على آلائه ، وتوكلوا عليه ، واستمدوا بالشكر المزيد من فضله ، والمعتاد من رحمته ، وهو الكفيل تعالى بإنجاد أوليائه وإعزاز حزبه وجنده . والذي ذكرتموه من اختلال أحوال المجسمين الشرقيين

(١) يقصد بالمجسمين المرابطين .

وتبدد شملهم ، فتلكم عادة الله تعالى فيمن ناوأ أمره وأعرض عن جانبه . والله ينجز فيهم وعده ، لارب غيره . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله كتب في التاسع من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وخمس مئة .

كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ج٢ ٣٢٤ - ٣٢٥

٢٤١ ـ نص بيعة أهل إشبيلية لأبي يعقوب يوسف الموحدي بإمرة المؤمنين كتبها أحمد بن محمد وتحوي تواقيع البارزين من أهل إشبيلية وأرسلها له إلى مراكش أمير إشبيلية من قبله السيد أبو إبراهيم إسماعيل صحبة كتابه سنة ٥٦٣ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم . الحمد لله الذي جعل الإمامة قواماً للحق ونظاماً للخلق ، وتماماً على الذي أحسن برعاية العدل والرفق ، وأوجب الاعتصام بطاعتها والانتظام بجماعتها . والصلاة على محمد نبيه المنبعث بنور الحق الساطع الأضواء ، المبلغ عن الله سبحانه بأكمل وجوه التبليغ والإنهاء ، وعلى آله وأصحابه الذين والوه بالنصر والإيواء ، والرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم ، المخصوص بأثرة الاصطفاء والاجتباء ، والدعاء لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين الخليفة المرتضى، متمم أنوار الهدى ، ومجلي غياهب الظلماء ، وللإمام الأعدل الأهدى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبي يعقوب ابن أمير المؤمنين بدوام النصر والاستيلاء واستصحاب الظهور والاعتلاء . أما بعد : فإنه لما اجتمعت طائفة التوحيد وهم الذين تحضرهم من الله حاضرة التوفيق ، وينظر إليهم نظر الاقتداء والاهتداء من وراءهم من أهل الحق والتحقيق ، على تجديد البيعة المباركة لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبي يعقوب ابن أمير المؤمنين خلد الله أمرهم وأعز نصرهم ، بالاسم المبارك الكريم الذي أول من دعا به

الفاروق رضوان الله تعالى عليه ، فعرف الله من يمنه مافتح لملة الاسلام شرقاً وغرباً ، وأحال الدلو بين ساقيهم ، فاستحالت غرباً ، حتى ضرب الدين بجرانه ، وألقى الناس بمطن[1] بين يمنه وأمانه ، فجددنا من بيعته على الاسمية المباركة فرضاً أوجبه الشرع بوجوب الإلزام ، واقتضى الوفاء شروطه المذكورة على الكمال والتمام . فبايعنا على السمع والطاعة بيعة إيمان وأمانة ، وعدل وعبادة ، والتزمناها في اليسر والعسر والمنشط والمكره واعتقدناها عصمة ديننا وذخر معادنا . وتمسكنا منها بالعروة الوثقى والعصمة التي من تعلق بحبها ، وآوى إلى ظلها فقد اعتصم بالجانب الأمنع الأوقى ، علماً أنها البيعة الرضوانية والدعوة التي تتكفل بنصرها وإعلاء أمرها العناية الربانية ، علينا بذلك عهد الله الأوكد الألزم وميثاقه الأغلظ الأعظم وذمته التي لايقطع حبلها على مرور الزمان ولايصرم ، مستبصرين في هذه البيعة الكريمة بنور الاهتداء ، سالكين في التزام الطاعة المحجة البيضاء عارفين ما أمر الله سبحانه من طاعة الخلفاء . والله سبحانه يحفظ بها أكناف الاسلام ، ويجعلها كلمة باقية على مرور الأيام بفضل الله ومنه . وعلى مضمن ما نص فوق التزام أهل إشبيلية كافة ، وكتبوا على ذلك شهاداتهم في النصف من جمادى الأخيرة سنة ثلاث وستين وخمس مائة .

المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة حـ٢ ٣٤٠ ـ ٣٤١

٢٤٢ ـ نص بيعة أهل غرناطة لأبي يعقوب يوسف الموحدي بإمرة المؤمنين وذلك بحضور واليها من قبله أبي عبد الله بن أبي إبراهيم الذي أرسلها له مرفقة بكتاب من طرفه .

---

(١) مبرك الإبل حول الماء ، وهو مثل يضرب لاتساع الحال وكثرة الفتوح .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم . الحمد لله الذي جعل الامامة عصمة للدين ونعمة سابقة منه تعالى للمسلمين ، ورحمة أراد بها - جل جلاله - هدى المهتدين وقوام المؤمنين ، نظم بها عقد الأنام وتم بارتباطها عقد الاسلام ، وأظهر بالتزامها بركة تمامها وانتظامها . والصلاة على محمد نبيه ورسوله الذي ابتعثه برحمته وأيده بقدسه وقدرته ، وأعانه على إعلاء أمره وكلمته ، وعلى آله وصحابته الذين آمنوا به ونصروه ، وآزروه وعزروه ، إذ اصطفاه إمامهم ، وقدموه واخلصوا لله تعالى في طاعته ومناصحته أفهامهم ، وأعملوا في نصرته وحمايته إقدامهم وأقدامهم والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الذي أظهر الحق بعد دروسه ، وأطلع للإيمان ساطع أقماره وشموسه ، والدعاء لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين خليفته المرتضى الذي أشرقت أنواره وظهرت على يديه بركاته المكتوبة وأسراره ، وبمثله لسيدنا ومولانا الإمام الأعدل الخليفة الصالح الأتقى لله عز وجل ، أمير المؤمنين أبو يعقوب ابن أمير المؤمنين بنصر تستقبل منه بركاته المضمونة ، وتتمهد بسعده الأسعد حوزته المصونة ، وتنهض عزماته في الزلاء [1] فما دونه . أما بعد : فإنه لما اختص الله تبارك وتعالى طائفة التوحيد ، بما هم عليه من العمل السديد والسبيل الحميد والسعي السعيد الرشيد ، اجتمعت نفوسهم ، بعد توفيق من الله تعالى لهم ، ومستقبل سعد يدخرون فيه عملهم ، أن يجددوا البيعة المباركة لسيدنا ومولانا الامام الخليفة أمير المؤمنين أبي يعقوب ابن الخليفة أمير المؤمنين ، جدد الله لهم السعود ، وأمد لأمرهم العزيز التأييد الكريم والخلود ، بالاسم المبارك العظيم

---

(١) لم يتمكن محقق كتاب المن بالإمامة من قراءة هذه الكلمة وقال : لعلها البزلاء وهي الداهية العظيمة .

الذي أول من نطق له فيه عمر بن الخطاب ، فأقر ذلك لنفسه لقباً واسماً وسمة لمعنى الخلافة ورسماً ، حين علم تحقيق ما به خوطب وبه كوتب ، فحمد الله تعالى وشكره ، واستحسن المخاطبة بذلك ما سماه به وذكره ، جـددنا الآن من بيعة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبي يعقوب ابن أمير المؤمنين ، أدام الله تأييدهم ، على الاسمية المباركة العظيمة الموسومة ، فرضاً أوجبه الدين والاسلام ، وحقاً اقتضاه شرع نبينا عليه السلام . واتباعاً لما فعله أصحابه البررة الخيار الأعلام الصحابة العشرة ، فبايعنا سيدنا ومولانا على السمع والطاعة ، ومنهج الجماعة ، بيعة إيمان وأمانة ، وعدل وعبادة تبركاً بأمرهم واستنجاداً بالله تعالى على مايجب فيها من طاعتهم ونصرهم . اقتداءً فيها ببيعة الشجرة ، وبأصحاب رسول الله المؤمنين البررة ، التزمناه في كل الأحوال وأخلصنا له الضمائر في كافة الأعمال ، واعتقدناها شرعة وديناً ، وبادرنا إليها حقيقة ويقيناً ، فهي ذخيرتنا في المعاد ، وزادنا إلى يوم التناد ، وسعادتنا ونجاتنا يوم الوعيد والايعاد ، علينا بالوفاء بعهودها وكمل شروطها وعقودها عهد الله الأصح وعقده الأنصح ، وذمته التي لاتضيع ودايعها ، ولاتنبخس بضائعها ، متمسكين فيها بحبل الله الوثيق وأمره الحقيق ، سالكين في التزامها وإبرامها وتمامها مايجب من شروطها وصحة ربوطها ، عارفين بما فيها من مبهمها ومبسوطها . والله تعالى يعيننا على أداء واجباتها ومفروضاتها بفضل الله تعالى ، وعلى مضمن معناها والتزام مبناها . التزم الطلبة والشيوخ والكافة من الموحدين بقصبة أغرناطة ومدينتها ، وكتبوا على ذلك بشهاداتهم وخطوط أيديهم على أنفسهم . وذلك في النصف من جمادى الآخرة من عام ثلاثة وستين وخمس مئة .

كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة حـ٢ / ٣٤٢ - ٣٤٤

٢٤٣ – رسالة وجهها الى أمير المؤمنين الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي واليه على غرناطة أبو عبد الله ، الذي وجهها له مع بيعة أهل غرناطة له بالخلافة والمذكورة آنفا أعلاه

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وعلى آله وسلم . الحضرة السامية الإمامية ، حضرة سيدنا ومولانا الإمام الأعدل ، الخليفة الصالح المنصور بالله عز وجل ، أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ، أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته ، من ملتزم أوامرهم العلية ، المتبرك بمعاليهم السنية ، الطالع السامع فيما يجب عليه من حقهم في كل ثنية ، محمد بن أبي ابراهيم : سلام على حضرة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى وبركاته . وبعد حمد الله على إعلاء هذا الأمر العزيز المكين ، وإجراء سره القائم على أفضل الأساليب والقوانين ، وإمضاء آراء أهله الموحدين في صوب الاسعاد والتيمين . والصلاة على محمد رسوله ونبيه الصفي الأمين ، المبلغ الرسالة على أكمل حالات البيان والتبيين ، والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم ، القائم لاقامة الحق في المفروض والمسنون ، ولصاحبه وخليفته أمير المؤمنين ، المؤيد لاظهار أسراره وأنواره بأتم التأييد المضمون ، وللإمام الأعدل ، الخليفة الصالح المنصور بفضل الله عز وجل ، سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف ابن أمير المؤمنين بنصر يختصه في كافة الأحوال والشؤون ، فكتبه خديمكم من أغرناطة ، حرسها الله ، عن التزام أمركم الكريم ، والاعتلاق بحبلكم الذي هو حبل الله العظيم ، شاكراً لله تعالى وحامداً على ما أمضى به من أمره إلى سيدنا أمير المؤمنين بخلافته ، واختصه في أرضه بفضل إمامته وحمل أمانته ، وحباه بكرامته ، حين علم فيه الاستبداد بكفايته . فلله قبل عبدكم في ذلك نعم متظاهرة ، وآلاء مترادفة متكاثرة ، أرغب من الله تعالى أن يلهمني حمدها وشكرها ، وإعمالها ونشرها

بعزته . وإنه وصلني كتاب السيد الأسنى أبي ابراهيم ابن أمير المؤمنين الخليفة
ـ رضي الله عنه ـ ومعه نسخة الكتاب المبارك العزيز المبدي من البشائر
ما أربى على التكميل والتتميم مما كان فيه من إجماع الرأي السعيد والفعل
السديد ، الذي اجتمعت آراء الموحدين ، وكانوا من الله تعالى في ذلك على
توفيق مبين ، ومن تجديد البيعة الكريمة ، والاسمية المباركة الموسومة لسيدنا
ومولانا أمير المؤمنين ، أدام الله لهم السعد والتمكين والفتح المبين ، إلى
ماعملوا فيه مما أسبل الله أثرها على الموحدين وطائفة المؤمنين من توالي الفتوح
واتصال الخير الممنوح ، وترادف الأمطار ، ورخص الأسعار ، مما يقل لذلك
شكر الشاكر ، ووصف الواصف ، وذكر الذاكر . وعند وصول الكتاب
الكريم إلى الخديم الطالع عليه بعجائب الفتوح والسرور . بادرنا إلى التيمن
بعقد البيعة الرضوانية التي هي كمال ديننا وذخر معادنا ، فعقدناها على
مايجب من مفروض البيعة لأمير المؤمنين ، على ألزم شروطها في الدين ،
وحمدنا الله تعالى على التزامها ، ودعونا الله في التوفيق بالعمل على نظامها
إنه القادر على ذلك لا إله سواه . وفي حين ذلك وصلنا أيضاً على الخصوص
كتابكم الكريم الثاني ، المتمم لتلك المباني ، مما كان من أمرهم الحفيل ،
ونظرهم لهذه الجزيرة ، حماها الله ، على أتم الرأي الجميل ، بوصول العساكر
المنصورة ، والأسناد الموفورة إليها وحمايتها ، إلى ماخصصوا به عبيدهم ،
أدام الله أمرهم وأعز نصرهم ، من الأمر المفصل بالبركة التي ما زالت
بركاتهم ونعمهم علينا تترادف ، وتتوالى إلى قبلنا ونتعارف ، مع ما عُرفوا
به من الخير الذي يصلح بلادهم ، ويخص أجنادهم . والله تعالى نسأله أن
يعين الكل من عبيدهم على أداء شكرهم ، والتزام أمرهم ، بعزته وقدرته .
والسلام الأجزل الأحفل ، الأتم الأعم على الحضرة السامية الإمامية العلية

ورحمة الله تعالى وبركاته ، كتب في النصف من جمادى الآخرة عام ثلاثة وستين وخمس مئة .

كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ج٢ / ٣٤٤ - ٣٤٦

٢٤٤ - رسالة جوابية من الخليفة أبي يعقوب الى أبي عبد الله على رسالته التي ورد ذكرها أعلاه .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم . والحمد لله وحده من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين . أيده الله بنصره ، وأمده بمعونته . الى الطلبة الذين بأغرناطة . أكرمهم الله بتقواه ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد فإنا نحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو ، ونشكره على آلائه ونعمه ، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله ، ونسأله الرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم ، القائم بأمر الله والداعي إلى سبيله ، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الامام أمير المؤمنين ، تمشي أمره العزيز إلى غاية تتميمه وتكميله . فإنا كتبناه إليكم ، أكرمكم الله بتقواه . من حضرة مراكش حرسها الله ، والذي نوصيكم به تقوى الله والعمل بطاعته ، والاستعانة به والتوكل عليه . وقد وصلنا كتابكم من عند الشيوخ من غرناطة حرسها الله ، والموحدين ، وفق الله جميعهم ، ووقفنا عليه ، ورأينا ماتحملوه عن الموحدين بأغرناطة وجيرانهم من انعقاد إجماعهم على ما أجمع عليه شيوخ أهل التوحيد وأعيانهم ، من الأمر الذي أوجبوا على أنفسهم المبايعة عليه ، وإعطاء صفقة اليه فيه . وقد وفقهم الله لما وفق اليه أهل أمره وذوي العصمة من طائفته ، والله تعالى يتقبل منهم عملهم ، ويعرفهم بركة ماالتزموه ويعينهم على القيام بواجبه والوفاء بحقه . وقد انصرف هؤلاء الأشياخ المذكورون بعد إقامتهم بهذه الحضرة ونيلهم بركاتها . بما يجدون أثره في أحوالهم ، وسريان

الانتفاع به في أقوالهم وأعمالهم ، فاعرفوا لهم حق وفادتهم ، ومكان زيادتهم واحملوهم وكافة جيرانهم على الرعاية المتصلة ، والمبرة الحافلة المشتملة إن شاء الله تعالى . والله ولي عونكم وصونكم لارب غيره . والسلام الكريم العميم ورحمة الله وبركاته . كتب في الثاني عشر من شوال عام ثلاثة وستين وخمس مئة .

كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ج٢ / ٣٤٦ - ٣٤٧

٢٤٥ - رسالة أرسلها الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحدي إلى أبي عبد الله بن أبي ابراهيم واليه على غرناطة يخبره فيها بما قرره من تغييرات في سلك الولاة ، وبما عقد عليه العزم من الجهاد وذلك سنة ٥٦٣ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم ، والحمد لله وحده من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين - أيدهم الله بنصره ، وأمدهم بمعونته - إلى الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي ابراهيم والموحدين الذين بأغرناطة ، أدام الله كرامتهم ، ووصل توفيقهم . سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد : فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، ونشكره على آلائه ونعمه ، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله ، ونسأله الرضى عن الامام المعصوم ، والمهدي المعلوم ، القائم بأمر الله والداعي إلى سبيله ، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الامام أمير المؤمنين ممشي أمره العزيز إلى غاية تتميمه وتكميله .

وإنا كتبناه اليكم ، كتب الله لكم آمالاً مبلغة ، وأماني في صلاح أحوالكم مهنأة مسوغة ، من حضرة مراكش - حرسها الله - والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى ، والعمل بطاعته ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، والثقة بأنه تعالى ناصر هذا الأمر العزيز ومؤيده ، ومعينه ومنجده ، ومتوليه بما

يظفره بكل جاحد لحقه ، غمْ عن نوره ، عادل عن سبيله ، معرض عن داعيه ، لتمضي سنة الله في انتشار دعوته ، وامتداد شعته[1] ، وظهور كلمته ، وإنجاز ماوعده من الاستيلاء على الأدنى والأبعد ، وضمن له من البقاء الدائم السرمد . وإن أمر تلك الجزيرة ، مهدها الله ، لمن آكد ماتوجه اليه نظرنا ، وتوكل به اعتناؤنا ، واشتغل به فكرنا لمصاقبة الأعداء الروميين والجسمين لبلاد الموحدين بها ، وإلحاحهم على جنباتها ، واسترسالهم في سبيل الاغترار وطرق الانهال عما يدهمهم من أمر الله تعالى الذي يأخذ منهم لدينه عن الانتصاف ، ويكيل له من إدراك الثأر بالكيل الواف . وقد اتفقنا في هذه الأيام على أن يتوجه إليها أخونا أبو إسحاق ابن سيدنا أمير المؤمنين ، وفقه الله ، في عسكر مبارك من الموحدين والعرب ، وفرهم الله ليكون بقرطبة ، مهدها الله ، ورجونا من تعاونه مع إخوانه الذين بإشبيلية ـ حرسها الله ـ وتعاضدهم جميعاً ، وتوازرهم على الجهاد وحماية البلاد ، والنظر في المصالح ، وكافة ما وصيناهم به في هذه الأغراض ، أن تظهر عليهم بركة سيدنا أمير المؤمنين وآثاره ، وما أخذنا عليهم من عهود التقبل لها ، والاقتداء بها ، وأن ينفع الله بهم ، ويعرف عن اجتماعهم ، وأن يسعدهم ويسعد بهم . وعلى ذلك فالنظر مستتب والغوث مطرد . وهذه كلها مقدمات بين يدي ماينوي من الغزو الأعم ، والجهاد الأتم ، الذي يمحق الله به الباطل ، ويعفي أثره ويهدم عينه ، على ماوعد انه لايخلف الميعاد . فاشكروا الله على ذلك ، واستبشروا وبشروا إخوانكم بجميع جهاتكم وأنظاركم بإقبال هذا الخبر وتوالي النظر ، وأنّسوا به القلوب ، وسكنوا به النفوس ،

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب شعبته .

وثبتوا به الأقدام ، وأجدوا في الجهاد بنيـات خالصة ، وعزمات صادقة . وكونوا على أتم التعاون وأوفى التعاضـــد ، واستشعروا الاقبال وصلاح الأحوال إن شاء الله . وقد خاطبنا الطلبة الذين بإشبيلية أن يدفعوا للموحدين الذين بأغرناطة من البركة مثل ما أخذه أهل قرطبة . وكذلك خاطبناكم أن يستمر لكم النظر في الآلات والأسلحة التي تحتاجون للقصبة ـ حماها الله ـ فاعلموا ذلك ، والله تعالى ولي عونكم بمنه .

والسلام العميم الكريم عليكم ورحمة الله . كتب في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة عام ثلاثة وستين وخمس مئة .

كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ح ٢ / ٣٥٤ ـ ٣٥٦

٢٤٦ ـ رسالة جوابية من أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف الموحدي إلى أبي عبد الله واليه على غرناطة الذي أرسل له يخبره بانتصار جيش الموحدين على جيش مختلط من المرابطين أنصار ابن مردانيش والنصارى بقيادة جرندة وهزيمتهم إياهم هزيمة منكرة قرب مدينة رندة ، وذلك سنة ٥٦٣ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم . والحمد لله وحده . من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ـ أيدهم الله بنصره وأمـدهم بمعونته ـ إلى الطلبة الذين بأغرناطة ، أكرمهم الله بتقواه ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد : فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، ونشكره على آلائه ونعمه ، ونصلي على محمـد نبيه المصطفى ورسوله ، ونسأله الرضي عن الامام المعصوم المهدي المعلوم القائم بأمر الله تعالى والداعي إلى سبيله ، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الإمام أمير المؤمنين ثني أمره العزيز إلى غاية تنميته وتكميله . وإنا كتبنـاه إليكم

أكرمكم الله بتقواه ـ من حضرة مراكش ، حرسها الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه ، وأن تشكروه على مايوالي به هذا الأمر العزيز وأهله من مواهب النصر وموانح التأييد الذي يعلي بها كعبته ويظهر به حزبه ، وإمضاء لسنته ، وطرداً لعُداته . والحمد لله فقد وصلنا كتابكم من أغرناطة ، حماها الله ، بما سناه الله في الأعداء الكفرة الذين كانوا بوادي آسن ، فتحها الله ، من الفتح الذي عرفهم به قدر اغترارهم وكان جهلهم وموضع الإملاء لهم ، بما كانوا اعتادوه من التسحب على أطراف تلكم الجهات بالاختلاس والاختطاف على ماذكرتم ، فيسر الله لكم من أسباب العون عليهم ، ومكيفات الإنجاد في الأخذ بالثأر منهم ماشرحتموه في كتابكم وبينتموه بإعلامكم فما وقفنا منه على ماسر موقعه وحسن مطلعه وجرى على علي معلوم هذا الأمر في نصرته وتأييده ، والصنع الجميل له ، وإخزاء أعدائه وادحار معانديه ، والذي منح الله الموحدين في هذه الغزوة المباركة خيراً كثير وأثراً جميلاً ، وله في تمهيد تلكم الجهات وتأنيس أهلها وبسط آمالهم وتسكين نفوسهم ، ومثابة من فت أعضاد الكفرة وتوهين بنية المنافع ، مع ماخير الله في تلك الحال من الغنائم التي اغتصبوها أهلها واقتطعوها من أربابها ، فأحق الله الحق وأبطل الباطل ولوكره المجرمون . فاشكروا الله تعالى على توفيقه الذي يمن قصدكم وأنهض عزمكم وسدد رأيكم ، وقابلوا ذلك بما يقتضي له المزيد من فضله والمضاعف من إحسانه .

وبشروا الموحدين والغزاة بنعمة الله عليهم في الظهور على أعدائهم والنصر لدعوتهم ، وأن لهم عند الله مع هذه العطية الثواب المدخر والأجر الأجزل الأوفر ، وليستديموا ذلك بالأعمال الصالحة والقلوب الطاهرة ،

والأحوال المستقيمة . والله ولي العون على مايقرب منه ويزلف عبده بمنه . والسلام الكريم العميم عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب في الثالث من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وستين وخمس مائة .

كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة جـ٢/ ٣٥٧ ـ ٣٥٩

٢٤٧ ـ رسالة أرسلها أخو الخليفة أبو حفص الى والي غرناطة أبي عبد الله عن معركة جرندة المذكورة ، وذلك جواب رسالة أرسلها له القائد يشرح ماحدث .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم . من عمر ابن أمير المؤمنين إلى الشيخ الحافظ أبي عبد الله بن أبي إبراهيم ، أدام الله كرامته بتقواه . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على محمد عبده ورسوله المصطفى ، والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المرتضى ، والدعاء لسيدنا أمير المؤمنين خليفته الأكرم الأهدى ، ومثله لأمير المؤمنين أبي يعقوب ابن أمير المؤمنين بدوام النصر الأحفل الأحفى ، فكتبناه إليكم ـ أدام الله توفيقكم ـ من حضرة مراكش ، حرسها الله ، ولاجديد إلا نعم الله المتوالية ، وآلاؤه الرائحة الغادية ، ونعرف بركة هذا الأمر العزيز في كل ظعن وإقامة ، على أتم الأحوال المستدامة ، والحمد لله . وقد وصلنا كتابكم المبرور ، مضمناً من البشائر بجهادكم في الكفرة واجتهادكم ، ما أجرى الله به عادة هذا الأمر في تيسر أسبابها وانفتاح أبوابها ، وإلمامها على الدوام وانتيابها واستوضحت من إعلامكم جلية ، وأتت على وفق الارادة حميدة مرضية ، فاشكروا الله على ماسناه لكم منها ، ومنحكم من أجر التعريف بها ، وامضوا على ما أنتم بسبيله من الاجتهاد في أموركم والعكوف على اشتغالكم

ووالوا الاعلام بما يتجدد عندكم إن شاء الله ، والله ولي عونكم . والسلام الكريم العميم عليكم ورحمة الله وبركاته . كتب في الثالث من رمضان المعظم سنة ثلاث وستين وخمس مائة .

كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ج ٢/٣٥٩ ٣٦٠

٢٤٨ ـ رسالة أرسلها الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحدي إلى الطلبة والأشياخ والموحدين الموجودين في الأندلس عن وعده الذي قطعه على نفسه بالجواز إلى الأندلس بجيش ضخم لأجل الجهاد ، وكيف أن انشغاله بأمور المغرب منبعثة من تنفيذ وعده . وكيف أنه لازال على عنايته بالأندلس وقد ارسل أخاه أبا حفص بجيش ضخم للقيام بالجهاد . وقد أرسل لهم الرسالة من مراكش عام ٥٦٤هـ وهي من إنشاء أبي الحسن بن عياش .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وآله وسلم ، والحمد لله وحده . من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ـ أيده الله بنصره وأمده بمعونته ـ إلى الطلبة الموحدين من الذين بجزيرة الأندلس أدام الله توفيقهم وكرامتهم ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد : فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، ونشكره على آلائه ونعمته ، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله ، ونسأله الرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم ، القاضي بأمر الله تعالى والداعي إلى سبيله ، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الإمام أمير المؤمنين ممشي أمره العزيز إلى غاية تتميمه وتكميله ، وإنا كتبناه إليكم وصل الله توفيقكم وكرامتكم بتقواه ، من حضرة مراكش ـ حرسها الله ـ والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى ، والعمل بطاعته ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، وهذا الأمر العزيز بما وعده الله من النصر ، وضمن له من التأييد

وتكفل له من التمكين ، وأراد من تبسطه وامتداد علوائه واتصال مضره وخلوصه إلى كافة الأرجاء ، وتغلغله في كل الأنحاء لا كمال دينه وإتمام نوره وبث دعوته وتصديق دعوته لا تزال موا ... (١) الحافظة لصوره ، المبقية لأثره ، المثبتة لأركانه ، الممكنة لقواعده ، تشيع من الأسباب المقوية واللطائف المنهضة والمعاني المعنية على سريانه ، المزعجة لتسريه وجريانه ، بما يؤذن له بإنجاز موعوداته ، وتتبع مضموناته حتى يستولي على مداه الذي لا غاية بعده ويقف على منتهاه الذي لا مطلع وراءه ، يقيناً اطمأنت بمقدمات العلم به القلوب وقرت على ظهور براهينه النفوس ، وعضدته الآيات البينة ، ونطقت به الآثار المفصحة ، وناقدت (٢) شواهد أحواله لمن ألقى السمع وهو شهيد . ومازلنا وفقكم الله ، على إتمام العناية بتلكم الجزيرة ومهدها الله ، والحرص على دونها والانتواء لنصرتها ، والعمل على قصد ذلك بالمباشرة والمشاهدة ، إشفاقاً على ما استضام منها جيرانها الأعداء ، وأبناؤها الأعقاء ، مجسدين وروماً ، وما كادوها به من التكلف والتحيف والتنقص وفغر الأفواه ، وكشر النيوب والإرصاد لغيض ما فاض فيها من نور التوحيد ، وخفض ما نصب من أعلام هذا الأمر ، والمناصبة للمنحاشين إليه المتعلقين بأسبابه ، المستذمين بذمته ممن صح ولاؤه وصدقت طاعته وخلص على السبك ونصع على السير ، ونجعل لها من الفكر خطاً يستحق الصدر على ما سواه من الأفكار ، ويأخذ السبق على غيره من معنيات الأمور ، ونراه من الأهم الأعنى ، والأدل الأولى ، قياماً بحق الله في جهاد أعدائها ومكابري مناويها . ومن لم تنفعه العبر

---

(١) يذكر محقق كتاب المن بالإمامة أن هناك كشطاً بالأصل ولعل أصل الكلمة مواهبه أو موارده .

(٢) كذا بالأصل ، ل الصواب وناقلت .

على مرورها على بصره ، ونوادرها على مشاهدته وإهابها به ، لم يرع سمعاً دعوة الحق التي ملأت الخافقين ، وقرع صوتها مسامع الثقلين ، وتمكن أسباب التفرغ لذلك والتوسع فيه ، والنظر في أحكامه ، فتعترض من أهل هـذا المغرب شواغب يثيرها الجهال ، ويبعثها النعقة الضلال ، فلا يسع إهمالها ، ولا يجوز الإضراب عنها ، قياماً بحق الدين ، وتوقياً من استشراء الشر ، وتوفر أسباب الفتنة ، فينصرف إليها من الالتفات والقصد لحسم عللها وإبراء أدوائها ما يقشع غياباتها ، ويطهر أقذاءها ، ويفضي إلى المقصود الأول من التفرغ للجزيرة ـ مهدها الله ـ والتوطئة لأمرها ، وما فتيء الاشتغال بهـذا الغرب يلظ بأرجائه ، ويشتمل على جوانبه ، ويتخلل زواياه ، وينظم أوعاره وسهوله حتى صفى الله مشاربه ، وخلص من الشوب مشارعه ، ووقف بأهل الانتزاء عن أصناف مشاغبيه على نايب أناب بقلبه ، وندم على ما فرط من ذنبه ، وعلى شقي تمادى في غلوائه ولج في تمرده ، فولي كل ما استحق وسيم حطة ما رضي ، ووجد التايب برد الأمان ، وتبوأ كنف الاحسان . وحقت على العاصي كلمة العذاب وأخذه التياب ، والصيرورة إلى سوء المآل وشر المثاب ، وما ربك بظلام للعبيد .

ولما تولى الله هذه الجهات منة التمهيد ، وبسط لها نعمة التسكين والتوطيد انعطف النظر إلى محل مثاره ، وسال سيل الاعتناء إلى قراره ، وتوجـه حفل الاشتغال إلى الجزيرة ـ مهدها الله ـ وتوفرت دواعي الاستعداد لنصرتها وجهاد عدوها ، ورأينا في أثناء ما نحاوله من مروم هـذه الغزوة الميمنة المباشر أن نقدم بين أيـدينا عسكراً مباركاً من الموحدين ـ أعانهم الله ـ صحبة الشيخ الأجل أبي حفص ، أعزه الله ، يكون تقدمه لجواز جمهور الموحدين ومؤذناً بما عزمنا عليه ـ والله المستعان ـ من التحرك بجملة أهل

التوحيد والقصد لهذا الغزو الميمون الذي جعلناه نصب العين وتجاه الخاطر فتتماونون مع إخوانكم الواصلين على مر بركة الله إليكم ، على جهاد أعدائكم ، إلى أن يوافيكم إن شاء الله هذا العزم ، ويلم بكم هذا القصد ؛ ويمتمدكم هذه الحركة المحكمة أسبابها ، المبرمة أمراسها التي انعقدت بها النية، واحتدمت لها في ذات الله الحمية ، واستمانت بتوفيق الله في تأصيل أصولها الفكرة الموجهة والروية . وإنا لنرجو من المبلغ لآمال القلوب ، المتفضل بإدراك كل مطلوب ، أن يهب فيها من العون مايتمم مبدأهـــا ويكمل منشأها ، وتشفى بها صدور أوليائه بالنقمة من أعدائه ، وإن فضله تعالى ليسمح ببلوغ هذه الأمنية ، والاطلال منهـا على كل شرف وثنية . فما ذلك على الله بعزيز . وإذا طالعتم ـ وفقكم الله ـ هذه الأنباء ، واستعلمتم مافي ضمنها من البشائر وعنوانات الفتوح وآثار هـذه القصود ، وحملتم ذلك على الثقة بما وعد الله هذا الأمر والتلفت إلى ماعـــوده ، رأيتموها نعمى تخولتكم ، ورحمى انتحلتكم وأتتكم وشرحتم لها صدوركم وعمرتم بها أحناءكم ، وشغلتم بها مشاهدكم ، وسررتم بها غايبكم وشاهـدكم وأذعتموها إذاعة تثلج بها صدور الأولياء، وتحرج منها صدور الأعداء ، ويكون للمؤمن منها مطلع أمل، وللكافر مطلع هول ووجل، وعرفكم الله شكر النعمة بها وأعانكم على أداء واجبها ، وبلغكم الفايدة الجليلة منها بمنه ويمنه ، وإذا وصلكم هذا الكتاب فأشيعوه قراءة على من حضركم من أصناف الناس ، وإرسالاً بنسخه إلى من نأى عنكم ، حتى يجد أثر الاستبشار به ويترقب بموعده الغايب والشاهد ، والحاضر والبادي إن شاء الله . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، كتب في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة أربـــع وستين وخمس مائة .

كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة جـ٢/ ٣٧٦ ـ ٣٧٩

٢٤٩ ـ رسالة أرسلها ابن الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي إبراهيم أبو إسحاق الى عبد الله والي غرناطة يخبره بانضمام إبراهيم ابن همشك إلى صفوف الموحدين في الأندلس وتركه صفوف المرابطين والنصارى ، وأن الخليفة عفا عنه ، وكان ذلك سنة ٥٦٤ هـ وهي من إنشاء ابن مصادق .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على محمد وآله وسلم . الشيخ الأجل الحافظ الأعلى ولينا في الله تعالى أبو عبد الله محمد بن أبي إبراهيم أدام الله عزه وكرامته بتقواه . وليكم في الله تعالى إبراهيم ابن أمير المؤمنين . سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد حمد الله على ما أولى ومنح ، والصلاة على نبيه الذي تبين به دين القيمة ووضح ، والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم ، معيد دين الله بعدما عفى رسمه ومصح والدعا لسيدنا أمير المؤمنين خليفته الذي طهر بعدله البلاد وفتح ، ولسيدنا أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الذي أثر سعيه وأنجح، وكمل بيمن خلافته الأمور الدينية وأصلح ، فكتبناه إليكم ، أدام الله كرامتكم بتقواه ، من قرطبة ، حرسها الله ، ولاجديد إلا ماعود الله بركة هذا الأمر العزيز من فتح لاتزال تفتح أبوابه وتتصل أسبابه وترفع قبابه ، ويتعرف مع كل حين انهلال مائه وانسكابه . والحمد لله على ذلك حمداً كثيراً يصفو به سربال إحسانه وجلبابه . وإن من النعم التي ببركة هذا الأمر العزيز وإلى جديدها واقتضى بسعادته مزيدها ، وأتبع بطريفها تليدها ، وأنجز فيها لأولياء الأمر العزيز الموعود ، ووافقهم فيها الجد المصحب المسعد ، وإن الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن همشك ، وفقه الله ، كشف الله له عن وجه هداه وجلى عن موارد رداه ، وتبين له أن هذا الأمر العزيز هو المركب

المنجي ، السائق إلى السعادة الباقية المزجي ، الذي لا يؤخر عثار من صدف عنه ولا يرجي ، فبادر إلى الدخول فيه بدار من خلصت سرائره ، وطويت على مودته ضمائره ، ورأى أن ذلك تمحى به خطاياه وتغفر جرايره ، وأذاع الدعوة المهدية في جميع بلاده وأعلن بها ، وأبـــدى الاعتصام بعصمتها والتمسك بسببها ، ولقي الموحدين — أيدهم الله بتقواه — ملاقاة اللائذ بظلهم ، المستمسك بحبلهم ، المستنيم المستسلم ، المنوي على الولاء الأخلص والود الأسلم ، والحمد لله على ذلك حمداً تتوالى به فتوحه ، ويتصل بـــه مبذول إحسانه وممنوحه ، وخاطبناكم بذلك - أدام الله كرامتكم - لتجددوا شكر الله تعالى على ما أسبغ من نعمه وأولى ، وتسلكوا منه سبيلاً يكون أحرى بازديادها ما منّ بها ووالى ، والله تعالى يوالي لديكم آلاءه ويسبغ عليكم ، ظاهرة وباطنة ، نعماه . والسلام الأتم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

كتب في شهر رمضان المعظم عام أربعة وستين وخمس مئة .

كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ج ٢ ٣٩٠ - ٣٩١

٢٥٠ - رسالة أرسلها إلى أحد رعايا بيزة الايطالية بالعودة إلى بلاد الموحدين ترجمان الخليفة أبي يعقوب .

كان بين الموحدين وبيزة معاهدة تجارية عقدت سنة ١١٥٧ م في عهد عبد المؤمن ، وتحوي المعاهدة ضمانات تحمي حقوق الرعايا البيزيين في إفريقية واتفق أن تاجراً منهم حجزت أملاكه ، ويظن أن ذلك حدث في عهد أبي يعقوب يوسف ، فغادر إفريقية ، فكتب إليه ترجمانه رسالة يقول له فيها :

لا تتردد في الرجوع فستجد في كل مكان استقبالا طيباً ، وكذلك كل من صحبك ، فالسلع هنا رخيصة ويمكنك أن تشتري كل ما تريد .

المغرب عبر التاريخ لحركات ح ١ ٣١٦ - ٣١٧

٢٥١ - منشور بعث به إلى الموحدين والطلبة والأشياخ والكافة في إشبيلية أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف يأمرهم بالعمل على إزالة المسكرات، وتحريم بيعها، وتحويل الحانات إلى حوانيت لبيع الأشياء المباحة.

... إن الناس تجوزوا في أمر الرب تجوزاً أغفلوا معه الاجتهاد، ورتعوا حول حماه رتعاً أوقعهم فيه أو كاد، وتسامحوا فيه تسامحاً خرق المتعارف من المأذون فيه والمعتاد، وحاول اتخاذه وبيعه من لا يتوقف على احترام ولا يتخوف بما يكتسب من آثام، ولا يقف عند قوله عليه السلام: ما أسكر كثيره فملء الكف منه حرام.

ثم يقول بعد كلام طويل:

فإذا وافاكم كتابنا بحول الله عز وجل، فاقطعوه جملة وتفصيلاً، ولا توجدوا أحداً إلى بيعه سبيلاً ... وأخلوا الحوانيت التي كان يباع فيها منه وأقفروها، واصرفوها لغير ذلك من المباحات وصيروها ... الخ.

المغرب عبر التاريخ لحركات جـ ١ - ٣٣٨

٤ - أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي بن عبد المؤمن

٥٨٠ - ٥٩٥هـ / ١١٨٤ - ١١٩٩م

٢٥٢ - صيغة البيعة التي كان يبايع بها الناس الخليفة الموحدي ويلقيها الكاتب:

تبايعون أمير المؤمنين ابن أمراء المؤمنين على ما بايع عليه أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله على السمع والطاعة في المنشط والمكره واليسر والعسر، والنصح له ولولاته

ولعامة المسلمين . هذا ماله عليكم ، ولكم عليه ألا يجمر بعوثكم ، وألا يدخر عنكم شيئاً مما تعمكم مصلحته ، وأن يعجل لكم عطاءكم ، وألا يحتجب دونكم أعانكم الله على الوفاء وأعانه على ما قلد من أموركم .

المغرب في التاريخ لحركات ج ١ - ٣٢٩

٢٥٣ رسالة أرسلها إلى الخليفة الموحدي المنصور أبي يوسف يعقوب ابن سعيد كاتبه مهنئاً بالخلافة ، وكان مختصاً به ، وكان أحدهما بإشبيلية والآخر بمراكش (١) :

الحضرة العلية السامية ، الطاهرة القدسية ، حضرة الإمامة ، وجنة دار الإقامة ، مدّ الله على الاسلام ظلالها ، وأنمى في سماء السعادة تمامها وكمالها وهنأ المؤمنين باستقبال إمارتها ، وأدام لهم بركة خلافتها . عبدُ أياديها ، وخديم ناديها ، المتوسل بقديم الخدمة ، المتوصل بعميم النعمة ، وكريم الحرمة ، المنشد بلسان المسرة ، حين أطلع الزمان هذه الغرة .

أتته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

موسى بن محمد بن سعيد بن محمد لازال هذا الأمر العلي محموداً سعيداً ، ولا برح يستزيد ترقياً وصعوداً

يانعمة الله زيدي إن كان فيك مزيد

سلام الله الكريم ، يخص حضرة الاجلال والتعظيم ، والتقديس والتفخيم

---

(١) ذكر المقري الذي اقتبسنا هذا النص منه أن الأمير المرسل اليه التهنئة لما صار خليفة هو أبو محمد عبد الواحد بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن ، وهو خطأ منه لان أبا محمد هذا لم يصبح خليفة ، وإنما عزله أبوه في حياته ، وأصبح خليفة من بعده ابنه أبو يوسف يعقوب وتلقب بالمنصور .

ورحمته وبركاته . وبعد حمد الله الذي بلغ الاسلام بهذه الخلافة آماله ، وحاشى بهذه الولاية السعيدة أحواله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الكريم الذي أدحض الله تعالى بـــه الكفر وضلاله ، وعلى آله وصحبه الطاهرين الذين سمعوا أقواله وامتثلوا أفعاله ، والرضا عن الامام المهدي المعلوم الذي أفاء الله به على الدين الحنيفي ظلاله وأذهب عنه طواغيته وضلاله ، والدعاء للمقام العالي الكريم بالسعد المتوالي ، والنصر الجسيم . وكتب العبد وقد ملأت هذه البشرى المسرة أفقه ، ووسمت عليه هذه الرتبة العلية طرقه.

فهذه رتبة ما زلت أرقبها   فاليوم أبسط آمالي وأحتكم

ولا أقنـــع مني إن اقتصرت على السماء داراً ، والهلال للبشر سوارا ، والنجوم عقداً ، والصباح بنداً ، حتى أسر كل أحد بشكله ، وأقابل كل شخص بمثله .

ومن خدم الأقوام يرجو نوالهم   فاني لم أخــدمك إلا لأُخْدَما

وما بعد الخلافة رتبة ، ودون تشبير تنحط كل هضبة . فالحمــد لله رب العالمين ، وهنيئاً لعباده المؤمنين ، حيث نظر لهم نظر رحمة فأسبل عليهم ستر هذه النعمة .

ولقد علمتُ بأن ذلك معصمٌ   ما كان يتركه بغير سوار

والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، وإلى من يشير بآياته . فلله صبـاح ذلك اليوم السعيد وليلته ، لقد سفر عن وجه من البشرى ، أضاءت الآفاق شرقاً وغرباً غرته . ولقد اجتمعت آراء السداد حتى أتت الاسلام بالمراد فأخذ القوس باريها ، وحل بالدار بانيها . هنيئاً زادك الرحمن لطفاً وخيراً ، ولا برحت المسرات تسير إليك سيراً ، وهل يصلح النور إلا للمقل ، وهل يليق بالحسن إلا الحلل ، فالآن مهّد الله البرين ، وأفاض العدل على العدوتين وقدم للنظر من لا يعزب عن حفظه مكان ، ولا يختص بحفظه إنسان دون

إنسان . خليفة له النفس العُمرية ، والآراء العَمرية ، والفراسة الأياسية، ولا ينبئك مثل خبير . فلقد شاهد العبد ما لايحصره تفسير ، ولعمري لقد صار الصباح في إشراق النهار . ولم يخف عنا مازاد الدنيا من البهجة والمسار وشملت الناس هذه البشائر ، وعمت كل بادٍ وحاضر ، وأصاخوا لتاليها إصاخة المجدين لمرتادهم ، وأهطعوا لها مهللين مكبرين إهطاع الناس لأعيادهم . وأما العبد فقد أخذ بحظه ، حتى خاف أن يغلب السرور على قلبه ولحظه .

[فـلا تنكرن لها صرعة] ومن فرح النفس ما يقتل (١)

وهذه نعمة يقصر عنها النثر والنظم ، ويحسد عليها الهلال والنجم ، بل يسلمان لما استحقته من المراتب ، ويخضعان اليهـــا خضوع المفترض الواجب . أقر الله بها عيون المسلمين وأفاض سحبها على النـاس أجمعين ، وحفظها بعينه التي لاتنام ، ووقف على خدمتها الليالي والأيام .

نفح الطيب للمقري ٣ / ١٢٤ - ١٢٦

٢٥٤ - رسالة ملك الاسبان الأدفونش إلى خليفة الوحدين المنصور .

استغل الأذفونش فرصة انشغال يعقوب الخليفة الموحدي المنصور بالثوار في المغرب ، فحشد جيشه ، وبعث رسولاً إلى الخليفة يتهدده ، ويتوعده ، ويطلب منه بعض الحصون المتاخمة له في الأندلس ، وكتب له رسـالة من إملاء وزير له يعرف بابن الفجار وهي :

باسمك اللهم فاطر السموات والأرض . وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح . أما بعد : فإنه لايخفى على ذي ذهن ثاقب ، ولا ذي عقل لازب ، أنك أمير الملة الحنيفية ، كما أني أمير الملة النصرانية

(١) أورد المؤلف عجز البيت فقط وهو المتنبي ، فأثبت المحقق صدره في الهامش وهو الموضوع بين معقوفين .

وقد علمت الآن ماعليه رؤساء أهل الأندلس من التخـادل والتواكل ، وإهمال الرعية وإخلادهم إلى الراحة . وأنا أسومهم بحكم القهر وخلاء الديار ، وأسبي الذراري ، وأمثل بالرجال ، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم ، إذا أمكنتك يد القدرة . وأنتم تزعمون أن الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم . فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً . ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا ، لاتستطيعون دفاعاً ولا تملكون امتناعاً . وقد حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال ، وأشرفت على ربوة القتال ، وتماطل نفسك عاماً بعد عام ، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى . فلا أدري أكان الجبن قد أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك . ثم قيل لي إنك لاتجد إلى جواز البحر سبيلاً لعلة لايسوغ لك التقحم معها . وها أنا أقول لك مافيه الراحة، وأعتذر لك وعنك ، على أن تفي بالعهود والمواثيق ، والاستكثار من الرهان وترسل إلى جملة من عبيدك بالمراكب والشواني ، والطرائد والمسطحات ، وأجوز بجملتي إليك فأقاتلك في أعز الأماكن لديك ، فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك . وإن كانت لي كانت يدي العليا عليك ، واستحقيت إمارة الملتين والحكم على البرين . والله تعـالى يوفق للسعادة ويسهل الارادة . لارب غيره ، ولا خير إلا خيره ، إن شاء الله تعـالى .

٢٥٥ — جواب الخليفة المنصور للأذفونش على رسالته السابقة .

لما وصل هذا الخطاب إلى الخليفة غضب ، ومزق الكتاب ، وكتب على ظهر قطعة منه :

ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ، ولنخرجنهم منهـا أذلة وهم

صاغرون[1] الجواب ماترى لا ماتسمع .

وكتب إليه :

لاركب إلا المشرفيـــة والقنـا ولا رسلٌ إلا الخميس العرمرم[2]

وفيات الأعيان لابن خلكان ٦ / ٦-٧

٢٥٦ — رسالة شفهية وجهها الخليفةالموحدي المنصور إلى أفرادجيشه قبل معركة الأرك مباشرة سنة ٥٩١ هـ

احتشد الجيش الموحدي بقيادة المنصور في الأرك في مواجهـــة العدو الاسباني ، وفي صبيحة المعركة قام القائد العام الوزير أبو يحيى وصاح بصوت جهوري وجهه للجند :

إن أمير المؤمنين يطلب إليهم أن يغفروا له ، فإن هذا موضع غفران وأن يتغافروا فيما بينهم ، وأن يطيبوا نفوسهم ، وأن يخلصوا نياتهم لله .

فبكى الناس وصاحوا من جانبهم يطلبون الغفران من الخليفة ، وأنهم بيمن نيته وصدق طويته يرجون الخير من الرحمن .

عصر المرابطين لعنان ٢/٢٠٣

---

(١) سورة النمل : الآية ٣٧

(٢) ورد نص هاتين الرسالتين في عدد كبير من المصادر مثل الكامل ١٢/١١٣-١١٤ لابن الاثير ، وتاريخ ابن الفرات جـ٤ ، ق٢ / ٢٢٨-١٢٩ ، وصبـــح الاعشى للقلقشندي ١/١٩٣ . ونهاية الارب ٧/٣٠ للنويري . ويذكر ابن خلكان أنه يرجح أن تكون الرسالتان تبودلتا بين يوسف بن تاشفين والفونسو السادس . ولعل السبب في ذلك هو ورود كلمة الملثمين في الرسالة . وهو لقب المرابطين . على حين ترد هذه الكلمة في بقية المصادر المتين .

٢٥٧ ـ مقتطفات من منشور أصدره الخليفة المنصور الموحدي ضد ابن رشد وتعلماته .

. . . وقد كان في سالف الدهر قوم خاضوا في بحور الأوهام ، وأقر لهم عوامهم بشفوف عليهم في الأفهام ، حيث لاداعي يدعو للحي القيوم . ولا حاكم يفصل بين المشكوك فيه والمعلوم ، فخلدوا في العالم صحفاً ما لها من خلاق ، مسودة المعاني والأوراق . بعدها من الشريعة بعد المشرقين ، وتباينها تباين الثقلين ، يوهمون أن العقل ميزانها ، والحق برهانها ، وهم يتشعبون في القضية الواحدة فرقاً ، ويشيدون فيها شواكل وطرقاً . ذلكم ما في الله خلقهم للنار ، وبعمل أهل النار يعملون ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون . ونشأ منهم في هذه المحجة البيضاء شياطين . . . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ، ولو شاء ربك مافعلوه ، فذرهم وما يفترون ، فكانوا عليها أضر من أهل الكتاب ، وأبعد عن الرجعة إلى الله ، لأن الكتابي يجتهد في ضلال ، ويجد في كلال . وهؤلاء جهدهم التعطيل ، وقصاراهم التمويه والتخييل ، وبث عقاربهم في الآفاق برهة من الزمان ، إلى أن أطلعنا الله سبحانه منهم ، على رجال كان الدهر قد سالمهم على شدة حروبهم ، وأغضى عنهم سنين على كثرة ذنوبهم ، إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً وما أمهلوا إلا ليأخذهم الله الذي لا إله إلا هو ، وسع كل شيء علماً . ومازلنا ـ وصل الله كرامتكم ـ نذكرهم على مقدار ظننا فيهم ، وندعوهم على بصيرة إلى ما يقربهم إلى الله سبحانه ويدنيهم . فلما أراد الله فضيحة عمايتهم ، وكشف غوايتهم ، وقف بعضهم على كتب مسطورة من

الضلال ، موجبة أخذ كتاب صاحبها بالشمال ، ظاهرها موشح بكتاب الله وباطنها مصرح بالإعراض عن الله . لُبّس منها الإيمان بالظلم ، وجيء منها بالحرب الزبون في صورة السلم ، مزلة للأقدام ، وسم يدب في باطن الاسلام وأسياف أهل الصليب دونها مفلولة ، وأيديهم عما يناله هؤلاء مغلولة . فإنهم يوافقون الأمة في ظاهرهم ، وزيهم ولسانهم ، ويخالفونهم بباطنهم وبهتانهم . فلما وقفنا منهم على ماهو قذى في جفن الدين ، ونكتة سوداء في صفحة النور المبين ، نبذناهم في الله نبذ النواة ، وأقصيناهم حيث يقصى السفهاء من الغواة ، وأبغضناهم في الله ، كما أنا نحب المؤمنين في الله وقلنا اللهم إن دينك هو الحق اليقين ، وعبادك هم الموصوفون بالمتقين . وهؤلاء قد صدفوا عن الله ، وعميت أبصارهم عن بنيـــاتك فباعدت أسفارهم ، وألحق بهم أشياعهم حيث كانوا وأنصارهم . ولم يكن بينهم إلا قليل وبين الإلجام فلا ... في مجال ألسنتهم ، والايقاظ بحدة من عقلهم ونصتهم ، ولاكنهم رفموا بموقف الخزي والهوى ، ثم طردوا عن رحمة الله ، ولوردوا لعادوا لمــا نهوا عنه ، وإنهم لكاذبون .

فاحذروا ــ وفقكم الله ــ هذه الشرذمة على الايمان ، حذركم من السموم السارية في الأبدان ، ومن عثر له على كتاب من كتبهم ، فجزاؤه النار التي بها يعذب أربابه ، وإليها يكون مآل مؤلفه وقارئه ومآبه . ومتى عثر منهم على مجرٍ في غلوائه عم عن سبيل الله استقامته واهتدائه ، فليعاجل فيه بالتثقيف والتعريف ، ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون . أو لايرد الذين حبطت أعمالهم ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ، وحبط ماصنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون ... والله تعالى يطهر من دنس الملحدين أصقاعكم ، ويكتب في صحف الأبرار تضافركم على الحق واجتماعكم ، إنه منعم كريم .

عصر المرابطين لعنان ٢/٢٢٦ ــ ٢٢٧

٢٥٨ - رسالة أبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن والي سجلماسة زمن المنصور الموحدي الى ملك السودان وغانة لما عوق التجار ومنعهم من الحركة

نحن نتجاور بالاحسان وإن تخالفنا بالأديان ، ونتفق على السيرة المرضية ونتآلف على الرفق على الرعية . ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة ، والجور لاتعانيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة . وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده وتردد الجلابة إلى البلد مفيد لسكانها ، ومعين على التمكن من استيطانها ، ولوشئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية . لكنا لانستصوب فعله ، ولاينبغي لنا أن ننهى عن خلق ونأتي مثله ، والسلام .

نفح الطيب للمقري ١٠٣/٤

٢٥٩ - وصية المنصور الموحدي لأشياخ الموحدين لما اقتربت وفاته

لما مرض المنصور مرضه الأخير استدعى إليه شيوخ الموحدين ووجوه أهل بيته وأعيان بلاطه .

فلما استقر بهم الحضور اتجه الخليفة إليهم ببصره وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، فسألهم عن أحوالهم وأعمالهم ، ثم قال :

أيها الناس : رحمكم الله . إن هذه العلل والأمراض قد توالت علينا وهدت قوانا وهتكت جوارحنا ، وأظن ، والله أعلم بغيبه ، أن هذه العلة هي آخر عهدنا بهذه الدنيا وأنها القاضية علينا ، فانظروا ، رحمكم الله وأعانكم على طاعته ، من تقدمون على أنفسكم وعلى رقاب المسلمين .

فغلب البكاء على الحاضرين ، وتكلم أبو موسى بن محمد بن الشيخ أبي حفص بن علي وقال :

كأنكم ياأمير المؤمنين ياسيدنا تخرسنا بهذا القول : أنتم أمير المؤمنين ، فإن توفيتم فإلى رحمة الله تعالى . والجميع صائرون ومنقلبون إلى ماتصيرون إليه . وكنتم قلدتمونا عهدكم الكريم لسيدنا الأمير الأجل أبي عبد الله ابنكم ، فنحن باقون عليه إلى أن تلحق نفوسنا بنفوسكم وهو خليفتكم علينا بعدكم .

ثم تعاقب الحضور في الكلام ، وأبدى الخليفة لهم قلقه لصغر سن ولده ، وطلب إليهم أن يدعوا الله تعالى باليمن والاقبال .

ثم أوصى الخليفة الحاضرين بالسادات وبعض الأشياخ ... ثم قال الخليفة للحضور بعد ذلك وعيناه تذرفان بالدمع .

أوصيكم بتقوى الله تعالى وبالأيتام واليتيمة .

فسأله الشيخ أبو محمد عبد الواحد .

ياسيدنا ياأمير المؤمنين . ومن الأيتام ومن اليتيمة ؟

فقال :

اليتيمة جزيرة الأندلس ، والأيتام سكانها المسلمون . وإياكم الغفلة فيما يصلح بها من تشييد أسوارها وحماية ثغورها وتربية أجنادها وتوفير رعيها ، ولتعلموا أنه ليس في نفوسنا أعظم من همها . ونحن الآن قد استودعنا الله تعالى وحسن نظركم فيها فانظروا من المسلمين وأجروا الشرائع على مناهجها .

ثم أوصاهم بأشياء كثيرة وانصرفوا عنه وكان ذلك آخر العهد به .

عصر المرابطين لعنان ٢/٢٣٦ ـ ٢٣٧

٥ - الناصر الموحدي أبو عبد الله محمد بن المنصور

٥٩٥ - ٦١١هـ / ١١٩٩ - ١٢١٤م

٢٦٠ - مقتطفات من مبايعة أهل قرطبة للناصر بالخلافة .

. . . وبعد فهذا ما أجمع عليه الملأ بقرطبة وأعمالها ، حرسها الله ، من الطلبة ، والموحدين ، والعرب ، والأجناد ، والوجوه من الأشياخ ، والأعيان والقواد ، والخواص ، والعوام من الرعية ، من حاضر منهم ، ومن باد ، أجمعوا بتوفيق الله وعونه ، وإحسانه العميم ومنّه ، على المبايعة للأمير الأجل الملك السعيد ، السيد الأوحد ..، المؤهل المؤثل ، الحائز لشرف الانتساب ... فرع الشجرة المباركة ، الطيبة الانماء التي أصلها في مقر الهدى ثابت ، وفرعها في السماء ... أبو عبد الله محمد بن سيدنا الامام المنصور ، الناصر لدين الله تعالى الخليفة المرتضى ، أمير المؤمنين ابن سيدنا أمير المؤمنين ابن سيدنا أمير المؤمنين أعلى الله أمرهم وأسماءهم .

ثم يقول :

فبايعوه بمقتضى أمره العلي ونصه الواضح الجلي ، بيعة مباركة سعيدة واستقبلوا بها آمالاً فسيحة مديدة ، وأعمالاً من البر والتقوى جديدة ، أسكبت عليهم شآبيب الرحمة والأمان ، وأسحبت فواضل الانعام والاحسان ، وازدادت بهاءً وجمالاً معالم الاسلام والايمان .

وإن أهل قرطبة ، بادروا إلى التزام عهد هذه البيعة المباركة عهداً ، وإحكام عقدها السعيد عقداً ، فبايعوا للأمير الأجل السيد السعيد الأوحد ... بيعة إخوانهم الموحدين ، على صفاء من قلوبهم ، وخلوص من عيونهم وصحة من عقائدهم وضمائرهم ، وتوافق من بواطنهم ، وظواهرهم ، وعلى أوفى عهود

البيعة وشروطها ، وأكمال عقودها وربوطها ، من السمع والطاعة ، في السر والجهر ، والعسر واليسر ، وعلى اعتقاد النصيحة والموالاة الصريحة ، أعطوه بذلك عهد الله المؤكد ، وميثاقه المشدد ، وأعطوه صفقة قلوبهم وأيمانهم وعهدة إسلامهم وإيمانهم ، وخالصة سرهم وإعلانهم .

عصر المرابطين لعنان ٢ / ١٩٠ - ١٩١

٣٦١ - رسالة أرسلها إلى المراكشي صاحب كتاب المعجب فتى مجهول عن ثورة عبد الرحمن الجزولي في السوس وانهزامه سنة ٥٩٧ هـ زمن الخليفة الناصري الموحدي .

ثار شخص اسمه عبد الرحمن الجزولي في السوس ، وهزم للموحدين عدداً من الجيوش ، وأخيراً تمكنوا من القضاء عليه ، وأرسل أحد أصدقاء المراكشي له رسالة يخبره بالثورة ونتيجتها ويقول :

كتب من منزل سوس ، وقد تبلج فجر الفتح فأسفر ، وقال فريـــق الضلال : أين المفر ؟ وقد ألقي النصر جرانه ، وأعز الله حزبه المؤيد وأعوانه وشرح الحال على غاية الايجاز ، لأجل الاستعجال ، في إنهاء هذه البشائر والانحفاز ، إن الناكثين النابذين للعروة الوثقى ، المتمسكين بالسبب الأشقى حاصرهم الموحدون - أنجدهم الله - أشد الحصار ، وقطعوا عنهم مواد المعايش وزرافات الأنصار ، ولسان التأييد يتلو علينا بالعشي والاشراق : ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق ، ولحين ما أخذ الموحدون - أنجدهم الله - في حسم دائهم العضال ، وجردوا لهم من عزماتهم الصادقة ما هو أمضى من النصال ، طاحوا مجدلين بالحضيض ، وملأ جثمانهم الفضاء العريض ، وخيب الله ظنونهم الكاذبة ، وآمالهم ، وصيرهم إلى أمهم الهاوية ، فكانت أولى بهم ذلك أنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ، وأمكن

الله من رأس ضلالهم المدعو بأبي قصبة ، فقهره الحزب المنصور وغلبه ، وحز الحسام منه قُنّةً ورقبةً ...

المعجب للمراكشي ٣٩٦ - ٣٩٧

٦ - المستنصر أبو يعقوب يوسف الثاني

٦١١ - ٦٢٠ هـ / ١٢١٤ - ١٢٢٤ م

٢٦٢ - نص بيعته بالخلافة التي كان يلقيها على المبايعين كاتب أبيه أبو عبد الله بن عياش ، وكان ذلك عقب وفاة والده الناصر مباشرة .

تبايعون أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين على ما بايـــع عليه أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله من السمع والطاعة ، في المنشط والمكره ، والعسر واليسر ، والنصح له ولولاته ، ولعامة المسلمين . هذا ماله عليكم . ولكم عليه ألا يجمر بعوثكم ، وأن لايدخر عنـكم شيئاً مما تعمكم مصلحته ، وأن يعجل لـكم عطاءكم ، وأن لايحتجب دونكم ، أعانكم الله على الوفاء وأعانه على ماقلد من أموركم .

عصر المرابطين لعنان ٢ / ٣٣٠

٢٦٣ - فقرات من رسالة الخليفة المستنصر الموحدي إلى قواعد المغرب والأندلس سنة ٦١٧ هـ .

... وإلى هذا ، وصل الله توفيقكم ، فقد علمتم أن الدين هو الأساس الوثيق ، والبناء العتيق ، والفسطاط المضروب ، والعلم المنصوب ، والمتجر الذي لايبور ، والطريق الذي لايحور ، من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن تحصن به فقد تحصن بالمعقـل الأحصن الأرقى . فإذا وقفتم على كتابنا هذا ، فجددوا للناس به الذكرى ، وعرفوهم أن الدنيا مطية إلي

الدار الأخرى ، وحضوهم على العمل الصالح ، والمتجر الرابح ، عسى أن يجعلهم الله تعالى في الدارين من الذين لهم البشرى ، وبثوا في جهاتكم كلها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . واستحفظوا الكافة صلواتهم ، فإنها الكتاب الموقوت على المؤمنين ، وخذوهم باعتياد المساجد ، فإنها الشاهد الأزكى بشهادة خاتم النبيين وسيد المرسلين . واطلبوهم بقراءة الحزب والتوحيد بالمساجد والأسواق ، فإنه الخير المألوف ، والشعار المعروف ، والرسم الذي عليه العمل ، والعهد الذي لايجب فيه التغيير والخلل .

ونحن قد قلدنا الله قلادة نعلم لوازمها ، ونحفظ مراسمها ، ومن جملتها التذكير بالدين ، فهو الشافع الذي لا يغفل ، والوسيلة التي لاتضاع ولاتهمل . فاعلموا أعزكم الله ، هذا المقصود علماً ، وكونوا في القيام به لا تخالفون يقظة ولا نوماً . وللناس عليكم ما نأمركم به من العدل التام والانصاف العام وكف الأيدي ، وقبضها عن التعدي . وهذا خطاب قد أرشدنا فيه إلى مناهج سوية ، وحضضنا فيه على أمور ضرورية ، وأتينا فيه بما يجب البدار إليه ، وخير العمل ما دووم عليه . والله معينكم . والسلام عليكم . وكتب في عاشر ربيع الأول سنة سبع عشرة وست مئة .

عصر المرابطين لعنان ٢/٣٤٣

٢٦٤ ـ رسالة جوابية إلى المستنصر الموحدي من أبي عمران موسى ابن سعيد .

عرض الخليفة الموحدي المستنصر بالله على أبي عمران موسى بن سعيد أن يستوزره ، وأن ينتقل إلى مراكش من الأندلس موطنه الأصلي ، فأرسل اليه يشكره ويعتذر عن ذلك بحبه للأندلس ، وعدم استطاعته تركها :

. . . وأما ما ذكر سيدي من التخيير بين ترك الأندلس ، وبين الوصول

إلى حضرة مراكش ، فكفى الفهم العالي من الاشارة قول القائل :

والعز محمود وملتمس　　　وألذه ماكان في الوطن

فإذا نلت بك السماء في تلك الحضرة . فملى من أسود بها ، ومن ذا أضاهي بها

لا رقت بي همة إن لم أكن　　　فيك قد أملت كل الأمل

وبعد هذا فكيف أفارق الأندلس ، وقد علم سيدي أنها جنة الدنيا بما حباها الله به من اعتدال الهواء وعذوبة الماء وكثافة الأفياء ، وأن الانسان لا يبرح فيها بين قرة عين وقرار نفس

هي الأرض لا ورد لديها مكدر　　　ولا ظل مقصور ولا روض مجدب

أفق صقيل ، وبساط مدبج ، وماء سائح ، وطائر مترنم بليل . وكيف يعدل الأديب عن أرض على هذه الصفة ؟ فياسموأل الوفاء ، وياحاتم السماح ويا جذيمة الأديب كمل لمن أملك النعمة بتركه في موطنه ، غير مكدر لخاطره بالتحرك من معدنه ، ملتفتاً إلى قول القائل :

وسولت لي نفسي أن أفارقها　　　والماء في المزن أصفى منه في الغدر

فإن أغناه اهتمام مؤمله عن ارتياد المراد ، وبلغه دون أن يشد قتباً ولا أن ينضي عيساً غاية المراد ، أنشد ناجح المرغوب بالغ المطلوب

وليس الذي يتبع الوبل رائداً　　　كمن جاءه في داره رائد الوبل

ورب قائل إذا سمع هذا التبسط على الأماني : ماله تشطط ، وعدل عن سبيل التأديب وتبسط ، ولا جواب عندي إلا قول القائل :

فهذه خطة ما زلت أرقبها　　　فاليوم أبسط آمالي وأحتكم

ومالي لا أنشد ما قاله المتنبي في سيف الدولة :

ومن كنت بحراً له ياعليُّ　　　لم يقبل الدر إلا كباراً

نفح الطيب للمقري ١/١٧٠-١٧٢

٢٦٥ ـ رسالة وجهها المستنصر الموحدي إلى أحد نوابه وقد بلغه أنه نقض العهد على بعض المهادنين من النصارى وقد كتبها عنه أبو الميمون .

أما بعد حمد الله الآمر بالوفاء بالعهود ، والصلاة على سيدنا محمدالمصطفى الكريم سيد الوجود ، وعلى آله وصحبه ليوث البأس وغيوث الجود ، والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الآتي بالنعت الموجود في الزمن المحدود وعن خلفائه الواصلين بأمره إلى التهائم والنجود ، والدعاء لسيدنا الخليفة المستنصر بالله أمير المؤمنين بسعد تذل له النواصي ، ويهد الأقطار القواصي فكتبناه ـ كتبكم الله ممن إذا هم بأمر تدبر عواقبه ، وإذا عزم على ركوب غرر ألفى معاطبه ـ من فلانة ، كلأها الله تعالى ، وقد بلغنا ما كان منكم من اكتساح النصارى ، والزيادة على ذلك باختطاف الأسارى ، ونعوذ بالله من شهوة تغلب عقلاً . ونجوة تعقب هواناً وذلاً ، وقد أخطأتم في فعلتكم الشنعاء من ثلاثة أوجه : أحدها أنه خلاف ما أمر الله تعالى به من الوفاء بالعهد ، والوقوف مع العقد . والثاني عصيان الأمر العزيز ، وفيه التغرير بالمهج ، وترك السعة للحرج والثالث : أنكم تثيرون على أنفسكم من شر عدوكم ـ قصمه الله ـ شرراً يستعر وضرراً يعدم فيه المنتصر ، فليتكم إذ تحليتم بالعصيان ، ورضيتم الغدر المحرم في سائر الأديان ، ثبتم العدو إذا دهمكم ، ولقيتموه بالجانب القوي متى زحمكم بل تتدرعون له الفرار ، وتتركونه في مخلفيكم وما اختار . وقد جربتم مرات أنكم لا ترزءونهم ذرة ، إلا رزءوكم بدرة ، ولا تصيبونهم مرة إلا أصابوكم ألف مرة ، وإلى متى تنهون فلا تنتهون ، وحتام تنبهون ولا تنتبهون ؟ فإذا وافاكم كتابنا هذا بحول الله وقوته فأدوا من أسرتم إلى مأمنه ، وردوا ما انتهبتم إلى مسرحه ، ولا تمسكوا من الأسارى بشعرة ، ولا من الماشية بوبرة . ومن سمعنا عنه ، بعد وصول هذا الكتاب ، أنه تعدى هذا الرسم وخالف هذا الحكم ، أنفذنا عليه الواجب ، وحكمنا فيه المهند القاضب ، فلتسرع

من نومة الغفلة إفاقتكم ، ولا تتعرضوا من الشر لما تعجز عنه طاقتكم ، ونحن متعرفون ما يكون منكم من تأنٍ أو بدار ، ومقابلون لكم بما يصدر عنكم من إقرار وإنكار . وهو يرشدكم بمنه . والسلام عليكم ورحمة الله .

صبح الأعشى للقلقشندي ٦ / ٤٤٦ - ٤٤٧

٢٦٦ - رسالة أرسلها وزير المستنصر الموحدي أبو يحيى بن أبي زكريا إلى ملكة قشتالة من أجل السلم المقترح عقده بين الطرفين .

كان بين الموحدين والقشتاليين هدنة لفترة محدودة ، وقبل انقضاء مدتها رغب القشتاليون في تجديدها ، فأرسلوا رسولاً من قبلهم إلى مراكش ، وتمكن الطرفان من الوصول إلى اتفاق ، وأرسل الوزير إلى ملكة قشتالة برنجيلا الوصية على ابنها القاصر فرناندو يخبرها بذلك ويقول :

وقد انقلب إليكم رسول منكم ، بما تعرفونه في السلم المنعقد ، النير شهابه ، المتقد بين الموحدين وبينكم بالمخاطبة الكريمة التي حملها إليكم ، وحمل نحوكم من الاتحاف ما يبلغكم على يديه ، الذي هو عنوان المخالصة ، وثمرة المواصلة ، وكل ما يكون من هذا بيننا وبينكم ، ينبغي أن يكون متقبلاً ، وعلى أحسن المتأولات متأولاً ، إن شاء الله ، وأنتم بحول الله تقفون عند حدود السلم ، وتحافظون عليها ، وتعاقبون كل من هم بأذية المسلمين ، فإن الوفاء شعار الملوك ، وعليهم فيه يجب السلوك . وكتب في سادس رمضان سنة ثمان عشرة وست ومئة .

عصر المرابطين لعنان ٢ / ٣٤٣ - ٣٤٤

٢٦٧ - رسالة ملك أراغون إلى المستنصر الموحدي يستأذنه في القدوم عليه والتماس نصرته .

ثار صراع على العرش في أراغون ، وكان هناك عدة متنافسين ضد

الملك الشرعي . وقد أرسل الملك الشرعي رسالة إلى الخليفة المستنصر يستأذنه في القدوم إليه والتماس نصرته ، وكتبها باسمه أبو المطرف بن عميرة .

الحضرة الإمامية المنصورة الأعلام ، الناصرة للاسلام ، المخصوصة من العدل والاحسان ، بما يجلو نوره متراكم الاظلام ، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام المستنصر بالله ، أمير المؤمنين ، أبي يعقوب ، ابن سادتنا الخلفاء الراشدين ، وصل الله لها إسعاد القدر ، وأنجاد النصر والظفر ، ولازال مقامها الأعلى سامي النظر ، مبارك الورد والصدر ، ويفيض منه الجود فيض المطر ، ويحيط به السعود ، إحاطة الهالة بالقمر .

نشأت أيامها الغر ، وربي إنعامها المواظب على الحمد والشكر ، المشرف باستخدامها الذي هو نعم العون على التقوى والبر ، عبدها وابن عبدها فـــلان .

سلام الله الطيب المبارك وتحياته ، تخص المقام الأشرف الأعلى ورحمة الله وبركاته ، وبعد فكتب العبد ـ كتب الله للمقام الأعلى ، فتوحاً يعم جميع الأمصار ، وسعوداً يقضي بنصل السمر الطوال ، والبيض القصار ـ من بلنسية وبركاته تظهر ظهور النهار ، ويفيض على البلاد والعباد فيض الأنهار ، فالخلق من واردٍ في سلسالها المعين ، وراج للذي منها وهو من رجائه على أوضح مراتب اليقين ، والله يبقي عز الاسلام ببقائه ، ويعيننا على امتثال أوامره المباركة معشر عبيده وأرقائه بمنه .

وقد تقرر له من المقام الكريم ـ أدام الله علوه وكبت عـدوه ، أمر بالسك [1] وطال ماله في البلاد الأرغونية من زعامة في شأوها برز ، ولغايتها أحرز . وكان قد كفل صاحب أرغون في الزمان المتقدم كفالة دار أمرها

---

(١) كذا بالأصل .

عليه ، وألقى زمامها إليه ، وتفرد منها بعبء وحمله ، وخطة بلغ منها أمله . ثم إنه حط عن رتبته ، وتأكدت المبالغة في نكبته ، لقضية عرضت له مع أهل أرغون فلفظته تلك الجنبات ، وأزعجه أمر لم يمكنه معه الثبات ، ورأى أن يلجأ بماله إلى المقام الباهر الأنوار ، العزيز الجوار ، فواصل هذا الموضع قبل مقدم العبد عليه ، مقرراً ما نزل به ومستأذناً في الوجه الذي تعرض لطلبه ، فأذن له في مقصده . وانصرف عن التأهب للحركة من بلده . ثم لما وصل هذه الجهة وفرغ هو من شأنه أقبل متوجهاً إلى الباب الكريم ومتوسلاً بأمله إلى فضله العميم . والظاهر من حنقه على أهل أراغون وشدة عداوته لهم . وما تأكد من القطيعة بينه وبينهم ، أنه إن صادف وقت فتنة معهم ووجد مايؤمله من إحسان الأمر العالي ـ أيده الله ـ ينتهي من نكايتهم والاضرار بهم إلى غاية غريبة الآثار ، مفضية به إلى درك الثار . وكثير من زعماء أرغون ورجالها ، أقاربه وفرسانه ، وكلهم في حبله حاطب ، ولإنجاده متى أمكنه خاطب . وللمقام الكريم أعلى الرأي فيه ، أبقاه الله ، شافياً للعلل ، وكافيــاً طوارق الخطب الجلل ، مأمولاً من ضروب الأمم وأصناف الملل . وهو سبحانه يديم سعادة جده ويخصه من البقاء الذي يسر أهل الايمان ويضاعف بهجة الزمان ، بأطوله وأمده ، والسلام .

صبح الأعشى للقلقشندي ٦ / ٥٣٤-٥٣٥

٧ ـ أبو محمد عبد الله العادل ٦٢١-٦٢٤هـ / ١٢٢٤ ١٢٢٧م

٢٦٨ ـ بيان وجهه العادل لما أصبح خليفة إلى قواعد الأندلس يعد الاهتمام بشأنها ، واجتماع كلمة الموحدين على الجهاد فيها . وفيما يلي فقرة منه .

. . . وها هم بحمد الله (أي الموحدون) قد انتظم شملهم ، واتصل

حبلهم ، واجتمعت أهواؤهم ، واتفقت على إعزاز الحق آراؤهم ، وحلوا بدار الموحدين ، ومطلع الخلفاء الراشدين المهتدين حيث الجموع وافرة ، والأعداد متكاثرة . وطائفة الحق متعاضدة متظاهرة ، وذلك حلول استدعاء واستنفار ، لا حلول إقامة واستقرار ، عازمين على الجهاد . والله تعالى يمضي عزائمهم ويجبرهم على جميل معتقداتهم ، على جهاد أعداء الله الكفار . فاعملوا ـ وفقكم الله ـ على ذلك . والله يبلغكم آمالكم . والسلام عليكم .

عصر المرابطين لعنان ٢ / ٣٥٦

٢٦٩ ـ رسالة وجهها إلى العادل أخوه أبو العلاء قائد قوات الموحدين في الأندلس الذي حارب الثائر الموحدي البياسي الذي ثار في الأندلس وادعى الخلافة وهدد الأندلس ، ثم صرع بعد حرب شديدة ، وبعد أن تحالف مع النصارى ، وعادت البلاد إلى طاعة العادل .

إن المحنة بهذا البائس قد بلغت مداها ، وانقبضت بعد البسط يداها ، وانتهى الى غاية لا يتعداها . والحمد لله الذي أذل للخلافة العادلية أحد عداتها ، وأنصفها من منازعها بأداتها ، فكافر النعم تستحيل عليه نقماً . وحاجب الشمس ضوءها ، حافظاً بين ظلام وعماء . والموحدون عازمون على اتباع هذا العدو إلى أن يدعوه عقيراً ، أو يستثبتوه أسيراً ، إن شاء الله . وكتب في ربيع الأول من عام ثلاثة وعشرين وست مئة ،

عصر المرابطين لعنان ٢ / ٣٦٠ ـ ٣٦١

٨ ـ المأمون أبو العلاء إدريس

٦٢٤ ـ ٦٣٠ هـ / ١٢٢٧ ـ ١٢٣٢ م

٢٧٠ ـ أمر أصدره المأمون لجميع الحكام بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فقرات :

الحمد لله الذي جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلين يتفرع منها مصالح الدنيا والدين ـ وأمر بالعدل والإحسان إرشاداً إلى الحق المبين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم المبعوث بالشريعة التي طهرت الجيوب من الأدران ، واستخدمت بواطن القلوب ، وظواهر الأبدان ، طوراً بالشدة ، وتارة باللين ، القائل ، ولاعدول عن قوله : « ومن اتقى الشبهات ، استبرأ لدينه وعرضه » تنبيهاً على ترك الشك لليقين ، وعلى آله أعلام الاسلام المتلقين راية الاسلام باليمين ، الذين مكنهم الله في الأرض ، فأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، وفاء بالواجب لذلك التمكين .

ومن فصـــل :

وإذا كنا نوفي الأمة تمهيد دنياها ، ونعني بحماية أقصاها وأدناهـا ، فالدين أهم وأولى ، والتهمم بإقامة الشريعة وإحياء شعائرها أحقُّ أن يقدم وأحرى . وعلينا أن نأخذ بحسب ما يأمر به الشرع وندع ، ونتبع السنن المشروعة ونذر البدع . ولنا أن لا ندخر عنها نصيحة ، ولا نغبتها أداة من الأدوات مريحة ، ولنا عليها أن تطيع وتسمع .

من فصـــل :

وأول ما يتناول به الأمر النافذ ، الصلاة لأوقاتها ، والأداء لها على أكمل صفاتها ، وشهودها إظهاراً لشرائع الايمان في جماعتها . فقد قال عليه الصلاة والسلام : « أحب الأعمال إلى الله الصلاة لأوقاتها » ، وقال : « أول ما ينظر فيه من أعمال العبد الصلاة » . وقال عمر : إن أهم أموركم عندي الصلاة ، فمن حفظها ، وحافظ عليها ، حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع . وقال : لاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة . وهي الركن الأعظم من أركان الايمان ، والأس الأوثق لأعمال الانسان ، والمواظبة على حضورها في المساجد ، وإيثار ما لصلاة الجماعة من المزية على صلاة الواحد ، أمرٌ لا يضيعه المفلحون ، ولا يحافظ عليه إلا المؤمنون . قال ابن مسعود رضي الله عنه : لقد رأينا وما يتخلف عنها إلا المنافقون معلوموا النفاق . ولقد كان الرجل يؤتى يتهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف . وشهود الصبح والعشاء الآخرة شاهد بمحض الايمان . ولقد جاء : حضور الصبح في جماعة يعدل قيام ليلة . وحسبكم بهذا الرجحان . ومن الواجب أن يعتنى بهذه القاعدة الكبرى من قواعد الدين ويأخذ بها في جميع الأمصار الصغيرُ والكبيرُ من المسلمين ، ونيط في إلزامها قوله عليه الصلاة والسلام : « مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر سنين » .

وهي طويلة في معاني متعددة .

الاحاطة في أخبار غرناطة ١ / ٤٢١ - ٤٢٢

٢٧١ - بيان أذاعه الخليفة المأمون الموحدي إلى كافة الأقطار والأمصار ، لما نكث جماعة من الموحدين بيعته ، وثاروا ضده وتمركزوا في بلدة أندوجر الواقعة شمالي شرقي قرطبة على نهر الوادي الكبير وتمكن من القضاء عليهم . والبيان من إنشائه وبخط يده .

إلى الجماعة والكافة من أهل فلانة ، وقاهم الله عثرات الألسنة ، وأرشدهم إلى محو السيئة بالحسنة . أما بعد : فإنه قد وصل من قبلكم كتابكم الذي جرد لكم أسهم الانتقاد ، ورماكم من السهاد بالداهية الساد ، أتعتذرون من الجبال بضعف الحال ، وقلة الرجال . إذاً نلحقكم بربات الحجال ، كأنا لانعرف مناحي أقوالكم ، وبسوء منقلبكم ، وأحوالكم . لاجرم أنكم سمعتم بالعدو - قصمه الله - وقصده إلى ذلك الموضع - عصمه الله - فطاشت قلوبكم خوراً وعادت صفوكم كدراً ، وشممتم ريح الموت ورداً وصدراً ، وظننتم أنكم أحيط بكم من كل جانب ، وأن القضاء قد غص بالتفاف واصطفاف المناكب ، ورأيتم غير شيء فتخيلتموه طلائع الكتائب. تباً لهمتكم المنحطة ، وشيمتكم الراضية بأدْوَن خطة ، أحين ندبتم إلى حماية إخوانكم ، والذب عن كلمة إيمانكم ، نمقتم الأقوال وهي مكذوبة ، ولفقتم الأعذار وهي بالباطـــل مشوبة . لقد آن لكم أن تتبدلوا جلّ الخرصان (1) إلى مغازل النسوان ، وما لكم ولصهوات الخيول ، وإنما على الغانيات جر الذيول . أتظهرون العناد تخريصاً ، بل تصريحاً وتلويحاً . ونظن أن لايجمع لكم شتاً ، ولا يدني منكم نزوحاً . أين المفر ! وأمر الله يدرككم ، وطلبنا الحثيث لايترككم . فأزيلوا هذه النزعة النفاقية من خواطركم ولا يغرنكم الإمهال أيها الجهال (2) .

الاحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ١ / ٤٢٢-٤٢٣

---

(1) الرماح الدقيقة المرهفة .

(2) ورد نص مشابه بعض المشابهة للنص أعلاه في البيان المغرب لابن عذاري ٣ / ٢٦٦ - ٢٦٧

٢٧٢ ـ المرسوم الذي أصدره الخليفة المأمون الموحدي بإلغاء عصمة الامام المهدي مؤسس دولة الموحدين .

من أمير المؤمنين إلى الطلبة والأشراف والأعيان ، والكافه ومن معهم من المؤمنين ومن المسلمين ، أوزعهم الله شكر نعمه الجسام ، ولا عدتهم طاقة أوجه الأيام الوسام ، فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم عملاً منقاداً ، وسعداً وقاداً ، وخاطراً سالماً لايزال على الطاعة ، مقيماً من حضرة مراكش كلأها الله ، وليحق لسان قاطع ، وحكم ساطع ، وقضاء لايرد ، وباب لايسد، وظلال على الآفاق تمحو النفاق .

وبعد ، فالذي أوصيكم به تقوى الله العظيم ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، ولتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق ، وأن لامهدي إلا عيسى ، وإن جرى ماحلت اللسان لايسمى ، وما يسمي مهدياً إلا أنه لكم في المهدي[1] فتلك بدعة قد أزلناها ، والله يعيننا على هذه العادة التي تقلدناها ، وقد أسقطنا اسمه ، ولم تثبت له عصمة . فلذلك أزلنا عنه رسمه فيمحى أو يسقط ولا يثبت . وقد كان سيدنا المنصور همّ أن يصدع بما به الآن صدعنا ، وأن يرفع عن الأمة الحزن الذي رفعنا ، فلم يساعده لذلك أمله ، ولا أجّله لزواله أجله ، فقدم على ربه بنية صدق خالص الطوية . وإذا كانت العصمة لم تثبت للصحابة ، فما الظن بمن لم يدر بأي يد يأخذ كتابه ؟ بل هم ضلوا وأضلوا ، وتلفوا في ذلك وزلوا ، ماتكون لهم الحجة على تلك الحاجة . اللهم اشهد أننا تبرأنا منهم براءة أهل الجنة من أهل النار ، ونعوذ بك من أمرهم الرثيث ، وفعلهم الخبيث ، لأنهم في المعتقد من أهل النار . وإنا نقول

(١) هكذا في الاصل والمعنى غير مفهوم ولعل النص : إلا أنه تكلم في المهد .

فيهم ما قاله نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام (ربّ لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً)[1] .

المغرب عبر التاريخ ١/٣٢٠-٣٢١

٢٧٣ - رسالة أرسلها أحمد بن عبد الله المخزومي لأبي العباس بن أمية لما أخذ الاسبان بلنسية

بالله أي نحو تنحو ، وسطور تثبت أو تمحو ، وقد حذف الأصل والزائد وذهبت الصلة والعائد ، وباب التعجب طال ، وحال اليأس لاتخشى الانتقال ، وذهبت علامة الرفع ، وفقدت سلامة الجمع ، والمعتل أعدى الصحيح ، والمثلث أردى الفصيح ، وامتنعت العجمة من الصرف ، وأمنت زيادتها من الحذف ، ومالت قواعد الملة ، وصرنا إلى جمع القلة[2] .

الذيل والتكملة لأبي عبد الله الأنصاري المراكشي ١/١٥٦

٢٧٤ - رسالة القاضي أبي المطرف بن عميرة إلى أبي جعفر بن أمية لما احتل الاسبان بلنسية :

ألا أيها القلب المصرح بالوجد	أمالك من بادي الصبابة من بدّ
وهل من سلو يرتجى لمتيم	له لوعة الصادي وردعة ذي الصدّ
يحن إلى نجد وهيهات ! حرمت	صروف الليالي أن يعود إلى نجد
فيا جبل الريان لاريّ بعدما	غدت غير الأيام عن ذلك الورد

---

(١) هذا ليس كلام رسولنا عليه السلام وإنما هذه آية قرآنية وردت في القرآن الكريم على لسان نوح عليه السلام . وردت فقرات من النص أعلاه في كتاب نظم الجمان لابن القطان - م . وردت نصوص مقاربة في كل من الإحاطة لابن الخطيب ١/٤١٩-٤٢٠ ، والبيان المغرب لابن عذاري ٣/٢٦٧ - ٢٦٨

(٢) ورد نص مشابه في الإحاطة لابن الخطيب ٢/١٨٢

ويا أهل ودي والحوادث تقتضي ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ خُلوي عن أهلٍ يضاف إلى الود
ألا متعـــة يوماً بعـارية المنى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فإنا نراها كل حـين إلى الرد
أمن بعد رزءٍ في بلنسية ثوى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ بأحنائنـا كالنار مضمرة الوقد
يُرجي أُناس جُنة من مصائب ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ تطـاعن فيهم بالمثقفة الملد
ألا ليت شعري هل لها من مطالع ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ معادٌ إلى ما كان فيها من السعد
وهل أذنب الأبناء ذنب أبيهم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فصاروا إلى الإخراج من جنة الخلد

مرحباً بالسحاءة[1] ، وما أعارت أفقي من الاضاءة ، وردت تسحر النهى وتسحب ذيلاً على السها ، وتهزمه المسرة أعطافاً ، وترد من نجوم المجرة نطافاً عامت من الظلمة في موجها ، ثم غلبت الشهب على أوجهـا ، فقلب العقرب يجب ، وسهيل بداره يحتجب ، والطرف غضيض ، وجناح الطـائر مهيض ، وصاحب الأخبية يقرض ، والذابح عن ذبيحته يعرض ، ورامح السماكين تخونه السلاح . وواقع النسرين يود لو أنه يخفيه الصباح ، بلاغة تفتن كل لبيب وترعى روض كل أديب ، وتغض على رغم العدو من حبيب ، إن من البيان لسحراً . ويا أيها الجواد وجدناك بحراً ، أدريت أي بُرى بريت ، وبأي قمر اهتديت ، ليلة سريت ، افتتحت بأبياتك الحسان ، ونظمتها نظم الجمان ، فعوذت سبعتها بالسبع ، وعرفت منها براعة ذلك الطبع ، ثم نثرت على القرطاس شذور النثور ، بل من جواهر النحور ، ما استوقف النظار وبهرج اللجين والنضار ، ورأيتك استمددت ، ولك الباع الأمد ، وأعرت محاسنك ، والعارية ترد ، وجئت باللألاة ، تروق أربعتها ، وتخرس بها قمقمة الأشعار وجعجعتها فأدت من حسنها ما يسر ، واجتمع لمن روى القطعتين ما نظم فيها وهو الدر ، وأجريت خبر الحادثة التي محقت بدر الـتمام ،

---

(1) السحاءة : القرطاس المكتوب عليه .

وذهبت بنضارة الأيام . فيا من حضر يوم البطشة ، وعُزّي في أنه بعد تلك الوحشة ، أحقاً أنه دكت الأرض ، ونزف المعين والبرض [1] ، وصوح روض المنى ، وصرح الخطب وما كنى . أنى لي كيف فقدت رجاحة الأحلام ، وعقدت مناحة الاسلام ، وجاء اليوم العسر ، وأوقدت نار الحزن فلا تزال تستعر . حلم مانرى؟ بل ما رأى ذا حالم ، طوفان يقال بمده لاعاصم ، من ينصفنا من الزمان الظالم؟ الله بما يلقى الفؤاد عالم . بالله أيُّ نحو تنحو ومسطور تثبت وتمحو ، وقد حذف الأصلي والزائد ، وذهبت الصلة والعائد وباب التعجب طال ، وحال البائس لاتخشى الانتقال ، وذهبت علامة الرفع ، وفقدت سلامة الجمع ، والمعتل أعدى الصحيح ، والمثلث أردى الفصيح ، وامتنعت العجمة من الصرف وأمنت زيادتها من الحذف ، ومالت قواعد الملة وصرنا إلى جمع القلة ، وللشرك صيال وتخمط [2] ، ولقرنه في شركه تخبط وقد عاد الدين إلى غربته ، وشرق الاسلام بكربته ، كأن لم يسمع بنصر ابن نصير ، وطرق طارق بكل خير ، ونهشات حنش وكيف أعيت الرقى ، وأذالت بليل السليم يوم الملتقى ، ولم تخبر عن المروانية وصوائفها ، وفتى معافر وتمفيره للأوثان وطوائفها . لله ذلك السلف ، لقد طال الأسى عليهم والأسف ، وبقي الحكم العدل ، والرب الذي قوله الفصل ، وبيده الفضل . ربنا أمرت فعصينا ونهيت فما انتهينا ، وما كان ذلك جزاء إحسانك إلينا ، أنت العليم بما أعلنا وما أخفينا ، والمحيط بما لم نأت وما أتينا . لو أننا فيك أحببنا وقلينا ، لم ترنا من الفرقة ما رأينا ، ولم تسلط عدوك وعدونا علينا . لكن أنت أرحم من أن تؤاخذنا بما جنينا ، وأكرم من أن لاتهب حقوقك إلينا .

---

(1) البرض : الماء القليل .

(2) التخمط : التكبر والغلبة .

وأشرت ، أيها الأخ الكريم . إلى استراحة إليّ ، وتنسم لما لديّ لتبرد كما زعمت حر نفس ، وتقدح زناد قبس . وهيهات صلد الزند ، وذوى العرار والرند، وأقشع الشؤبوب ، وركد ما كان يظن به الهبوب ، فالقلم دفين لايحشر وميت لاينشر . والطبع قد نكص القهقرى ، وقل منزله أن يدعى له النقرى [1] . فما هو لايملك مبيتاً ولايجد لقلمه تثبيتاً . وأنت ـ أبقاك الله عز وجل ـ بمقتبل الآداب ، وطائر هيعة الشباب ، وأين سن السمو من سن الانحطاط ، ووقت الكسل من وقت النشاط . وقـد راجعتك لاداخلاً في حلبتك بـل قاضيـاً حق رغبتك . والله تعالى يجملك بوسيلة العلم مترقياً ، وبجنة الطاعة متوقياً ، ولهنـاء الأنفس مستقبلاً وملتقيـاً عنه ، والسلام .

نفح الطيب للمقري ١/٢٨٤ ـ ٢٨٧

٩ ـ الخليفة الموحدي الرشيد بن المأمون

٦٣٠ ـ ٦٤٠ هـ/١٢٣٢ ـ ١٢٤٢ م

٢٧٥ ـ مرسوم أصدره الخليفة الموحدي الرشيد بإسكان المهاجرين المسلمين الذين لجأوا إلى مراكش وبقية مدن الأندلس بعـد سقوط بلنسية وشقر وشاطبة بيد الاسبان ، وهو من إنشاء كاتبـه القاضي أبي المطرف بن عميرة وذلك في شعبان سنة ٦٣٧ هـ .

هذا ظهير كريم أمر به أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ـ أيدهم الله تعالى بنصره وأمدهم بمعونته ويسره ـ

(١) النقرى : الدعوة الخاصة .

للمنتقلين من أهل بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ومن جرى من ساير بلاد الشرق مجراهم ، وعراه من عبر الأيام ماعراهم ، حين أنهى ذو الوزارتين الشيخ الأجل الأكرم الأعز الأفضل ، أبو علي ابن الشيخ الأجل الأكرم أبي جعفر بن خلاص ، أدام الله تعالى أثرته وكرامته ، ما أصابهم من الجلاء ودهاهم من أمر الأعداء ، وسعى لهم سعي من يقضي فيهم ... ويلتمس لهم مكاناً للقرار ومنزلاً لإلقاء عصى التسيار . وعند ذلك أذن لهم ، أعلى الله تعالى إذنه وجدد مجده وعينه ، في النقلة إلى رباط الفتح ، عمره الله تعالى ، بقضيضهم وقضهم ، وأن يتخذوا مساكنه وأرضه بدلاً من مساكنهم وأرضهم ويعمروا فيه بدلاً يقيل منهم أولي من قبل ، ويحملهم ، إن شاء الله تعالى ، وخير البلاد ماحمل ، فإنه مناخ التاجر والفلاح وملتقى الحادي الملاح ، والمرافق من بر أو بحر ، موجودة في فصول السنة . مؤذنة لقاطنه بالمعيشة الهنية والحال الحسنية . ولهم أفضل ماعهده رعايا هذا الأمر العزيز ، أدامه الله تعالى ، من التوسعة على قويهم كي يزدادوا قوة ، والرفق بضعيفهم حتى ينال يساراً وثروة ، وأن يتوسعوا في الحرث ، ففي أرضه هناك متسع ويتبسطوا في كل مالهم منه مكافىء وبه منتفع ، ويغرسوا الكروم وأنواع ... على عادتهم ببلادهم ويتأثلوا الأملاك لأنفسهم وأولادهم وأولاد أولادهم وكل مايعمرون من الضياع ، ويقتنون من الأصول والكراع . فله حكم ... على الاطلاق والدوام ، لايلزمون فيه شيئاً من وجوه الالزام ، ولايطلبون بغير حقوق الشرع التي جعلها الله تعالى في أموال أهل الاسلام ، وأقوالهم في مقاديرها مصدقة ، وأمانيهم كلها لهم ، واللاحقين بهم محققة . والولاة والعمال ، ـ حفظهم الله تعالى ـ مأمورون بأن يحفظوهم من كل أذى يلم بجانب من

جوانبهم ، ويعوق عن مأرب صغير أو كبير من مآربهم ، وأن يكرموا غاية الإكرام ، نبهاءهم وأعيانهم ، ويولونهم من حسن الجوار ماينسيهم أوطانهم حتى تدفع عنهم كل شبهة من شبه الحيف ، ويجمع لهم بين الرعاية حرمة البلوى ، والعناية بحق الضيف ، إحتساباً منه على الله تعالى أمره وأوزع شكره ، ينسحب على جماعتهم وأفرادهم ، ويحملهم على موجب اعتلامهم بهذا الأمر العلي أدامه الله تعالى وملاه بهم . فمن وقف عليه من المكانة والعمال ، أكرمهم الله تعالى ، فليعمل بحسبه ولا يعدل عن كريم مذهبه ، إن شاء الله تعالى . وهو تعالى المستعان لارب سواه . كتب في الحادي والعشرين لشعبان المكرم من سنة سبع وثلاثين وستمئة .

عصر المرابطين لعنان ٢/٧٣٧ - ٧٣٨

١٠ - الخليفة الموحدي المرتضى أبو حفص عمر

٦٤٠ - ٦٤٦ هـ/

٢٧٦ - رسالة وجهها القاضي أبو المطرف لأحد ملوك الموحدين [يظن أنه المرتضى بالله] محرضاً على أخذ الثأر لبلنسية .

شاقه غب الخيال الوارد ... بارق هاج غرام الماجد

صدقا وعد التلاقي ثم ما ... طرقا إلا بخلف الواعد

وكلا الزورين من طيف ومن ... وافد تحت الدياجي وارد

لم يكن بعد السرى مستمتع ... فيه للرائي ولا للرائد

وشديد بث قلبٍ هائم ... يشتكيه عند ربع هامد

بالأمير المرتضى عز الهدى ... وثنى عطف المملي الواجد

وبه أصبح ماكان يرى ... حاملاً أنف الأبي الشارد

إنمـــا الفخـر لمولانا أبي زكرياء بن عبد الواحـــد
ملك لولا حـــلاه الغر لم يجر بالحمد لسان الحامـــد
ولو أن العذب أبدى رغبة عنه لم يشف غليل الوارد
فضله مثل سنى الشمس وهل لسني الشمس يرى من جاحد
قهر البغي بجـــد صادع ما تعداه وجـــد صاعـــد
إنما آل أبي حفص هدى للورى من غائب أو شاهـد
قعدوا فوق النجوم الزهر عن همم نبهن عـزم القاعـــد
وعن الإسلام ذادوا عندما فل طول العهد غرب الذائد
أي فخر عُمَري المنتمى ورثوه ماجداً عن ماجـد
ما الفتوح الغر إلا لهـــم بين ماض بادىء أو عائـــد
في محيا لا حق من سابق وعلى المـــولود سيما الوالد
وليحيى راجح الحلم الذي ترك الطود بمطفي مائـــد
عقد احسانهم تم بـــه مثل ما تم حساب العاقـــد
أيها الجامع ما قد أحرزوا جمع من همته في الزائـــد
هـذه الأمة قـد أوسعتها نظراً يكلأ ليل الراقـــد
لم تزل منك بخير طارف ريشه تالٍ قـــدامى تالد
ولهـــم منك ليوم حاضر وغدٍ رأي البصير الناقـــد
أرشـــد الله لأولى نظر بالورى رأي الامام الراشد
وتولاه بتوفيـــق الألى سعدوا من عاقد أو عاهـــد
وله في الله أوفى كافل بالذي يبقى وأكفي عاضـــد

نصر الله تعالى مولانا وأيده ، وشد ملكه وشيده ، وأبقى للفضل أيامه، وللفصل أحكامه وأظفر بأعناق الأشقياء حسامه، ووفر من اتساق النعم والآلاء حظوظه وأقسامه ، والحمد لله ثم الحمد لله على أن جعل به حرم الأمة آمنا

ووهج الفتنة ساكناً ، وأبواب الصلة والمعروف لا تعرف إلا واصلاً ، أو آذناً وتلافى فل الاسلام منه بفيآته التي منها ينتظرون الكر ، وبها يوعدون الفتح الأعز والنصر الأغر ، فهم بين جدة قبضوها ، وعدة رضوها ، وارتقاب للفتح أكبر هممهم منه درك الثأر ، وانتصاف لأهل الجنة من أهل النار . فأما الأوطان فقد أسلتهم عنها جهة تنبت العز فيما تنبته . وتنفي من الضيم ما تلك تثبته وما ذكر الساخط على المحل الساقط ، ومنازل عادت على مبانيها أطلالاً ومغانيها أمحالاً ، وللعبد حال يستقبل بها من النظر الكريم ـ أدامه الله تعالى ـ ما أعين الآمال إليه صور ، ورجاء الجمع عليه مقصور .

نفح الطيب للمقري ١ / ٢٨٧ - ٢٨٩

٢٧٧ ـ رسالة أرسلها الخليفة الموحدي المرتضى إلى البابا أنوصان الرابـــع .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله وحده .

من عبد الله عمر أمير المؤمنين ابن سيدنا الأمير أبي إبراهيم ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيدهم الله تعالى بنصره وأمدهم بمعونته . إلى مطاع ملوك النصرانية ومعظم عظماء الأمة الرومية ، وقيم الملة المسيحية ووارث رياستها الدينية البابه اينه سانس أش ، أنار الله تعالى بصيرته بتوفيقه وارشاده ، وجعل التقوى التي أمر الله عز وجل بها عدته لمحياه ومماده ، وأناله من سابق الهداية ما يفضي لمدى الغاية ، بأتم انفساحه وامتداده . تحية كريمة تراجع بها ما تقدم من تحياتكم الواردة علينا ، ويترجم لكم أرجها عما تعتمدكم به المبار لدينا .

أما بعد : فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو ، حمد من علم أنه الربّ

الواحد ، الذي دلت على وحدانيته البراهين القاطعة والشواهد ، ونزهته العقول الراجحة عن أن يكون له ولد أو يدعى أنه الوالد تعالى الملك الرحمن عما يقول المثلث والمشبه والجاحد ، ونصلي على سيدنا محمد رسوله المصطفى الكريم الذي وضحت به للنجاة المذاهب والمقاصد ، وخرقت له بظهور المعجزات الباهرة على يديه العوايد ، ونصر بالرعب ، فألقى له يد الاستسلام كل من كان يناوي ويعاند ، وعلى آله وصحبه الكرام الذين ازدانت بهم المحافل والمشاهد ، ووصلت صوارمهم في مواقف الحروب السواعد ، وانجزت لهم في استيلاء الاسلام على مشارق الأرض ومغاربها المواعد ، ونسأل الله عز وجل رضاه عن الامام المهدي المعلوم ، الذي جذبـه لدين الله تعالى الشباب المعاود ، وأهلت بهدايته بعد قفارها المعاهد وباء بالخسران الخاتل لأمره والمكايد ، وعن الخلفاء الراشدين المهتدين ، الذين تولى منهم إتمـام بدايته الامام الراشد فالراشد ، وعلت بهم لأمر الله تعالى المراقي والمصاعد وعن سيدنا الامام الطاهر أبي إبراهيم بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين الذي طابت منه العناصر والمحاتد ، واشتق من نبعة الخلافة أورق نضارة وغضارة فنتها المآثد . وزهد في الدنيا الفانية ، ورغب في الأخرى الباقية فنعم الراغب الزاهـــد .

وبعد ، كتابنا ـ كتب الله تعالى لنا حظوظاً من رضاه تزكو وتتوفر واستعملنا وإياكم بكل ما نتهيأ به لاحراز الفوز لديه ونتيسر ـ من حضرة مراكش ـ حرسها الله تعالى ـ ودين الله عز وجل عالي مسماه ومصعده ، والتوحيد حال بالظهور جيده ومقلده ، والسعي معمل في ابتغاء من الله تعالى موفقه ومسدده ، والحمد لله رب العالمين حمـداً يتوالى على الألسنة تكرره وتردده ، ونستدعي به من مزيد النعماء أفضل ما وعد به تعلي من

يشكره ويحمده . وإلى هذا يسر الله تعالى بتوفيقه إسعادكم ، وجعل في طاعته التي تعبد بها خلقه ، إصداركم وإيرادكم ، فإنه سبقت منا إليكم مراجعات عن كتبكم المؤثرة الواصلة إلينا ، وأرسلنا نحوكم من الجواب عنها ما تممنا بـه بركم ووفينا ، وعرفناكم أنا نوجب لمنصبكم الذي أبز في ملتكم على المناصب وأقر لرتبتكم فيه أهل دينكم ، بالشفوف على سائر ما لهـــم من المراتب فأنتم عندنا لذلكم بالتكرمة الحفيلة ملحوظون ، وبالعناية الجميلة محظوظون نؤكد من أسباب المواصلة لكم ما حقه أن يؤكد ، ونجـــدد من عهود الحفاية بكم ما شأنه أن يجدد . ونشكر لكم ما توالى علينا من حسن إيثاركم لجانبنا وتردد .

وفي سالف هذه الأيام انصرف عن حضرة الموحدين ـ أعزهم الله ـ البشُب الذي قد وصل بكتابكم إلينا ، انصرافاً لم يَعْدُه منـــا فيه بر وإكرام ، ولم يغبــــه فيه اعتناء به واهتمام ، كما أنه في المدة التي قضى له فيها لدينا بالمقـــام ، لم نزل نتعهده أثناءها بالاحسان والانعام ، وتحمل كتابنا إليكم تعريفاً بما اختار من انصرافه . وتوخياً في ما آثره من ذلك لاسعافه ، وما قصر له في حالي مقامه ورحيله ، ولا عدل به عن حفي البر وحفيله ، وسني المن وجزيله ، ذهاباً لتكريم إشارتكم السابقة في حقه ، وسلوكاً به من البر على أوضح طرقه . والله تعالى يرشد في كل الأحوال لأزكي الأعمال لديه ، وينجد من الأقوال والأفعال على مايقرب إليه بمنه . ومتى سنح لكم ـ أسعدكم الله بتقواه ـ أن توجهوا لها ولاء النصارى المستخدمين بـــلاد الموحدين ـ أعزهم الله ـ من ترونه برسم ما يصلحهم في دينهم ويجريهم على معتاد قوانينهم ، فتخيروه من أهل الفضل الراجح والسمت الحسن ، وممن يستلذ في النزاهة على واضح السنن ، وممن يتميز في الخدمة بالمذهب المستجاد والقصد المستحسن ، وذلكم هو الذي

إذا تعين من قبلكم مستجمعاً للصفات المذكورة ومتحلياً بالخلال المشكورة حسن في كل ما يستخدم ، وتسنى له بذلك أجزل الخير وأوفره . وأنتم تفون بهذا المقصود في ماتمملون من اختياركم متى ظهر لكم التوجيه بهذا الرسم لأحد ، وتمتمدون فيه أجمل معتمد ، وشكرنا لكم على كل ماتذهبون إليه في جانبنا من تمشية الأغراض والمذاهب ، وتحتفلون فيه من المساعدة الصادرة فيكم عن كرم الضرايب ، وتبادرون إلى بذله من المكارمة المناسبة لمالكم في نحلتكم من إنافة المناصب ، مما نكافيء بـه صدق مصادقتكم ، ونتوخى فيه ما لايعدل عن موافقتكم ، جزاءً لبركم بأمثاله ، واعتناءً بما يقضي لولائكم بدوامه واتصاله ، بحول الله تعالى وقوته ، وهو سبحانه ييسرنا لنيل الحسنى والزيادة من فضله ، ويأخذنا في ديننا ودنيانا على أقوم سبله ، ويجعلنا وإياكم بما يمنحنا من التوفيق في أول رعيل من حزب الحق وأهله بمنه وكرمه ، لارب سواه . وكتب في الثامن عشر من شهر ربيع الأول عام ثمانية وأربعين وست مئة .

عصر المرابطين لمنان ٢/٧٣٩-٧٤١

و ـ مملكة غرناطة وبنو هود ، وبنو حفص ، وبنو مرين ٦٢٥ - ٨٩٧ هـ / ١٣٣٢ - ١٤٩٢ م

٢٧٨ - رسالة أرسلها إلى ملك قشتالة أبو جميل زيان في مراودة الصلح من إنشاء أبي المطرف بن عميرة :

كتابنا إليكم - أسعدكم الله برضاه وأدام عزتكم وكرامتكم بتقواه - من مرسيه ، ونحن نحمد الله الذي لاشيء كمثله ، ونلجأ إليه في أمرنا

كله ، ونسأله أن يوزعنا شكر إحسانه وفضله ، وعندنا لجنابكم المرفّع تكرمة نستوفيها ، ومبرة ننتهي إلى الغاية فيها ، وعلمنا بمحلكم الشهير وكتابكم الخطير يستدعي الزيادة من ذلكم ويقتضيها . وقد كان من فضل الله المعتاد وجميل صنعه في انتظام الكلمة في هذه البلاد ما اكتنفته العصمة ، وكملت به النعمة والمنة ، وتيسر بمعونة الله فتح أقر العيون ، ورضيه الاسلام ، والمسلمون ، وكانت مطالعتكم به مما آثرنا تقديمه ، ورأينا أن نحفظ من الأسباب المرعية على التفصيل والجملة حديثه وقديمه . وحين ترجحت مخاطبتكم من هذا المكان ومفاوضتكم في هذا الشأن ، رأينا من تكملة المبرة ، وتوفيقة العناية التبرّة أن ننفذ إليكم من يشافهكم في هذا المعنى ، ويذكر من قصدنا ما نولع به ونعنى ، وهو فلان في ذكر السلم ومحاولتها ، ما يتأدى من قبله على الكمال بحول الله تعالى . وإن رأيتم إذا انصرف من عندكم ، أن توجهوا زيادة إلى ما تلقونه إليه من رجالكم وخاصتكم ، في معنى هذا العهد وأحكامه ، ومحاولته وإبرامه ، فعلتم من ذلك ما نرقب أثره ، ونصرف إليه من الشكر أوفاه وأوفره ، إن شاء الله تعالى ، وهو الموفق لارب سواه . والسلام الأتم عيلكم كثيراً .

صبح الأعشى للقلقشندي ٧ / ١١٦ - ١١٧

٢٧٩ - تقليد أرسله الخليفة العباسي المستنصر بالله إلى محمد بن يوسف بن هود ، لما ثار ضد الموحدين وأعلن استقلاله في الأندلس ، وأرسل إلى الخليفة العباسي يعلن ولاءه ، ويطلب أن يرسل له لواء وخلعة وتقليداً سنة ٦٣١ هـ .

توكلت على الله الواحد القهار . الحمد لله خالق الانسان من صلصال كالفخار وملك أزمة الأقضية والأقدار ، ومكور النهار على الليل ، ومكور

الليل على النهار ، المتعالي بوحدانيته عن الأشباه والأنظار ، المتنزه بكبريائه عن تمثيل الأوهام ، وتكييف الأفكار ، لاتدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، سبحانه ! هو الله الواحد القهار .

والحمد لله الذي اختار محمداً ﷺ ، من أطيب قريش عنصراً وأرومة ، وأزكاها أصلاً وجرثومة ، وأكرمها خؤولة وعمومة ، ابتعثه والكفر قد ظهر فنيقه ، والشرك قد قامت سوقه ، والضلال قد استطارت بروقه ، والشيطان قد استظهر حزبه وفريقه ، فصدع بالحق وأظهره ، ودحض الضلال ودمره ، ورفع لواء الإيمان ونشره ، وأمات الباطل وأقبره ، وأحيا الدين الحنفي وأنشره ؛ فصلى الله عليه وعلى آله الذين رفعوا منار أوامره المتبعة وعلى صحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه ، صلاة دائمة متصلة ، غير منقطعة ، ما وخدت قلوص براكب ، وأضحك الروض بكاء السحائب ، وعلى عمه [العباس] ابن عبد المطلب خير الأعمام ، وكافل الأيامى والأيتام ، وصاحب زمزم والمقام ، والمخصوص بسقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، المستنزل ببركته أنواء الغمام ، عن جدب العام ، ومن قال في حقه سيد الأنام محمد خاتم النبيين ـ عليه أفضل الصلاة والسلام « يا عم فيكم النبوءة ، والخلافة ، لاينازعكم فيها منازع ، إلا أكبه الله لوجهه ، ولا يزال الأمر في ولدك حتى يسلموه إلى عيسى بن مريم » وقال ﷺ : « إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، فمنزلي ومنزله في الجنة تجاهين ، وعمي العباس بيننا مؤمن بين خليلين . اللهم اغفر للعباس وولد العباس ، ومحبي ولد العباس ، مغفرة ظاهرة وباطنة ، لاتغادر لهم ! اللهم احفظه في ولده ، واخلفه فيهم ، واحفظ ذريته من كل سوء ، وأعزهم بعونك ، ونصرك ، مابقي منهم باق » وقال ﷺ : « يا عم لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله » وجاء في الحديث أن العباس دخل على النبي

ﷺ فخفض النبي ﷺ صوته ، فقيل له : يارسول الله ، رأينـــاك خفضت صوتك لما دخل العباس فقال : « إن جبريل أمرني أن اخفض صوتي عنده ، كما أمركم أن تخفضوا أصواتكم عندي » . وفي الحديث أن جبريل ـ عليه السلام ـ هبط على النبي ﷺ وعليه قباء وعمامة أسودان ، فقال له : « يا أخي ما هذه الصورة التي ما أراك هبطت عليّ في مثلها ؟ فقال له : شمار ولد عمك العباس ، وليأتين على أمتك زمان يعز الله فيــــه الإسلام بهذا السواد ، وسيملكون الأبيض والأحمر ، والأصفر والأخضر ، والحجر والمـدر ، والصفا والمنحر ، والسرير والمنبر ، والدنيا إلى المحشر ، والخلافة إلى المنشر ، وعليهم تقوم الساعة » .

والحمد لله الذي اجتنى من هذه الدوحة العباسية الشماء ، والشجرة الطيبة الهاشمية التي أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، إماماً ألقى ولاءه في القلوب والأرواع ، واسترعاه فوجده لأمته خير راعٍ ، وأوضح للناس من اعتقاده ، ووجوب طاعته سنناً قويماً ، وجعله كما قال عز وجل : (وكان بالمؤمنين رحيماً)(١) سيدنا ومولانا إمام المرسلين ، وخليفة الله في الأرضين ووارث الأنبياء والمرسلين ، والمفترض الطاعة على الخلق أجمعين ، الممنون بإياالته المقدسة على العالمين ، مولانا أبا جعفر المنصور ، المستنصر بالله أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ـ إمام تحلت أجياد المنـابر بجواهر شريف دعوته ، وترصعت تيجان المآثر بلآلىء معـــدلته ، وحسن سيرته ، ونزلت السكينة على العباد والبلاد بالسكون تحت وارف ظلال رأفته المقدسة ورحمته ، فالناس وادعون في كنف عميم مكارمه وعواطفه ، والخلائق راتعون في رياض جسيم مواهبه وعوارفه ، فأدام الله أيامه الزاهرة دواماً

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٣ .

يخلق أثواب الأعلام وهو جديد ، وجعل دعوته القاهرة مقرونة بالدوام ، والتخليد إلى يوم الوعيد .

ولما انتهى إلى علومه الشريفة ـ زادها الله شرفاً وقدساً ـ ماعليه مجاهد الدين محمد بن يوسف بن هود ، من سلوك سنن الطاعة ، المؤسس بنيانها على تقوى من الله ورضوان ، والتزام شروط الولاء الذي هو علامة متانة الدين ، وكمال الإيمان ، والتصدي لمقارعة الناكبين عن محجة الحق والهدى ، والتجرد لمرابطة من حاد عن السنة والاجماع ، اللذين بهما يُسترشد ويهتدى اقتضت آراؤه الشريفة المقدسة النبوية الإمامية الطاهرة ، الزاكية الممجدة المعظمة المكرمة المستنصرية ـ زادها الله جلالاً متألق الأنوار ، وشرفاً رفيع المنار ، واقتداراً تجوب جياده جنوب الآفاق والأقطار ـ أن يقلده أمر جزيرة الأندلس وما يجري معها من الولايات والبلاد ، ويسوغه مايفتتحه من ممالك أهل الشرك والعناد ، تقليداً صحيحاً شرعياً ، وتسويغاً صريحاً إمامياً ، وإنعاماً يضفو عليه لباس فخاره الفضفاض ، وتصفو لديه موارد مواهبه النميرة الحياض .

وقد أمره ـ صلوات الله عليه ـ بأوامر تهديه إلى سبيل الرشاد ، وتحظيه برضى الله الذي هو أنفع الذخائر في الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد . وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره أن يتدرع شمار تقوى الله الذي هو خير لباس ، ويستشعر خيفته التي تجعل له كما قال عز وجل (نوراً يمشي به في الناس)[1] . فإن تقوى الله تعالى هي المنجاة ممن تورد مهاوي الآثام والعصيان ، والسبب الذي يعتصم به من كان من العناية الأزلية بمكان . قال الله تعالى : (وتزودوا فإن خير

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٢ .

الزاد التقوى ، واتقون يا أُولي الألباب) (١) .

وأمره أن يجعل كتاب الله تعالى مناراً يرجع إليه في حل المشكلات ومصباحاً يستضيء براشده في الأحكام المشتبهات ، فإنه الفرقان الفارق بين الحلال والحرام ، والنور الساطع الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام قال الله تعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (٢) .

وأمره أن يعمل بسنة النبي ﷺ في مصادر أموره وموارده ، وبإجماع المسلمين في جميع مناحيه ومقاصده ، فإن اتباع السنة يرشده إلى منهج الحق وسبيله ، والإجماع يوضح له معاني كتاب الله وأحكام رسوله ، قال الله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوهُ ، وما نهاكم عنهُ فانتهوا)(٣) .

وأمره أن يكثر من مجالسة الفقهاء والعلماء ، وأرباب الديانة الصلحاء ومشاورة العقلاء الألباء ، فإن مجالسة العلماء لقاح الخواطر ، ومباشرة الصالحين فيها رادع عن اتباع الأهواء وزاجر ، ومشاورة الألباء تقدح بها زناد التوفيق في النواهي والأوامر . قال الله تعالى : (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين (٤)) .

وأمره بأن يحسن السيرة في رعيته ويسكنهم أرحب كنف من حنوه وشفقته ، ويساوي بينهم في مجالس نظره وحكومته ، لا يفرق في التفاته بين القوي والضعيف ، ولا يميز بما يقتضيه العدل والانصاف بين المشروف والشريف ، ويقوي الحكام على ما يوجبه الشرع ، ويقتضيه ، ويأمرهم بإقامة

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٧ .
(٢) سورة النحل الآية ٨٩ .
(٣) سورة الحشر الآية ٧ .
(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

القسطاس الذي يحبه الله ويرتضيه ، قال الله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكتم بين الناس أن تحكموا بالعدل [1] .)

وأمره أن يقتدي في جميع أموره وتصرفاته وحركاته وسكناته بما أمره الله تعالى في كتابه المكنون ، الذي لا يمسه إلا المطهرون ، في قوله عز وجل : (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون [2]) .

وأمره أن يعتمد في مجاهدة الكفار الملاعين ، وأحزاب الشيطان المشركين ما أمر الله تعالى به من قوله عز وجل : (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) [3] . وقوله : (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ، واعلموا ان الله مع المتقين) [4] . وقوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين [5]) .

فليكن مجاهد الدين بهذه المراشد مقتدياً ، ولمناهج أوامرها المطاعة مقتفياً ، فإنه إذا اتبع هداها وامتثل مراسمها واحتذاها ، وتمسك بعصم طاعته من أوجب الله عليه وعلى الخلائق اعتقاد مفروض طاعته ، وطوق أعناقهم بالتزام شروط موالاته وعبوديته ، سيدنا ومولانا خليفة الله في أرضه ، والقائم بسنة دينه وفرضه ، أبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ـ فازت قداحه ، وتضاعفت من أقسام السعادة متاجره وأرباحه ، فإن ذلك عند ذوي الديانات المتينة أحكم الأوامر ، وأوثق

---

(١) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٢) سورة النحل الآية ٩٠ .

(٣) سورة التوبة الآية ٧٣ .

(٤) سوره التوبة الآية ١٢٣ .

(٥) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .

العرى، والذخر الذي يجده كل موفق مسعود يوم تجد كل نفس ما عملت خير محضراً إن شاء الله، وكتبت في العشر الأوسط من ذي القعدة سنة ٦٢٩ هـ.

تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب ٢٨٠ - ٢٨٥

٢٨٠ - رسالة أرسلها الخليفة المستنصر العباسي الى ابن هود.

عن الديوان العزيز النبوي أرفع منازل السعداء الفائزين منزلاً، وأحمد مقامات الأبرار المتقين تمهداً وتأثلاً، وأسمى هضبات السعادة الراهنة يفاعاً وقللاً، وأضفى جلابيب المواهب الأزلية مدارع وحللاً، وأرحب مواطن العنايات الإلهية التي لا يبغي ذو الديانات المتينة عنها حولاً، وأعظم حيازةً فضيلة قوله عز وجل: (فأولئك لهم الدرجات العلى)[1]، هو ما أضفى الأمير الأصفهصلار الكبير، الأجل المرابط الثاغر، الغازي المجاهد، مجاهد الدين مجد الاسلام، جمال الأنام، نجم الدولة، عز الملة، معين الأمة، فخر الملوك، قامع المشركين، قاهر الخوارج والمتمردين، زعيم الجيوش شرف الأمراء تاج الخواص، أطال الله بقاءه، وأدام علوه ونعمته، باعتقاد وجوبه موارد خلوص معتقده، وأوضح بسلوك منهجه، آثار صدق يقينه، ومحصن تعبده واحتوى على قصبات رهان التوفيق بلزوم لا حب محجته، وقويم جدده ونور الله تعالى أرجاء عقيدته الصالحة بأنواره، التي هي علامة كمال توفيقه ووفور رشده، من طاعة من لا يقبل تعالى إلا بطاعته الأعمال، وموالاة من موالاته عنوان استمرار السعادة والاقبال، وتباعة من تباعته ذخر نافع يستظهر به كل ذي حظ عظيم في الحال والمآل، ومخالصته من......

تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب ٢٨٥ - ٢٨٦

---

(١) سورة طه الآية ٧٥.

٢٨١ - رسالة القاضي أبي المطرف إلى ابن هــود يهنئه بوصول تقليد الخليفة العباسي له :

أما بعد : فكتب العبيد - كتب الله تعالى إلى المقـام العلي الجاهدي المتوكلي سعادة لاتبلغ أمداً إلا تخطته ، ويداً علوها أثبتته أيدي الأقدار وخطته - من شاطبة ، وبركات الأمر الجاهدي المتوكلي ، والعهد الواثق المعتصمي ، تنسكب كالمطر ، وتنسحب على البشر ، وتقضي بمادة النصر والظفر ، وسعادة الورد والصدر ، والحمـد لله . وعند العبيد من أداء فروض الخدم ، والقيام بحقوق النعم ، ما عقدت عليه ضمائرهم ، وسمت إليه نواظرهم ، واشترك فيـه باديهم وحاضرهم ، فجناب أملهم فسيح ، ومتجر خدمتهم ربيح ، وحديث طاعتهم حسن صحيح ، وبسنى النظر العـــلي اهتداؤهم ، وفي الباب الكريم رجاؤهم ، وبصدق العبودية اعتزازهم ، وإليها اعتزاؤهم . والله تعالى ينهضهم بوظائف المثابة العلية ، ويحملهم على المناهج السوية . ووصل الكتاب الكريم متجلياً برواء الحق ، ناطقاً بلسان الصدق ، واصفـــاً من التشريف والفخار المنيف ما صدر عن إمام الخلق ، فلا بيان أعجب من ذلك البيان ، ولا يوم كذلك اليوم ، تبدى نظره للعيان ، أوتأدى خبره في أخبار الزمان ، نثرت فيه الخلع العباسية في أعلى الصور ، وبرز فيها للعيون ما يعثر البليغ عند وصفه في ذيل الحصر ، ويهدي سواده سواد القلب والبصر ، فيالمشهدها ما أعجب ما كان ، ومرآها الذي راع الكفر ، وراق الإيمان ، وأشبه يومـــه بالأندلس يوم خرجت الرايات السعد من خراسان ، وكفى بهذا فخاراً لايحتاج ثابتـه مثبتاً ، إن باشرت بُرْداً باشر البدن الذي طاب حياً وميتاً ، فهو علو في الإسناد ، لانظير له في الغوالي ، وفخار ضلت عن مثله العصور الغوالي ، وجلت بهجته أن تخلق

جدتها الأيام والليالي ، ودل الكتاب العزيز على التسمية المشتقة من الجهاد ، والسمة من سيف أمير المؤمنين بما لا يدخل في جنس ذوات الأغماد . وخير الأوصاف ماصدقه الموصوف ، والكريم النسب نسبته يباهي بها الدين وتزهى السيوف .

فإنْ نحن سميناك خلنا سيوفنا من التيه في أغمادها تبتَسم

ومما أفاده الكتاب المبهج بطيب أنبائه ، نص علاقة سيدنا - صلوات الله عليه وعلى آبائه - فإنها تضمنت صفة الله عز وجل من صفات الكمال ، ودلت على مذهب أهل السنة في خلق الله عز وجل الأعمال ، وأشعرتنا ، معشر العبيد ، بعناية سبقت بالمقام المجاهدي المتوكلي - أحسن الله تعالى إليه - حين تولى خلافة أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، فإنه لما شايعه بعزيمة مساعدة ، ونية في في مشارع الصفاء والإخلاص واردة ، ألهم زيادة في العلامة شاركت الامامة في صفة واحدة . فهذه كرامة في العلامة هي علامة الكرامة ، وهبة من مواهب الكشف يجدها من امتثل قوله : (فاستقمْ كما أُمرْتَ [1]) ، فكان من أهل الاستقامة . وتضمن الكتاب الكريم بيعة أهل جيان وما معها ، وإن هذه البشائر وما تبعها لفروع عن هذا الأصل الصحيح ، وأقيسة من هذا النص الصريح ، بأدلة الخلاف قد استقلت ، وشبهة الخلاف قد بطلت ، واضمحلت . والحمد لله على أن منح جزيل النعماء ، وشرح باليقين صدور الأولياء ، وشرف هذه الأمة بإمامة نجل الأئمة الخلفاء . وابن عم سيد الرسل وخاتم الأنبياء . والعبيد يهنئون بهذه النعم التي لايستقل بذكرها قلم ، ولا يقطع علم من وصفها إلا بدا علم وبهم من الأشواق إلى مشاهدة المعالم السنية ولثم اليمين الطاهرة العليـــة ما أكده دنو الدار وجدده ماتجدد للمقام العالي المتوكلي من نعم الله تعالى

---

(١) سورة هود الآية ١١٢

الجليلة المقدار ، والشاهدة له بإسماد الأيام وإسماف الأقدار . فلو أمكنهم الإقدام لأقدموا ، ولو وجدوا رخصة في المسير لعزموا ، وهم يستلمون البساط الأشرفي توهماً ، ومن أملهم أنهم في الحقيقة قد استلموا (١) .

نفح الطيب للمقري ١ / ٢٩٨ - ٣٠

٢٨٢ - رسالة أرسلها ابن هود إلى أهل شاطبة ، يعلن تولية ولده أبي بكر ولياً لعهده بعد سنة ٦٠٩ هـ بعد أن استلم تقليد الخليفة العباسي له .

وهو يلقب ابنه الواثق بالله ، المعتصم بالله ، وهي من إنشاء عبد الله بن الجنان ، والرسالة موجهة إلى أهل شاطبة ، وينعت فيها نفسه :

« بمجاهد الدين سيف أمير المؤمنين عبد الله المتوكل عليه ، أمير المسلمين محمد ابن يوسف بن هود »

ويخاطب الفقهاء والوزراء والقواد والأعيان والوجوه والنبهاء والكافة .

« بشاطبة وجهاتها وما انضاف اليها من جهة بيران ودانية ، وذلك من حضرتنا مرسية »

ثم بعد الدعاء للنبي عليه السلام والخليفة المستنصر يعرب عن محبته لهم ويعلن أنه اختار :

« ولي عهدنا المتولي لأمور المسلمين من بعدنا ، ابننا الأمير الموفق المبارك الميمون السعيد الرشيد ، الواثق بالله ، المعتصم بالله ، أبا بكر محمداً ، أدام الله توفيقه ، ومنحه إنجاده وعضده واسعاده ، وتملكه بجميع أمورها ، وكافة حواضرها وثغورها ، وتقدمه فيها في بلاد هي منشأه ومشيئته ومبدأه»

وأنه يوليه :

---

(١) ذكر القلقشندي في صبح الأعشى ٧ / ٩٨ - ٩٩ نصاً مختصراً ومختلفاً ببعض الاختلاف عن نصنا أعلاه .

«جميع أقطار المشرق، وبلاده وأغواره وأنجاده، تولية عامة في حياتنا مع أنه المتولي بحكم العهد الذي ارتضينا له لكل ممالكنا وطاعاتنا، وخصصنا هذه البلاد الشرقية، حاطها الله تعالى بتقديمه فيها.

عصر المرابطين لعنان ٢/٤١٣-٤١٤

٢٨٣ ـ رسالة ملك مراكش المريني أبي يوسف يعقوب الذي ملك بين سنتي ٦٥٦ و ٦٨٥ إلى الفونسو ملك قشتالة، حول رسل سلطان المماليك قلاوون.

أرسل قلاوون رسلاً إلى الفنش صاحب إشبيلية سنة ٦٨٢ هـ فوجدوه مشتبكاً في حرب مع ابنه، فضجر الرسل من طول الإقامة فطلبوا الإذن بالسفر من الملك مراراً كثيرة وهو يصبرهم، فبعث إليه أبو يوسف صاحب مراكش رسولاً يقول له:

هؤلاء القوم حضروا من جهة سلطان عظيم، وملك كريم، ولا يحسن تأخرهم عن العود لغير موجب فإما أنك تجهزهم ويرجعون، وإما أنك تسيرهم إلي وأنا أجهزهم إلى خدمته، وأحمل هذه الخدمة عنك، وأخدمهم خدمة تليق بحرمة صاحبهم.

٢٨٤ ـ جواب الفنش الى أبي يوسف عن الرسل!

إني إذا سيرت الرسل اليك لتجهزهم من جهتك يبقى علي عار عظيم. كيف يحضر إلى عندي رسل هذا السلطان الكبير، ويجهزهم غيري؟ أي شيء يقال عني؟

٢٨٥ ـ رسالة ابن الفنش للرسل

بقي الرسل في إشبيلية حتى مات الملك الفنش وحل محله ابنه العاصي

عليه فاستدعى الرسل واستفهم منهم عن الهدية ، وأراد تسفيرهم فعجز ، فأرسل اليهم يقول في رسالة :

إني الآن مابيدي شيء ، لأني ماوجدت في الخزائن شيئاً ، وسيرت أطلب من ابن الأحمر شيئاً فما سير إلي شيئاً إلى الآن ، والبلاد خراب لادخل لها وأنا أرى أنكم تتوجهون إلى طليطلة تقيمون بها حتى أجهزكم .

فأبى رسل السلطان قلاوون إلا العودة فسمح لهم بالعودة .

تشريف الأنام والعصور لابن عبد الظاهر ١١٢ – ١١٤

١ – مملكة غرناطة ٦٢٩ ـ ٨٩٧هـ / ١٢٣٢ ـ ١٤٩٢م

١ ـ أبو عبد الله محمد الثالث

٧٠١ – ٧٠٨ هـ / ١٣٠٢ – ١٣٠٩ م

٢٨٦ ـ رسالة سلطان غرناطة أبي عبد الله محمد الثالث بن محمد الثاني الملقب بالمخلوع إلى الدون خايمه ، ويسمى أيضاً دون جايم ، ويلفظ بصيغ أخرى أيضاً ، ملك أراغون وبلنسية ومرسية وكندبرجلونة [١] .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد رسوله الكريم ، وعلى

---

(١) وجدنا عدداً مهماً من الوثائق في صورة رسائل موجهة من ملوك غرناطة إلى ملوك أراغون في كتاب « الحلل السندسية في الأخبار والآثار الاندلسية » لشكيب أرسلان . ويذكر أرسلان ان الحاج محمد العربي بنونة من تطوان أهداها له وذلك نقلاً عن مجموعة رسائل وصلته من كتالونيا تحوي عدداً كبيراً من هذه الرسائل ، إلا أن تقادم العهد قد طمس اكثرها ، وعبث الأرضة جعل قراءتها صعبة متعذرة . وبعد الجهد الجهيد تمكن السيد محمد العربي مع نسـخ هذا الجزء القليل من المراسلات الكثيرة الذي اتضح له خطه وتسنى ضبطه .

آله وصحبه وسلم تسليماً ، ليعلم كل من يقف على هذا الكتاب أن الأمير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي عبد الله نصر ، سلطان غرناطة وما قة وما إليها ، وأمير المسلمين ، ننعم لكم أيها السلطان المعظم دون جايم ، ملك أراغون وبلنسية ومرسية وكندبرجلونة ، بأن نكون لكم صاحباً وفياً ، ويكون بيننا وبينكم صلح ثابت ، وصحبة صادقة ، يكون فيها أصحابكم أصحابنا ، وأعداؤكم ـ أهل قشتالة ـ أعداءنا . ونرفع الضرر والفساد عن بلادكم وأرضكم من بلادنا وأرضنا ، ولانجعل سبيلاً لأحد من ناسنا لا في البر ولا في البحر عليكم ، وإن اتفق أن صدر لأحد أو لموضع من ناسكم وبلادكم ضرر من أحد ممن يرجع إلى حكمنا ، فنحن ننصف منه بالحق الواجب ، على أن تكونوا أنتم لنا كذلك ، صاحباً وفياً كما ذكرتم في كتابكم وتلتزموا لنا صحبة صادقة ، وصلحاً ثابتاً ، وتصاحبوا كل صاحب لنا ، وتعادوا كل عدو لنا من المسلمين ، أو من أهل قشتالة ، وترفعوا الضرر والفساد عن بلادنا كلها ، وعن ناسنا في البر والبحر ، وإن اتفق أن يرجع الى طاعتنا بلد من بلاد العدوة ، أو ناس من أهلها ، فيكون حكمهم في ذلك كحكم سائر بلادنا الأندلسية ، ومتى صدر عن أحد من ناسكم أو من أهل بلادكم ضرر لأحد من ناسنا أو من أهل بلادنا الأندلسية أو التي تكون من بر العدوة ، فعليكم أن تنصفوا منه في الوقت والحين كما ذكرتم في كتابكم . وكذلك ننعم لكم بأن يصل إلى بلادنا كل من يريد الوصول برسم التجارة من بلادكم بما شاءوا من أنواع التجارات ، ويسرح لهم ما أرادوا من ذلك ويكونوا مؤمنين على أنفسهم وأموالهم ، وعلى أن ينصفوا من الحقوق الواجبة على العادة ، وينصفوا من حقوقهم الواجبة لهم في الدواوين على العادة . وعلى أن يكون أيضاً كل من يتوجه من بلادنا إلى بلادكم من التجار مؤمنين في نفوسهم وأموالهم ، ويسرح لهم في بلادكم ما شاءوا من أنواع

المتاجر ، وينصفوا من الحقوق الواجبة على العادة ، من غير إحداث زيادة ، وينصفوا من حقوقهم الواجبة لهم ، كما ذكرتم في كتابكم ، وكذلك ننعم لكم أن نعينكم على أهل قشتالة في نفاقهم معكم ، وإن اتفق أن يجيء لكم إلى مرسية صاحب قشتالة الآن ، أو مقدرته [1] فنعينكم بما نقدر عليه في ذلك الوقت ، ولا نعمل معهم صلحاً ولا مهادنة إلا برأيكم ، وفي منفعتنا ومنفعتكم وعلى أن تلتزموا أنتم بما نلتزمه نحن من النفاق عليهم ، وشن الغارات على أرضهم كلها ، ولا تعملوا معهم صلحاً ولا مهادنة إلا في رأينا ، وفي منفعتكم ومنفعتنا ، حتى تكون الحال واحدة في النفاق والاتفاق ، وعلى أن تعينونا أنتم عليهم متى احتجنا إلى إعانتكم بما تقدرون عليه ، كما ذكرتم في كتابكم. وكذلك ننعم لكم أنه إن احتجتم إلى إعانتنا في أرض مرسية بفرسان من عندنا أن نعينكم بها ، على أن يضموا في بلادكم... [2] يعطوا المأكول والنفقة من يوم خروجهم من أرضنا إلى يوم رجوعهم إليها ، وتأمروا أن تذرم لهم الدواب التي تموت لهم في خدمتكم من يوم خروجهم من أرضنا إلى يوم رجوعهم إليها، وكذلك ننعم لهم أنه إن....[2] مرسية ترده في الحين لكم وإن كان من غيرها من بلاد قشتالة ، واعترض لكم فيه . وكل موضع يرجع لكم أنتم من رئاسة قشتالة فلا اعتراض لنا نحن فيه ، إلا أن يكون من المواضع التي هي لنا وهي طريف ، و.... [2] ، وقشتال ، فإن اتفق أن ترجع هذه المواضع أو واحد منها إلى طاعة السلطان ، دون الفونش ، وأخيه الأفنت [3] دون غرانده ، أن تقفوا معنا في تكميل الشروط التي

---

(١) كذا بالاصل والمعنى غير واضح .

(٢) جملة أكلتها الارضة .

(٣) L'iufante وهو عند الاسبان الولد الثاني للملك .

بيننا وبينها، بشهادتكم عليها، وضمانكم في ردها إلينا في الحين والوقت من غير تطويل ولا مطلب، وعلى أن تمنعوا أهل بلادكم من الدخول بالتجارة إلى إشبيلية وغيرها من بلاد أعدائنا في البر والبحر، وإن دخل أحد منهم إليها يكون حكمه حكم الأعداء الذين يكون معهم، وأن يكون هذا كله ثابتاً، وتكونوا أنتم منه على يقين، أمرنا بكتب هذا الكتاب وجعلنا عليه خط يدنا وطابعنا في آخر ربيـــع الآخر عام إحدى وسبع مئة، وكتب في التاريخ.

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٨٦ ـ ٢٨٩

٢٨٧ - فصول من معاهدة تحالف وصداقة بين ملك غرناطة أبي عبد الله محمد الثالث، وخايم الثاني ملك أراغون ضد قشتالة سنة ٧٠١ هـ

هذه المعاهدة هي تجديد لمعاهدة قديمة وقعت بين الملكين عام ٦٩٥ هـ.

تنص على عقد:

« صلح ثابت وصحبة صداقة »، وأن يلتزم كل من الفريقين عدم الاضرار بالآخر على يد أحد من رعاياه وأن تكون أرجوان معادية لأعداء غرناطة، سواء من المسلمين أو قشتالة، وأن يفتح بلد كل من الفريقين لمن يقصده من تجار البلد الآخر، مؤمنين في أنفسهم وأعمالهم، وأخيراً يتعهد ملك غرناطة بمعاونة أراغون ضد ملوك قشتالة، وألا يعقد معه صلحاً إلا بموافقة حليفه ويتعهد ملك أراغون لسلطان غرناطة بمثل ما تقدم، كما يتعهد السلطان بمعاونة حليفه بفرسان من عنده في أرض مرسية إذا احتاج إلى هـذا العون، وألا يعترض سلطان غرناطة على ما يأخذه ملك أراغون من أراضي قشتالة إلا المواضع التي كانت لغرناطة، فهذه ترد إليها.

نهاية الأندلس لعنان ١١١ ـ ١١٢

٢ ــ السلطان أبو الوليد اسماعيل الأول بن فرج

٧١٣ - ٧٢٥ هـ / ١٣١٤ - ١٣٢٥ م

٢٨٨ ـ معاهدة صداقة بين السلطان إسماعيل وملك أراغون الدون خايم الثاني .

يعقد بين الفريقين صلح ثابت لمدة خمسة أعوام ، تؤمن خلالها أرض المسلمين بالأندلس ، وأرض أراغون تأميناً تاماً براً وبحراً ، وأن تباح التجارة لرعايا كل من الفريقين في أرض الآخر ، وأن يتعهد كل من الملكين بمعاداة من يعادي الآخر ، وأن لا يأوي له عدواً أو يحميه ، وأن تكون سفن كل فريق وشواطئه ومراسيه آمنة ، وأن يسرح كل فريق من يؤسر في البحر من رعايا الفريق الآخر . وتضمنت المعاهدة نصاً خاصاً يتعهد ملك أراغون بألا يمنع خروج المدجنين من أراضيه إلى أرض المسلمين بأهلهم وأولادهم وأموالهم .

نهاية الأندلس لعنان ــ ١٢٠

٢٨٩ ـ رسالة السلطان إسماعيل إلى ملك أراغون دون خايم .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمــــد رسوله المصطفى الكريم ، وعلى آله وسلم تسليماً .

السلطان المعظم الملك المرفع ، الأدني الأكرم ، المبرور المشكور ، والأخلص دون جاقمي (١) ملك أراغون ، وبلنسية ، وسردانيه ، وقرسقة ، وقمط برجلونة وصل الله عزه بتقواه ، وأسعده بطاعة الله ورضاه ، مكرم جانبه ، وشاكر مقاصده في الوفاق ومذاهبه ، وحافظ عهده ، عملاً بواجبه ، الأمير عبد الله

---

(١) يرد اسم دون خايمي في أشكال كثيرة هذا أحدها ، وذلك خلال الرسائل والنصوص الواردة هنا .

إسماعيل بن فرج بن نصر ، أما بعد : فإنا كتبناه إليكم ـ كتب الله لكم من هدايته أوضحها ، ومن عنايته المرشدة أسمدها وأنجحها ـ من حمراء غرناطة ، كلأها الله ، وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل ، والحمد لله كثيراً . وجانبكم مبرور ، وعهدكم بالوفاء محفوظ ، وقصدكم في الصحبة مشكور ، ومنصبكم في ملوك النصرانية معلوم مشهور ، وقد وصلنا كتابكم المكرم صحبة رسولكم إلينا ، شمن دي طوبنية وصحبه راجلنا أبي علي حسن الغران ، ووصل العقد الذي عقدتم على أنفسكم وارضكم بالصلح الذي يكون فيه الخير لنا ولكم إن شاء الله ، ووقفنا على ذلك العقد ، وحضر رسولكم به بين أيدينا ، وأمضينا حكم الصلح ، وكتبنا نظير ذلك العقد ، ووجهناه إليكم ، وأتى إلينا الواصلان المذكوران من قبلكم ما عندكم من الاغتباط بصحبتنا والعزم على الوفاء بما عاهدتمونا عليه ، والمقاصد الحسنة التي تليق بمثلكم من الملوك الأوفياء ، فشكرنا ذلك لكم أكمل الشكر . وإذا اغتبطتم بصحبتنا وجريتم على منهاج الوفاء في حفظ عهدنا فعندنا من الاغتباط بصحبتكم ، والحفظ لعهدكم ، ما يقتضيه حسن قصدكم فثقوا منا بذلك أكمل الثقة ، وكونوا منه على يقين ، وسبيل متين . والله يقضي الخير لنا ولكم ، وهو سبحانه . يصل إعزازكم بتقواه ، ويحملكم على ما يحبه ويرضاه ، ويوالي لكم أسباب عنايته ، ويوضح لكم طريق هدايته والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . كتب في يوم السبت السابع عشر لشهر ربيع الثاني عام أحد وعشرين وسبع مئة . عرف الله خيره وبركته بمنه وفضـــله .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٩٠ - ٢٩١

٢٩٠ - رسالة جوابية من السلطان إسماعيل سلطان غرناطة إلى الدون خايم الثاني ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليماً .

السلطان الأجل المرفع المكرم المعظم الأوفى المشكور المبرور ، الشهير الأود ذون جقمي ملك أرغون وبلنسية وسردانية وقرسغة وقمط برجلونة وصاحب هنجليزة ، أعزه الله بطاعته ويسر له أسباب رضاه وكرامته . حافظ عهده وشاكر مذهبه في الوفاء وقصده ومكرم جانبه ، ثقة بخلوص وده ، الأمير عبد الله إسماعيل بن فرج بن نصر . كتبناه إليكم من حمراء غرناطة ـ حرسها الله ـ وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الجزيل والصنع الجميل. والحمد لله كثيراً ، وجانبكم مرفع مُبرور ، وقصدكم في السلاطين الجلة الأوفياء قصد مشكور . وقد وصلتنا كتبكم المبرورة على أيـــدي النصرى الذين وجهتم ، وأنتم تقررون فيها حفظكم لعهدنا ، وثباتكم على صلحنا ، وتوفيتكم لـما عقدنا معكم ، وذلك هو الذي يليق بكم . ونحن لكم على مثل ذلك من الوقوف على العهد والحفظ للصلح ، فكونوا من ذلك على يقين . وعرّفتم بمالكم من المطالب عندنا . فمنها ماطلبتموه منا على وجه الكرامة لجانبكم ، وقضاء حاجتكم ، فنحن قد وفيناه على حسبما أردتم ، إكراماً لكم وتوفية لقصدكم ، على مايقتضيه اعتقادنا فيكم وقصدنا في قضاء أغراضكم . وعند وصول كتبكم أمرنا بسراح النصرى الذين طلبتموهم على هذا الوجه ؛ وهم : برتلمين مرتين ، الذي كان قديماً في ملكنا ؛ وهو يصلكم مع هذا الكتاب والصبي الذي أخذ في الأبركة التي أقلعت من إشبيلية ، مع أن أهل إشبيلية قد كانوا طلبوه وزعموا أنه أخذ في صلحهم ، فما أسعفنا لهم فيه

قصداً ، لأجل الشكايات التي لنا قبلهم . ولكن لما وصل كتابكم في شأنه أنعمنا بسراحه ، وهو يصلكم مع هذا الكتاب .

وأما جيله التي عرّفتم أنها أخذت بقرية البسيط ، فقد أمرنا أن يبالغ في البحث عنها وعن ولدها ، فما وجد لهما خبر ، ولكن البحث عنهما متصل ، وعسى أن يوجدا ويوجها إليكم . وكذلك كان ولدكم إلافانت الرمون برنفيل ، قد طلب أن يسرح له نصراني قديم الأسر عندنا اسمه برنفيل أرنوه فأنعمنا به وسرحناه وهو يصلكم أيضاً ووفينا قصدكم في ذلك كله لمكان صحبتكم لنا وصدق مصادقتكم . وكذلك مَرْكُه من الكرمن ، لما وصل كتابكم في شأنه أنعمنا به وأمرنا أن نحمله أرسالكم ، لكنه كان بحال مرض اشتد عليه فمات . وأما المطالب التي طلبتموها منا على غير هذا الوجه مما أخذ لكم في الصلح فتعلمون أنتم ، أيها السلطان ، أن لنا بأرضكم حقوقاً كثيرة ومطالب عدة . وقد كتبنا بها إليكم ، ووجهنا مرة بعد مرة ، ووعدتم بخلاصها والانصاف منها ، فنحن ننتظر وصول المسلمين وخلاص الشكايات ، فإذا وصلوا فنحن نسرح لكم من عندنا في مقابلتهم . فما عندنا إلا الحفظ لعهدكم وتوكيد الصحبة معكم . وعرّفتم أن ابن جندي أخذ أناساً من بلادكم وباعهم ببجاية . وهذا الشخص ليس من أرضنا ولا خدم بالأندلس قط ، فلو أنه كان من أهل الأندلس لعملنا الواجب في أمره ، ولعاقبناه أشد عقاب ، حفظاً لعهدنا كما هو الواجب . والله يصل عزتكم بتقواه ويحملكم على مافيه رضاه . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . كتب في التاسع والعشرين لذي الحجة عام أربعة وعشرين وسبعمائة .

ثم كتب في أسفل الورقة العنوان كالتالي :

السلطان الأجل المرفع الأوفي المشكور المبرور المعظم الشهير الأود

الأخلص ملك أرغون وبلنسية وسردانية وقرسفة وقمط برجلونة وصاحب هنجليز ذون جقمي ، أعزه الله بطاعتــــه ويسر له أسباب رضـاه وكرامته بمنه .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢/٢٩٢ - ٢٩٤

٢٩١ - رسالة جوابية من السلطان إسماعيل ملك غرناطة إلى دون خايم ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمـد رسوله الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

ليعلم من يقف على هذا الكتاب ويسمعـــه ، أننا الأمير عبد الله إسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة ومالقة والمرية ورندة والجزيرة ، وأمير المسلمين : لما وصلنا من قبلكم أيها السلطان المعظم ، الملك المرفع الأوفى المكرم المبرور المشكور الأخلص ذون جيقمي ملك أراغون وبلنسية وسردانية وقرسفة وقمط برجلونة ، رسولكم إلينا الفارس المكرم شمون دي طُبَيْنَة ، بالعقد الذي عليه طابعكم ، المعهود منكم الذي عقدتموه على أنفسكم بأنكم قد ثبتم معنا صحبة خالصة ومصادقة صادقة جددتم بها ما كان بينكم وبين أسلافنا ، رضي الله عنهم ، وعقدتم معنا صلحاً صحيحاً صريحاً ، مبنياً على الصفاء والوفاء ، أمضيتموه على نفسكم وعلى جميع أهل أرضكم من نصف شهر مايه الموافق للتاريخ إلى انقضاء خمسة أعوام ، وظهر لنا منكم من الاغتباط بصحبتنا ما أكد عندنا إجابتكم إلى هذا القصد ، أنعمنا بموافقتكم ومصالحتكم ، وأعطيناكم هذا المكتوب بأننا عقدنا معكم الصلح على نفسنا وعلى جميع أهل أرض المسلمين ببلاد الأندلس كلها لانقضاء خمسة الأعوام المذكورة صلحاً ثابتاً محفوظ العهـد

مؤكد العقد ، وأمضينا معكم هذا الصلح إمضاء صحيحاً ، لا يتعقب حكمه ولايتغير رسمه ، تأمن به أرض المسلمين ببلاد الأندلس وأرضكم أماناً تاماً عاماً وينكف عنها الضرر من الجانبين بطول مدة الصلح براً وبحراً سراً وجهراً ، فلا يلحق أرضكم وناسكم ولا أجفانكم ضرر من جهتنا بوجه ولاعلى حال . كما أنه لايلحق ناسنا ولاجميع أرض المسلمين بالأندلس ولا أجفاننا ضرر من جهتكم ، ولاشيء يقدح في الوفاء ، وعلى شروط تتفسر ، فمنها : أن يتردد كل من يريد التجارة من أهل بلادنا إلى بلادكم آمنين في البر والبحر ، في النفوس والأموال وجميع الأحوال ، وأن يباح لهم بيع مايريدون بيعه ، وشراء مايريدون شراءه ، وإخراج مايشترونه إلى بلادنا ، وذلك على العموم في جميع الأشياء كلها إلا الخيل والسلاح لا يستثنى غيرهما ، لاطعام ولابغال ولاسائر الدواب ولاغير ذلك . ولايزاد على أحد منهم في سوم شيء يشترونه ، بل يباع منهم بسومه بذلك الموضع ولايزاد عليهم في مغرم مخزني على ماجرت به العوائد ... بينكم وبين أسلافنا . ومثل ذلك يكون العمل على من يتردد إلى بلادنا من أهل بلادكم . وعلينا وعليكم حفظ هؤلاء المترددين وحراستهم حيث حلوا . ومنها أن تعادوا من يعادينا من أهل بلاد المسلمين ... أحداً منهم ، ولاتضموه ولاتعينوا علينا عدواً كان من كان . ومنها أن تكون أجفاننا آمنة من أجفانكم وناسكم لا ... منهم ضرر سواء كان فيها أهل بلادنا أو غيرهم من المسلمين أو النصارى فلا يتعرض لهم من جهتكم بوجه . وكذلك جميع مراسي بلادنا وسواحلها تكون آمنة من أجفانكم وناسكم سواء كان في مراسينا وسواحلنا عدو لكم أو صديق ، لايتعرض من جهتكم لمرسى من مراسينا ولا لساحل من سواحلنا ، وإن استوليتم على جفن من غير أجفان أهل بلادنا ، أو استوليتم في البحر على طائفة من

المسلمين ، وكان فيهم أحد من أهل أرضنا فتسرحون من أخذتم من أهل أرض المسلمين ببلاد الأندلس في الحين . ومثل ذلك يكون العمل معكم من جهتنا . ومنها أن لاتمنعوا من أراد الخروج إلى أرض المسلمين من المدجنين الساكنين بأرضكم بأهلهم وأولادهم ، وأن يباح لهم الوصول إلى أرضنا سالمين ، مرفوعاً عنهم الاعتراض من غير شيء يلزمهم ، إلا الغرم المعتاد على ماجرت به العادة من غير زيادة على غير ذلك . انتهت الشروط وعليها أعطيناكم عهداً صحيحاً ثابتاً ، والتزمنا الوفاء به لكم ولجميع أهل أرضكم ، فلايزال محفوظاً إلى أقصى أمده ، ماوفيتم لنا بما ذكر عنكم في هذا المكتوب ، ونجعل الله شاهداً بيننا وبينكم ، والله خير الشاهدين وقد تقيد نظر هذا بالعجمي في المكتوب الذي استقر عندنا وعليه طابعكم . ولأن يكون هذا ثابتاً وتكونوا منه على يقين ، أمرنا بكتبه وجعلنا عليه خطر يدنا ، وعلقنا عليه طابعنا توثيقاً لحكمه ، وذلك في اليوم السابع عشر لربيع الآخر عام أحد وعشرين وسبعمائة ، وبموافقة السادس عشر من شهر مايه .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢/٢٩٤ - ٢٩٦

٢٩٢ - رسالة أرسلها إلي الملك الدون خايم الثاني ملك أراغون رئيس جند غرناطة عثمان بن إدريس زمن السلطان إسماعيل بن فرج بن نصر .

كتاب إلى الدون جيمي ملك أراغون من السيد عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق رئيس جند غرناطة .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، الملك المعظم الشهير ، الأرفع المشكور

الأوفى الخطير الكبير الأود الأخلص ذون جيمي صاحب بلنسية وأراغون سردانية وقرسغة وقمط برشلونة ، أعزه الله بتقواه وييسره إلى مايحبه الرب جل جلاله ويرضاه . شاكر خلوصه وصفائه ، المثني على ثبوت عهـــده وصدق وفائه عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق ، بعد حمد الله رب العالمين المنزه عن الصاحبة والولد والشريك والمعين ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد سيد الخلق وخاتم النبيين ، وعلى جميع أنبياء الله الكرام والمرسلين ، والرضى عن الصحابة الأكرمين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، فإني كتبته لك أيها الملك المعظم ، من حضرة غرناطة ـ حرسها الله ـ ولا جديد بيمن الله إلا مايجدد إنعامه عز وجل وإحسانه والحمد لله . وجانبك مبجل على الدوام والاتصال ، وواجبك مكمل في كل الأحوال ، والثناء على جميل ولائك وصدق وفائك مردد في كل مقام ومقال . وإلى هذا فإن كتابك المرفع وصل إلي مع رسولك شمـون دي طو بينة ، في شأن عقد الصلح بين مولانا السلطان ، أيده الله بنصره ، وبينك . وقد تخلصت العقود على أكمل وجوه الاختيار ، وحصل المقصود في تأمين البلاد والعباد وكف الأضرار ، وأنا على شكر ودك وحفظ عهدك حسبما يوجبه الاعتقاد الخالص الاعلان والاسرار . وقـــد بلغني ماوجهت لي من رسولك شمون وجددت على ذلك شكر ودادك ، وعلمت صحة خلوصك واعتقادك . وظني فيك ، أيها الملك المعظم ، أن تفعل ذلك ، وغرضي أتحقق أنه ينقضي ماطالت حياتك هنالك ، فوفاؤك معلوم وقصدك في المودة مفهوم . وأنت أيها الملك الذي لايساويه أحد من ملوك النصارى شرقاً وغرباً ، ولك الوفاء الذي شهر عند جميع الناس بعـــداً وقرباً . وقد قلت لشمون في ذلك كلاماً يقربه بين يديك ويلقيه إن

شاء الله إليك ، فصدق مايقوله ، فعنده شرح ماعندي وتفصيله . والله يعزك بتقواه وييسرك لما يحبه ويرضاه . والسلام يراجع سلامك كثيراً أثيراً . كتب في الثامن عشر لشهر ربيع الآخر عام أحد وعشرين وسبعمئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢/٢٩٩ ـ ٣٠٠

٢٩٣ - رسالة من ملك غرناطة السلطان إسماعيل بن فرج إلى نائب ملك أراغون في أريولة .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

من الأمير عبد الله إسماعيل بن فرج بن نصر ، أيد الله أمره ، وأعز نصره ، إلى النائب عن السلطان ملك أراغون بأريولة . الأجل المكرم ، المبرور المشكور ، الأخلص بيره جيل قرالط ، وصل الله عزته بتقواه ، وييسره لما يحبه الله ويرضاه . كتبناه إليكم من حمراء غرناطة ـ حرسها الله ـ وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل . والحمد لله كثيراً . والبر بكم و إليكم والشكر لمقاصدكم في الوفاء ومذاهبكم... وإلى هذا فإنه بلغنا ضرر من جهة المسلمين أمرٌ لاتعتقدونه فينا بوجه ، فإننا لا نبدأ بنقض ما عاهدنا ، ولا بحل ما عقدنا ، وكونوا من ذلك على يقين . وما عهد السلطان ذون جقمي عندنا إلا أثبت العهود وأحكمها ، وقد عرفتم ... أننا لم نطلق الغارة على أرض ولد مَنْول إلا عن نكايات كثيرة صدرت لنا منها ، وبقينا نطلب منه الإنصاف من أزيد من عام ووجهنا إليه رسولاً إلى قشتالة فما أنصفنا أحد ، ولا رأينا خلاصاً ، فحينئذ انتصرنا لناسنا حسبما هو الواجب علينا . وأما السلطان ذون جقمي فما صدر لنا فيه إلا الوفاء ، ولا يصدر له منا إلا الوفاء بعهده ، والحفظ لبلاده ، فلا تشكوا في ذلك ، فاعلموه . والله سبحانه

يصل عزتكم بتقواه وييسركم لما يحبه ويرضاه ، والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . وكتب في يوم الاثنين الرابع عشر لشهر ربيع الآخر عام أربعة وعشرين وسبع مئة ، (صح هذا) .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٣٠٤ - ٣٠٥

٣ - السلطان محمد الرابع بن اسماعيل ملك غرناطة

٧٢٥ - ٧٣٣ هـ / ١٣٢٥ - ١٣٣٣ م

٢٩٤ - رسالة ارسلها السلطان محمد الرابع ملك غرناطة إلى الدون خايم الثاني ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً . السلطان الأجل ، المرفع المكرم ، المبرور المشكور ، الأوفى الأخلص ، ذون جقمي سلطان بلنسية ، وقمط برجلونة ، وصاحب قرسغة ، وصل الله عزته بتقواه ، وأسعده بطاعة الله ورضاه . مكرم دولته ، وشاكر ما أظهر من مودته ، المحافظ على عهده ، ورعي صحبته الأمير عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر . أما بعد : فإنا كتبناه إليكم من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل . والحمد لله كثيراً . وجانبكم مبرور ، وقصدكم في الصحبة معلوم مشكور ، ومحلكم في ملوك النصرانية المحل المعروف المشهور . وإلى هذا فقد وصل كتابكم المكرم على يد رسولكم إلينا ، جوان أزيق ، وقد حضر بين يدينا هو ورفيقه جقمي من قلعة أيوب ، وقررا عندنا من محبتكم في صحبتنا ، وقصدكم الجميل في حفظ عهد مولانا الوالد - قدس

الله روحه ـ ما شكرناه لكم ، وعلمنا أنه الذي يليق بمثلكم من الملوك الأوفياء . ووصلنا المكتوب الذي وجهتم بتجديد الصلح الذي كان بين والدنا وبينكم لخمسة أعـــوام من الآن . وقد جددناه نحن على حسب ما اقتضاه مكتوبكم ، والعقد بذلك يصلكم صحبة هذا . ونحن على أولنا في حفظ عهدكم ، والاغتباط بصحبتكم ، والوفاء بما عقدناه معكم . وقد وجهنا إليكم صحبة رسوليكم أربعة من النصارى من أرضكم . فقصدنا منكم أيها السلطان ، أن توجهوا الينا المسلمين الذين أخذتهم أجفانكم في سلوة ... [1] ، ثم بيعوا بميورقة ، وتعملوا في ذلك ما يقتضيه وفاؤكم الصادق ، ونحن قد أمرنا أن يبحث عما أخذ من أرضكم من النصارى في الصلح . ويعمل في ذلك ماهو الواجب . ومما نعرفكم به ، أنه في هذه الأشهر السالفة أخـذ عمر بطره أغرد من مكان أريولة شبطياً [2] في المدور ، وأخذ بطرف الغيطة اثني عشر شخصاً من أهل المرية ، فنريد منكم أيها السلطان ، أن يعز عليكم هذا الحال ، وتعملوا ما يعمـــله سلطان مثلكم ، وتوجهوا إلينا هؤلاء المسلمين ، وتأمروا رجالكم بكف الضرر عن أرضنا على المعلوم من وفائكم ، وحفظكم للعهد . والله سبحانه يصل عزتكم بتقواه ، وييسركم لمـا يرضاه . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . وكتب في الحادي عشر لجمادى الآخرة عام ستة وعشرين وسبع مئة ، (صح هذا) .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٣٠٦ ـ ٣٠٨

---

(١) هنا كلمة غير مفهومة .

(٢) الشبطي رئيس العصابة ، او الغازي على رأس مجموعة من الشجعان .

٤٩٥ ـ رسالة السلطان محمد الرابع ملك غرناطة إلى الدون خايم الثاني ملك أرغون .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى الكريم وعلى آله وسلم تسليماً ليعلم من يقف على هذا الكتاب ويسمعه أننا الأمير عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة ومالقة والمرية ورندة والجزيرة الخضراء ووادي آش وأمير المسلمين ، لما وصلنا من قبلكم أيها السلطان المعظم الملك المبرور الوفي المشكور المرفع الأخلص دون جقمي ملك أراغون وبلنسية وسردانية وقرسقة وقمط برجلونة ، رسولكم المكرم جوان أنريق الذي وجهتموه إلينا بكتابكم وبالعقد الذي عقدتموه على نفسكم وجعلتم عليه طابعكم المعهود عنكم بأنكم قد جددتم معنا الصحبة التي كانت بين والدنا ـ رحمه الله ـ وبينكم ، وعقدتم معنا صلحاً مبنياً على الصفاء والوفاء لخمسة أعوام أولها نصف شهر مايه الموافق للتاريخ أدناه ، أن جددنا معكم الصلح والصحبة ، على الفصول التي انعقدت بين والدنا وبينكم ، وأمضينا حكمه على أنفسنا ، وجميع أهل بلادنا ، إمضاء صحيحاً لا ينقض له حكم ، ولا يغير له رسم ، إلى انقضاء أمره المحدود ، يشمل حكمه البر والبحر على شروط تتفسر : فمنها أن تتردد أجفاننا إلى سواحلكم ، وأجفانكم إلى سواحلنا ، وناسنا إلى أرضكم ، وناسكم إلى أرضنا ، آمنين براً وبحراً في نفوسهم وأموالهم ، ومحفوظين محروسين حيثما حلوا ، وأينما ساروا ، لا يلحقهم ضرر لوجه من الوجوه في البر ، ولا بحر ، في سر ولا جهر ، ويباح لهم البيع والشراء في جميع الأشياء ، بسوقها المعتاد هنالك ، وإخراج ما يشترونه في إحدى الجهتين إلى أخرى ، في غير شيء يلزمهم في ذلك ، إلا ما جرت به العادة في الحقوق المخزنية ، على العادة في الصلح المتقدم ، من غير زيادة ، ما عدا الأمور التي

جرت العادة أن يمنع خروجها من إحدى الجهتين إلى أخرى ، ومنها أن لا تتطرق أجفاننا لأجفانكم ، ولا أجفانكم لأجفاننا ، في بحر ولا مرسى كان فيها من كان من عدو أو صديق ، وإن استوليتم على جفن من أجفان المسلمين أو النصارى من غير أجفاننا ، وكان في ذلك الجفن أحد من أهل أرضنا ، أو استوليتم على طائفة من المسلمين ، وكان فيهم أحـــد من أهل أرضنا ، فتسرحون من أخذتم من أهل أرضنا بأموالهم في الحين ، ومثل ذلك يكون العمل معكم من جهتنا . ومنها أن لا تتعرضوا لمرسى من مراسينا كان فيها من كان من عدو أو صديق ، ولا تتطرقوا بضرر لما في مراسينا وسواحل بلادنا ، وبحارها من الأجفان كانت لمن كانت من المسلمين أو النصارى ، ومن أي جهة كانت لا سبيل لأجفانكم عليها بوجه ولا على حال مدة هذا الصلح إلى انقضائها ، وأن لا تعينوا علينا عدواً من المسلمين ولا النصارى في بر ولا بحر ، بوجه من وجوه الإعانة ، ومثل ذلك يكون العمل معكم من جهتنا ، وفيها أنه إن هرب من أرضنا أحد خرج من طاعتنا فلا تضموه ، ولا تسرحوا له قوتاً ولا شيئاً من الأشياء ، ولا تعينوا علينا أحـداً على خالص الأحوال ، ومثل ذلك يكون العمل معكم من جهتنا . ومنها أن لا تمنعوا المسلمين المدجنين الساكنين بأرضكم من الخروج بأموالهم ، وعيالهم ، وأولادهم من غير أن يُتعسَّف عليهم في شيء . ولا أن يطلب منهم مغرم ، إلا ما جرت به العوائد في مثله من غير زيادة ، وعلى هذه الشروط أعطيناكم عهدنا ، عهداً ثابتاً صحيحاً ، والتزمنا الوفاء به إلى أقصى أمده ما وفيتم لنا بما اقتضاه هذا المكتوب من الفصول وجعلنا الله شاهداً بيننا وبينكم ، والله خير الشاهدين ، ولأن تكونوا منه على صحة ويقين أمرنا بكتب هذا الكتاب وجعلنا عليه خط يدنا وطابعنا ، شاهداً علينا في أواسط شهر جمادى الآخرة عام ست وعشرين وسبع مئة ..

إلى انقضائها . صح في تاريخه المؤرخ به .   (صح هذا) .

الحلل السندسية لشكيب ارسلان ٢ / ١٠٨ - ٣١٠

٢٩٦ - رسالة أرسلها سلطان غرناطة السلطان محمد الرابع إلى دون الفنشه [1] ملك أراغون الجديد .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسلـــيماً .

السلطان الأجل ، المرتفع المكرم ، المبرور الأوفى ، المشكور الأخلص دون الفنشه سلطان أرغون وبلنسية ، وفرسغة ، وقمط برجلونة ، وصاحب سردانية ، وصل الله كرامته بتقواه وأسعده بطاعته ورضاه ، حافظ عهده وشاكر مذهبه ، في المصادقة وقصده ، مكرم مملكته ، وشاكر قصده ، في خلوص مودته ، الحافظ لعهده وصحبته ، الأمير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر - أيده الله ونصره - أما بعد : فإنا كتبناه إليكم من حمراء غرناطه ، حرسها الله ، وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل ، والحمد لله كثيراً ، وجانبكم مبرور ، وقصدكم في الصحبة مشكور ومحلكم في ملوك النصرانيـــة معروف مشهور ، وإلى هذا فإنه توجه في هذه الأيام خمسة أشخاص من التجار من أهل بلادنا ثقة بعهدكم وركونا إلى صحبتنا معكم ، فيعرفنا أن النائب عنكم في قرابليان ثقفهم ، وثقف أموالهم ، فخاطبناكم في شأنهم ، وقصدنا منكم تسريحهم ، وتسريـــح أموالهم ، وأن تنفذوا أمركم بذلك لمن ينوب عنكم ، تحفظوا بذلك عهدنا وتقضوا لنا في ذلك ... نشكركم عليها . وهذا قصدنا منكم فعسى أن تعملوا

(١) هذا الملك هو الفونسو الرابع الاراغوني الذى تولى عرش اراغون وملحقاتها بعد وفاة والده خايم الثاني بين سنتي ١٣٢٧ و ١٣٣٦ م .

فيه ما هو المعلوم منكم ، والمضمون عنكم . والله يصل كرامتكم بتقواه ويسعدكم بطاعته ورضاه . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . كتب في الموفي ثلاثين لجمادى الأولى من عام ثمانية وعشرين وسبع مئة .

(صح هذا)

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٣٢٠ - ٣٢١

٤ـ السلطان يوسف الاول أبو الحجاج بن اسماعيل ملك غرناطة

٧٣٣ - ٧٥٥ هـ / ١٣٣٣ - ١٣٥٤ م

٢٩٦ مكرر ـ رسالة أرسلها السلطان يوسف سلطان غرناطة إلى دون بتره ملك أراغون

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

السلطان الأجل ، المرفع المكرم ، المبرور الأوفى ، الأشهر المشكور الأخلص دون بطره ملك أراغون وبلنسية وميورقة وسردانية وقرسغة وقمط برجلونة ورشليون ، وصل الله عزته بتقواه ، وأسعده بطاعة الله ورضاه . مكرم مملكته الحافظ لعهده الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة ومالقة والمرية ووادي آش وما إليها وأمير المسلمين .

أما بعد : فإنا كتبناه إليكم من حمراء غرناطة ـ حرسها الله ـ وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل . والحمد لله كثيراً ، وجانبكم مكرم مبرور ، ومحلكم في الملوك الأوفياء مشهور ، ومذهبكم في الصحبة والوفاء بالعهد معلوم مشكور ، وإلى هذا فقد وصلنا كتابكم جواباً

عن كتابنا الذي وجهناه اليكم صحبة أرسالنا ، واستوفينـــا ما ذكرتم فيه وما قررتم عندنا من أنكم أمرتم خدامكم ، وولاة بلادكم بالإنصاف من كل ما أخذ للمسلمين بعد عقد الصلح ، وذلك هو الذي يليق بسلطان مثلكم . فما زال أسلافكم الملوك يعرف منهم الوفاء بالعهد ، والوقوف في حفظ أمور الصلح على ماعقدوا عليه . وتعلمون أن هذه الشكايات التي لحقت أرضنا من ناسكم قد طال الحال فيها ، ووجهنا فيها إليكم أرسالاً ، وهم يترددون في طلبها منذ نحو من عام ، ومازال أهل بلادنا الذين لحقهم الضرر يتشكون إلينا : مرة بعد مرة ، ولا يسعنا إلا أن ننظر لهم . فقصدنا منكم ـ أيها السلطان ـ أن تعزموا في هذه الحال عزمة مثلكم من السلاطين ، وتحكموا على ناسكم بخلاص ذلك حكماً حزماً . وقد رأينا أن وجهنا إليكم بكتابنا هذا خديمنا الفارس المكرم ، أبا الحجاج يوسف بن فرج ، أكرمه الله ، فعسى أن تجعلوا معه من يظهر لكم من ناسكم يتردد معه على الجهات ، التي تعينت الشكايات فيها ، وتنفذوا لهم أمركم في ذلك بالخلاص الذي يقع به الإنصاف على أكمل الوجوه ، فإن فعلتم ذلك فعلتم ما يليق بكم ، وما نقابلكم عليه إلا بالشكر ، وإلا فلا يسعنا إلا أن ننظر لرعيتنا وجهاً يكون فيه خلاص شكاياتهم . وإذا وقع الأسترهان فلا يخفى عليكم ما يحدث في ذلك من خلل في الصلح ، وأنه لاتستقيم له ، هذا ما عندنا عرفناكم به . ونحن نرقب ما يكون من عملكم في ذلك ، والله يصل لكم بطاعته عوارف رضوانه ، ومواهب إحسانه ، والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . وكتب في التاسع عشر لشهر ذي الحجة عام ستة وأربعين وسبع مئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣

٢٩٧ - رسالة سلطان غرناطة السلطان يوسف الأول أبي الحجاج للفنشة ملك أراغون.

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

السلطان الأجل الأكرم، الأوفى المعظم، المبرور المشكور، الأخلص دون الفنشة ملك أراغون، وبلنسية، وسردانية، وقرسقة، وقمط برجلونة وصل الله عزته بتقواه، وأسعده بطاعة الله ورضاه، شاكراً البر بجانبه المثني على مقصده في الوفاء ومذهبه، الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر. أما بعد: فإنا كتبناه إليكم عن حمراء غرناطة - حرسها الله - عن الخير الأكمل، واليسر الأشمل. والحمد لله كثيراً وجانبكم مبرور، وقصدكم في الصحبة مشكور، ومنصبكم في بيت المملكة معلوم مشهور، وإلى هذا فموجبه إليكم هو أنه ما زالت الصحبة من دار غرناطة تتجدد بين أسلافنا، وإنا وقفنا الآن في العقد الذي كان قد أخذ فيه مع ملك قشتالة على إشارة إلى صلحكم، فرأينا أن وجهنا كتابنا هذا إليكم في شأن هذه القضية، فإن كان لكم في الصحبة والمصادقة غرض فنحن نغتبط بذلك، وعندنا من المساعدة لكم عليه كل ما يرضيكم فعرفونا بما عندكم من ذلك، ويصلكم بكتابنا هذا التاجر بشقلين شريجه خديمنا أكرمه الله بتقواه. وقد ألقينا إليه في توكيد المودة، ما يلقيه إليكم، وينصه عليكم. فاعلموا ذلك. والله سبحانه يصل عزتكم بتقواه، ويسعدكم بطاعته ورضاه، والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً. وكتب في يوم الأربعاء الثامن عشر لشهر المحرم مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبع مئة.

عرف الله تعالى خيره وبركته. (صح هذا).

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٣٢٤ - ٣٢٥

٢٩٨ ـ رسالة وجهها رضوان وزير السلطان يوسف سلطان غرناطة إلى دون الفونشه ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

مولاي السلطان الأجل الأكرم ، الأوفى المعظم ، المشكور الأخاص ، ذون الفنشه ملك أراغون ، وبلنسية ، وسردانية ، قرسغة ، وقمط برجلونة ، وصل الله عزته بتقواه ، وأسعده بطاعة الله ورضاه ، خديمه موفي واجب البر بجانبه ومكمل الثناء على مقاصده في الوفاء ومذاهبه ، رضوان بن عبد الله وزير السلطان ملك غرناطة ، ومالقة ، والمرية ، ووادي آش ، وما إلى ذلك .

كتبه إليكم من باب مولاه ، أيده الله ونصره ، بحمراء غرناطة ـ حرسها الله ـ وليس بفضل الله سبحانه ، ثم بنعمة مولاي أبقى الله إحسانه ، إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل ، والحمد لله كثيراً . وعن العلم بمحلكم من السلاطين الأوفياء ، والشكر لما لكم في الوفاء من المقاصد والأنحاء . وإلى هذا فموجبه إليكم هو أن الزعيم المكرم جقمي شارقة ، قريبكم اجتمع في محلة جبل الفتح ، ببعض ناس هذه المحلة النصرية ، وعرفهم بما عندكم من القصد الجميل ، في الصلح معها ، وأنه لو خاطبكم مولاي في ذلك لعملتم فيه ما يعود بتجديد الصحبة ، والمودة ، وتوكيد العهد ، وقد كتب إليكم في ذلك الكتاب الذي يصلكم ، ووجهه مع خديمه التاجر المكرم بشقلين سريجة ، وهو يصلكم بكتابه ، وإن كان لكم غرض في هذه الحال فعرفوني واعمل فيها مايكون فيه الخير للفريقين إن شاء الله . والله سبحانه يصل عزتكم بتقواه ، ويسعدكم بطاعته ورضاه ، والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً ، وكتب في اليوم الثامن عشر لشهر محرم الحرام مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبع مئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٣٢١ - ٣٢٢ .

٢٩٩ ـ رسالة السلطان يوسف الأول سلطان غرناطة إلى الدون الفونشه ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

السلطان الأجل ، المرفع المكرم ، المبرور المشكور ، الأوفى دون الفونشة ملك أراغون ، وسلطان بلنسية وصاحب سردانيه ، وقرسغة ، وقمط برجلونه وصل الله عزته بتقواه ، وبسره لما يحبه الله ويرضاه . مكرم مملكته ، وشاكر مودته ، المثني على صحبته البر بجانبه ، العارف مقاصده في الملوك الأوفياء ، ومذاهبه الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد ، اسماعيل بن فرج بن نصر . أما بعد : فإنا كتبناه إليكم من حمراء غرناطة ـ حرسها الله ـ وليس بفضل الله وسبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل ، والحمد لله كثيراً ، وجانبكم مبرور ، ومذهبكم في الوفاء مشكور ، ومنصبكم في الملوك معلوم مشهور . وإلى هذا فقد وصل كتابكم المبرور في شأن الأشخاص الذين باعهم الجنويون بالمرية ، وعرفتم أنهم من أهل أرضكم . واعلموا أننا لو عرفنا أنهم من أهل أرضكم ما سمح في بيعهم ولوجهناهم إليكم على مايوجبه الوفاء بالعهد ، فإننا ماعندنا إلا الوفاء بما عاهدناكم عليه . ولكن عند وصول كتابكم وجهنا التفسير بأسمائهم إلى المرية ، وأمرنا أن يُبحث عنهم ويُسترجعوا من أيدي من هم عنده . ونحن نعلم في ذلك مايوجبه الوفاء وما يقتضيه اعتقادنا في صحبتكم بحول الله ، فاعلموا ذلك . والله سبحانه يصل عزتكم بتقواه ، ويسعدكم بطاعته ورضاه . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . وكتب في الموفي ثلاثين لشهر جمادى الآخرة عام خمسة وثلاثين وسبع مئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢/٢٤٢-٢٤٣

٣٠٠ ــ رسالة السلطان يوسف الأول سلطان غرناطة الى الدون الهنشة ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمـــد رسول الله المصطفى الكريم وعلى . . .(١)

ليعلم من يقف على هذا الكتاب ويسمعه أننا الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة ومالقة والمرية ووادي آش وما اليها وأمير المسلمين ، لما وقفنا على عقد الصلح الذي أمضاه علينا محل والدنا السلطان الأوحد المعظم أبو الحسن(٢) ملك المغرب أيده الله ، مع السلطان المرفع ، ملك قشتالة دون الهنشة (٣) ، ومن ضمنه أنـكم أيها السلطان المعظم ، المرفع المبرور ، المشكور الأوفى الأخلص دون الهنشة ، ملك أراغون وسلطان بلنسية وسردانية وقمط برجلونة . إن أردتم إمضاء . . . والدخول فيه ، فإنه يمضي حكمه معكم . كما أمضى مع ملك قشتالة . وأردنا نحن أن نثبت هذا الصلح معكم ، خصوصاً بما عندنا من الاعتقاد في وفائـكم ، والقصد الجميل في تجديد الصحبة التي كانت بين أسلافنا وأسلافكم ، ودار بيننا وبينكم المكاتبة في ذلك ، اقتضى نظرنا أن وجهنا رسولنا الحظي لدينا ، القائد الأجل الأعز الأرفع الأمجد أبا الحسن بن كماشة ، أعزه الله ، نائباً عنا في تثبيت ذلك الصلح معكم ، وتوكيد حكمه على حسب شروطه وربوطه المذكورة ، التي انعقد عليها الصلح بحضرة فاس ــ حرسها الله ــ في عقده المؤرخ في شهر جمادى الآخرة من عام أربعة وثلاثين وسبعمئة ، المتضمن إمضاء . . . لأربعة أعوام ، أولها شهر مارس القريب

---

(١) بياض بالاصل .

(٢) هو السلطان المريني ابو الحسن علي الذي حكم بين سنتي ٧٣١ و ٧٤٩ هـ .

(٣) يلفظ الإسبان كلمة الفونس بـ : أذفنش او ألفنش واحياناً ألهنشة .

لتاريخه . فوصلنا رسولنا منكم بمكتوب عنكم وعليه طابعكم المعهود منكم مضمنه أنكم قد رضيتم بالدخول في الصلح المذكور معنا على شروطه المذكورة في عقده لانقضاء أمده ، وارتبطتم اليه ، والتزمتم حكمه عنكم وعن أولادكم وإخوتكم وزعمائكم وفرسانكم ورعيتكم في البر والبحر ، بالوفاء الخالص في السر والجهر ؛ وأنكم قد جددتم مع رسولينا (كذا) المذكور... وبما أعطيناهما (كذا) من المقر أمرنا نحن بكتب هذا المكتوب ، بأننا قد التزمنا لكم الوفاء بذلك الصلح على حسب فصوله وإلى آخر مداه ، بنية صادقة وصفاء طوية في السر والجهر ، وأعطيناكم عهد الله وميثاقه على الوفاء به إلى أقصى أمده ، براً وبحراً عن نفسنا وعن قوادنا وخدامنا وجميع أهل مملكتنا ، لاننقض له حكماً ولا نغير له رسماً . ولأن يكن هذا ثابتاً وتكونوا فيه على صحة ويقين ، جعلنا عليه خط يدنا وعلقنا عليه طابعنا شاهداً علينا والله خير الشاهدين . وكتب في آخر شهر ذي القعدة من عام خمسة وثلاثين وسبعمئة عرف الله تعالى خيره وبركته بمنه وجوده وطوله فيه (على بشر التي انعقد عليها الصلح بحضرة فاس حرسها الله صحيح منه ، وفي تاريخه) . (صح هذا)

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٣١١/٢-٣١٣

٣٠١ - رسالة وجهها وزير السلطان يوسف الأول ملك غرناطة رضوان إلى دون الفونشه ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

مولاي السلطان الأجل ، المعظم المرفع الموقر ، المبرور المشكور ، الشهير الأوفى ذون الفنشه ، ملك أراغون وبلنسية وسردانية وقط برجلونة

وصل الله عزته بتقواه ، وأسعده بطاعة الله ورضاه . معظم سلطانه وموقر مكانه وزير السلطان ، أيده الله ونصره ، رضوان بن عبد الله كتبه إليكم من باب مولاه بحمراء غرناطة ـ حرسها الله ـ ولا زائد بفضل الله ، ثم ببركة أيام مولانا ، أدام الله إحسانه إلا الخير الأكمل واليسر الأشمل ، والحمد لله . وعن التعظيم لسلطانكم والتوقير لمملكتكم ومكانتكم . وإلى هذا فقد وصلني كتابكم المعظم صحبة رسول مولانا ـ أيده الله ـ إليكم القائد الأجل أبي الحسن بن كماشة ـ أعزه الله ـ تقررون معتقدكم الجميل . وقد شكرت ذلك أبلغ الشكر ، وعرفت ماعندكم من القبول والعناية والكرامة ، وقابلت ذلك بما يجب من الثناء عليكم . واعلموا أنني لا أزال أؤكد العهد بين مولاي وبينكم ، وأثبت الود وأعمل في ذلك ما أوفي به حق خدمته ، وكرامتكم حسب الواجب علي . وقد ألقى إلي القائد أبو الحسن ـ أعزه الله ـ في ذلك ما وافق مقتضى كتابكم ووصل صحبته رسولكم الحظي لديكم ، المكرم المبرور المشكور رَمون بيل ، وحضر بين يدي مولاه ـ أيده الله ـ وأوصل هديتكم إلى مولاي ووقف عليها واستحسنها ووقعت عنده أحسن موقع ، وشكر قصدكم في ذلك . وكذلك وصل ماتفضلتم إلى معظم مجدكم ، فقابلت سلطانكم بالشكر الجزيل والثناء الجميل ، وسرتني عنايتكم وحسن اعتقادكم ، وما معظمكم إلا على مايرضيكم ، من الاعتقاد فيكم ، فكونوا من ذلك على يقين ، وقد ألقيت ذلك إلى رسولكم المذكور ما يلقيه إليكم في هذا المعنى ، والله تعالى يصل عزتكم بتقواه . ويسعد سلطانكم بطاعته . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . كتب في السابع والعشرين لذي القعدة من عام خمسة وثلاثين وسبعمئة ، عرفنا الله بركة اختتامه بمنه وكرمه .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢/ ٣٢٢-٣٢٣

٣٠٢ - رسالة وجهها رضوان وزير السلطان يوسف الأول سلطان غرناطة إلى الدون الهنشة ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

مولاي السلطان المعظم ، المرفع المبرور ، الأوفى المشهور الكبير الشهير دون الهنشه ملك أراغون وبلنسية وسردانية وقمط برجلونة ، وصل الله عزته بتقواه وأسعده بطاعته ورضاه . معظم سلطانه ومكرم جانبه الشاكر لمقاصده في الوفاء ومذاهبه ، الحافظ لعهده ، المثني على غرضه في صحبة مولاه وقصده وزير السلطان - أيده الله - رضوان بن عبد الله كتبه اليكم من الباب الكريم أسماه الله بحمراء غرناطة - حرسها الله - وليس بفضل الله سبحانه ثم ببركة الدعاء لمولاي ، أيده الله ونصره وأسعده وظفره ، إلا الخير الأكمل واليسر الأشمل . والحمد لله كثيراً ، وجانبكم معظم مبرور ، وقصدكم في الوفاء معروف مشكور ، وقدركم في ملوك النصرانية معروف مشهور ، وموجبه اليكم هو أن الواصل اليكم بهذا الكتاب . وجهه مولاي السلطان أيده الله برسم إيصال الأسرى المأخوذين في الصلح الذين وقع الكلام فيهم مع رسولكم المكرم دون رامون بيل ، مقصد مولاي أيده الله، منكم أن تتفضلوا بتسريحهم وتوجيههم معه ، يكون ذلك مما يشكره من أعمالكم ، وأنتم تفعلون في ذلك مايقتضيه وفاؤكم المشكور وقصدكم المبرور . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . وكتب في اليوم الخامس عشر لذي الحجة مختتم عام خمسة وثلاثين وسبعمئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢/ ٢٣٥-٢٣٩

٣٠٣ - رسالة أرسلها وزير السلطان يوسف الأول سلطان غرناطة علي بن كاشة الى دون هنشة ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم وعلى آله وسلم تسليماً .

مولاي السلطان الأجل المكرم المعظم المرفع المبرور الأوفى المشكور الشهير الكبير الخطير دون الفونشه ملك أراغون وسلطان بلنسية وسردانية وقمط برجلونة ، وصل الله إعزازه بتقواه وأسعده بطاعته ورضاه . معظم جانبه ، ومجل سلطانه ، الباذل في خدمته جهد إمكانه ، الشاكر لنعمته العارف بسمو مملكته علي بن كماشة كتبه إليكم من باب مولانا أيده الله ، بحمراء غرناطة حرسها الله ، وليس بفضل الله سبحانه ، ثم بنعمة مولاي أدام الله أيامه ، إلا الخير الأتم واليسر الأعم ، وعن التعظيم لمملكتكم والمسارعة لخدمتكم ، والشكر لنعمتكم . وإلى هذا وصل صحبة معظم ملككم رسولكم وخديمكم المكرم ريمون بيل إلى حضرة مولانا أيده الله وحضر بين يديه وأدى رسالته ، وأظهر من حسن آدابه ومقاصده في خدمتكم ما هو اللائق بأمثاله ممن تربى في داركم ، ونشأ في خدامكم ، واستحسن مولاي أيده الله قصده في ذلك . وجدد من مودتكم وصحبتكم ماتقفون على شرحه في كتابه إليكم . وأما معظم جانبكم فعمل في خدمتكم مايجب عليه ، وألقيت لمولانا ـ أيده الله ـ مالكم فيه من المحبة والمودة ، وشكرها لكم أتم الشكر . وعملت أيضاً في خدمة ولدكم مولاي المعظم ، دون بطره الكبير أسعده الله بطاعته ، ما يجب . وقد كتب له مولاي أيده الله كتاباً بالصحبة والمودة . ومن خديمكم ريمون المذكور تتعرفون ماعملت في ذلك كله . ومنه تتعرفون أيضاً جميع الأخبار ، وكرامة مولاي ، أيده الله ، له وعنايته به . ومما أعرف به سلطانكم أني كنت طلبت من إنعامكم كسوة من لباسكم وأخبرني الزعيم المكرم برناط شرمي أنكم أصدرتم أمركم بذلك وأنعمتم

به ، معظم جانبكم ينتظر ذلك . وأخبرني أيضاً أنكم أمرتم لي ببازي ، وأنا أنتظر ذلك أيضاً ، وأذكركم . . . ويصلكم يامولاي القوسان اللذان قلت لكم عنهما صحبة رسولكم ريمون بيل المذكور ، وما أنا إلا خديمكم ومقر نعمتكم ، فما كان بجانب سلطانكم أعمل فيه مايجب علي . والله سبحانه يصل إعزازكم بتقواه ويسمدكم بطاعته ورضاه . والسلام يراجع سلام مولانا كثيراً أثيراً ، وكتب في اليوم الخامس عشر لذي الحجة مختتم عام خمسة وثلاثين وسبع مئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢/٢٣٩-٢٤٠

٣٠٤ - رسالة وزير سلطان غرناطة يوسف الأول علي بن كاشة إلى دون بطره الولد الأكبر لدون هنشه ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله .

مولاي ، الأفنت الكبير ، الأعز المرفع ، المبرور المشكور ، دُذنْ بِذْرُه ، أدام الله لنا أيامكم ، ووصل هدايتكم وإكرامكم ، يسلم عليكم مقبل يديكم وخديمكم عليْ بن كاشة من باب مولانا أيده الله ونصره ، وليس بفضل الله سبحانه ، ثم ببركة أيام مولانا ، أدامها الله ، إلا الخير واليسر ، والحمد لله كثيراً ، الذي وجب بـــه تعريفكم أنه وصل خديمكم رمون بويل وقضى رسالته كما يحب ، وعمل أعمال الفرسان الجياد وأدخلني في محبتكم وخدمتكم وأنا يامولاي عملت في خدمتكم مايعرفكم به خديمكم رمون بويل . وتكلم أيضاً رمون بويل مع مولانا نصره الله ، وفي حق أن تلك الدار وهذه الدار واحدة . فترى يصلكم كتاب مولانا السلطان ، وهو كتاب محبة وصحبة . وترى يصلكم يامولاي قوس أفرنجي . وكذلك يامولاي نقبل يد مولاي الأفنت أخيكم ذن جيميه . وكذلك يصل له قوس أفرنجي ، وذلك يامولاي

في حقكم . ومعاد السلام عليكم ورحمة الله وهدايته . وكتب بتاريخ الخامس عشر لشهر ذي الحجة من عام خمسة وثلاثين وسبع مئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢/ ٣٢٣

٣٠٥ - رسالة سلطان غرناطة السلطان يوسف الأول بن إسماعيل إلى دون بتره ملك أراغون .

الحمد لله حق حمده ، وصلواته على سيدنا ومولانا محمد ، نبيه وعبده .

وصل الله عزتكم بتقواه ، وأسعدكم بطاعته ورضاه . ألقى إلينا رسولكم ريمون بيل الشكايات لأهل أرضكم فكان في جملتها قضية الفيلوك[1] الذي أخذه أهل المرية في العام الفارط ، وقد خلصت قضيته ، ورد إليكم بآلاته كلها ، وكل ما كان فيه من سلع كانت قد بيعت بالمرية فنقد ، لصاحبها ثمنها بديوان المرية وتخلص منه ، وقضية ابن الحسين صاحب الشيني الذي ذكرتم أنه تعرض لأرضكم في الصلح قد بحث عن جميع ما أوصله ، وذلك جفنان اثنان، كان أحدهما قد استقر بمالقة والآخرة ببيرة ، وقد مكن منها أصحابها الواصلون عنها ، واستقصى البحث عن كل ما أوصله من النصارى ، وكانوا سبعة عشر ، وجهوا كلهم بجملتهم مع رسولكم ، وهم يصلونكم ، وقد كان وجه من النصارى قبل ذلك مع القائد أبي الحسن ابن كماشة ثمانية عشر .

وأما السلع فما وجد منها قبضه أصحابه الواصلون من قبلكم ، واعلموا أن الرئيس ابن الحسن الذي صدر عنه ماذكرتم كان قد كتب في شأنه محل أبينا السلطان المعظم الأوحد ، أمير المسلمين أبو الحسن ، أيده الله ليوجه إليه هو وكل ما وصل به . وقد وجه إليه هو والأعلاج الذين ... في حركته الأخيرة ، وجميع ما وصله ، فإن كان نقصكم شيء مما أخذه فأنتم

---

(١) الفيلوك : مصغر فلك .

تكتبون في ذلـك إلى المقام العالي، أسماه الله، ونظره أجمل. وما أوجب الإبطاء بتوجيه ذلك كله، إلا أنه قرر عندنا أن الأعلاج المذكـورين، والسلع من أرض الحرب. فلما وصل كتابكم صدقناكم في ذلك، وأمرنا برد جميع ذلك كله، وتسريحه بجملته، تصديقاً لقولـكم، وتوفية لقصدكم والله يصل سعادتكم بتقواه، ومعاد السلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً، كتب في الرابع لذي الحجة مختتم عام خمسة وثلاثين وسبع مئة.

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٤٠ - ٢٤١.

٣٠٦ - رسالة السلطان يوسف الأول بن إسماعيل سلطان غرناطة إلى دون بتره ملك أراغون.

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم وآله وسلم تسليماً.

السلطان الأجل الأكرم، المرفع المبرور المشكور، الأوفى الأخلص دون بطره ملك أراغون، وسلطان بلنسية، وقرسفة، وسردانية، وقمط برجلونة، وصل الله عزتـه بتقواه وأسعده بطاعته ورضاه. مكرم جانبه وشاكر مقاصده في الصحبة ومذاهبه الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة، ومالقة، والمرية، ووادي آش وما إليها، وأمير المسلمين، أما بعد: فإنا كتبناه إليكم من حمراء غرناطة -حرسها الله- وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل، والبشر الأشمل، والحمد لله كثيراً ونحن نعلم ما لكم في ملوك النصرانية من القدر المشهور، والوفاء المشكور ونقابل جانبكم من الكرامة، بالحظ الموفور، وقد وصلنا الكتاب الذي وجهتم إلينا، الذي يتضمن تثبيت العهد، وتوكيد الود، وتصحيح العقد وإخلاص الصفاء، وتجديد الوفاء، فقابلنا ذلك بشكره، نجده لمملكتكم.

وإخلاص صادق في صحبتكم، ثم إنه بلغنا أن والدكم السلطان المرفع دون الفونشو مات وأنكم ورثتم مملكته التي أنتم أحق بها، فرأينا أن وجهنا كتابنا هذا إليكم، نعزيكم في الوالد، ونهنيكم بالملك، حسبما يقتضيه حق الصحبة التي بيننا التي تأكد رسمها، ونعرفكم أننا ما عندنا إلا ما يرضيكم من الاعتقاد فيكم، والحفظ لعهدكم والشكر لقصدكم، فكونوا من ذلك على يقين، ومما نعرفكم فيه أن خديمنا بشقلين سريجة، كتب إلينا في أمور مما يخص جهتكم، وقد كتبنا إليه في جوابها ما تتعرفونه من قبله، فصدقوه فيما يلقيه عنا إليكم، واعلموا أنه لما وصلنا خبر موت والدكم كتبنا إلى بلادنا الشرقية كلها أن لا سبيل لأن يتطرق لجهة أرضكم أحد بضرر، والله تعالى يصل عزتكم بتقواه ويسعدكم برضاه. والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً. كتب في السابع والعشرين لجمادى الآخرة عام ستة وثلاثين وسبع مئة، عرف الله بركته.

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٤١ - ٢٤٢.

٣٠٧ - رسالة وزير السلطان يوسف الأول بن إسماعيل سلطان غرناطة رضوان بن عبد الله إلى دون بتره ملك أراغون

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

مولاي السلطان المعظم الأجل المكرم المرفع الأوفى الأشهر المبرور المشكور دون بطره سلطان أراغون وبلنسية، وسردانية، وقرسقة، وقمط برجلونة، وصل الله عزته بتقواه، وأسعده بطاعته ورضاه، معظم ملككم الشهير الزكي القائم لجانبكم المعظم بموصول الثناء ومستمر الشكر، وزير السلطان رضوان بن عبد الله، كتبه إليكم من باب مولاه، أيده الله، بحمراء غرناطة، حرسها الله، ولا جديد

بفضل الله سبحانه، ثم ببركة هذا الأمير الكريم، أيد الله سلطانه، إلا الخير العميم، والحمد لله. وعن العلم بما لكم من الملك، المرفع الجانب والشكر لما عندكم من الوفاء، الذي حصلتم منه على أجل المواهب، واختصصتم منه بأكرم المذاهب، ووصل كتابكم المكرم صحبة كاتبكم إلى مولاي السلطان، أيده الله، بتجديد الصلح الذي كان بين أسلافه وأسلافكم الذي عقده عليه بشقلين سريجة، وقد أنعم بكتب عقد عن مقامه بنص العقد الذي وجهتم وعلى حسب فصوله، وما عنده، أيده الله، إلا الحفظ لعهدكم والارتباط لصحبتكم فكونوا من ذلك على يقين، واعلموا أنني لا أزال أعمل في توفية حفظ ذلك الصلح، وتكميل أموره وما هو الواجب عليَّ في خدمة مولاي، أيده الله حتى تتمشى الأمور على ما يقتضيه الحق ويوجبه الوفاء. وأما ما ذكرتم من اعتقادكم الجميل وكرامتكم، فذلك فضل منكم أشكركم عليه غاية الشكر. ومثلكم من الملوك الكبار من يصدر عنه قول الخير وفعله، والله تعالى يصل عزكم بتقواه ويسعدكم بطاعته ورضاه والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً، كتب في اليوم الرابع لذي الحجة عام ستة وثلاثين وسبع مئة.

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٤٣ - ٢٤٤

٣٠٨ - رسالة السلطان يوسف الأول بن إسماعيل ملك غرناطة إلى دون بتره ملك أراغون.

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

السلطان الأجل، المرفع المكرم، المبرور المشكور، الأوفى الأخلص، دون بطرة ملك أراغون، وسلطان بلنسية، وصاحب سردانية، وقمط برجلونه، وصل الله عزته بتقواه، وأسعده بطاعة الله ورضاه، مكرم جانبه، وشاكر

مقاصده في الوفاء ومذاهبه ، حافظ عهده والبربه ، العارف بمحله في الملوك ومنصبه ، الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر . أما بعد : فإنا كتبناه إليكم من حمراء غرناطة - حرسها الله - وليس بفضل الله إلا الخير الأكمل ، واليسر الأمثل ، والحمد لله كثيراً ، وعن الحفظ لعهدكم والثناء على مذهبكم في الوفاء وقصدكم ، والعلم بمنصبكم في ملوك النصرانية ، ومجدكم وإلى هذا فقد وصلنا كتابكم جواباً عما كتبناه إليكم ، في شأن الضرر الذي لحق بلادنا من أرضكم ، تذكرون أن ذلك الضرر لا علم عندكم به ، وحاشا لله أن يعتقد فيكم إلا الوفاء ، الذي يليق بمملكتكم وسلفكم ، فمثلكم من الملوك الكبار لا يعتقد منه إلا الوفاء والصدق وما ذلك الضرر إلا من أهل الأرض . وأكثره من الناس الخارجين عن طاعتكم من لقنت وأريولة ، والأرض التي لنظر بطره شارقة ، ومع ذلك فإنه ضرر كبير . ومنه ما هو من البلاد التي تحت طاعتكم . ففي هذه الأيام أضر بهذه السواحل شيني ، وحمل من المسلمين حملة ... [1] بلنسية . فالقصد منكم أن تنظروا في هذا الحال بما هو المعلوم من وفائكم وغيرتكم على عهدكم ، حتى تجدوا ما أخذ من المسلمين وأموالهم ، وعرفونا بما عندكم في قضية تلك البلاد التي خرجت عن طاعتكم لنعلم مذهبكم في ذلك ، ونبني عليه ، وعرفتم بأنكم قد كتبتم إلى ميورقة ، ليوصل إليكم منها المفسدون الذين خرجوا على عهدكم ، وأضروا بالمسلمين لتعملوا في قضيتهم الواجب ، وذلك هو الذي يليق بكم ونشكركم عليه ، ووقفنا في آخر كتابكم على فصل طلبتم منا فيه أن نعرفكم مذهبنا في الصلح ، فإنكم صعب عليكم ما تضمنه كتابنا ، وأنه لا صبر على هذا الضرر ، فاعلموا أن قصدنا بما كتبناه إليكم ما هو إلا ... [1] في ذلك الضرر .

---

(١) جملة لم نتمكن من قراءتها .

وأما ما عقدناه من الصلح فنحن نوفي به على حسب ما اشترطناه ما وفيتم لنا، أيها السلطان، فكونوا من ذلك على يقين. والله سبحانه يصل عزتكم بتقواه، ويسعدكم بطاعته ورضاه، والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً. وكتب في يوم الخميس الثالث والعشرين لشهر محرم مفتتح عام ثمانية وثلاثين وسبع مئة.

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٣٠ - ٢٣٢

٣٠٩ - رسالة أرسلها سلطان غرناطة يوسف الأول : أبو الحجاج إلى الدون بتره ملك أراغون وكتلونية :

بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً السلطان الأجل، المرفع المكرم المبرور المشكور. الأوفى الأخلص، دون بطره ملك أراغون، وسلطان بلنسية، وسردانية وقرصقة، وقمط برجلونة. وصل الله عزته بتقواه، وأسعده بطاعة الله ورضاه. مكرم جانبه، وشاكر مقاصده، في الوفاء ومذاهبه، الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل ابن فرج بن نصر سلطان غرناطة، ومالقة، والمرية، ووادي آش وما يليها. أما بعد: فإنا كتبناه إليكم من حمراء غرناطة - حرسها الله - وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل، واليسر الأشمل، والحمد لله كثيراً. وعن العلم بمحلكم في الملوك الأوفياء. والشكر لما لكم في الصحبة من المذاهب، والأنحاء، وإلى هذا فموجبه إليكم هو أنه حدثت شكايات في هذا الصلح رفع إلينا فيها أهل بلادنا وطلبوا خلاصها، فاقتضى نظرنا أن وجهنا إليكم كتابنا هذا صحبة سفير بها، ومن هذه الشكايات ما صدر عن أهل بلادكم من أخذ أسارى، وحملهم إلى أرض غير

أرضكم ، وبيعهم لهم بها ، ونحن نعلم أنكم أوفى ملوك النصرانية ، وأنك ما عرفت إلا بالوفاء قديماً وحديثاً ، فقصدنا منكم أن تعملوا في هذا الحال ماتقتضيه غيرتكم على عهدكم ، ومحلكم من الوفاء ، وتأمروا بخلاص الشكايات على الوجه الذي يقتضيه نظركم ، ويكون ذلك مما نشكره من أعمالكم ، ونزداد به علماً بوفائكم ، وحسن مصادقتكم . وقد وجهنا إليكم برسم هذه الشكايات مملوك جانبنا القائد بشيراً ، ومعه أُقَيْن ولد خديمنا وخديمكم بُشْقلين شرنجة ، وأنتم تفعلون ما هو اعتقادنا فيكم وما نعلمه من مقاصدكم في الوفاء ومناحيكم . والله سبحانه يصل عزتكم بتقواه ويسعدكم بطاعته ورضاه . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . وكتب في اليـــوم الرابع والعشرين لشهر محرم مفتتح عام سبعة وثلاثين وسبع مئة . عرّف الله خيره .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٢٩ ـ ٢٣٠

٣١٠ ـ رسالة السلطان يوسف الأول بن اسماعيل ملك غرناطة إلى الدون بترة ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً . السلطان الأجل ، الأوفى الأخلص ، المبرور المشكور ـ المرفع المكرم ـ دون بطره ملك أرغون ، وبلنسية وميورقة ، وسردانية ، وقرسقة ، وقمط برجلونة ، وصل الله عزته بتقواه ، ويسره لما يحبه ويرضاه . مكرم دولته ، البر بجانبه ، الشاكر لمقاصده في الوفاء ، ومذاهبه الأمير عبد الله بن أمير المسلمين ، أبي الوليد إسماعيل بن فرج ابن نصر سلطان غرناطة ، ومالقة ، والمرية ، ووادي آش ، وما إلى ذلك وأمير المسلمين . أما بعد : فكتبناه إليكم من حمراء غرناطة ـ حماها

الله ـ وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، وجانبكم مبرور ، ومحلكم في ملوك النصرانية معلوم مشهور . وإلى هذا فموجبه إليكم هو أن شخصين من أهل المرية . يعرف أحدهما بعلي بن بكرون الصائغ ، والآخر بسعيد بن أحمد الحجام أخذا في جفن الرخاج وهما خارجان من مالقة ، وثبت عندنا عقد صحيح أنهما أخذا في نصف شهر صفر الفارط قريباً ، ونصف صفر موافق للسابع والعشرين ليونيو المتصل بشهر مايو . وصلحنا معكم عقد بتاريخ الرابع عشر من الشهر العجمي المذكور ، فظهر من ذلك أنهما أخـــذا بعد عقد الصلح باثني عشر يوماً . وهذان المسلمان وصل بهما إلى المرية نصراني من بلنسية يروم فداءهما ، فرفع إلينا قرابتهما وعرفونا أنهما أخذا في الصلح ، فرأينا إن حكمنا على قرابتهما بأداء الفدية للنصراني ، ثقة بأنكم تخلصون القضية ، وتحكمون على من اشتراهما أو باعهما بعد أخذهما في الصلح بغرم مايجب ذلك . فغرضنا منكم أن تعملوا في هذه القضية ماهو المعلوم من وفائكم ، حتى يخلص قرابة الأسيرين من الفدية التي غرموها بغير حق تعملوا في ذلك واجب الوفاء الذي نشكره لكم . والله يصل عزتكم بتقواه وييسركم لما يحبه ويرضاه . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . كتب في الثامن والعشرين من شهر رجب الفرد عام خمسة وأربعين وسبع مئة .

ملاحظـــة :

الحق بنص هذه الرسالة سطران بخط مغاير لخط الرسالة الأصلية ، وهو دونه في الحسن ، ويعتقد أنهما خط سلطان غرناطة نفسه ونصهما كما يـلي :

والفدية التي افتكوا بها ، وحكمنا عليهم بغرمها للنصراني الذي أوصلهم

هي اثنان وخمسون دينـاراً من الذهب العين ، سواء بينهما ، فعرفنا كم بذلك بعد الوقوف على عقود الفدية بذلك . ومعاد السلام براجع سلامكم كثيراً أثيراً . وفي تاريخه .

الحلل السندسية لشكيب ارسلان ٢ / ٢٣٣ ـ ٢٣٤

٣١١ ـ رسالة أرسلهـا السلطان يوسف الأول بن إسماعيل ملك غرناطة إلى دون بتره ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمـد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

ليعلم من يقف على هذا الكتاب ويسمعه ، أننا الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة ومالقة والمرية ووادي آش وما إليها وأمير المسلمين ، لما انعقد الصلح بيننـا وبين السلطان الأجل ، المرفع الأوفي المبرور الأخلص ، دون بطره سلطان أرغون وبلنسية وقرسقة وميورقـــة وسردانية وقطبرجلونة ، أسعده الله بطاعته ورضاه . طلبنا من محل أبينا السلطان الجليل المعظم الأشهر الأوحد أمير المسلمين أبي الحسن سلطان العدوة أن ينعم بالإذن لنا في عقد صلح معه على بلاده ، على ماجرت به عوائد صلحه مع تلك المملكة ، وأعطانـا مقدرة لعقد ذلك ، فاقتضى نظرنا أن وجهنا إلى السلطان دون بطره برسم عقد الصلح معه على بلاد السلطان أبي الحسن بالعدوة والأندلس ، القائد الأجل الأعز الأرفع الأمجد الحسيب الأصيل الأفضل خاصتنا ، الحظي لدينا المبرور الأخلص أبا الحسن بن كماشة ، وصل الله عزته ، وأمرنا له بهذا المكتوب ظهيراً على أن مايعقده في ذلك ، فنحن نمضيه ونلتزم حكمه ، ونلزمه من أذن لنا فيه ، بما عندنا من قبل السلطان ، ولأن يكون هذا ثابتاً ، ولايلحق فيـه شيئاً ،

أمرنا بكتب هذا المكتوب ، وجعلنا عليه خط يدنا وطابعنا شاهداً علينا، بإمضاء حكمه . وذلك في السادس عشر لشعبان من عام خمسة وأربعين وسبع مئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢/ ٢٣٤-٢٣٥

٣١٢ – رسالة وجهها سلطان غرناطة يوسف الأول ابن اسماعيل ملك غرناطة إلى السلطان أبي عنان المريني .

حاصر ملك قشتالة جبل الفتح من بلاد الأندلس ، وأنكى في مملكة غرناطة ، وأوشك الجبل على السقوط بيده ، ولكن حدث أن توفي ملك قشتالة أثناء الحصار ، ورحل جيشه بعد فك الحصار عائداً إلى بلاده ، وفرج الله عن مملكة غرناطة ، فأرسل ملكها إلى السلطان المريني في مراكش يخبره بذلك ويقول : والرسالة من إنشاء ابن الخطيب .

المقام الذي أنارت آيات سعده في مسطور الوجود ، وتبارت جياد مجده في ميدان البأس والجود ، وضمنت إيالته لمن بهذه الأقطار الغربية تجديد السعود وإعادة العهود . واختلفت كتائب تأييد الله ونصره لوقته المشهور فيها ويومه المشهود . مقام محل أخينا الذي نرفعه ونعظمه ، ويوجب له الحق العلي موضعه ، السلطان أبي عنان ابن السلطان أبي الحسن ابن السلطان أبي سعيد ابن السلطان أبي سعيد ابن عبد الحق – أبقاه الله يتهلل للبشرى جنابه ، ويفتح لوارد الفتح الإلهي بابه ، وتعمل في سبيل الله مكارمه وعزائمه وركابه ويتوفر بالجهاد فيه مجده وسعده وفخره وثوابه . معظم قدره الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر ، سلام كريم، مشفوع بالبشائر والتهاني ، محفوف الركاب ببلوغ الأماني ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله مطلع أنوار الصنائع العجيبة ، متألقة الغرر ، ومنشىء

سحائب الألطاف ، الكريمة الأوصاف ، هامية الدرر ، الكريم الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه . ويكشف السوء وما أمره إلا واحدة كلمح بالبصر ، حجب كامن ألطافه عن قوى الفطن ومدارك الفطر ، فما يعلم جنود ربك إلا هو ، وما هي إلا ذكرى للبشر .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذي المعجزات الباهرة والآيات الكُبَر ، الذي بجاهه الحصين نمتنع عند استشعار الحذر ، وبنور هداه نستضيء عند التباس الورد والصدر ، فنحصل على الخير العاجل والمنتظر ، والرضا عن آله وأصحابه الكرام الأثر ، الذين جنوا من أفنان الصبر في الله ثمار الظفر ، وفازوا من إنجاز الوعد بأقصى الوطر ، وانتظموا في سلك الملة الرفيعة انتظام الدرر . والدعاء لمقامكم الأعلى باتصال المسرات وتوالي البُشر ، والسعد الذي تجري بأحكامه النافذة تصاريفُ القدر ، والصنع الذي تجلى عجائبه في أجمل الصور — فإنا كتبناه إليكم — كتب الله لكم من حظوظ فضله وإحسانه أجزل الأقسام ، وعرفكم عوارف نعمه الثرة ، وآلائه الجسام — من حمراء غرناطة — حرسها الله ، واليسر بفضل الله طارد الأزمات بعدما قعدت ، وكاشف الشدائد بعدما أبرقت وأرعدت ، ثم ما عندنا من الاعتداد بأيالتكم التي أنجزت لنا في الله ما وعدت ، ومددنا إليها يد الانتصار على أعدائه فأسعدت ، إلا الصنعُ العجيب ، واليسر الذي أتاح ألطافه السميع المجيب ، واليمن الذي رفع عماده التيسير الغريب ، ومدرواقه الفرجُ القريب وإلى هنا ، أيدكم الله على أعدائه ، وأجزل لديكم مواهب آلائه ، وحكم للإسلام على أيديكم بظهوره واعتلائه ، وعرفكم من أخبار الفتح الهني المدفع وأنبائه كل شاهد برحمته واعتنائه . فإنا كتبناه إليكم نحقق لديكم البشرى التي بمثلها تنضى الركاب ويخاض العباب ، ونعرض عليكم ثمرة سعدكم الجديد الأثواب — المفتّح للأبواب ، علماً بما عندكم من فضل الأخلاق ، وكرم

الأعراق، وأصالة الأحساب، والمعرفة بمواقع نعم الله التي لاتجري لخلقه على حساب، والعناية بأمور هذا القطر الذي تعلق بأذيال ملككم السامي الجناب وقد تقرر لدى مقامكم الأسنى، ما كانت الحال آلت إليه بهذا الطاغية الذي غره الإمهال والإملاء، وأقدمه على الإسلام التمحيص المكتوب والابتلاء فتملا تيهاً وعجباً، وارتكب من قهر هذه الأمة المسلمة مركباً صعباً، وسام كلمة الاسلام بأساً وحرباً، فكتائب بره توسع الأرجاء طغياً وضرباً، وكتائب بحره تأخذ كل سفينة غصباً، والمخاوف قد تجاوبت شرقاً وغرباً، والقلوب قد بلغت الحناجر غماً وكرباً. وجبل الفتح الذي هو باب هـذه الدار وسبب الاستعلاء على الأعداء والانتصار، وملك الملة الحنيفية إلى هذه الأقطار قد رماه ببوائقه، وصير ساحته مجر عواليه، ومجرى سوابقه، واتخذه دار مقامه، وجعل شغل يقظته، وحلم منامه، ويسر له ما يجاوره من المعاقل إملاء من الله لأيامه، فاستقر به القرار، واطمأنت الدار، وطال الحصار وعجزت عن نصره الحيل والأنصار، ورجمت الظنون وساءت الأفكار، وشجر نظار القلوب الاضطرار إلى رحمة الله والافتقار، فجبر الله الخواطر لما عظم بها الانكسار، ودار بإدالة الإسلام الفلك الدوار، وتمخض عن عجائب صنع الله الليل والنهار، وهبت نواسم الفرج، عاطرة الأرج، ممن يخلق ما يشاء ويختار، لا إله إلا هو الواحد القهار.

وبينا نحن نخوض من الشفقة على ذلك المعقل العزيز على الاسلام لجة مترامية المعاطب، ونقتعد صعباً لا يليق بالراكب، ولولا التعلق بأسبابكم في أنواء تلك الغياهب، وما خلص إلى هذه البلاد من مواهبكم الهامية المواهب ومواعيدكم الصادقة، ومكارمكم الغرائب، وكتبكم التي تقوم عند العدو مقام الكتائب، وإمدادكم المتلاحق، تلاحق العظام الجنائب، لما رجع الكفر بصفقة الخائب، إذ تجلى نور الفرج من خلال تلك الظلمة، وهمت سحائب الرحمة والنعمة على هذه الأمة، ورمي الله العدو بجيش من جيوش قدرته أغنى

عن المديد والعدة ، وأرانــا رأي العيان لطائف الفرج من بعد الشدة ، وأهلك الطاغية حتف أنفه ، وقطع به عن أمله ، قاطع حتفه ، وغالته أيدي المنون في غيله ، وانتهى إلى حدود القواطع القوية ، والأشعة المريخية نصير دليله ، فشفى الله منه داءً ، وأخذه أشد ما كان اعتداداً واعتداءً ، وحمى الجزيرة الغربية وقد صارت نهبة طغاته ، وأشرقه بريقه ، وهي مضغة في لهواته ، سبحانه لا مبدل لـكلماته .

فانتثر سلكه الذي نظمه ، واختل تدبيره الذي أحكمه ، ونطقت بتبار محلاته ألسنة النار ، وعاجلت انتظامها أيدي الانتثار ، وركدت ريحه الزعزع من بعد الاعصار ، وأصبح من استظهر به من الأشياع والأنصار ، يخربون بيوتهم بأيديهم ، وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا ياأولي الأبصار .

وولوا به يحثون التراب فوق المفارق والترائب ، ويخلطون تبر السبال الصهب بذوب الذوائب ، قد لبسوا المسوح حزناً ، وأرسلوا الدموع مزناً ، وشقوا جيوبهم أسفاً ، وأضرموا قلوبهم تلهفاً ، ورأوا أن حصن استطبونة لا يتأتى لهم به امتناع ، ولا يمكنهم لمن يرومه من المسلمين دفاع ، فأخلوه من سكانه ، وعاد فيه الإسلام إلى مكانه ، وهو ما هو من طيب البقعة ، وانفساح الرقعة ، ولو تمسك به العدو لكان ذلك الوطن بسوء جواره مكدوداً ، والمسلك إلى الجبل ـ عصمه الله ـ مسدوداً . فكان الصنيع فيه طرازاً على عاتق تلك الحلة الضافية ، ومزيداً لحسنى العارفة الوافية . فلما استجلينــا غرة هذا الفتح الهني ، والمنح السني . قابلناه بشكر الله تعالى وحمده ، وضرعنا إليه في صلة نعمة فلا نعمة إلا من عنده ، وعلمنا أنه عنوان على مزيد ملككم الأعلى وعلامة على سعده ، وأثر نيته للاسلام ، وحسن قصده ، وفخر ذخره الله لأيامكم لانهاية لحده ، فإنكم صرفتم وجه عنايتكم إلى هذا القطر على نأي المحل وبعده ، ولم تشغلكم الشواغل عن إصلاح شأنه وإجزال رفده .

وأما البلد المحصور ، فظهر فيه من عزمكم الأمضى ماصدق الآمال والظنون وشرح الصدور بمقامكم ، وأقر العيون ، من صلة الامداد على الخطر ، وتردد السابلة البحرية على بعد الوطن وتعذر الوطر ، واختلاف الشواني التي تسري إليه مسرى الطيف ، وتخلص سهامها إلى غرضه بعد أني وكيف ، حتى لم تعدم فيه مرفقة بسوء فقدانها ، ولا عدة يهم شأنها ، فجزاؤكم عند الله موفور القسم ، وسعيكم لديه مشكور الذمم ، كافأ الله أعمالكم العالية الهمم وخلالكم الزاكية الشيم ، فقد سعد الاسلام ـ والحمد لله ـ بملككم الميمون الطائر ، وسرت أنباء عنايتكم بهذه البلاد كالمثل السائر . وما هو إلا أن يستتب اضطراب الكفار واختلافهم ، ويتنازع الأمر أصنافهم ، فتغتنمون إن شاء الله فيهم الغرة التي ترتقبها العزائم الشريفة والهمم المنيفة ، وتجمع شيمكم العليا بين فخر الآخرة والدنيا ، وتحصل على الكمال الذي لاشرط فيه ولا ثنيا . فاهنئوا بهذه النعمة التي خبأها الله إلى أيامكم ، والتحفة التي بعثها السعد إلى مقامكم ، فإنما هي بتوفيق الله ثمرة امدادكم وعقبى جهادكم ، أوزعنا الله وإياكم شكرها ، وألهمنا ذكرها .

عرفناكم بما اتصل لدينا ، وورد من البشائر علينا ، عملاً بما يجب لمقامكم من الاعلام بالمتزيدات والأحوال الواردات ، ووجهنا اليكم بكتابنا هذا من ينوب عنا في هذا الهناء ، ويقرر ماعندنا من الولاء ، ومايتزيد لدينا بالأنباء خالصة أنامنا ، المتميز بالوسيلة المرعية إلى مقامنا ، الحظي لدينا المقرب إلينا ، القائد الفلاني أبا الحسن عباداً ، وصل الله عزته ، ويمن وجهته . ومجدكم ينعم بالإصغاء إليه فيما أحلنا فيه من ذلك عليه . والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم ، والسلام .

صبح الأعشى للقلقشندي ٧/٤٠-٤٤

٥ ـ محمد الخامس الغني بالله بن يوسف

٧٥٥-٧٦٠ و ٧٦٣-٧٩٣هـ / ١٣٥٤-١٣٥٩ و ١٣٦٢-١٣٩١ م

٣١٣ ـ مرسوم أصدره محمد الخامس الغني بالله سلطان غرناطة يولي بموجبه ابنه الأمير يوسف مشيخة الغزاة في الأندلس ، وهو من إنشاء لسان الدين بن الخطيب .

هذا ظهير كريم ، فاتح بنشر الألوية والبنود ، وقوّد العساكر والجنود ، وأجال في ميدان الوجود جياد الباس والجود ، وأضفى ستر الحماية والوقاية بالتهائم والنجود ، على الطائفين والعاكفين والركع السجود ، عقد للمعتمد به عقد التشريف والقدر المنيف زاكي الشهود ، وأوجب المنافسة بين مجالس السروج ، ومضاجع المهود ، وبشر السيوف في الغمود ، وأنشأ ريح النصر آمنة من الخمود . أمضى أحكامه ، وأنهد العز أمامه ، وفتح عن زهر السرور والحبور كمامه ، أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر ـ أيد الله تعالى أمره وخلد ذكره ـ لكبير ولده ، وسابق أمده وريحانة خلده وياقوتة الملك على يده ، الأمير الكبير الطاهر الظاهر الأعلى ، واسطة السلك وهلال سماء الملك ، ومصباح الظلم الحلك ، ومظنة العناية الأزلية من مدبر الفلك ومجري الفلك . عنوان سعده وحسام نصره وعضده وسمي جده ، وسلالة فضله ومجده ، السيد المظفر الهمام الأعلى الأمضى ، العالم العامل الأرضى ، المجاهد المؤمل المعظم أبي الحجاج يوسف ، ألبسه الله تعالى من رضاه عنه حللاً لاتخلق جدتها الأيام ولاتبلغ كنهها الأفهام ، وبلغه في خدمته المبالغ التي يسر بها الاسلام ، وتسبح في بحار صنائعها الأقلام ، وحرس معاليها الباهرة بعينه التي لاتنام ، وكنفه بركنه الذي لايضام ، فهو الفرع الذي جرى فضله على أصله ، وارتسم نصره

في نصله ، واشتمل حده على فضله ، وشهدت ألسن خلاله برفعة جلاله ، وظهرت دلائل سعادته في بدء كل أمر وإعادته ، لما صرف وجهه إلى ترشيحه، لافتراع هضاب المجد البعيد المدى وتوشيحه بالصبر والحلم ، والبأس والندى، وأرهف منه سيفاً من سيوف الله تعالى لضرب هام العدا . وأطلعه في سماء الملك بدر هدى لمن راح وغدا ، وأخذه بالآداب التي تقيم من النفوس أوداً وتبذر في اليوم فتجنى غدا . ورقاه في رتب المعالي طوراً فطوراً ، ترقي البنات ورقاً ونوراً ، ليجده بحول الله تعالى يداً باطشة بأعدائه ولساناً مجيباً عند ندائه ، وطرازاً على حلة علائه ، وغماماً من غمائم آلائه ، وكوكباً وهاجاً بسمائه ، وعقد له لواء الجهاد على الكتيبة الأندلسية من جنده ، قبل أن ينتقل عن فهده ، وظلله بجناح رايته ، وهو على كتد [1] دابته ، واستركب جيش الإسلام ترحيباً بوفادته ، وتنويهاً بمجادته ، وأثبت في غرض الإمارة النصرية سهم سعادته ، رأى أن يزيده من عنايته ضروباً وأجناساً ، ويتبع أثره ناساً فناساً ، قد اختلفوا لساناً ولباساً ، واتفقوا ابتغاءً لمرضاة الله والتماساً ، ممن كرم انتماؤه ، وزينت بالحسب العلي سماؤه ، وعرف غناؤه ، وتأسس على المجادة بناؤه ، حتى لايدع من العناية فناً إلا وجلبه إليه ، ولا مقادة فخر إلا جعلها بين يديه ، ولا حلة عز إلا أضفى ملابسها عليه . وكان جيش الاسلام في هذه البلاد الأندلسية ـ أمّن الله سبحانه خلالها ، وسكن زلزالها . وصدق في رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء آمالها ـ كلف همته، ومرعى ذمته ، وميدان اجتهاده ، ومتعلق أمل جهاده ، ومعراج إرادته إلى تحصيل سعادته ، وسبيل خلاله إلى بلوغ كماله ، فلم يدع له علة إلا أزاحها ، ولا طلبة إلا أجال قداحها ، ولا عزيمة إلا أورى اقتداحها ، ولا رغبة إلا

---

(١) الكتد : مجمع الكتفين .

فسح ساحها ، آخذاً مدونته بالتهذيب ومصافه بالترتيب وآماله بالتقريب ، محسناً في تلقي الغريب وتأنيس المريب ، مستنجزاً له به وعد النصر العزيز ، والفتح القريب ، ورفع عنه لهذا العهد نظر من حكم الأغراض في حماته . واستشعر عروق الحسائف لتشذيب كماته . واشتغل عن حسن الوساطة لهم بمصلحة ذاته ، وجلب جباته وتثمير ماله وتوفير أقواته ، ذاهباً أقصى مذاهب التعمير بأمد حياته ، فانفرج الضيق وخلص إلى حسن نظره الطريق ، وساغ الريق ورضي الفريق ، رأى ـ والله الكفيل لنجح رأيه ، وشكر سعيه وصلة حفظه ورعيه ـ أن يجهد له اختياره ، ويحسن لديهم آثاره ، ويستنيب فيما بينه وبين سيوف جهاده وأبطال جلاده وحماة أحوازه وآلات اعتزازه . من يجري مجرى نفسه النفيسة في كل مبنى ، ويكون له لفظ الولاية وله ـ أيده الله تعالى ـ المعنى ، فقدمه على الجماعة الأولى كبرى الكتائب ومقادة الجنائب ، وأجمة الأبطال ومزنة الودق الهطال ، المشتملة من الغزاة على مشيخة آل يعقوب نسباء الملوك الكرام وأعلام الاسلام ، وسائر قبائل بني مرين ليوث العرين ، وغيرهم من أصناف القبائل أولي الوسائل ، ليحوط جماعتهم ويعرف بتفقده إطاعتهم ، ويستخلص لله تعالى ولأبيه ـ أيده الله تعالى ـ طاعتهم ، ويشرف بإمارته مواكبهم . ويزين بهلاله الناهض إلى الإبدار على فلك سعادة الأقدار كواكبهم ، تقديماً أشرق له به وجه الدين الحنيف وتهلل ، وأحس باقتراب ما أمل ، فللخيل اختيال مراح ، وللأسل السمر اهتزاز وارتياح ، وللصدر انشراح ، وللآمال مغدى في فضل الله تعالى ورواح فليتول ذلك ـ أسعده الله تعالى ـ تولي مثله ممن أسرة الملك أسرته ، وأسوة النبي صلوات الله تعالى عليه أسوته ، والملك الكريم أصل فرعه ، والنسب العربي محتد لطيب طبعه . آخذاً أشرافهم بترفيع المجالس بنسبة أقدارهم ، مغرياً حسن اللقاء بإيثارهم ، شاكراً غناءهم ، مستدعياً ثناءهم ، مستدراً

لأرزاقهم، موجباً المزية بحسب استحقاقهم، شافعاً لديه في رغباتهم المؤملة، ووسائلهم المتحملة، مسهلاً الإذن لوفودهم المتلاحقة، منفقاً لبضائعهم النافقة، مؤنساً لغربائهم، مستجلياً أحوال أهليهم وآبائهم، مميزاً بين أغفالهم ونبهائهم على جماعتهم ـ وعن الله تعالى جهادهم ووفر أعدادهم ـ أن يطيعوه في طاعة الله تعالى، وطاعة أبيه، ويكونوا يداً واحدة على دفاع أعداء الله تعالى وأعاديه ويشدوا في مواقف الكريهة أزره، ويمتثلوا نهيه وأمره، حتى يعظم الانتفاع ويشهر الدفاع، ويخلص المصال لله تعالى والمصاع. فلو وجد ـ أيده الله تعالى ـ غاية في تشريفهم لبلغها، أو موهبة لسوغها. لكن ما بعد ولده العزيز عليه مذهب، ولا وراء مباشرتهم بنفسه مغرب، والله تعالى منجح الآمال ومبلغ الآمال، والكفيل بسعادة المآل.

فمن وقف على هذا الظهير الكريم فليعلم مقدار ما تضمنه من أمر مطاع وفخر مستند إلى إجماع ووجوب اتباع، وليكن خير مرعي لخير راع، بحول الله تعالى.

وأقطعه ـ أيده الله تعالى ـ ليكون بعض المواد لأزواد سفره، وسماط نضره، في جملة ما أولاه به من نعمه، وسوغه من موارد كرمه جميع القرية المنسوبة إلى عرب عنان، وهي المحلة الأثيرة، والمنزلة الشهيرة، تنطلق عليها أيدي خدامه ورجاله، جارية مجرى صريح ماله، محررة من كل وظيفة لاستغلاله، إن شاء الله تعالى، فهو المستعان سبحانه، وكتب في كذا.

نفح الطيب للمقري ٢/٤٩-٥٤

٣١٤ ـ مرسوم أصدره محمد الخامس الغني بالله سلطان غرناطة بتعيين أبي الحسن النباهي قاضياً، من إنشاء ابن الخطيب.

هذا ظهير كريم، أنتج مطلوب الاختيار قياسه، ودل على ما يرضي الله

وجل التماسه ، وأطلع نور العناية الذي يجلو الظلام بنبراسه ، واعتمد بمثابة العدل من عرف بافتراع هضبتها ناسه ، وألقى بيد المعتمد بـه زمام الاعتقاد الجميل تروق أنواعه وأجناسه ، وشيد مبنى العز الرفيع في قبة الحسب المنيع وكيف لا والله بانيه ، والمجد أساسه ، أمر به وأمضى العمل بمقتضاه ، وحسبه أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجـاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر ـ أيد الله أوامره وخلد مفاخره ـ لقاضي حضرته العلية ، وخطيب حمرائه السنية ، المخصص لديه بترفيع المزية ، المصروف إليه خطاب القضاة بأيالته النصرية، قاضي الجماعة ومعروف الأحكام الشرعية المطاعة ، الشيخ الكذا أبي الحسن ابن الشيخ الكذا أبي محمد ابن الحسن ـ وصل الله سعادته ، وحرس مجادته ، وسنى من فضله إرادته ـ عصب منه جبين المجد ، بتاج الولاية ، وأجال قداح الاختيار حتى بلغ الغاية ، وتجاوز النهاية ـ ما ألقى منه بيمين عرابة السراية ، وأحله منه محل اللفظ من المعنى ، والإعجاز من الآية ، وحشر إلى مدعاة ترفيعه وجوه البر ، وأعيان العناية ، وأنطق بتبجيله ألسن أهل جيله بين الافصاح والكناية . ولما كان له الحسب الأصيل الذي شهدت به ورقات الدواوين والأصالة التي قامت عليها صحاح البراهين ، والآباء الذين اعتد بمضاء قضائهم الدين ، وطبق مقاصل الحكم بسيوفهم الحق المبين ، وازدان بمجالسة وزرائهم السلاطين ، فمن فارس حكم أو حكيم تدبير ، وقاضٍ في الأمور الشرعية ووزير ، أو جامع بينهما جمع سلامة لا جمـــع تكسير ، تعدد ذلك واطرد ووجد مشرع المجد عذباً فورد ، وقصرت النظراء عن مداه فانفرد ، وفرى الفرى في يد الشرع فأشبه السيف البرد ، وجاء في أعقابهم محيياً لما درس بما حقق ودرس ، جانياً ما بذر السلف المبارك واغترس ، طـاهر النشأة وقورها ، محمود السجية مشكورها ، متحلياً بالسكينة ، حالاً من النزاهة

بالمكانة المكينة ، ساحباً أذيال الصون ، بعيدا عن الاتصاف بالفساد من لدن الكون ، فخطبته الخطط الملية ، واغتبطت به المجادة الأولية ، واستعملته دولته التي ترتاد أهل الفضائل للرتب ، واستظهرت على المناصب بأبناء التقى والحسب والفضل ، والمجد والأدب ، ممن يجمع بين الطارف والتالد ، والإرث والمكتسب . فكان معدوداً من عدول قضاتها ، وصدور نبهائها ، وأعيان وزرائها وأولي آرائها، فلما زان الله تعالى خلافته بالتمحيص المتحلي من التخصيص، وخلص ملكه الأصيل كالذهب الابريز بعد التخليص ،كان ممن صحب ركابه ، الطالب للحق لسيف الحق ، وسلك في مظاهرته أوضح الطرق ، وجادل من حاده بأمضى من الحداد الذلق ، واشتهر خبر وفائه في الغرب والشرق ، وصلى به صلاة السفر والحضر ، والأمن والحذر ، وخطب به في الأماكن التي بعد بذكر الله عهدها ، وخاطب عنه ـ أيده الله تعالى ـ المخاطبات التي حمد قصدها ، حتى استقل ملكه فوق سريره ، وابتهج منه الاسلام بأميره وابن أميره ، ونزل الستر على العباد والبلاد ببركة إيالته ويمن تدبيره ، وكان الجليس المقرب المحل ، والحظي المشاور في العقد والحل ، والرسول المؤتمن على الأسرار والأمين على الوظائف الكبار ، مزين المجلس السلطاني بالوقار ، ومتحف الملك بغريب الأخبار ، وخطيب منبره العالي في الجمعات ، وقارىء الحديث لديه في المجتمعات ، ثم رأى ـ أيده الله تعالى ـ أن يشرك رعيته في نفعه ، ويصرف عوامل الحظوة على مزيد رفعه ، ويجلسه مجلس الشارع ، صلوات الله عليه ، لإيضاح شرعه ، وأصله الوثيق وفرعه ، وقدمه ـ أعلى الله تعالى قدمه ، وشكر آلاءه ونعمه ـ قاضياً في الأمور الشرعية ، وفاصلاً في القضايا الدينية ، بحضرة غرناطة العلية ، تقديم الاختيار والانتقاء ، وأبقى له فخر السلف على الخلف ، والله تعالى يتمه بطول البقاء ، فليتول ذلك عادلاً في الحكم ، مهتدياً بنور العلم ، مسوياً بين الخصوم حتى في لحظه والتفاته ،

متصفاً من الحلم بأفضل صفاته، مهيباً في الدين، رؤوفاً بالمؤمنين، جزلاً في الأحكام، مجتهداً في الفصل بأمضى حسام، مراقباً لله عز وجل في النقض والإبرام. وأوصاه بالمشورة التي تقدح زناد التوفيق، والتثبت حتى ينتج قياس التحقيق، باراً بمشيخة أهل التوثيق، عادلاً إلى سمة الأقوال عند المضيق سائراً من مشورة المذهب على أهدى طريق، وصية أصدرها له مصدر الذكرى التي تنفع، ويعلي الله بها الدرجات ويرفع، وإلا فهو عن الوصاة غني ـ وقصده قصد سني، والله عز وجل ولي إعانته، والحارس من التبعات أكناف ديانته، والكفيل بحفظه من الشبهات وصيانته. وأمر ـ أيده الله تعالى ـ أن ينظر في الأحباس على اختلافها، والأوقاف على شتى أصنافها واليتامى التي انسدلت كفالة القضاة على أضعافها، فيذود عنها طوارق الخلل، ويجري أمورها بما يتكفل لها بالأمل. وليعلم أن الله عز وجل يراه، وأن فلتات الحكم تعاوده المراجعة في أخراه، فيدرع جنة تقواه. وسبحان من يقول: (إن الهدى هدى الله [1]). فعلى من يقف عليه أن يعرف أمر هذا الاجلال، صائناً منصبه عن الاخلال، مبادراً أمره الواجب الامتثال بحول الله، وكتب في الثالث من شهر الله المحرم فاتح عام أربعة وستين وسبع مئة، عرف الله سبحانه فيه هذا المقام العلي، عوارف النصر المبين والفتح القريب، بمنه وكرمه، فهو المستعان لارب غيره.

نفح الطيب للمقري ٧ / ٥٩ ـ ٦٢

٣١٥ ـ خطاب ونداء وجهه السلطان محمد الخامس الغني بالله، سلطان غرناطة إلى المسلمين بعامة، وحكام المغرب بخاصة، من أجل إنجاد الأندلس، وغوثها من إنشاء ابن الخطيب.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧٣

أيها الناس : رحمكم الله . إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دهم العدو ـ قصمه الله ـ ساحتهم ، ورام الكفر ـ خذلهم الله ـ استباحتهم ، وزحفت أحزاب الطواغيت عليهم ، ومدّ الصليب ذراعه إليهم . وأيديكم بعزة الله أقوى ، وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى ، وهو دينكم فانصروه ، وجواركم القريب ، فلا تخفروه ، وسبيل الرشد قد وضح فلتبصروه ، الجهادَ الجهاد ، فقد تعين ، الجارُ الجار فقد قرر الشرع حقه وبيّن . اللهُ الله في الإسلام ، اللهَ اللهَ في أمة محمد عليه السلام ، اللهَ الله في المساجد المعمورة بذكر الله ، الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله ، فقد استغاث الدين فأغيثوه . قد تأكد عهد الله ، وحاشاكم أن تنكثوه . أعينوا إخوانكم بما أمكن من الاعانة ، أعانكم الله عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير ، يصل الله لكم جميع العوائد . . . أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت ، بادروا عليل الاسلام قبل أن يموت .

نهاية الأندلس لعنان ـ ١٨٩

٣١٦ – رسالة أرسلها سلطان غرناطة محمد الخامس الغني بالله إلى السلطان أبي السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان يشكره على إرساله طعاماً إلى الأندلس ، ويخبره باسترجاع حصن من الاسبان اسمه قنيط ، من إنشاء ابن الخطيب.

المقام الذي تحدثت بسعادته دولة أسلافه ، واتفق به قولها من بعد اختلافه ، وعاد العقد إلى انتظامه ، والشمل إلى ائتلافه ، مقام ولينافي الله الذي هيأ الله له من جميل صنعه أسباباً ، وفتح به من مبهم السعد أبواباً ، وأطلع منه في سماء قومه شهاباً ، وصفينا الذي نسهب القول في شكر جلاله ووصف خلاله إسهاباً ، السلطان أبو سعيد عثمان ابن الأمير أبي زيدابن

الأمير أبي زكريا ابن السلطان أبي يحيى يغمراسن بن زيان ، مع ذكر ألقاب كل منهم بحسبه ، أبقاه الله للدولة الزيانية ، يزين بالأعمال الصالحة أجيادها ، ويملك بالعدل والإحسان قيادها ، ويُجري في ميدان الندى والبأس ، ووضع العرف بين الله والناس جيادها ، سلام كريم كما زحفت للصباح شهب المواكب ، وتفتحت عن نهر المجرة أزهار الكواكب ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله جامع الشمل بعد انصداعه وشتاته ، وواصل الحبل بعد انقطاعه ، وانبتاته ، سبحانه لا مبدل لكلماته ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الصادع بآياته ، المؤيد ببيناته ، الذي اصطفاه لحمل الأمانة العظمى ، وحباه بالقدر الرفيع والمحل الأسمى ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، والرضا عن آله وصحبه وأنصاره ، وحزبه وحماته ، المتواصلين في ذات الله وذاته ، القائمين بنصر دينه وقهر عداته ، فإنا كتبناه إليكم ـ كتب الله لكم سعداً ثابت الأركان ، وعزاً سامي المكان ومجداً وثيق البنيان ، وصنعاً كريم الأثر والعيان ، من حمراء غرناطة ـ حرسها الله ـ والثقة بالله سبحانه أسبابها وثيقة ، وأنسابها عتيقة . والتوكل عليه لاتلتبس من سالكه طريقة ، ولا تختلط بالمجاز منه حقيقة ، وعندنا من الاعتداد بكم في الله عقود مبرمة ، وآي في كتاب الإخلاص محكمة ولدينا من السرور بما سناه الله لكم من أسباب الظهور الذي حاله مُعلمة ، وحججه البالغة مسلمة ، ما لاتفي العبارة ببعض حقوقه الملتزمة ، وإلى هذا ـ أيد الله أمركم ـ فإننا ورد علينا فلان ، وصل الله كرامته وسنى سلامته صادراً عن جهتكم الرفيعة الجانب ، السامية المراقب ، طلق اللسان بالثناء بما خصكم الله به من فضل الشمائل ، وكرم المذاهب ، محدثاً عن بحر مكارمكم بالعجائب ، فحضر بين يدينا ملقياً ما شاهده من ازدياد المشاهد بتلك الإيالة ،

واستبشار المعاهد بمودة ذلك الملك الرفيع الجلالة ، الشهير الأصالة ، ووصل صحبته ما حملتم جفنة من الطعام برسم إعانة هذه البلاد الأندلسية والأمداد الذي افتتحتم به ديوان أعمالكم السنية ، وأعربتم به عمالكم في سبيل اللهمن بخالص النية . وأخبر أن ذلك إنما هو رشة من غمام وطليعة من جيش لهام ، ووفد من عدد ، وبعض من مدد ، وأن عزائمكم في الإعانة والإمداد على أولها ومكارمكم ينسى الماضي منها بمستقبلها ، فأثنينا على قصدكم الذي لله أخلصتموه ، وبهذا العمل البر خصصتموه وقلنا : لا ينكر الفضل على أهله ، وهذا بر صدر عن محله ، فليست إعانة هذه البلاد الجهادية ببدع من مكارم جنابكم الرفيع ، ولا شاذة فيما أسدى على الأيام من حسن الصنيع . فقد علم الشاهد والغائب ـ ولو سكتوا أثنت عليها الحقائب ـ ماتقدم لسلفكم في هذه البلاد من الإرفاق والإرفاد ، والأخذ بالحظ الموفور من المدافعة والجهاد . وأنتم أولى من جدد عهود قومه ، وكان غده في الفخر أكبر من يومه . وقد ظهرت لله في حيز تلك الإيالة الزيانية نتيجة تلك المقدمات ، وعرفت بركة ما أسلفته من المكرمات وسنّى الله سبحانه بين يدي وصول مابه تفضلتم وفي سبيله بذلتم ، أن فتح جيشنا حصناً من الحصون المجاورة لغربي مالقة يعرف بحصن قنيط من الحصون الشهيرة المعروفة والبقع المذكورة بالخصب الموصوفة ، ودفع الله مضرته عن الاسلام وأهله ، ويسره بمعهود فضله ، فجعلنا من ذلك الطعام الذي وجهتم طعمة حماته ، ونفقات رجاله ورماته ، اختياراً له في أراضي المرافق من سبل الخير وجهاته . وأما نحن فإن ذهبنا إلى تقرير ماعندنا من الثناء على معالي ملككم الأصيل البناء ، والاعتداد بمقامكم الرفيع العماد ، والاستناد إلى ولائكم الثابت الاسناد ، لم نبلغ بعض المراد ، ولا وفى اللسان بما في الفؤاد ، فمن الله نسأل أن يجعله في ذاته ، وذريعة إلى مرضاته . ومرادنا من فضلكم العميم وودكم السليم أن تحسبوا هذه الجهة كجهتكم فيما يعرض من الأغراض ، لنعمل

في تتميمها بمقتضى الود العذب الموارد الكريم الشواهد ، والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم ، والسلام .

صبح الأعشى للقلقشندي ج٧ / ٤٥-٤٧

٣١٧ ـ رسالة السلطان محمد الخامس الغني بالله سلطان غرناطة إلى السلطان المملوكي المنصور أحمد[١] بن الناصر بن قلاوون يشرح له فيها أحوال الأندلس وأوضاعها ، من انشاء ابن الخطيب :

الأبواب التي تفتح لنصرها أبواب السماء ، وتستدر من آفاقها سحاب النعماء وتجلى بأنوار سعدها دياجي الظلماء ، وتعرف نكرة البلاد والعباد ، بالانتساب إلى محبتها والانتماء على اختلاف العروض وتباين الحدود وتعدد الأسماء . ويجتزأ من صلات صلاتها عند الموانع من كمال حالات صفاتها بالإيماء ، وتحمل لها التحية ذوات الدسر والألواح ، طاعنة نحر الصباح على كتد [٢] الماء . أبواب السلطان الكبير الجليل الشهير الطاهر الظاهر ، الأوحد الأسعد ، الأصعد الأمجد ، الأعلى العادل العالم الفاضل الكامل ، سلطان الاسلام والمسلمين عماد الدنيا والدين ، رافع ظلال العدل على العالمين ، جمال الاسلام ، علم الأعلام ، فخر الليالي والأيام ، ملك البرين والبحرين ، إمام الحرمين ، مؤمن الأمصار والأقطار ، عاصب تاج الفخار ، هازم الفرنج والترك والتتار ، الملك المنصور ابن الأمير الرفيع الجادة ، الكريم الولادة ، الطاهر الظاهر ، الكبير الشهير ، المعظم الممجد الأسمى ، الموقر الأعلى ، فخر الجلة ، سيف الملة ، تاج

---

(١) كان سلطاناً على سورية ومصر بين سنتي ٧٦٢ و ٧٦٤ هـ . وقد غلط ابن الخطيب في اسمه ونسبه فهو الملك المنصور محمد بن السلطان المظفر حاجي الأول (٧٤٧ - ٧٤٨) ابن السلطان محمد الناصر بن قلاوون .

(٢) الكتد : مجمع الكتفين من الانسان وغيره .

الامارة ، عز الاسلام ، مستظل الأنام ، قمر الميدان أسد الحرب العوان ، المقدس المطهر ، الأمير أحمد ابن والد السلاطين ومالك المسلمين وسيف خلافة الله على العالمين ، وولي المؤمنين ، سلطان الجهاد والحج ومقيم رأس العج والثج ، محيي معالم الدين ، قامع المعتدين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، ناصر السنة ، محيي الملة ، ملك البرين والبحرين ، سلطان الحرمين ، الملك العادل العالم العامل المنصور المؤيد المعان المرفع المعظم المبجل المؤمل ، المجاهد المرابط ، المغازي الممجد ، المكمل المطهر الكبير الشهير ، المقدس الملك الناصر أبي عبد الله محمد ابن قلاوون الصـــالحي ، جعل الله فسطاط دعوته ممموداً بعمود الصبح ، وحركات عزمه مبنية على الفتح ، ومجمل سعادته غنياً عن الشرح ، وجيـاد أوصافه متبارية في ميدان المدح ، وزناد رأيه وارية القدح ، من موجب حقه وجوب الشعائر الخمس ، المرحب لأجل أفقه الشرقية بوفادة الشمس ، المجدد في اليوم حكم ماتقرر بين السلف رحمهم الله بالأمس ، أمير المسلمين بالأندلس عبد الله الغني بالله الغالب به ، محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم ، كما زحفت راية الصبح تقدمها طلائع مبشرات الرياح ، يفاوح أرجه أزاهير الأدواح ، ويحاسن طرر الوجوه الملاح ، يخص أبوتكم التي رتب العز فصولها ، وعضدت نصوص النصر نصولها ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي جعله فاتحة للقرآن ، وخاتمة دعاء أهل الجنان وشكره على ما أولى من مواهب الاحسان ، حمداً وشكراً يستخدمان من الانسان ملكتي القلب واللسان ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله زهرة كامة الأكوان ، وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والألوان ، الذي أذل بعزة الله نفوس أهل الطغيان . وغطى بدينه الحق على الأديان ، وزويت له الأرض فرأى ملك أمته يبلغ ما زوى له فكان الخبر وفق العيان ، والرضا عمن له من الأصحاب والأحباب والأعمام والأخوال والاخـوان ،

صلاة يجددها الجديدان وعليها الملوان (1) . وتتزاحم على تربته المقدسة مع الأحيان ، ماسجعت طيور البراعة من أعواد اليراعة على الأفنان ، والتفتت عيون المعاني مابين أجفان البيان ، والدعاء لأبوابكم الشريفة ، جعل الله تعالى تقيم بها وظيفتي الحجابة والاستئذان ، وضرب بدعوتها التي هي لذة الاقامة والأذان على الآذان ، واستخدم بروج الفلك الدوار في أمرها العزيز استخدام الأنصار والأعوان ، حتى يُعلم ما في المدافعة عن حماها مخالب السرحان ، وفي الاشادة بعدلها كفتي الميزان ، ويهدي لها من الزهرة كرة الميدان ، ومن الهلال عوض الصولجان ، وأبقى في عواملها ضمير الأمر والشان ، إلى يوم تعنو وجوه الملوك إلى الملك الديان . فإنا كتبناه إلى تلك الأبواب ، كتب الله لعتبتها النصرة الداخلة ، كما أخجل بمكارمها السحب الباخلة ، وجعل مفارق مفاصلها المختضبة من نجيع عداها غير ناصلة ، وقرن بكل سبب عن أضدادها فاصلة ، من دار ملك الاسلام بالأندلس حمراء غرناطة ـ وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن أرجائها ، وشد بأيدي اليقين عُرا أملها في الله ورجائها ـ حيث المصاف المعقود ، وثمن النفوس المنقود ، ونار الحرب ذات الوقـود ، حيث الأفق قد تردى بالقتام وتعمم ، والسيف قد تجرد وتيمم ، وغبار الجهاد يقول: أنا الأمان من دخان جهنم ، حيث الاسلام من عدوه كالشامة من جلد البعير ، والثمرة من أوسق العير ، حيث المصارع تتزاحم الحور على شهدائها ، والأبطال يعلو بالتكبير مسمع ندائها ، حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة في زينتها الكلوم بدمائها . وإن هذا القطر الذي مهدت لسياستنا أكوار مطاياه وجعلت بيدنا والمنة لله ، غياب عطاياه ، قطر مستقل بنفسه ، مُربٍ يومه في البر على أمسه ، زكي المنابت عذب المشارب ، متمم المآمل مكمل المآرب ، فاره الحيوان

---

(1) الملوان الليل والنهار .

معتدل السحن والألوان ، وسيطة في الأقاليم السبعة ، شاهدة لله بإحكام الصنعة . أما خيله ففارهة ، وإلى الركض شارهة ، وأما سيوفه فلمواطن الغمود كارهة ، وأما أسله فمتداركة الخطف ، وأما عوامله فبنية الحذف ، وأما نباله فمحذورة القذف ، إلا أن الاسلام به في سفط مع الحيات ، وذريعة للمنيات الوحيات (١) ، وهدف للنبال وأكلة للشبال ، تطؤهم الغارات المتعاقبة وتخيفهم الحدود المصاقبة ، وتجوس خلالهم العيون المراقبة ، وتريب من أشكال مختطهم إلا أن يتفضل الله بحسن العاقبة ، فليس إلا الضرر والضرب الهبر ، والهمز والنبر ، والمقابلة والجبر . وقد حال البحر بينهم وبين إخوان ملتهم وأساة علاتهم ، يقدمون بهذا الفرض عن هذه الأرض ، ويقرضون ملك يوم العرض أحسن القرض . فلولا بعد المدى ، وغول الردى ، ولغط العدا ، وما عدا فيما بدا ، لسمعتم تكبير الحملات ، وزئير تلك القلات ، ودوي الحوافر وصليل السيوف من فوق المغافر ، وصراخ الثكالى ، وارتفاع الأدعية الى الله تعالى . ولو ارتفع هذا المكان ، وهو للأولياء مثلكم من حيز الإمكان لقلتم مقل الأسنة الزرق ، حالة من أطـــراف قصب الرماح محل الورق وأبصرتم القنا الخطار قد عاد أخلة ، والسيوف قد صارت فوق بدور الخوذ أهلة ، وعقود الشهادة عند قاضي السعادة مستقلة ، وكان كما تحصره علومكم الشريفة ، حدق سور الفتح ، وآخر ولاء ذلك المنح ، عرض على الفاروق فاحتاط ، وأغري به من بعده فاشتاط ، وسرحت خيال ابن أبي سرح ، في خبر يدعو إلى شرح ، حتى إذا ولد مروان تقلدوا كرتها التي هوت ، وقضموا ما أنضجت ورثة الحق وشوت ، ويدهم على الأمر احتوت وفازت منه بما نوت نفل ولائد والوليد ، وجلب له الطريف والتليد ، وطرقت خيل

---

(١) الوحيات : السريعات .

طارق ، وضاقت عن أخباره المهارق ، وجلت الفائدة وظهر على الذخيرة التي منها للمائدة ، ثم استرسل المهب ، ونصر الرب ، ويكثر الطير حيث ينتثر الحب ، وصرفت أشراف الشام أعنتها إلى التماس خيره ، وطارت بأجنحة العزائم تيمناً بطيره ، وقصدته الطلائع صحبة بلج بن بشر وغيره ، ففتحت الأقفال ، ونقلت الأثقال ، ونجح الفال ، ووسمت الأغفال ، وافتتحت البلاد الشهيرة ، وانتقيت العذارى الخيرة واقنيت الذخيرة ، وتجاوز الاسلام الدروب وتخطى ، وخضد الأرطى وأركب وأمطى ، واستوثق واستوطا ، وتثاءب وتمطى ، حتى تعددت مراحل البريد ، وسخنت عين الشيطان المريد ، واستوثق للاسلام ملك ضخم السرادق ، مرهوب البوارق ، رفيع العمد ، بعيد الأمد تشهد بذلك الآثار والأخبار ، والوقائع الكبار ، والأوداق والأمطار ، وهل يخفى النهار ؟ ولكل هبوب ركود . والدهر حسود لمن يسود . فراجعت الفرنج كرتها ، واستدركت معرتها ، فدوفت جوارحها وخلقت ، وأومضت بوارقها وتألقت ، وتشبثت وتعلقت ، وأرسلت الأعنة وأطلقت ، وراجعت العقائل التي طلقت ، حتى لم يبق من الكتاب إلا الحاشية ، ولا من الليل إلا الناشية ، وسقطت الغاشية وأخذت الفئة المتلاشية ، وتقلصت الظلال الغاشية ، إلا أن الله تدارك بقوم رجح من سلفنا ، أثبتوا في مستنقع الحرب أقدامهم ، وأخلصوا لله بأسهم وإقدامهم ، ووصلوا سيوفهم البارقة بخطاهم وأعطاهم منشور العز من أعطاهم حين تمين الدين وتحيز ، واشتد بالمدافعة وتميز ، وعادت الحروب سجالاً . وعلم الروم أن لله رجالاً . وقد أوفد جدنا ــ رضي الله عنـــــه ــ على أبواب سلفكم من وقائعه في العدو كل مبشرة ضحكت لها ثغور الثغور ، وسرت بها في الأعطاف حميا السرور ، وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور ، وتمائم في درر النحور ، وخفراً في وجوه البدور ، فإن ذمام الإسلام موصول ، وفروعه تجمعها في الله أصول ، وما

أقرب الحزن ممن دار صول . والملة ـ والمنة لله ـ واحدة ، والنفوس لا منكرة للحق ولا جاحدة ، والأقدار معروفة ، والآمال إلى ما يوصل إلى الله مصروفة فإذا لم يكن الاستدعاء ، أمكن الدعاء ، والخواطر مغالة ، والـكل على الله عالة . والدين غريب والغريب يحن إلى أهله ، والمرء كثير بأخيه على بعد محـــــله .

نفح الطيب للمقري ج ١ / ٣٠٠ ـ ٣٠٥

٣١٨ ـ رسالة محمد الخامس الغني بالله سلطان غرناطة إلى الأمير يلبغا الخاصكي . من إنشاء ابن الخطيب .

إلى الأمير المؤتمن على أمر سلطان المسلمين ، المقلد بتدبيره السديـــد قلادة الدين ، المثني على رسوم بره لمقامه لسان الحرم الأمين ، الآوي من مرضاة الله تعالى ورسوله ﷺ إلى ربوة ذات قرار ومعين ، المستعين من الله تعالى على ما تحمله وأمله بالقوي المعين ، سيف الدعوة ، ركن الدولة ، قوام الملة ، مؤمل الأمة ، تاج الخواص ، أسد الجيوش ، كافي الكفاة ، زين الأمراء ، علم الكبراء ، عين الأعيان ، حسنة الزمان ، الأجل المرفع ، الأسنى الكبير الأشهر الأسمى الحافل الفاضل الكامل المعظم الموقر الأمير الأوحد يلبغا الخاصكي ، وصل الله له سعادة تشرق غرتها ، وصنائع تسح فلا تشح درتها ، وأبقى تلك المثابة قلادة الله تعالى وهو درتها .

سلام كريم ، طيب عميم ، يخص إمارتكم التي جعل الله تعالى الفضل على سعادتها أمارة ، واليسر لها شارة ، فيساعد الفلك الدوار مهما أعملت إدارة ، وتمتثل الرسوم كلما أشارت إشارة .

أما بعد حمد الله تعالى الذي هو يعامه في كل مكان ، من قاس ودان وإليه توجه الوجوه وإن اختلفت السير وتباعدت البلدان ، ومنه يلتمس

الإحسان ، وبذكره ينشرح الصدر ويطمئن القلب ويمرح اللسان ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المظيم الشان ، ونبيه الصادق البيان الواضح البرهان ، والرضا عن آله وأصحابه وأحزابه أحلاس الخيـــل ورهبان الليل وأسود الميدان ، والدعاء لإمارتكم السعيدة بالعز الرائق الخبر والعيان ، والتوفيق الوثيق البنيان ، فإنا كتبناه إليكم ـ كتب الله تعالى لكم حظاً من فضله وافراً ، وصنيعاً عن محيا السرور سافراً ، وفي جو الإعلام بالنعم الجسام مسافراً ـ من حمراء غرناطة ، حرسها الله تعالى ، دار ملك الأندلس ، دافع الله سبحانه عن حوزتها كيد العداة ـ وأتحف نصلها ببواكر النصر المهداة ، ولا رائـد إلا الشوق إلى التعارف بتلك الأبواب الشريفة التي أنتم عنوان كتابها المرقوم ، وبيت قصيدها المنظوم ، والتماس بركتها الثابتة الرسوم ، وتقرير المثول في سبيل زيارتها بالأرواح عند تعذره بالجسوم . وإلى هذا فإننا كانت بين سلفنا ـ تقبل الله تعالى جهادهم ، وقدس نفوسهم وأمن معادهم ـ وبين تلك الأبواب ، كما عرفتم من عدلها وأفضالها ، مراسلة ينم عرف الخلوص من خلالها ، وتسطع أنوار السعادة من آفاق كمالها ، وتلتمح من أسطار طروسها محاسن تلك المعاهد الزاكية المشاهد ، وتعرب عن فضل المذاهب وكرم المقاصد ، اشتقنا إلى أن نجددها بحسن منابكم ، ونواصلها بمواصلة جنابكم ، ونغتنم في عودها الحميد مكانكم ، ونؤمل لها زمانكم ، فخاطبنا الأبواب الشريفة في هذا الغرض مخاطبة خجلة من التقصير ، وجـــلة من الناقد البصير ، ونؤمل الوصول في خفارة يدكم التي لها الأيادي البيض والموارد التي لاتغيض . ومثلكم لاتخيب المقاصد في شمائله ، ولا تضحى المآمل في ظل خمائله . فقد اشتهر من حميد سيركم ما طبق الآفاق ، وصحب الرفاق ، واستلزم الإصفاق . وهذه البلاد مباركة ما أسلف أحد فيها مشاركة إلا وجدها في

نفسه ودينه وماله وعياله . والله سبحانه أكرم من وفى لامرىء بكياله والله عز وجل يجمع القلوب على طاعته ، وينفع بوسيلة النبي ﷺ الذي نعول على شفاعته ، ويُبقي تلك الأبواب ملجأ للإسلام والمسلمين ، وظلاً لله تعالى على العالمين ، وإقامة لشعائر الحرم الأمين ، ويتولى إعانة إمارتكم على وظائف الدين ، ويجعلكم ممن أنعم الله تعالى عليه من المجاهدين . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

نفح الطيب للمقري ج ٨ / ٣٧٩ - ٣٨١

٣١٩ - رسالة سلطان غرناطة محمد الخامس الغني بالله إلى ابن تفراجين شيخ الموحدين في تونس ، يخبره فيها بمحاولة خلعه ، وكيف أن أخاه دبر انقلاباً ضده وخلعه عن العرش وحل محله فيه ، وكيف هرب هو ، أي السلطان محمد الغني بالله ، إلى مراكش ، ثم تمكن من العودة إلى ملكه وقضى على المغتصبين . والرسالة من إنشاء لسان الدين بن الخطيب .

من أمير المسلمين ، أيده الله ونصره وأعلى أمره وأظهره ، إلى ولينا في الله تعالى الذي له القدم الرفيع المناصب ، والمجد السامي الذوائب ، والسياسة التي أخبارها سمر الركبان وحدو الركائب ، الشيخ الجليل الكبير الشهير الخطير ، الهمام الأمضى ، الرفيع الأعلى ، الأمجد الأوحد ، الأسعد الأصعد ، الأوفى الظاهر الطاهر ، الفاضل الباسل ، الأرضى الأنقى ، المعظم الموقر المبرور ، علم الأعلام ، سلالة أكابر أصحاب الإمام ، ممهد دولة التوحيد إلى الانتظام ، أبي محمد عبد الله بن الشيخ الجليل الشهير ، الماجد الخطير ، الرفيع الأسعد الأمجد ، الحسيب الأصيل ، الأمضى الأرضى ، الأفضل الأكمل ، المعظم المقدس ، المرحوم أبي العباس

تفراجين ، وصل الله تعالى له عزة تناسب شهرة فضله ، وسعادة تتكفل له في الدارين برفعة محله .

سلام كريم يخص مجادتكم الفاضلة ورتبتكم الحافلة ، ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد حمد الذي يمحص ليثيب ، ويأمر بالاستقالة ليجيب . ويعقب ليل الشدة بصبح الفرج القريب ، ويجني من شجر التوكل عليه والتسليم إليه ثمر الصنع العجيب . ويظهر العبر مهما كسر ثم جبر لكل ذي قلب منيب ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي نلجأ إلى ظل شفاعته في اليوم العصيب ، ونستظهر بجاهه على جهاد عبدة الصليب ، ونستكثر عدد بركاته في هذا الثغر الغريب ، ونصول منه على العدو بالحبيب ، والرضا عن آله وصحبه نجوم الهداية من بعد الأمنة من الأفول والمغيب ، فإنا كتبناه إليكم - كتب الله لكم عزة متصلة ، وعصمة بالأمان من نوب الزمان متكفلة - من حمراء غرناطة ، حرسها الله تعالى ، ولا زائد بفضل الله تعالى الذي لطف وجبر ، وأظهر في الإقالة وحسن الإدالة العبر ، ممن كتب الله تعالى له العقبى لما صبر ، إلا الخبر الذي كسا الأعطاف الحبر ، والصنع الذي صدق خبره الخبر . والحمد لله تعالى كثيراً كما هو أهله ، فلا فضل إلا فضله . ولمكانتكم عندنا المحل الذي قررت شهرة فضلكم قواعده ، وأعلت مصاعده ، وأثبت التواتر شواهده ، إذ لانزال نتحيف بسيركم الذي في التدبيرات يقتفى ، وعلم يسترشد به إذا العلم اختفى والسبيل عفا ، وأن تلك الدولة بكم استقام أودها ، وقامت - والحمد لله - عمدها وأنكم رعيتم في البنين حقوق آبائها ، وحفظتم عليها ميراث عليائها ، ولو لم تتصل بنا أنباؤكم الحميدة ، وآراؤكم السديدة بما يفيد العلم بفضل ذاتكم ، ويغري قوى الاستحسان بصفاتكم ، لغبطنا بمخاطبتكم ومفاتحتكم مانجده من الميل لكم طبعاً وجبلة ، من غير أن نعتبر سبباً أو علة ، فالتعارف بين

الأرماح لاينكر ، والحديث الكريم يؤيد من ذلك ماينقل ويذكر ، وبحسب ذلك نطلعكم على غريب ما جرى به في ملكنا القدر ، وحيث بلغ الورد وكيف كان الصدر . وربما اتصلت بكم الحادثة التي أكفأها على دار ملكنا من لم يعرف غير نعمتها غاذياً ، ولا برح في جوانب إحسانها رائحاً وغادياً ، يتيم حجرها الكافل ، ورضيع درها الحافل ، الشقي الخاسر ، الخائن الغادر محمد بن إسماعيل بن محمد المستجير بنسبنا من لؤم غدره ، الخفية عنا حيل مكره لخمول قدره ، إذ دعاه محتوم الحين ليهلك إلى أن يهلك ، وسولت له نفسه الأمارة بالسوء أن يملك أخـــانا الخاسر ثم يملك . وسبحان الذي يقول : (يا نوح إنه ليس من أهلك)(١) . وكيف تم له ما أبرمه من تسور الأسوار واقتحام البوار وتملك الدار ، والاستيلاء على قطب المدار ، وأننا كنفتنا عصمة الله تعالى بتجولنا الذي كان به ليلتئذ محل ثوائنا ، وكفت القدرة الإلهية أكف أعدائنا ، وخلصنا غلاباً بحال انفراد الأمر عناية ونعم الرفيق وصدق الملجأ إلى رحمة الله تعالى التي ساحتها عن مثلنا لاتضيق ، فمها تنكر الزمان أو تفرق الفريق ، وشرذمة الغدر تأخذ علينا كل فج عميق ، حتى أوينا من مدينة وادي آش إلى الجبل العاصم ، والحجة المرغمة أنف المخاصم ثم أجزنا البحر بعد معاناة وخطوب ، وتجهم من الدهر وقطوب . وبلا الله هذا الوطن بمن لايرجو لله وقاراً ، ولا يألو شعائره المعظمة احتقاراً ، فأضرمه ناراً ، وجلل وجوه وجوهه خزياً وعاراً ، حتى هتك الباطل حماه ، وغير اسمه ومسماه ، وبدد حاميته المتخيرة وشذبها ، وسخم دواوينه التي محصها الترتيب والتجريب وهذبها ؛ وأهلك نفوسها وأموالها ، وأسماء ، لولا تدارك الله تعالى أحوالها ، ولما تأذن جل جلاله في إقالة العثار ودرك الثأر ، وأنشأت

---

(١) سورة هود الآية ٤٦ .

نواسم رضاه إدامة الاستغفار ، ورأينا قلادة الاسلام قد آن انتثارها ، والملة الحنيفية كادت تذهب آثارها ، ومسائل الخلاف يتعدد مثارها ، وجعلت الملتان نحونا تشير ، والملك يأمل أن يوافيه بقدومنا البشير ، تحركنا حركة خفيفة تشعر أنها حركة الفتح ، ونهضنا نبتدر ما كتب الله تعالى من المنح ، وقد امتعض لنا الكون بما حمل ، واستخدم الملك نفسه بمشيئة الله تعالى واكتمل وكاد يقرب لقرى ضيفنا الثور والحمل ، وظاهرنا محل أخينا السلطان الكبير الرفيع المعظم المقدس أبي سالم الذي كان وطنه مأوى الجنوح ، ومهب النصر الممنوح ، رحمة الله تعالى عليه ، مظاهرة مثله من الملوك الأعاظم ، وختم الجميل بالجميل والأعمال بالخواتم ، وأنف حتى عدو الدين لنعمتنا المكفورة ، وحقوقنا المحجوبة المستورة ، فأصبح بعد العدو حبيباً ، وعاد بعد الإنابة منيباً ، وسخر أساطيله تحضيضاً على الإجازة وترغيباً ، واستقبلنا البلاد ، وبحر البشر يزخر موجه ، وملك الاسلام قد خر على الحضيض أوجه ، والروم مستولية على الثغور ، وقد ساءت ظنون المؤمنين بالعقبى ولله عاقبة الأمور . والخبيث الغادر الذي كان يمن بالإقدام قد ظهر كذب دعواه وهان مثواه ، وتورط في إشراك المندمة تورط مثله ممن اتبع هواه وجحد نعمة مولاه ، فلولا أن الله عز وجل تدارك جزيرة الأندلس بركابنا ، وعاجل أوارها بانسكابنا لكانت القاضية ، ولم تر لها من بعد تلك الريح العقيم من باقية ، لكننا بفضل الله تعالى رفعنا عنها وطأة العدو وقد ناء بكلكل ، وابتززناه منها أي مشرب ومأكل ، واعتززنا عليه بفضل الله تعالى الذي يعز ويذل ، ويهدي ويضل ، فلم نسامحه في شرط يجر غضاضة ، ولا يخلف في القلوب مضاضة ، وخضنا بحر الهول ، وبرئنا إلى الله تعالى ربنا من القوة والحول . وظهرت للمسلمين ثمرة سريرتنا ، وما بذلنا في مصانعة العدو من الاجهاز عليهم من حسن سيرتنا ، فقويت فينا أطماعهم ، وانعقد على التحرم بنا إجماعهم . وقصدنا مالقة بعد أن

أنثالت الجهة الغربية ، وأذعنت المعاقل الأبية ، فيسر الله تعالى فتحها ، وهيأ منحها . ثم توالت البيعات ، وصرخت بآذن البلاد الدعاة ، واضطرب أمر الخائن وقد دلفت المخاوف إليه وحسب كل صيحة عليه ، فاقتضت نعامته الشائلة ودولة بغيه الزائلة وآراؤه الفائلة (١) أن ضم ما أمكنه من ذخيرة مكنونة ، وآلة للملك مصونة ، واستركب أوباشه (٢) الذين استباح الحق دماءهم ، وعرف الخلق اعتزاؤهم للغدر وانتماءهم ، وقصد سلطان قشتالة من غير عهد ولا وثيقة ، ولا مُثلى طريقة ولا شيمة بالرعي خليقة . لكن الله عز وجل حمله على قدمه لإراقة دمه ، وزين الوجود بعدمه . فلحين قدومه عليه راجياً أن يستفزه بعرض ، أو يحيل صحة عقده المبرم إلى مرض ، ومؤملاً هو وشيعته الغادر كرة على الاسلام مجهزة ، ونصرة لمواعيد الشيطان منجزة تقبض عليه وعلى شيعته ، وصم عن سماع خديعته ، وأفحش بهم المثلة وأساء بحسن رأيه فيهم القتلة ، فأراح الله تعالى بإبادتهم نفوس العباد ، وأحيا بهلاكهم أرماق البلاد ، وحثثنا السير إلى دار ملكنا فدخلناها في اليوم الأغر المحجل، وحصلنا منها على الفتح الهني المعجل ، وعدنا إلى الأريكة التي نبا بنا عنها التمحيص فما حسبناه إلا سروراً أعقبه الكمال ، ومرضاً عاجله الابلال ، فثابت للدين الآمال ونجحت الأعمال وبذلنا في الناس من العفو ما غفر الذنوب وجبر القلوب ، وأشعنا العفو في القريب والقصي ، وألبسنا المريب ثوب البريء وتألفنا الشارد وأعذبنا الموارد ، وأجرينا العوائد، وأسنينا الفوائد ، إلا ما كان من شرذمة عظمت جرائرهم وخبثت في معاملة الله تعالى سرائرهم ، وعُرف شؤمهم وصدق من يلومهم . فأقصيناهم وشردناهم وأجليناهم عن هذا الوطن الجهادي وأبعدناهم . ولما تعرف سلطان قشتالة باستقلالنا واستقرارنا بحضرة الملك

---

(١) الفائلة : الضعيفة .

(٢) أوباش : كلمة عامية ، والفصحى أوشاب ومعناها أخلاط .

واحتلالنـــا ، بادر يعرف بما كان من عمله فيمن لحق به من طائفة الغدر وإخوان الخديعة والمكر ، وبعث الينا برؤوسهم ما بـين رئيسهم الشقي ومرؤوسهم ، وقد طفا على جداول السيوف حبابهـا ، وأراق بحناء الدماء خضابها ، وبرز الناس إلى مشاهدتها معتبرين وفي قدرة الله تعالى مستبصرين ، ولدفاع الناس بعضهم ببعض شاكرين . وأحق الله تعالى الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين . فأمرنا بنصب تلك الرؤوس بسور الغدر الذي فرعته ، وجعلنا علما على عاتق العمل السيء الذي اخترعته ، وشرعنا في معالجة الملم ، وأفضنا على العباد والبلاد حكم السلم ، فاجتمع الشمل كأحسن أحواله ، وسكن هذا الوطن بعد زلزاله وأفاق من أهواله . ولعلنا بفضلكم الذي قضـاياه شائعة ومقدماته ذائعة ، أخبرناكم به على اختصار واجتزاء واقتصار ، ليسر دينكم المتين بتماسك هذا الثغر الأقصى بعد استرساله وإشرافه على سوء مآله . وكنا نخاطب محل أخينا السلطان الجليل المعظم ، الأسعد الأوحد ، الخليفة أمير المؤمنين أبي إسحاق ابن الخليفة أمير المؤمنين المعظم المقدس أبي يحيى بن أبي بكر ابن الأئمة المهتدين والخلفاء الراشدين ـ وصل الله تعالى أسباب سعده وحرس أكناف مجده ـ لولا أننا تعرفنا كونه في هذه المدة مقيماً بغير تلك الحضرة التونسية ، فاجتزأنا بمخاطبة جهتكم السنية ، وبين سلفنا وسلفكم من الود الراسخ البنيان ، والكريم الأثر والعيان مايدعو إلى أن يكون سبب المخاطبة موصولاً ، وآخرة الود خيراً من الأولى ، لكن الطريق جم العوائق والبحر مفروق البوائق ، وقبول العذر بشواغل القطر بالفضل لائق ، ومرادنا أن يتصل الود ويتجدد العهد . والله عز وجل يتولى أمور المسلمين بتوارد إحسانه ، ويجمع قلوبهم حيث كانوا على طاعة الله تعالى ورضوانه . وهو سبحانه يطيل سعادتكم ويحرس مجادتكم وينجح أداتكم ، ويسني إرادتكم . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

نفح الطيب للمقري ج٩ / ٣٦-٤١

٣٢٠ – رسالة أرسلها السلطان محمد الخامس الغني بالله سلطان غرناطة إلى سلطان بني مرين يبشره بانتصاره على النصارى في إحدى غزواته ، وهي من إنشاء ابن الخطيب .

المقام الذي نطالعه بأخبار الجهاد ، ونهدي إليه عوالي العوالي صحيحة الإسناد ، ونبشره بأخبار الفتح البعيد الآماد ، ونسأل الله تعالى له توالي الإسعاف ودوام الإسعاد والإمداد ، ونرتقب من صنع الله تعالى على يديه تكييفاً يخرق حجاب المعتاد ، وامتعاضاً يطلع بآفاق البلاد نجوم غرر الجياد ، ويفتح أبواب الفتوح بأقاليد السيوف الحداد ، وينبىء عن مكارم من سلف من الآباء الكرام والأجداد ، مقام محل أخينا الذي نستفتح له بالفتح والظهور ، ونهدي إلى مجده كما نعلم من فضل نيته وحسن قصده لطائف السرور ، ونستظهر بملكه المؤيد المؤمل ومجده المشهور ، ونتوعد منهما العدو بالحبيب المذخور والولي المنصور السلطان الكذا ابن الكذا ابن السلطان الكذا . أبقاه الله تعالى عالي القدر قرير العين منشرح الصدر ، ولازال حديث فخره سائراً مسير الشمس والبدر ، عظم سلطانه الخليق بالتعظيم ، الواثق منه بالذخر الكريم المثني على مجده الصميم وفضله العميم . أمير المسلمين عبد الله الغني بالله محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر سلام كريم ، بر عميم ، يخص مقامكم الأعلى وأخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله رب العباد وملهم الرشاد ، ومكيف الاسعاف والاسعاد ، الولي النصير الذي نلقي إلى التوكل عليه مقاليد الاعتماد ، ونمد إلى أنجاده وأمداده أيدي الاعتداد ، ونرفع إليه أكف الاستمداد ، ونخلص لوجهه الكريم عمل الجهاد ، فنتعرف عوارف الفضل المزداد ، ونجتني ثمار النصر من أغصان القنا المناد ، ونجتلي وجوه الصنع الوسيم أبهر من وجه الصباح الباد ، ونظفر بالنعيم العاجل في الدنيا ، والنعيم الآجل يوم يقوم الأشهاد ، ونتفيأ

ظلال الجنة من تحت أوراق السيوف الحداد ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله النبي الهاد ، رسول الملحمة المؤيد بالملائكة الشداد ، ونبي الرحمة الهامية العهاد ، أكرم الخلق بين الرائح والغاد ، ذي اللواء المعقود والحوض المورود والشفاعة في يوم التناد ، الذي بجاهه نجدع أنوف الآساد يوم الجلاد ، وببركته ننال أقصى الأمل والمراد ، وفي مرضاته نصل أسباب الوداد . فنعود بالتجر الرابح من مرضاة رب العباد ، ونستولي من ميدان السعادة المعادّة على الآماد والرضا عن آله وصحبه وأنصاره وحزبه الكرماء الأمجاد ، دائم الدين من بعده وهداة العباد ، أنجاد الأنجاد وآساد الآساد ، الذين ظاهروه في حياته بالحلوم الراجحة الأطواد ، والبسالة التي لاتنال بالعدد في سبيل الله والأعداد ، حتى بوّءوا الاسلام في القواعد الشهيرة والبلاد ، وأرغموا أنوف أهل الجحد والإلحاد ، فأصبح الدين رفيع العماد منصور العساكر والأجناد ، مستصحب العز في الاصدار والايراد ، والدعاء لمقامكم الأعلى بالسعد الذي يغني عن اختيار الطوالع وتقويم الميلاد ، والنصر الذي تشرق أنباؤه في جنح ليل المداد ، والصنع الذي تشرع له أبواب التوفيق والسداد ، من حمراء غرناطة ـ حرسها الله ـ واليسر قد وطأ المهاد ، والخير واضح الأشهاد ، والحمد لله على المبدأ والمعاد ، والشكر له على آلائه المتصلة الترداد ، ومقامكم الذخر الكافي العتاد ، والمردد المتكفل بالانجاد . وإلى هذا وصل الله سعدكم وحرس مجدكم ووالى نصركم وعضدكم وعَددكم وعُددكم ، وبلغكم من فضله العميم أملكم ومقصدكم ، فإننا نؤثر تعريفكم بتافه المتزايدات ، ونورد عليكم أشتات الأحوال المتجددات إقامة لرسم الخلوص في التعريف بما قل ، ومودة خالصة في الله عز وجل ، فكيف إذا كان التعريف بما تهتز له منابر الاسلام ارتياحاً لوروده ، وتنشرح الصدور منه لمواقع فضل الله وجوده . والمكيفات البديعة الصفات في وجوده ، وهو أننا قدمنا إعلامكم بما نويناه من غزو مدينة

قرطبة أم البلاد الكافرة ، ومقر الحامية المشهودة والخيرات الوافرة ، والقطر الذي عهده بإلمام الاسلام متقادم ، والركن الذي لا يتوقع صدمة مصادم ، وقد اشتمل سورها من زعماء ملة الصليب على كل رئيس بئيس وهزبر خنيس وذي مكر وتلبيس ، ومن له سمة تذيع مكانه وتشيعه ، وأتباع على المنشط والمكره تطيعه . فاستدعينا المسلمين من أقاصي البلاد ، وأذعنا في الجهات نفير الجهاد ، وتقدمنا إلى الناس بسعة الأزواد ، وأعطينا الحركة التي تخلف المسلمون فيها وراءهم جمهور الكفر من الأقطار والإعداد حقها من الاستعداد ، وأفضنا العطاء والاستلحاق والاستركاب في أهل الغناء ، وأبطال الجهاد والجلاد ، فحشر الخلق في صعيد ، وأخذوا الأهبة والزينة في عيد سعيد ، وشمل الاستدعاء كل قريب وبعيد عن وعد ووعيد ، ورحلنا وفضل الله شامل ، والتوكل عليه كافٍ كافل ، وخيمنا بظاهر الحضرة حتى استوفى الناس أرابهم واستكملوا أسرابهم ، ودسنا منهم بلاد النصارى بجموع كثرها الله وله الحمد وأنماها وأبعد في التماس ما عنده من الأجر منتماها ، وعندما حللنا قاشرة ، وجدنا السلطان دون بطارة ، مؤمل نصرنا وانجادنا ، ومستعيد حظه من مواقع جهادنا ، ومقتضي دين كدحه بإعانتنا إياه وإنجاذنا قد نزل بظاهرها في محلات فمن استقر على دعوته ، وتمسك بطاعته ، وشمله حكم جماعته ، فكان لقاؤنا إياه على حال أقرت عيون المسلمين ، وتكفلت بإعزاز الدين . ومجملها يغني عن التعيين والشرح والتبيين ؛ ورأى هو ومن معه من وفور جيش الله ما هالهم ، وأشك في حال اليقظة خيالهم ، من جموع تسد الفضا وأبطال تنازع أسد الغضى ، وكتائب منصورة ، ورايات منشورة ، وأمم محشورة تفضل عن مرآى العين ، وتردي العدو في مهاوي الحين ، فاعترفوا بما لم يكن في حسابهم ، واعتبر في عزة الله سبحانه أولو ألبابهم ، وإذا كثر الله المدد نما وزكا ، وإذا أزاح العلل ما اعتذر غاز ولا شكا . وسالت من

الغد الأباطح بالأعراف ، وسمت الهوى إلى الاستشراف ، وأخذ الترتيب حقه من المواسط الجهادية والأطراف ، وأحكمت التعبية التي لا ترى العين فيها خللاً ، ولا يجد الاعتبار عندها دخلاً . وكان النزول على فرسخ من عدوة النهر الأعظم من خارج المدينة ؛ أنجز الله تعالى وعد دمارها ، وأعادها إلى عهدها في الإسلام وشمارها ، ومحا ظلام الكفر من آفاقها بملة الاسلام وأنوارها ؛ وقد برزت من حاميتها شوكة سابغة الدروع ، وافرة الجموع ، واستجنت من أسوار القنطرة العظمى بحمى لا يخفر ، وأخذ أعقابها من الحماة والكماة العدد الأوفر ، فبادر إليهم سرعان خيل المسلمين فصدقوهم الدفاع والقراع ، والحصال والمصاع ، وخالطوهم هبراً بالسيوف ، ومباكرة بالحتوف فتركوهم حصيداً ، وأذاقوهم وبالاً شديداً ، وجدلوا منهم جملة وافرة وأمة كافرة ، وملكوا بعض تلك الأسوار ، فارتفعت بها راياتهم الخافقة وظهرت عليها عزماتهم الصادقة ، واقتحم المسلمون الوادي سبيا في غمره ، واستهانة في سبيل الله بأمره ، وخالطوا حامية العدو في ضفته فاقتلعوها وتعلقوا بأوائل الأسوار فافترعوها ، فلو كنا في ذلك اليوم على عزم من القتال ، وتيسير الآلات ، وترتيب الرجال ، لدخل البلد ، وملك الأهل والولد ولكن أجار الكفار من الليل كافر ، وقد هلك منهم عدد وافر ، ورجع المسلمون إلى محلاتهم ، ونصر الله سافر ، والعزم ظافر ، ومن الغد خضنا البحر الذي جعلنا العزم فيه سفيناً ، والتوكل على الله للبلاغ ضميناً ، ونزلنا من ضفته القصوى منزلاً عزيزاً مكيناً ، بحيث يجاور سورها طنب القباب وتصيب دورها بين المخيمات بوارق النشاب ، وبرزت حاميتها على متعددات الأبواب ، مقيمة أسواق الطعان والضراب ، فآبت بصفقة الخسر والتباب ، ولما شرعنا في قتلها ورتبنا أشتات النكايات لنكالها وإن كنا لم نبق على مطاولة نزالها ، أنزل الله المطر الذي قدم بعهاده العهد ، وساوى النجد من طوفانه

الوهد ، وعظم به الجهد ، ووقع الابقاء على السلاح ، والكف بالضرورة عن الكفاح ، وبلغ المقام عليها ، والأخذ بخنقها ، والثواء لديها خمسة أيام لم تخل فيها الأسوار من اقتراع ولا الأبواب من دفاع عليها وقراع ، وأنفذت مقاتل الستائر أنقاباً ، وارتفع الفتح الموعود ارتقاباً ، وفشت في أهلها الجراح والعبث الصراح . وساءهم المساء بعزة الله والصباح ، ولولا عائق المطر لكان الاجهاز والاستفتاح والله بمدها الفتاح ، وصرفت الوجوه إلى تخريب العمران وتسليط النيران ، وعقر الأشجار وتعفية الآثار . وأتى منها العفاء على المصر الشهير في الأمصار ، وتركت زروعها الماثجة عبرة لأولي الأبصار . ورحلنا عنها وقد ألبسها الدخان حداداً ، ونكس من طغاتها أجياداً ، فاعتادت الذل اعتياداً ، وألفت الهون قياداً ، وكادت أن تستباح عنوة لولا أن الله تعالى جعل لها ميعاداً . وأتى القتل من أبطالها ومشاهير رجالها ممن يبارز ويناطح ، ويماسي بالناس ويصابح على عدد جم اخبرت سهام المشهورة بأسمائهم ، ونبهت علاماتهم على نباهاتهم ، وظهر إقدام المسلمين في المعتركات وبروزهم بالحدود المشتركات ، وتنفيلهم الأسلاب وقودهم الخيل المسومة قود الغلاب . وكان القفول ، وقد شمل الأمن والقبول ، وحصل الجهاد والقبول ، وراع الكفر العز الذي يحول ، والاقدام الذي شهدت به الرماح والخيول . وخاض المسلمون من زرع الطرق التي ركبوها والمنازل التي استباحوها وانتهبوها بحوراً بَمْد منها الساحل ، وفلاحة مدركة تتعدد فيها المراحل فصيروها صريماً ، وسلطوا عليها النار غريماً ، وحلوا بظاهر حصن أنْدَوْجر وقد أصبح مألف أذمار غير أوشاب ، ووكير طير نشاب ، فلما بلونا مراسه صعباً ، وأبراجه ملئت حرساً شديداً وشهباً ، ضننا بالنفوس أن تفيض دون افتتاحه ، فسلطنا العفاء على ساحه . وأغرينا القارات باستيعاب مابأحوازه واكتساحه ، وسلطنا النار على حزونه وبطاحه ، وألصقنا بالرغام ذوائب أدواحه . وانصرفنا بفضل الله

والمناجل دامية والأجور نامية ، وقد وطئنا المواطي التي كانت على الملوك قبلنا بسلا ، ولم نترك بها حرثاً يرفد ولا نسلاً ولا ضرعاً يرسل رسلاً . والحمد لله الذي يتم النعم بحمده . ونسأله حلة النصر فما النصر إلا من عنده ، عرفناكم بهذه الكيفيات الكريمة الصفات ، والصنائع الروائع التي بعد العهد بمثلها في هذه الأوقات ، علماً بأنها لديكم من أحسن الهديات الوديات ، ولما نعلمه لديكم من حسن النيات وكرم الطويات ، فإنكم سلالة الجهاد المقبول والرفد المبذول ووعد النصر المفعول . ونرجو الله عز وجل أن ينتقل خيالكم للمعاهد الجيادية إلى المعاينة في نصر الملة المحمدية . وأن يجمع الله بكم كلمة الاسلام على عبدة الأصنام ويتم النعمة على الأنام . وودنا لكم ماعلمتم يزيد على مر الأيام . والله يجعله في ذاته لكم متصل الدوام ، مبلغاً إلى دار السلام وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويضاعف الآلاء عندكم . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته .

نفح الطيب للمقري ٢/٤٩-٥٤

٣٢١ – رسالة وجهها السلطان محمد الخامس الغني بالله سلطان غرناطة الى الأمير السعيد أبي بكر بن السلطان أبي عنان بن السلطان أبي الحسن المريني لما عينه والده أميرا على جبل الفتح . وهي من إنشاء لسان الدين ابن الخطيب .

الإمارة التي أشرق في سماء الملك شهابها ، واتصلت بأسباب العز أسبابها ، واشتملت على الفضل والطهارة أثوابها ، وأجيلت قداح المفاخر فكان إلى جهة الله تعالى انتدابها . إمارة محل أخينا الذي تأسس على مرضاة الله تعالى أصيل فخره واتسم بالمرابط المجاهد على اقتبال سنه وجدة عمره ، وبدأ بفضل الجهاد صحيفة أجره ، وافتتح بالرباط والصلاح ديوان نهيه وأمره ، لما يسره من سعادة

نصبته وصباه من عز نصره ، الأمير الأجل الأرفع الأسنى الأطهر الأظهر الأمنع الأصمد الأسمى الموفق الأرضى . محل أخينا العزيز علينـا ، المهداة أنباء مأمول جواره الينا ، أبي بكر السعيد ابن محل والده الذي مقـــاصده للاسلام وأهله على مرضاة الله تعالى جارية ، وعزائمه على نصر الملة الحنيفيـة متبارية ، السلطان الكذا أبو عنان ابن السلطان الكذا أبي الحسن ابن السلطان الكذا أبي سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق ، أبقاه الله تعالى سديدة آراؤه ، ناجحة أعماله ، ميسرة أغراضه من فضل الله تعالى ، متممة آماله ، رحيباً في العدل مجاله ، يكنفه من الله تعالى ومحل أبينا غمام وارفة ظلاله ، هامر نواله ، حتى يرضى الله تعالى مصاعه بين يديه ومصـاله . وتمضي في الأعداء أمام رايته المنصورة نصاله ، أخوه المسرور بقربه المنطوي على مضمر حبه أمير المسلمين محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر .

وسلام كريم طيب بر عميم ، يخص أخوتكم الفضلى وإمارتكم التي أثار فضلها بحول الله تتلى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله على ما كيف من الطاقة المشرقة الأنوار ، ويسّره لهذه الأوطان بنصرته من الأوطار ، فكلما دجت بها شدة طلع الفرج عليها طلوع النهار ، وكلما اضطرب منهـــا جانب أعاده بفضل الله تعالى من أقامه لذلك واختاره إلى حال السكون والقرار . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى المختار الذي أكد عليه جبريل صلوات الله عليه حق الجوار حتى كاد يلحقه بالوسائل والقرب الكبار ، الذي أوصانا بالالتئام ، واتصال اليد في نصرة الاسلام ، فنحن نقابـــل وصاته بالبدار ، ونجري على نهجه الواضح الآثار ، ونرتجي باتباعه الجمع بين سعادة هذه الدار وتلك الدار ، والرضا عن آله وأصحابـــه وأنصاره وأحزابه أكرم الآل والأصحاب

والأحزاب والأنصار ، الذين كانوا كما أخـــبر الله تعالى عنهم على لسان الصادق الأخبار : رحماء بينهم أشداء على الكفار [1] ؛ والدعاء لامارتـكم السعيـــدة بالتوفيق الذي تجري به الأمور على حسب الاختيــــار ، والعز المنيع الذمار ، والسعد القويم المدار ، والوقاية التي يأمن بها أهلها من الشرار ، فإنا كتبناه إليـــكم ، كتب الله تعـالى لكم أسنى ما كتب للأمراء ، الأرضياء الأخيار ، ومتعكم من بقاء والدكم بالمدة العظمى ، والسيرة والرحمى ، والجلال الرفيـع المقدار ، من حمراء غرناطة ـ حرسها الله تعالى ـ ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله ﷺ الذي أوضح برهانه إلا ألطاف باهرة . وعناية من الله تعالى باطنة وظاهرة ، وبشارة بالقبول واردة ، وبالشكر صادرة . والله تعالى يصل لديكم نعمه ، ويوالي فضله وكرمه . وإلى هذا فإننا اتصل بنا في هذه الأيام ما كان من عناية والدكم محل أبينا ، أبقاه الله تعالى ، بهـذه البلاد المستندة إلى تأميل مجده ، وإقطاعها الغاية التي لا فوقها من حسن نظره ، وجميل قصده ، وتعيينكم إلى المقـــام بجبل الفتح إبلاغاً في اجتهاده الديني وجده ، فقلنا : هذا خير إن صدق مخبره وتحصل منتظره فهو فخر تجددت أثوابه ، واعتناء تفتحت أبوابه ، وعمل عند الله تعـالى ثوابه . فإن الأندلس ـ عصمها الله تعالى ـ وإن أنجدته عدده وأمواله ونجحت في نصرها مقاصده الكريمة وأعماله ، لاتدري موقع النظر لها من نفسه ، وزيادة يومــه في العناية على أمسه ، حتى يسمح لهـا بولده ، ويخصها بقرة عينه ، وفلذة كبده . فلما ورد منه الخبر ، الذي راقت به

---

(1) سورة الفتح الآية ٢٩ . وقد أوردها المؤلف بشكل مقلوب والصواب: «أشداء على الكفار رحماء بينهم» .

الجبر ، ووضحت من سعادته الغرر ، بإجازتكم البحر واختياركم في حال الشبيبة الفخر ، وصدق مخيلة الدين فيكم ، واستقراركم في الثغر الشهير الذي افتتحه سيف جدكم ، واستنقذه سعد أبيكم . سررنا بقرب المزار ، ودنو الدار ، وقابلنا صنع الله تعالى بالاستبشار ، ووثقنا ، وإن لم نزل على ثقة من عناية الله تعالى ، وعناية محل والدنا بهذه الأقطار ، وحمدنا الله تعالى على هذه الآلاء المشرقة ، والنعم والمغدقة ، والصنائع المتألقة، بادئاً نهنيء أخوتكم أولاً بما يسره الله تعالى لكم سلامة المجاز ، ثم بما منحكم الله تعالى من فضل الاختصاص ، بهذا الغرض والامتياز ، فإمارتكم الامارة التي أخذت بأسباب السماء ، وركبت إلى الجهاد في سبيل الله تعالى جياد الخيل والماء ، وأصبحت على حال الشبيبة شجاً في حلوق الأعداء . ونحن أحق بهذا الهناء ، ولكنها عادة الود ، وسنة الاخاء . فالله عز وجل يجعله مقدماً ميمون الطائر ، متهلل البشائر ، تتهلل بصنع الله بعده ومن القبائل والعشائر ، ويجري خبر سعادتكم مجرى المثل السائر ويشكر محل والدنا فيما كان من اختياره ، ومزيد إيثاره ، ويجازيه جزاء من سمح في ذاته بظنة ادخاره ، وقد رأينا أن هذا الغرض لايجتزيء فيه بالكتابة دون الاستنابة ، وجهنا لكم من يقوم بحقه ، ويجري من تقرير مالدينا على أوضح طرقه ، وهو القائد الكذا . ومجدكم يصغي لما يلقيه ، ويقابل بالقبول مامن ذلك يؤديه . والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم ، والسلام .

نفح الطيب للمقري ٦/١٦٨-١٧٢

٣٢٣ – مرسوم أصدره سلطان غرناطة محمد الخامس الغني بالله بتقليد الشيخ أبي العلاء إدريس مشيخة الغزاة في مالقة . وهو من انشاء ابن الخطيب :

هذا ظهير كريم أطلع الرضا والقبول صباحاً ، وأنشأ للعناية في جو الوجود من بعد الركود رياحاً ، وأوسع العيون قرة وإبصاراً ، والصدور انشراحاً ، وهيأ للمعتمد به مغدى في السعادة ومراحاً . وهز منه سيفاً عتيقاً يفوق اختياراً ويروق التماحاً ، وولاه رياسة الجهاد في القطر الذي تقدمت الولاية فيه لسلفه فنال عزاً شهيراً وازداد فخراً صراحاً ، وكان له ذلك إلى أبواب السعادة مفتاحاً .

أمر به وأمضاه وأوجب العمل بحسبه ومقتضاه الأمير عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين والمجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحجاج يوسف بن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر - أيد الله أمره وأعز نصره وأسعد زمانه وعصره - لوليه في الله الذي كساه مولاه من جميل اعتقاده حللاً ، وأورده من عذب رضاه منهلاً ، وعرفه عوارف قبوله مفصلاً حظا بها ومجملاً ، الشيخ أبي العلاء إدريس ابن الشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلا ، وصل الله أسباب سعادته وحرس علي مجادته ، وأجراه من ترفيع المكانة لديه على أحمد عادة سلفه وعادته .

ولما كان القدر الجليل والمجد الأثيل والذكر الجميل ، والفضائل التي كرم منها الاجمال والتفصيل ، وأحرز قصب السبق بذاته وسلفه إذا ذكر المجد العريض الطويل ، وكان قد أعمل الرحلة إليه يحدوه إلى خدمته التأميل ، ويهدي به الحب الذى وضح منه السبيل وعاق عنه الواقع الذي تبين فيه عذره الجميل ، ثم خلصه الله من ملكة الكفر الخلاص الذي قام على عنايته الدليل ، قابله بالقبول والاقبال ، وفسح له ميدان الرضا رحب المجال ، وصرف إليه وجه الاعتداد بمضائه رائق الجمال ، سافراً عن بلوغ الآمال ، وآواه من خدمته إلى ربوة متسمة الأرجاء وارفة الظلال ، وقطع عنه الأطماع بمقتضى همته البعيدة

المنال ، ثم رأى ـ والله ينجح رأيه ويشكر في سبيل الله عن الجهاد سعيه ـ أن يستظهر بمضائه ويرسل عليه عوارف آلائه ويعمر به رتب آلائه ، فقدمه ـ أعلى الله قدمه وشكر آلائه ونعمه ـ شيخ الغزاة والمجاهدين ، وكبير أولي الدفاع عن الدين بمدينة مالقة ـ حرسها الله ـ أخت حضرة دار ملكه ، وثانية الدرر الثمينة من سلكه ، ودار سلفه وقرارة مجده ، والأفق الذي تألق منه نور سعده ، راجعاً إلى نظر القواعد الغربية رُنـده وركوان (؟) وما إليه رجوع الاستغلال والايراد والاستيراد ، والعز الفسيح المجال البعيـد الآماد ، يقود جميعها إلى الجهاد عاملاً على شاكلة مجده في الاصدار والايراد حتى يظهر على تلك الجهات المباركة آثار الحماية والبسالة ، ويعود لها عهد المجادة والجلالة وتتزين ملابس الايالة ، وهو يعمل في ذلك الأعمال التي تليق بالمجد الكريم، والحسب الصميم حتى ينمو عدد الحماة ويكف البأس أكف الغزاة ، ويعظم أثر الأبطال الكماة ، وتظهر ثمرة الاختيار ويشمل الأمن جميع الأقطار ، وتنحسم عنه أطماع الكفار .

وعلى من يقف عليه من الفرسان ـ وفر الله أعدادهم وأعز جهادهم ـ أن يكونوا ممتثلين في الجهاد لأمره ، عارفين بقدره ممضين فيما ذكر لحكمه ، واقفين عند حده ورسمه ، وعلى من سواهم من الرعايا والخدام والولاة والحكام ، أن يعرفوا قدر هذا الاعتناء الواضح الأحكام والبر المشرق القسام ، فيعاملوه بمقتضى الاجلال والاكرام والترفيع والاعظام . على هذا يعتمد وبحسبه يعمل بحول الله وقوته .

صبح الأعشى للقلقشندي جـ١٠/١٩ـ٢١

٣٢٣ - مرسوم أصدره سلطان غرناطة محمد الخامس الغني بالله، يقلد بموجبه إمرة الجهاد في الأندلس إلى الأمير أبي عبد الرحمن، وهو من إنشاء ابن الخطيب.

هذا ظهير كريم بلغ فيه الاختيار الذي عضده الاختبار إلى أقصى الغاية، وجمع له الوفاق الذي خدمه البخت والاتفاق والأهلية التي شهدت بها لآفاق، بين نجح الرأي ونصر الراية، وأنتجت به مقدمات الولاء نتيجة هذه الرتبة السامية الملاء والولاية، واستظهر من المعتمد به على قصده الكريم في سبيل الله ومذهبه، بليث من ليوث أوليائه، شديد الوطأة على أعدائه والنكاية، وفرع من فروع الملك الأصيل معروف الأبوة والاباية، لتتضح حجة النصر العزيز والفتح المبين ذي القوة المتين محكمة الآية، وتدل بداية هذه الدولة الرافعة لمعالم الدين، المؤيدة في الأقوال والأفعال بمدد الروح الأمين، على شرف النهاية.

أصدر حكمته وأبرز حكمه، وقرر حده الماضي ورسمه، عبد الله الغني بالله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر - عضد الله كتائبه وشد عضده، ويسر في الظهور على أعداء الله قصده - لوليه المستولي على ميـــادين حظوته وإيثاره. الفائز بالقدح المعلى من إجلاله وإكباره، ظهير استنصاره وسيف جهاده المعد لصدق ضريبته ويوم افتخـاره، ويعسوب قبائل الغزاة بأصقاعه الجهادية وأقطاره الأمير أبي عبد الرحمن ابن الأمير أبي علي بن السلطان أمير المسلمين أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبـد الحق - وصل الله له أسباب سعده وأنجز للمسلمين بمظاهرته إياه على الكافرين سابق وعده - لما وفد على بابه الكريم، مؤثراً على ما كان بسبيله عن جواره، ملقياً بحلة الجهاد عصا تسياره، مفضلاً ما عند الله على رحب أوطانه وأقطاره، شيمة من أسرع إلى خير الآخرة ببداره قبل اكتمال هلاله وإبداره، وعلى انبعاث أمله وترامي همه واستقامة مداره، قابل - أيده الله - وفادته بالقبول الممدوح

والصدر المشروح والعناية العالية المظاهر والصروح ، وجعل له الشرب المهنى في مناهل الصنائع التي صنع الله للملكه والفتوح ، ولم يدخر عنه تقريباً يقف الأولياء دون مداه ، وترفيعاً تشهد به محافل الملك ومنتداه ، إلى أن ظفرت بحقيقة الموالاة الكريمة يداه ، ثم استظهر به على أعداء الله وعداه ، فوفّى النصح نعمه وأداه ، وأضمره وأبداه ، وتحلى بالبسالة والجلالة والطهارة اللائقة بمنصب الامارة في رواحه ومغداه ، حتى اتفقت الأهواء على فضله وعفافه وكمال أوصافه . وظهرت عليه مخايل أسلافه ، ثم رأى الآن ـ سدد الله رأيه وشكر عن الاسلام والمسلمين سعيه ـ أن يوفد ركائب الاعتقاد الجميل على جنابه ، ويفسح ميدان الاستظهار بحسن منابه ، ويصل أسبابه بأسبابه ، ويضاعف بولائه الصادق اهتمامه ، ويقيمه في قود عساكره الجهاد البر مقامه ، فأضفى ملابس وده عليه ، وجعله فاتح أبواب الجنة بفضل الله بين يديه ، وأجراه مجرى عضده الذي تصدق عنه الضريبة في المجال ، وسيفه الذي يفرج به مضايق الأهوال ، ونصبه للقبائل الجهادية قبلة في مناصحة الله ومناصحة مشروعه ، وراية سعيدة في مظاهرة متبوعه ، وعقد له الولاية الجهادية التي لا تعدل بولاية ، ولا توازن عناية المعتمد بها بعناية ، يشهد بصراحة نسبها الدين وتتحلى بحلي عزتها الميادين ، فالجهاد في سبيل الله نحلة نبي الأمة ومن بعده من الأئمة ، ولاسيما في هذا القطر المتأكد فيه ذلك لأولي الدين والهمة ، فليتول ذلك تولي مثله ، وإن قل وجود مثله ، جارياً على سنن مجده وفضله سائراً من رضا الله على أوضح سبله ، معتمداً عليه في الأمر كله .

وليعلم أن الذي يخلق مايشاء ويختار قد هيأ له من أمره رشداً ، وسلك به طريقاً مسدداً ، واستعمله اليوم فيما يحظيه غداً ، وجعل حظه الذي عوضه نوراً وهدى ، وأبعد له في الصالحات مدى . ولينظر فيما لديه من القبائل الموفورة والجموع المؤيدة المنصورة ، نظراً يزيح العلل ويبلغ الأمل ويرعى

العمل ، ويحسن القول وينجح العمل ، منبهاً على أهل الغناء والاستحقاق مستدراً للعوائد والأرزاق ، معرفاً بالغرباء الواردين من الآفاق ، مطبقاً منهم للطباق ، متغمداً للهفوات بحسن الأخلاق ، مستجيداً للأسلحة والكراع ، مبادراً هيعات[1] الصريخ بالاسراع ، مسترعياً للمشورة التي يقع الحكم فيها عن حصول الاجماع ، رفيقاً بمن ضعف عن طول الباع ، محتاطاً على الاسلام في مواقف الدفاع ، مقدماً عند اتجاه الأطماع ، صابراً في المضايق على القراع ، متقدماً للأبطال بالاصطناع ، مقابلاً نصائح أولي الخبرة بحسن الاستماع ، مستعملاً في الحروب ما أجازه الشرع من وجوه الخداع ، حتى يكون عمله وفق شهرته البعيدة المطار ، وسيرته فيما أسند إليه مثلاً في الأقطار ، واستقامة التدبير على يديه ذريعة إلى إرغام أنوف الكفار ، بقوة الله وحوله ، وعزته وطوله . وعلى الغزاة بالحضرة العلية وسائر البلاد النصرية من بني مرين ، وسائر القبائل المجاهدين ، أن يعرفوا قدره ويمتثلوا في مرضاتنا أمره ، ويكونوا معه روحاً ويداً وجسداً وساعداً وعضداً ، فبذلك يشمله من الله ومن مقامنا الرضى ، والقبول والعز الموصول ، ويمضي في عدو الله النصول ، ويتأتى على خير الدنيا والآخرة الحصول ، إن شاء الله . ومن وقف عليه فليعرف مالديه بحول الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ١١/١٢ ـ ١٥

٣٢٤ - مرسوم أصدره سلطان غرناطة محمد الخامس الغني بالله يقلد بموجبه ابنه أبا الحجاج يوسف قيادة الطبقة الأولى من المجاهدين في الأندلس وهو من إنشاء ابن الخطيب .

هذا ظهير كريم ، فاتح بنشر الألوية والبنود ، وقود العساكر والجنود

(١) جمع هيعة وهو الصوت الدال على فزع او خوف من عدو او نحوه .

وأجال في ميدان الوجود جياد البأس والجود ، واضفى ستر الحماية والوقاية بالتهائم والنجود على الطائفين والعاكفين والركع السجود ، عقد للمعتمد به عقد التشريف ، والقدر المنيف زاكي الشهود ، وأوجب المنافسة بين مجالس السروج ومضاجع المهود ، وبشر السيوف في الغمود ، وأنشأ ريح النصر آمنة من الخمود - أمضى أحكامه ، وأنهد العز أمامه ، وفتّح عن زهر السرور والحبور أكامه ، أمير المسلمين عبد الله بن محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد فرج بن نصر - أيد الله أمره وخلد ذكره - لكبير ولده ، وسابق أمده وريحانة خلده ، وياقوتة الملك على يده ، الامير الكبير الطاهر الظاهر الأعلى ، واسطة السلك وهلال سماء الملك ومصباح الظلم الحلك ، ومظنة العناية الإلهية من مدبر الفلك ، ومجري الفلك ، عنوان سعده وحسام نصره وعضده وسميّ جده وسلالة فضله ومجده ، السعيد المظفر الهمام الأعلى الأمضى ، العالم العادل العامل الأرضى المجاهد المؤمل المعظم أبي الحجاج يوسف - ألبسه الله من رضاه عنه حللاً لاتخلق جدتها الأيام ، ولا تبلغ كنهها الأفهام ، وبلغه في خدمه المبالغ التي يسر بها الاسلام ، وتسبح في بحار صنائعها الأقلام ، وحرس معاليه الباهرة بعينه التي لاتنام ، وكنفه بركنه الذي لايضام ، فهو الفرع الذي جرى بخصله على أصله ، وارتسم نصره في نصله ، واشتمل جده على فضله ، وشهدت ألسن خلاله برقمة جلاله ، وظهرت دلائل سعادته في بدء كل أمر وإعادته . ولما صرف وجهه إلى ترشيحه لافتراع هضاب المجد البعيد المدى ، وتوشيحه بالصبر والحلم والبأس والندى ، وأرهف منه سيفاً من سيوف الله لضرب هام العدا ، وأطلعه في سماء الملك بدر هدى لمن راح وغدا ، وأخذه بالآداب التي تقيم من النفوس أوداً ، وتبذر في اليوم فتجني غداً ورقاه في رتب المعالي طوراً فطوراً ، ترقي النبات ورقاً ونوراً ، ليجده بحول الله يداً باطشة على أعدائه ، ولساناً مجيباً عند ندائه ، وطرازاً على حلة عليائه وغماماً من غمائم آلائه ، وكوكباً وهاجاً بسمائه ، وعقد له لواء الجهاد على

الكتيبة الأندلسية من جنده قبل أن ينتقل من مهده ، وظالله بجناح رايته وهو على كتد(١) دابته ، واستركب جيش الاسلام ترحيباً بوفادته وتنويهاً بجسادته، وأثبت في غرض الامارة النصيرية سهم سعادته - رأى أن يزيده من عنايته ضروباً وأجناساً . ويتبع أثره ناساً فناساً ، قد اختلفوا اساناً ولباساً ، واتفقوا ابتغاءً لمرضاة الله والتماساً ، ممن كرم انتماؤه وازينت بالحسب الغر سماؤه وعُرف غناؤه ، وتأسس على المجادة بناؤه ، حتى لايدع من العناية فناً إلا جلبه اليـــه ، ولا مقادة فخر إلا جعلها بين يديه ، ولا حلة عز إلا أضفى ملابسها عليه .

وكان جيش الاسلام في هذه البلاد الأندلسية ـ أمّن الله خلالها ، وسكن زلزالها ، وصدّق في رحمة الله التي وسعت كل شيء آمالها ـ كلف همته ، ومرعى أزمته وميدان جياده ومتعلق أمد جهاده ، ومعراج إرادته إلى تحصيل سعادته وسبيل خلاله إلى بلوغ كماله ، فلم يدع له علة إلا أزاحها ، ولا طلبة إلا أجال قداحها ، ولا عزيمة إلا أورى اقتداحها ، ولا رغبة إلا فسح ساحها ، آخذاً مروءته بالتهذيب ومصافه بالترتيب وآماله بالتقريب وتأنيس المريب ، مستنجزاً له وبه وعد النصر العزيز والفتح القريب ، ورفع عنه لهذا العهد من نظر من حكّم الأغراض في حماته ، واستثمر عروق الحائف لشريف كماته ، واشتغل عن حسن الوساطة لهم بمصلحة ذاته ، وجلب جباته وتثمير ماله وتوفير أقواته ، ذاهباً أقصى مذاهب التعمير بأمد حياته ، فانفرج الضيق وخلص إلى حسن نظره الطريق ، وساغ الريق ورضي الفريق .

رأي ـ والله الكفيل بنجح رأيه وشكر سعيه وصلة حفظه ورعيه ـ أن يحمد لهم اختياره ويحسن لديهم آثاره ، ويستنيب فيما بينه وبين سيوف جهاده ،

(١) أعلى الكتف

وأبطال جلاده وحماة أحوازه والات اعتزازه ، من يجري مجرى نفسه النفيسة في كل معنى ، ومن يكون له لفظ الولاية ، وله ـ أيده الله ـ المعنى ، فقدمه على الجماعة الأولى كبرى الكتائب ، ومقاد الجنائب وأجمة الأبطال ومزنة الودق الهطال ، المشتملة من الغزاة على مشيخة آل يعقوب نسباء الملوك الكرام ، وأعلام الاسلام وسائر قبائل بني مرين ليوث العرين وغيرهم من أصناف القبائل وأولي الوسائل ، ليحوط جماعتهم ويرفع بتفقده إضاعتهم ، ويستخلص لله ولأبيه ـ أيده الله ـ طاعتهم ، ويشرف بإمارته مواكبهم ، ويزين بهلاله الناهض إلى الإبدار على فلك سعادة الأقدار كواكبهم تقديماً أشرق له وجه الدين الحنيف وتهلل وأحس باقتراب ما أمّل ، فللخيل اختيال ومراح ، وللأسل السمر اهتزاز وارتياح ، وللصدور انشراح ، وللأمل مغدى في فضل الله ومراح .

فليتول ذلك ، أسعده الله ، تولي مثله ممن أسرة الملك أسرته ، وأسرة النبي ﷺ أسرته ، والملك الكريم أصل لفرعه ، والنسب العربي مفخر لطيب طبعه ، آخذاً أشرافهم بترفيع المجالس بنسبة أقدارهم ، مقرباً حسن اللقاء بإيثارهم ، شاكراً غناءهم مستديماً ثناءهم ، مستدراً لأرزاقهم ، موجباً للمزية بحسن استحقاقهم ، شافعاً لديه في رغباتهم المؤملة ووسائلهم المتحملة ، مسهلاً الاذن لوفودهم المتلاحقة ، منفقاً لبضائعهم النافقة ، مؤنساً لغربائهم ، مستجلياً أحوال أهليهم وآبائهم ، مميزاً بين أغفالهم ونبهائهم .

وعلى جماعتهم ـ رعى الله جهادهم ووفر أعدادهم ـ أن يطيعوه في طاعة الله وطاعة أبيه ، ويكونوا يداً واحدة على دفاع أعادي الله وأعاديه ، ويشدوا في المواقف الكريهة أزره ، ويمتثلوا نهيه وأمره ، حتى يعظم الانتفاع ويثمر الدفاع ، ويخلص القصد لله والمطاع . فلو وجد ـ أيده الله ـ غاية في تشريفهم لبلغها ، أو موهبة لسوغها . لكن مابعد ولده العزيز عليه مذهب ، ولا وراء مباشرتهم بنفسه مرغب ، والله منجح الأعمال ومبلغ الآمال والكفيل بسعادة

المآل . فمن وقف على هذا الظهير الكريم فليعلم مقدار ماتضمنه من أمر مطاع وفخر مستند إلى إجماع ووجوب اتبـــاع ، وليكن خير مرعى لخير راع بحول الله .

وأقطعه ـ أيده الله ـ ليكون بعض المدد لأزواد سفره وسماط قفره ، في جملة ما أولاه من نعمه ، وسوغه من مواد كرمه جميع القرية المنسوبة إلى عرب غسان ، وهي المحلة الأثيرة والمنزلة الشهيرة ، تنطلق عليها أيدي خدامه ورجاله ، جارية مجرى صالح ماله ، محررة من كل وظيف لاستغلاله ، إن شاء الله فهو المستعان سبحانه . وكتب في كذا .

صبح الأعشى للقلقشندي ١١/١٥-١٩

٣٢٥ - مرسوم أصدره سلطان غرناطة أمير المسلمين أبو الحجاج يوسف الأول ابن أبي الوليد بتقليد أبي الحسن قضاء الجماعة في حاضرة غرناطة (١) .

هذا ظهير كريم أنتج مطلوب الاختيار قياسه ، ودل على مايرضي الله عز وجل التماسه ، وأطلع نور العناية يجلو الظلام نبراسه ، واعتمد بمثابة العدل من عرف باقتراع هضبتها باسه ، وألقى بيد المعتمد به زمام الاعتقاد الجميل تروق أنواعه وأجناسه ، وشيد مبنى العز الرفيع في قنة الحسب المنيع ، وكيف لا والله بانيه والمجد أساسه .

أمر به وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه أمير المسلمين أبو الحجاج ابن مولانا

---

(١) هذا خطأ لابد من ذكره والتنبيه عليه ذلك ان القلقشندي نفسه يذكر تاريخ هذا المرسوم وهو محرم سنة ٧٦٤ هـ ولكن سلطان غرناطة آنذاك لم يكن أبا الحجاج يوسف ، وإنما كان محمد الغني بالله ابنه على حين أن أبا الحجـــاج يوسف حكم غرناطة بين سنتي ٧٣٣ و ٧٥٥ هـ .

أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر ـ أيد الله أمره وخلد فخره ـ لقاضي حضرته العلية وخطيب حمرائه السنية ، المخصوص لديه بترفيع المزية ، المصروف اليه خطاب القضاة بإيالته النصرية قاضي الجماعة ومصرف الأحكام الشرعية المطاعة ، الشيخ أبي الحسن بن الشيخ أبي محمد بن الحسن ، وصل الله سعادته وحرس مجادته ، وسنّى من فضله إرادته ، عصب منه جبين المجد بتاج الولاية ، وأجال قداح الاختيار حتى بلغ الغاية وتجاوز النهاية ، فألقى منه بيمين عرابة الراية ، وأحله منه محل اللفظ من المعنى والاعجاز من الآية ، وحشر إلى مراعاة ترفيعــــه وجوه البر وأعيان العناية ، وأنطق بتبجيله ألسن أهل جيله بين الافصاح والكناية .

ولما كان له الحسب الذي شهدت به ورقات الدواوين ، والأصالة التي قامت عليها صحاح البراهين ، والآباء الذين اعتز بمضاء قضائهم الدين ، وطبّق[1] مفاصل الحكم بسيوفهم الحق المبين . وازدان بمجالسة وزرائهم السلاطين : فمن فارس حكيم أو حكيم تدبير ، أو قاض في الأمور الشرعية ووزير ، أو جامع بينهما جمع سلامة لا جمع تكسير ، تعدد ذلك واطرد ، ووجد مشرع المجـد عذباً فورد ، وقصرت النظراء عن مداه فانفرد ، وفرى الفرى في يد الشرع فأشبه السيف الفرند ، وجاء في أعقابهم محيياً لما درس ، بما حقق ودرس ، جانياً لما بذر السلف المبارك واغترس ، طاهر النشأة وقورها ، محمود السجية مشكورها متحلياً بالسكينة ، حالاً من النزاهة بالمكانة المكينة ، ساحباً أذيال الصون ، بعيداً عن الاتصاف بالفساد من لدن الكون ، فخطبته الخطط العلية ، واغتبطت به المجادة الأولية ، واستعملته دولته التي ترتاد أهل الفضائل المرتب ، وتستظهر على المناصب بأبناء التقي والحسب ، والفضل والمجد والأدب ، ممن يجمع بين

---

(١) طبّق السيف إذا أصاب المفصل فأبان العضو .

الطارف والتالد والارث المكتسب ، فكان معدوداً من عدول قضاتها وصدور نبهائها وأعيان وزرائها وأولي آرائها .

فلما زان الله خلافته بالتمحيص المتجلي على التخصيص ، وخاص ملكه الأصيل كالذهب لابريز من بعد التخليص ، كان ممن صحب ركابه الطالب للحق بسيف الحق ، وسلك في مظاهرته أوضح الطرق ، وجادل من حاده بأمضى من الحداد الذلق ، واشتهر خبر وفائه بالغرب والشرق ، وصلى به صلاة السفر والحضر ، والأمد والحدر ، وخطب به في الأماكن التي بعُد بذكر الله عهدها ، وخاطب عنه ـ أيده الله ـ المخاطبات التي حمد قصدها حتى استقل ملكه فوق سريره ، وابتهج منه الاسلام بأميره وابن أميره . ونزل الستر على العباد والبلاد ببركة إيالته ويمن تدبيره ، وكان الجليس المقرب المحل والحظي المشاور في العقد والحل ، والرسول المؤتمن على الأسرار ، والأمين على الوظائف الكبار ، مزين المجلس السلطاني بالوقار ، ومتحف الملك بغريب الأخبار ، وخطيب منبره العالي في الجمعات وقارىء الحديث لديه في المجتمعات .

ثم رأى ـ أيده الله ـ أن يشرك رعيته في نفعه ، ويصرف عوامل الحظوة إلى مزيد رفعه ، ويجلس مجلس الشارع ، صلوات الله وسلامه عليه ، لإيضاح شرعه وأصله الوثيق وفرعه ، وقدمه ـ أعلى الله قدمه وشكر آلاءه ونعمه ـ قاضياً في الأمور الشرعية ، وفاصلا في القضايا الدينية ، بحضرة غرناطة العلية ـ حرسها الله ـ تقديم الاختيار والانتقاء ، وأبقى له فخر السلف على الخلف ، والله يمتعه بطول البقاء .

فليتول ذلك عادلاً في الحكم مهتدياً بنور العلم ، مسوياً بين الخصوم حتى في لحظه والتفاته ، متصفاً من الحلم بأفضل صفاته ، مهيباً بالدين رؤوفاً بالمؤمنين مسجلاً للحقوق غير مبال في رضى الخالق بسخط المخلوق ، جزلاً في الأحكام مجتهداً في الفصل بأمضى حسام ، مراقباً لله عز وجل في النقض والإبرام ،

باراً بمشيخة أهل التوثيق ، عادلاً إلى سعة الأقوال عنـد المضيق ، سائراً من مشهور المذهب على أهدى طريق ، وأوصاه بالمشورة التي تقدح زناد التوفيق ، والتثبت حتى ينبلج قياس التحقيق ، وصية أصدرها له مصدر الذكرى التي تنفع ، ويعلي الله بها الدرجات ويرفع ، وإلا فهو عن الوصاة غني ، وقصده قصد سني ، والله عز وجل ولي إعانته ، والكفيل بحفظه من الشبهات وصيـانته .

وأمره ـ أيده الله ـ أن ينظر في الأحباس على اختلافها ، والأوقاف على شتى أصنافها ، واليتامى التي انسدلت كفالة القضاة على ضعافها ، فيذود عنها طوارق الخلل ، ويجري أمورها بما يتكفل لها بالأمل ، وليعلم أن الله عز وجل يراه ، وأن فلتات الحـــكم تعاوده المراجعة في أخراه ، فيدرع جُنة تقواه ، فسبحان من يقول : إن الهدى هدى الله .

فعلى من يقف عليه أن يعرف حق هذا الإجلال ، صائناً منصبه عن الاخلال ، مبادراً أمره الواجب الامتثال بحول الله .

وكتب في الثالث من شهر الله المحرم فاتح عام أربعة وستين وسبع مئة ، عرّف الله فيه هذا المقام العليّ عوارف النصر المبين ، والفتح القريب بمنه وكرمه ، فهو المستعان لارب غيره .

صبح الأعشى للقلقشندي ١١ / ٢١ ـ ٢٤

٣٢٦ ـ وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده قبيل موته .

... ومن رزق منكم مالاً بهذا الوطن القلق المهاد الذي لا يصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه أجمع في العقار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعياً لنفسه أن يتغلب العدو على بلده في الافتضاح والافتقار ، ومعوقاً عن الانتقال أمام النوائب الثقال . وإذا كان رزق العبد على المولى ، فالاجمال في الطلب أولى .

نهاية الأندلس لعنان ـ ١٤٦

٦ ـ أبو عبد الله الصغير ٨٩٢ ـ ٨٩٧ هـ / ١٤٨٧ ـ ١٤٩٢ م

٣٢٧ ـ الخطاب الذي وجهه الملك فرناندو لقائد بسطة لما قرر تسليمها إليه

حاصر جيش الملك فرناندو بسطة وضايقها كل المضايقة ، وقد دافع عنها أهلها دفاعاً مجيداً بقيادة القائد يحيى النيار زعيم بسطة والمرية ، ولكن في الأخير ضعفت البلدة وتفاوض يحيي النيار مع مندوب الملك فرناندو وهو الدون جوتيري دي كاردنياس ، واتفقا على تسليم بسطة إلى الملك فرناندو وأن ينضم يحيي وأنصاره إلي ملك قشتالة ، ويصبح من أتباعه ، ووجه له الملك الخطاب التالي بهذا المعنى ، وكان ذلك في ٢٥ كانون أول سنة ١٤٨٩ م .

يؤكد الملك ليحيي أنـه سوف يستقبله تحت حمايته هو وولده وأبناء عمه وينزلهم في داره ويعاملهم بما يليق بهم معاملة أشراف مملكته ، ويدافع عنهم ، وعن أملاكهم وأتباعهم .

ثم يقول الملك مخاطباً يحيي .

وإنه إذا صحت عزيمتكم حقاً على اعتناق النصرانية ، وعلى أن تخدمني وتعاونني برجالك ، فإني سوف أكتم ذلك طول مدة الفتح حتى لا يتقول عليك رجالك ، ولهذا فإنك ستستقبل التعميد المقدس سراً في غرفتي حتى لا يعرفه المسلمون إلا بعد تسليم وادي آش .

وان الكروم والقرى ، والحصون التي تؤول إليك بالميراث عن والدك أمير المرية أهبها لك لتملكها وتتصرف فيها كما تشاء ، وعهدي لك بذلك أنا والملكة زوجتي .

وإنه لن تدفع أنت وابنك ، وأبناء عمك ، وأعقابك ، وحشمك أي مغرم ، أو جزية في سائر مملكتي إلى الأبد .

وإنه تشريفاً لشخصك يسمح لك بأن يصحبك عشرون فارساً مسلحون بكل ما يرغبون ، وأن تتجول بهم حيث شئت في أنحاء مملكتي ، ويتمتع ولدك بمثل ذلك .

وإنه إذا تنازل صهرك ملك وادي آش عن نصف الملاحات التي أهبها إليه فإني أهبك دخلاً قدره خمس مئة وخمسون ألف مراقيدي من ملاحات ولاية ، وفضلاً عن ذلك فإنه إذا تم تسليم وادي آش في الموعد المتفق عليه ، فإني مكافأة لك عن جهودك في خدمتي لدى ملك وادي آش وغيره من القادة أهبك عشرة الآف ريال ، وأقدم لك سائر البراءات اللازمة بما تقدم .

نهاية الأندلس لعنان ـ ٢٢٦

٣٢٨ ـ معاهدة تسليم غرناطة التي وقعها أبو عبد الله الصغير ملك غرناطة وفرناندو وإيزابيلا ملكا إسبانيا المسيحية في الحادي والعشرين من محرم سنة ٨٩٧ هـ الموافق لـ ١٤٩١/١١/٢٥م .

مادة أولى : أن يتعهد ملك غرناطة والقادة والفقهاء والوزراء والعلماء وكافة الناس سواء في غرناطة والبيازين وأرباضها ، بأن يسلموا طواعية واختياراً وذلك في ظرف ستين يوماً تبدأ من تاريخ هذه المعاهدة قلاع الحمراء والحصن وأبوابها وأبراجها ، وأبواب غرناطة والبيازين الى الملكين الكاثوليكيين ، أو إلى من يندبانه من رجالها ، على أن لايسمح لنصراني أن يصعد إلى الأسوار القائمة بين القصبة والبيازين ، حتى لايكشف أحوال المسلمين ، وأن يعاقب من يفعل ذلك ، وضماناً لسلامة هذا التسليم يقدم الملك المذكور مولاي أبو عبد الله والقادة المذكورون إلى جلالتيهما ، قبل تسليم الحمراء بيوم واحد ، خمسمئة شخص صحبة الوزير ابن كماشه ، من أبناء وأخوة زعماء غرناطة والبيازين ، ليكونوا

رهائن في يديها لمدة عشرة أيام ، تصلح خلالها الحمراء ، وفي نهاية هذا الأجل يرد أولئك الرهائن أحراراً ، وأن يقبل جلالتها ملـــك غرناطة وسائر القادة والزعماء وسكان غرناطة والبشرات وغيرها من الأراضي رعايا وأتباعاً تحت حمايتها ورعايتهما .

مادة ثانية : وإنه حينما يرسل جلالتهما رجالهما لتســـلم الحمراء المذكورة ، فعليهم أن يدخلوا من باب العشار ومن باب نجدة ، ومن طريق الحقول الخارجية وألا يسيروا اليها من داخل المدينة ، حينما يأتون لتسلمها وقت التسليم .

مادة ثالثة : وانه متى تم تسليم الحمراء والحصن ، يرد إلى الملك المذكور مولاي أبي عبد الله ولده المأخوذ رهينة لديهما ، وكذلك يرد سائر رهائن المسلـمين الذين معه وسائر حشمه الذين لم يعتنقوا النصرانية .

مادة رابعة : ويتعهد جلالتهما وخلفاؤهما إلى الأبد بأن يترك الملك المذكور أبو عبد الله والقادة والوزراء والعلماء والفقهاء والفرسان وسائر الشعب تحت حكم شريعتهم ، وألا يؤمروا بترك شيء من مساجدهم وصوامعهم ، وأن تترك لهذه المساجد مواردها كما هي ، وأن يقضى بينهم وفق شريعتهم وعلى يد قضـاتهم ، وأن يحتفظوا بتقاليدهم وعاداتهم .

مادة خامسة : وألا يؤخذ منهم خيلهم أو سلاحهم الآن أو فيما بعد ، سوى المدافع الكبيرة والصغيرة فإنها تسلم .

مادة سادسة : وأنه يحق لسائر سكان غرناطة والبيازين وغـيرهما ، الذين يريدون العبور إلى المغرب أن يبيعوا أموالهم المنقولة لمن شاؤوا ، وأنـــه يحق للملكين شراءها بمالهما الخاص .

مادة سابعة : وأنه يحق للسكان المذكورين أن يعبروا إلى المغرب أو يذهبوا أحراراً إلى أية ناحية أخرى حاملين أمتعتهم أو سلعهم وحليهم من الذهب والفضة وغيرها . ويلتزم الملكان أن يجهزا في بحر ستين يوماً من تاريخه عشر سفن من

موانيهما يعبر فيها الذين يريدون الذهاب إلى المغرب ، وأن يقدما خلال الأعوام الثلاثة التالية السفن لمن شاء العبور ، وتبقى السفن خلال هذه المدة تحت طلب الراغبين فيه ، ولا يقتضى منهم خلال هذه المدة أي أجر أو مغرم ، وانه يحق العبور لمن يشاء بعد ذلك نظير دفع مبلغ « دوبل » واحد عن كل شخص ، وأنه يحق لمن لم يتمكن من بيع أملاكه أن يوكل لإدارتها ، وأن يقتضي ريعها حيث كان .

مادة ثامنة : وألا يرغم أحد من المسلمين أو أعقابهم ، الآن أو فيما بعد على تقلد شارة خاصة بهم .

مادة تاسعة : وأن ينزل الملكان للملك أبي عبد الله المذكور ولسكان غرناطة والبيازين وأرباضهما لمدة ثلاث سنوات تبدأ من تاريخه عن سائر الحقوق التي يجب عليهم أداؤها عن دورهم ومواشيهم .

مادة عاشرة : وأنه يجب على الملك أبي عبـــد الله وسكان غرناطة والبيازين وأرباضهما والبشرات وأراضيها أن يسلموا وقت تسليم المدينة طواعيـة ودون أية فدية سائر الأسرى النصارى الذين تحت أيديهم .

مادة ثانية عشرة : وأنه لا يسمح لنصراني أن يدخل مكاناً لعبادة المسلمين دون ترخيص ويعاقب من يفعل ذلك .

مادة ثالثة عشرة : وألا يولى على المسلمين مباشر يهودي ، أو يمنح أية سلطة أو ولاية عليهم .

مادة رابعة عشرة : وأن يعامل الملك أبو عبد الله المذكور وسائر السكان المسلمين برفق وكرامة ، وأن يحتفظوا بعوائدهم وتقاليدهم ، وأن يؤدي للفقهاء حقوقهم المأثورة وفقاً للقواعد المرعية .

مادة خامسة عشرة : وأنه إذا قام نزاع بين المسلمين فصل فيه وفقاً لأحكام شريعتهم ، وتولاه قضاتهم .

مادة سادسة عشرة : وألا يكلفوا بإيواء ضيف أو تؤخذ منهم ثياب أو دواجن أو أطعمة أو ماشية أو غيرها دون إرادتهم .

مادة سابعة عشرة : وأنه إذا دخل نصراني منزل مسلم قهراً عنه عوقب على فعله .

مادة ثامنة عشرة : وأنه فيما يتعلق بشؤون الميراث يحتفظ المسلمون بنظمهم ويحتكمون إلى فقهائهم وفقاً لسنن المسلمين .

مادة تاسعة عشرة : وأنه يحق لسائر سكان غرناطة والبشرات وغيرهما الداخلين في هذا العهد الذين يعلنون الولاء لجلالتيهما في ظرف ثلاثين يوماً من التسليم أن يتمتعوا بالاعفاءات الممنوحة مدى السنوات الثلاث .

مادة عشرون : وأن يبقى دخل الجوامع والهيئات الدينية أو أية أشياء أخرى مرصودة على الخير ، وكذا دخل المدارس متروكاً لنظر الفقهاء ، وألا يتدخل جلالتهما بأية صورة في شأن هذه الصرفيات أو يأمر أن يأخذها في أي وقت .

مادة واحدة وعشرون : وأنه لا يؤخذ أي مسلم بذنب ارتكبه شخص آخر ، فلا يؤخذ والد بذنب ولده ، أو ولد بذنب والده أو أخ بذنب أخ ، أو ولد عم بذنب ولد عم ولا يعاقب إلا من ارتكب الجرم .

مادة رابعة وعشرون : وأنه إذا كان مسلم أسيراً وفر إلى مدينة غرناطة أو البيازين أو أرباضها أو غيرهما فإنه يعتبر حراً ، ولا يسمح لأحد بمطاردته إلا إذا كان من العبيد أو من الجزائر .

مادة خامسه وعشرون : وألا يدفع المسلمون من الضرائب أكثر مما كانوا يدفعون لملوكهم المسلمين .

مادة سادسة وعشرون : وأنه يحق لسكان غرناطة والبيازين والشرات

وغيرهما ممن عبروا إلى المغرب أن يعودوا خلال الأعوام الثلاثة التالية ، وأن يتمتعوا بكل مايحتويه هذا الاتفاق .

مادة ثامنة وعشرون : كما يحق لمن عبر منهم إلى المغرب ولم ترضه الاقامة هنالك أن يعود خلال الأعوام الثلاثة وأن يتمتع بكل مافي هذا الاتفاق .

مادة تاسعة وعشرون : وأنه يحق لتجار غرناطة وأرباضها والبشرات وسائر أراضيها أن يتعاملوا في سلعهم آمنين عابرين إلى المغرب وعائدين ، كما يحق لهم دخول سائر النواحي التابعة لجلالتيهما وألا يدفعوا من الضرائب سوى التي يدفعها النصارى .

مادة ثلاثون : وأنه إذا كان أحد من النصارى ـ ذكر أو أنثى ـ اعتنق الاسلام فلا يحق لانسان أن يهدده أو يؤذيه بأية صورة ومن فعل ذلك يعاقب .

مادة واحدة وثلاثون : وأنه اذا كان مسلم تزوج بنصرانية واعتنقت الاسلام فلا ترغم على العودة إلى النصرانية ، بل تسأل في ذلك أمام المسلمين والنصارى وألا يرغم أولاد الروميات ذكوراً وإناثاً على اعتناق النصرانية .

مادة ثانية وثلاثون : وأنه لا يرغم مسلم أو مسلمة على اعتناق النصرانية .

مادة ثالثة وثلاثون : وأنه إذا شاءت مسلمة متزوجة ، أو أرملة ، أو بكر اعتناق النصرانية بدافع الحب فلا يقبل ذلك منها ، حتى تسأل وتوعظ وفقاً للقانون ، وإذا كانت قد استولت خلسة على حلي ، أو غيرها من دار أهلها او أي شيء آخر ، فإنها ترد لصاحبها ، وتتخذ الإجراءات ضد المسئول .

مادة رابعة وثلاثون : وألا يطلب الملكان ، أو يسمحا أن يُطلب إلى الملك المذكور مولاي أبي عبد الله ، أو خدمه أو أحد من أهل غرناطة أو البيازين ، وأرباضها والبشرات ، وغيرها ، من الداخلة في هذا العهد بأن يردوا ما أخذوه أيام الحرب من النصارى ، والمدجنين من الخيل ، أو

الماشية ، أو الثياب ، أو الفضة ، أو الذهب وغيرها ، أو من الأشياء الموروثة ولا يحق لأحد يعلم بشيء من ذلك أن يطالب به .

مادة خامسة وثلاثون : وألا يطالب إلى أي مسلم ، يكون قد هدد أو جرح أو قتل أسيراً أو أسيرة نصرانية ، ليس أو ليست في حوزته رده أو ردها الآن وفيما بعد .

مادة سادسة وثلاثون : وألا يدفع عن الأملاك ، والأراضي السلطانية بعد انتهاء السنوات الثلاث الحرة من الضرائب إلا وفقاً لقيمتها ، وعلى مثل الأراضى العادية .

مادة سابعة وثلاثون : وأن يطبق ذلك أيضاً على أملاك الفرسان والقادة المسلمين فلا يدفع عنها أكثر مما يدفع عن الأملاك العادية .

مادة ثامنة وثلاثون : وأن يتمتع اليهود من أهل غرناطة ، والبيازين وأرباضها ، والأراضي التابعة لها ، بما في هذا العهد من الامتيازات ، وأن يسمح لهم بالعبور إلى المغرب خلال ثلاثة أشهر تبدأ من يوم ١٨ ديسمبر .

مادة تاسعة وثلاثون : وأن يكون الحكام والقواد والقضاة ، الذين يعينون لغرناطة ، والبيازين ، والأراضي التابعة لها ممن يعاملون الناس بالكرامة والحسنى ، ويحافظون على الامتيازات الممنوحة ، فإذا أخل أحدهم بالواجب عوقب وأحل مكانه من يتصرف بالحسنى .

مادة أربعون : وأنه لا يحق للملكين أو لأعقابها إلى الأبد ، أن يسألوا الملك المذكور أبا عبد الله أو أحداً من المسلمين المذكورين بأية صورة عن أي شيء يكون قد عملوه ، حتى حلول يوم تسليم الحمراء المذكورة وهي فترة الستين يوماً المنصوص عليها .

مادة واحدة وأربعون : وأن لا يولي عليهم أحداً من الفرسان أو القادة أو الخدم الذين كانوا تابعين لملك وادي آش .

مادة ثانية وأربعون : وأنـــه إذا وقع نزاع بين نصراني أو نصرانية ومسلم أو مسلمة ، فإنه ينظر أمام قاضي نصراني وآخر مسلم ، حتى لا يتظلم أحد مما يقضى به .

مادة رابعة وأربعون : وأن يقوم الملكان بالإفراج عن الأسرى المسلمين ذكوراً وإناثاً من أهل غرناطة ، والبيازين ، وأرباضها ، وأراضيها ، إفراجاً حراً دون أية نفقة من فدية أو غيرها ، وأن يكون الافراج عمن كان من هؤلاء الأسرى بالأندلس في ظرف خمسة الأشهر التالية ، وأما الأسارى الذين بقشتالة فيفرج عنهم خلال الثمانية أشهر التالية ، وبعد يومين من تسليم الأسرى النصارى لجلالتيهما يفرج عـن مئتين عن الأسرى المسلمين ، منهم مئة من الرهائن ومئة أخرى .

مادة سادسة وأربعون : وأنه إذا دخلت أية محلة من نواحي البشرات في طاعة جلالتيهما ، فإنها يجب أن تسلم إليهما كل الأسرى النصارى ذكوراً وإناثا في ظرف خمسة عشر يوماً من تاريخ الانضمام وذلك دون أية نفقـــة .

مادة سابعة وأربعون : وأن تعطى الضمانات للسفن المغربية الراسية الآن في مملكة غرناطة لكي تسافر في أمان ، على ألا تكون حاملة أي أسير نصراني ، وألا يحدث لها أحد ضرراً أو إتلافاً ، وألا يؤخذ منها شيء ، ولا ضمان لمن تحمل معها أسري من النصارى ، ويحق لجلالتيهما إرسال من يقوم بتفتيشها لذلك الغرض .

مادة ثامنة وأربعون : وألا يدعى أو يؤخذ أحد من المسلمين للحرب رغم إرادته ، وإذا شاء جلالتهما استدعاء الفرسان الذين لهم خيول ، وسلاح للعمل في نواحي الأندلس فيجب أن يدفـع لهم الأجر من يوم الرحيل حتى يوم العودة .

مادة ثانية وخمسون: وأنه يجب على كل من عليه دين أو تعهد، أن يؤديه لصاحب الحق، ولا يحق لهم التحرر من هذه الحقوق.

مادة ثالثة وخمسون: وأن يكون المأمورون القضائيون الذين يعينون لحاكم المسلمين مسلمين الآن وإلى الأبد.

مادة رابعة وخمسون: وأن يكون المتولون لوظائف الحسبة الخاصة بالمسلمين أيضاً مسلمين، وألا يتولاها نصراني الآن وفي أي وقت.

وأن يقوم الملكان في اليوم الذي تسلم إليهما فيه الحمراء، والحصن، والأبواب كما تقدم، بإصدار مراسيم الامتيازات للملك أبي عبد الله، وللمدينة المذكورة ممهورة بتوقيعها، ومختومة بخاتمها الرصاص ذي الأهداب الحريرية، وأن يصدق عليها ولدهما الأمير والكردينال المحترم دي سبينا ورؤساء الهيئات الدينية، والعظماء، والدوقات، والمركيزون، والكونتات، والرؤساء حتى تكون ثابتة وصحيحة الآن وفي كل وقت (٥٦ ثافرا) (٤٣ سيمانقا).

وقد ذيلت المعاهدة بنبذة خلاصتها:

إن ملكي قشتالة يؤكدان ويضمنان بدينها وشرفها الملكي القيام بكل ما يحتويه هذا العهد من النصوص، ويوقعانه باسميهما ويمهرانه بخاتمها وعليه تاريخ تحريرها ١٤٩١/١١/٢٥ م.

تم ذيلت بعد ذلك وبتاريخ لاحق هو يوم ١٤٩٢/١٢/٣٠ م أي بعد عام من تسليم غرناطة بتوكيد جديد أمر فيه الملكان ولدهما الأمير، وسائر عظماء المملكة بالمحافظة على محتويات هذا العهد، وألا يعمل ضده شيء، وينقض منه شيء، الآن وإلى الأبد، وأنها يؤكدان، ويقسمان بدينها، وشرفها الملكي بأن يحافظا ويأمران بالمحافظة على كل ما يحتويه بنداً بنداً إلى الأبد.

وقد ذيل هذا التوكيد بتوقيع الملكين وتوقيع ولدهما وجمع كبير من الأمراء ، والأحبار ، والأشراف .

نهاية الأندلس لعنان ٢٤٥ - ٢٥٠ .

٣٢٩ - الذيل الذي ذيل به الملكان فرناندو وإيزابيلا معاهدة تسليم غرناطة ، ويضمن الملكان بموجبه حقوق وامتيازات أبي عبد الله الصغير آخر ملك من ملوك بني نصر في غرناطة .

أن يمنح الملكان الكاثوليكيان لأبي عبد الله ولأولاده ، وأحفاده ، وورثته إلى الأبد حق الملكية الأبدية فيما يملكانه من محلات وضياع في بلاد برجـة ، ودلاية ، ومرشانة ، ولو شار ، واندرس ، وأجيجر ، وأرجبة ، وبضعة بلاد أخرى مجاورة ، وكل ما يخصها من الضرائب ، وحقوق الريع ، وما بها من الدور والأماكن ، والقلاع ، والأبراج ، لتكون كلها له ولأولاده ، وأعقابه ، وورثته بحق الملكية الأبدية ، يتمتع بكل ريعها ، وعشورها ، وحقوقها ، وأن يتولى القضاء في النواحي المذكورة باعتباره سيدها ، وباعتباره في نفس الوقت تابعاً ، وخاضعاً لجلالتيهما . وله حق بيع الأعيان المذكورة ، ورهنها وأن يفعل بها ما يشاء ومتى شاء . وأنه متى أراد بيعها ، فإنه يعرض ذلك أولاً على جلالتيهما فإذا لم يريدا شراءها فله أن يبيعها لمن شاء .

وأن يحتفظ جلالتهما بقلعة ادرة وسائر القلاع الواقعة على الشاطىء .

وأن يعطي جلالتهما إلى الملك المذكور مولاي أبي عبد الله هبة قدرها ثلاثون ألف جنيه قشتالي ، من الذهب (كاستيليانو) يبعثان بها إليه عقب تسليم الحمراء ، وقلاع غرناطة الأخرى التي يجب تسليمها ، وذلك في الموعد المحدد .

وأن يهب جلالتها للملك المذكور كل الأراضي ، والرحى ، والحدائق والمزارع التي كان يملكها أيام أبيه السلطان أبي الحسن ، سواء في غرناطة ، أو في البشرات ، لتكون ملكاً له ولأولاده ، ولعقبه وورثتـــه ملكية أبدية . وله أن يبيعها ، أو يرهنها وأن يتصرف فيها كيفما شاء .

وأن يهب جلالتها أيضاً إلى الملكات والدته وأخواته وزوجته إلى زوجة أبي الحسن كل الحدائق ، والمزارع ، والأراضي ، والطواحين ، والحمامات التي يملكنها في غرناطة ، والبشرات ، تكون ملكاً لهن ولأعقابهن إلى الأبد ، ولهن بيعها ورهنها ، والتمتع بها ، وفقاً لمـا تقدم .

وأن تكون سائر الأراضي الخاصة بالملك المذكور ، والملكات المذكورات ، وزوجة مولاي أبي الحسن معفاة من الضرائب ، والحقوق الآن وإلى الأبد .

وألا يطلب جلالتها أو أعقابها إلى ملك غرناطة ، أو حشمه ، أو خدمه ، رد ما أخـــذوه في أيامهم سواء من النصارى أو المسلمين من الأموال والأراضي .

وأنه إذا شاء الملك المذكور أبو عبـد الله ، والملكات المذكورات ، وزوجة مولاي أبي الحسن وأولادهم ، وأحفادهم ، وأعقابهم ، وقوادهم ، وخدمهم ، وأهل دارهم ، وفرسانهـم ، وغيرهم صغاراً وكباراً العبور إلى المغرب ، فإن جلالتها يجهزان الآن أو في أي وقت سفينتين لعبور الأشخاص المـذكورين متى شاءوا تحملهم وكل أمتعتهم وماشيتهـم وسلاحهم ، وذلك دون أية أجر أو نفقة .

وأنه إذا لم يتمكن الملك المذكور وأولاده ، وأحفاده ، وأعقابه ، والملكات المذكورات ، وزوجة مولاي أبي الحسن ، والقواد ، والحشم ، والخدم ، وقت عبورهم إلى المغرب ، من بيع أملاكهم المشار إليها ، فإن

لهم أن يوكلوا من شاءوا لقبض ريعهـا وإرساله حيث شاءوا دون أي قيد أو مغرم .

وأنه يحق للملك المذكور متى شاء أن يرسل من يرى من خدمـه ، أو قادته إلى المغرب بسلع أو غيرهـا من إيراداته ، وذلك دون قيـد أو مغرم .

وأنه يحق للملك المذكور ، متى خرج عن غرناطة ، أن يسكن أو أو يقيم متى شاء في الأراضي التي أقطعت له ، وأن يخرج هـو وخدمه وقواده وعلمـاؤه وقضاته وفرسانـه الذين يريدون الخروج معـه بخيلهم وماشيتهم متقلدين أسلحتهم ، وكذلك نساؤهم ، وخدمهم ، وألا يؤخـذ منهم شيء سوى المدافع ، وألا يفرض عليهم ، لآن أو في أي وقت ، وضع علامة خاصة في ثيابهم أو بأية صورة ، وأن يتمتعوا بسائر الامتيازات المقررة في عهد تسليم غرناطة ، وأنه في اليوم الذي يتم فيه تسليم الحمراء وحصونهـا ، يصدر جلالتها المراسيم اللازمة بالمنح المذكورة موقعة مختومة ومصدق عليها من ابنها الأمير الكاردينال ، وسائر العظماء .

نهاية الأندلس لعنان ٢٥١ - ٢٥٢ .

٣٣٠ - نص اتفاق أبي عبد الله الصغير الأخير مع ملك إسبانية بالتنازل عن أملاكه ، والرحيل إلى المغرب .

أصبح بقـاء أبي عبد الله مؤلماً له ومزعجاً لفرناندو ، فأرسل رسولاً إلى فرناندو ، وبعد مفاوضات طويلة اتفق الطرفان على أن يغادر أبو عبد الله إسبانية إلى المغرب ، وأن يتنازل عن أملاكه ، وحقوقه ، لقاء مبلغ معين . وذلك أنه يتعهـد بالعبور إلى المغرب في موعـد أقصاه نهـاية تشرين أول سنة ١٤٩٣ م ، وأنه يتنـازل عن سائر أملاكه ، وضياعه في

كل مكان بالبيع للملكين القشتاليين لقاء ثمن إجمالي قدره واحد وعشرون ألف جنيه قشتالي (كاستيليانو) من الذهب الحر أو الدوقات المضروبة من الذهب الخالص ، كما يتنازل أبو عبد الله عن اختصاصه المدني والجنائي ، ويحمل إليه المال قبل رحيله بثمانية أيام ، ويقدم إليه عربتان لحمل متاعه وسفناً ينتقل عليها مع صحبه إلى المغرب .

كما تضمن الاتفاق نصوصاً أخرى بخصوص بيع الأميرات ، أملاكهن للملكين . وكذلك بيع الوزير ابن كماشة والوزير أبي القاسم كل أملاكهما ، نظير مقادير من المال بنفس الشروط .

نهاية الأندلس لعنان - ٢٧٧

٣٣١ - نص اعتراف أبي عبد الله بتنازله عن أملاكه ، واستلامه عقود ذلك وهو موجه إلى فرناندو وإيزابيلا .

الحمد لله إلى السلطان والسلطانة أضيافي . أنا الأمير محمد بن علي بن نصر خديمكم . وصلتني من مقامكم العلي العقيد وفيها جميع الفصول ، الذي عقدها عني وبكم التقديم ، من خديمي القائد أبو القاسم المليح ، ووصلت بخط يدكم الكريمة عليها ، وبطابعكم العزيز . كيف هيت مذكورة بهذا الذي هي تصلكم . وإني نوفي ونحلف أني رضيت بها ، بكلام الوفا مثل خديم جيد . وترى هذا خط يدي وطابعي أرقيته عليها ، لتظهر صحة قولي ، ووصلت بتاريخ الثالث والعشرين من شهر رمضان المعظم عام ثمان وتسعون وثمانمائة . أنا كاتبه محمد بن علي بن نصر رضيت وقبلت جميع ما في هذا المكتوب الثابت . وتقبل بيدي ، إلى أضيافي السلطان والسلطانة ، مد لي في هنا كما .

نهاية الأندلس لعنان ٢٧٧-٢٧٨

٣٣٢ ـ رسالة وجهها أبو الحسن المريني سلطان المغرب أمير المسلمين إلى الملك الصالح بن الناصر بن قلاوون الملك المملوكي يخبره بمعاركه في الأندلس وهزيمته في الجزيرة الخضراء . وتاريخ الرسالة سنة ٧٤٥هـ[١]

بعد البسملة والصلاة .

من عند أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل الله رب العالمين ، المنصور بفضل الله المتوكل عليه ، المعتمد في جميع أموره لديه ، سلطان البرين ، حامي العدوتين مؤثر المرابطة والمثاغرة ، موازر حزب الاسلام حق الموازرة ، ناصر الاسلام ، مظاهر دين الملك العلام ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامي حوزة الدين ، ملك البرين إمام العدوتين ، ممهد البلاد ، مبدد شمل الأعاد ، مجند الجنود ، المنصور الرايات والبنود ، محط الرحال ، مبلغ الآمال ، أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ، حسنة الأيام ، حسام الاسلام ، أبي الأملاك ، مشجي أهل العناد والاشراك ، مانع البلاد ، رافع علم الجهاد ، مدوخ أقطار الكفار ، مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله بإعلاء دين الحق ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، أخلص الله لوجهه جهاده ، ويسر في قهر عداة الدين مراده . إلى محل ولدنا الذي طلع في أفق العلا بدراً تما ، وصدع بأنواع الفخار فجلا ظلاماً وظلماً ، وجمع شمل المملكة الناصرية فأعلى منها علماً وأحيا لها رسماً ، حائط الحرمين القائم بحفظ القبلتين ، باسط الأمان ، قابض كف العدوان ، الجزيل النوال ، الكفيل تأمينه بحياطة النفوس

---

(١) أبو الحسن المريني ملك المغرب من ٧٣١ الى ٧٤٩ هـ ، والسلطان الملك الصالح حكم دولة المماليك من ٧٥٢ إلى ٧٥٥ هـ ولذا هنا خطأ إما في تاريخ الرسالة او في اسم السلطان المملوكي . ولقد ورد في الرسالة الجوابية التي وجهها السلطان المملوكي إلى السلطان المغربي ذات الرقم ٣٣٣ اسم السلطان المملوكي اسماعيل بن الناصر ، والذي حكم بين سنتي ٧٤٣ و ٧٤٦ وهذا هو الصواب .

والأموال ، قطب المجد وسماكه ، جب الحمد وملاكه السلطان الجليل الرفيع الأصيل الحافل العادل الفاضل الكامل ، الشهير الخطير الأضخم الأفخم المعان المؤزر المظفر ، الملك الصالح أبو الوليد اسماعيل ، ابن محل أخينا الشهير علاؤه ، المستطير في الآفاق ثناؤه ، زين الأيام والليال ، كمال عين إنسان المجد وانسان عين الكمال ، وارث الدول ، النافث بصحيح رأيه في عقود أهل الملل والنحل ، حامي القبلتين بعدله وحسامه ، النامي في حفظ الحرمين أجر اضطلاعه بذلك وقيامه ، هازم أحزاب المعاندين وجيوشها ، هادم الكنائس والبيع فهي خاوية على عروشها ، السلطان الأجل الهمام الأحفل الأفخم الأضخم ، الفاضل العادل ، الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد المرابط ، المقسط عدله في الجائر والقاسط ، المؤيد المظفر ، المنعم المقدس المطهر ، زين السلاطين ، ناصر الدنيا والدين ، أبي المعالي محمد ، ابن الملك الارضي الهمام الأمضى ، والد السلاطين الأخيار ، عاقد لواء النصر في قهر الأرمن والفرنج والتتار ، ومحيي رسوم الجهاد معلي كلمة الاسلام في البلاد ، جمال الايام ، ثمال الأعلام ، فاتح الأقالم ، صالح ملوك عصره المتقادم ، الامام المؤيد ، المنصور المسدد ، قسيم أمير المؤمنين فيما تقلد ، الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون ، مكن الله له تمكين أوليائه ونمى دولته التي أطلعها له السعد شمساً في سمائه ، وأحسن إيزاعه للشكر أن جعله وارث آبائه .

سلام كريم يفاوح زهر الربا مسراه ، وينافح نسيم الصبا مجراه ، يصحبه رضوان يدوم مادامت تقل الفلك حركاته ، ويتولاه روح وريحان تحييه بهما رحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله مالك الملك ، جاعل العاقبة للتقوى صدعاً باليقين ودفعاً للشك ، وخاذل من أسرّ في النفاق النجوى فأصر على الدخن والإفك ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذي محا بأنوار الهدى ظلم الشرك ، ونبيه الذي

ختم به الأنبياء وهو واسطة ذلك السلك ، ودحا به حجة الحق فمادت بالكفرة محمولة الأفلاك وماجت بهم حاملة الفلك ، والرضى عن آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل هداه فسلك في قلوبهم أجمل السلك ، وملكوا أعنة هداهم فلزموا من محجة الصواب أنجح السلك ، وصابروا في جهاد الأعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء ، والذهب يزيد خلوصاً على السبك ، والدعاء لأولياء الاسلام وحماته الأعلام ، بنصر لمضائه في العدا أعظم الفتك ، وييسر بقضائه درك آمال الظهور وأحفل بذلك الدرك ؛ فكتبناه إليكم ، كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة ، وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب الألطاف ، ويكيف مواهب تلهج الألسنة في القصور عن شكرها بالاعتراف ، ويصرف من أمره العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم مايتكون بين النون والكاف ، ومكانكم العتيد سلطانه ، وسلطانكم المجيد مكانه ، وولاؤكم الصحيح برهانه ، وعلاؤكم الفسيح في مجال الجلال ميدانه ، وإلى هذا زاد الله سلطانكم تمكيناً ، وأفاد مقامكم تحصيناً وتحسيناً ، وسلك بكم من سنن من خلفتموه سبيلاً مبيناً .

فلا خفاء بما كانت عقدته أيدي التقوى ، ومهدته الرسائل التي على الصفاء تُطوى ، بيننا وبين والدكم ، نعم الله روحه وقدسه ، وبقربه مع الأبرار في عليين آنسه ، من مآخاة أحكمت منها العهود تالية الكتب والفاتحة ، وحفظ عليها محكم الاخلاص فعوذناها المحبة والنية الصالحة . فانعقدت على التقوى والرضوان ، واعتضدت بتعارف الأرواح عند تنازح الأبدان ، حتى استحكمت وصلة الولاء . والتأمت كلحمة النسب لحمة الاخاء . فما كان إلا وشيكاً من الزمان ولا عجب قصر زمن الوصلة أن يشكوه الخلات . وزد وارد أو رد رنق المشارب وحقق قول ومن « يسأل الركبان عن كل غائب » أنبأ باستئثار الله تعالى بنفسه الزكية ، وأكنان درته السنية ، وانقلابه إلى ما أعد له من المنازل الرضوانية ؛ بجليل ما وقر لفقده في الصدور ، وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور

حناناً للاسلام بتلك الأقطار ، وإشفاقاً من أن يعتور قاصدي بيت الله الحرام من جراء الفتن عارض الأضرار ، ومساهمة في مصاب الملك الكريم ، والولي الحميم ، ثم عميت الأخبار ، وطويت على السجل الآثار . فلم نر مخبراً صدقاً ، ولا معلماً بمن استقر له ذلكم الملك حقاً . وفي أثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ أهل الأندلس وسلطانها ، وتواتر الأخبار بأن النصارى أجمعوا على خراب أوطانها . ونحن أثناء ذلكم الشأن نستخبر الوارد من تلكم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان . فبعد لأي وقعنا منها على الخبير ، وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير ، وتعرفنا أن الملك استقر منكم في نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفاتح الخير على أبوابه ، فأطفأ بكم نار الفتنة وأخمدها وأبرأ من أدواء النفاق ما أعلّ البلاد وأفسدها ، فقام سبيل الحج سابلاً ، وتعبد طريقه لمن جاء قاصداً وقافلاً ، ولما احتفت بهذا الخبر القرائن وتواتر نقـــل للحاضر له والمعاين ، أثار حفظ الاعتقاد البواحث ، والود الصحيح تجره حقاً الموارث ، فأصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفننة الأطوار الجـــامعة بين الخبر والاستخبار ، الملبسة من العزاء والهناء ثوبي الشعار والدثار ، ومثل ذلكم الملك ، رضوان الله عليه ، من تجل المصائب لفقدانه وتحل عرا الاصطبار بموته ، ولات حين أوانه ، لكن الصبر أجمل ما ارتداه ذو عقل حصين ، والأجر أولى ما اقتناه ذو دين متين ، ومثلكم من لا يخف وقاره ، ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره ، ومن خلفكم فما مات ذكره ، ومن قتم بأمره فما زال بل زاد فخره .

وقد طالت ، والحمد لله ، العيشة الراضية بالحقب ، وطاب بين مبداه ومحتضره هنيئاً بما من الأجر اكتسب ، وصار حميداً إلى خير المنقلب ، ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موقناً ووهب ، فقد ارتضاكم الله بعده لحياطة أرضه المقدسة ، وحماية زوار بيته مقيلة أو معرسة .

ونحن بعد بسط هذه التعزية نهنيكم بما خولكم الله أجمل التهنية ، وفي ذات الله الايراد والإصدار وفي مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار ، فاستقبلوا دولة ألقى العز عليها رواقه ، وعقد الظهور عليها نطاقة ، وأعطاها أمان الزمان عقده وميثاقه ، ونحن على ماعاهدنا عليه الملك الناصر ، رضوان الله عليه ، من عهود موثقة وموالاة محققة ، وثناء كمائمه عن أزكى من الزهر غبّ القطر مفتقة ، ولم يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الأكرمين اللذين خطتها منا اليمين ، وأوت بها الرغبة من الحرمين الشريفين إلى قرار مكين ، وأنه كان لوالدكم الملك الناصر ، تولاه الله برضوانه وأورده موارد إحسانه ، في ذلكم من الفعل الجميل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكله فضله من البر الذي لا يضيع ، حتى طبق فمله الآفاق ذكراً ، وطوق أعناق الوراد والقصاد براً . وكان من أجمل ما به تحفى وأتحف وأعظم ما بعرفه إلى رضى الملك العلام في ذلك تعرف ، أذنه للمتوجهين إذ ذاك في شراء رباع توقف على المصحفين ، ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقت مع اختلاف الجديدين . فجرت أحوال القراء فيها بذلك الخراج المستفاد ، ريثما يصلحهم من خراج ما وقفناه عليهم بهذه البلاد ، على ما رسمه رحمة الله عليه . من عناية بهم متصلة ، واحترام في تلك الأوقاف فوائدها به متوفرة متحصلة . وقد أمرنا مؤدي هذا لكم ، وموفده على جلالكم ، كاتبنا الأسنى الفقيه الأجل الأحظى الأكمل أبا المجد ، ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الأجل الحاج الأنقى ، الأرضى الأفضل الأحظى الأكمل المرحوم أبي عبد الله بن أبي مدين ، حفظ الله عليه رتبته ، ويسر في قصد البيت الحرام بغيته ، بأن يتفقد أحوال تلك الأوقاف ، ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد وإسراف ، وأن يتخير لها من يرتضي لذلك ، ويحمد تصرفه فيما هنالك ، وخاطبنا سلطانكم في هذا الشأن ، جرياً على الود الثابت

الأركان ، وإعلاماً بما لوالدكم ، ـ رحمه الله تعالى ـ في ذلك من الأفعال الحسان ، وكما لكم يقتضي تخليد ذلكم البر الجميل ، وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل ، وتشييد ما اشتمل عليه من الشكر الأصيل ، والأجر الجزيل والتقدم بالاذن السلطاني في إعانة هذا الوافد بهذا الكتاب ، على ما يتوخاه في ذلك الشأن من طريق الصواب . وثناؤنا عليكم الثناء الذي يفاوح زهر الربا ، ويطارح نغم حمام الأيك مطرباً وبحسب المصافاة ومقتضى الموالاة نشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات ، وننبئكم بموجب إبطاء إنفاذ هذا الخطاب على ذلكم الجناب . وذلك أنه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ، ونادى منادٍ للجهاد عزماً لمثل ندائه يصيخ ، أنبأنا أن الكفار قد جمعوا أحزابهم من كل صوب ، وحتم عليهم باباهم اللعين التناصر من كل أوب ، وان تقصد طوائفهم البلاد الاندلسية بإجحافها ، وتنقص بالمنازلة أرضها من أطرافها ليمحوا كلمة الاسلام منها ، ويقلصوا ظل الإيمان عنها ، فقدمنا من يشتغل بالأساطيل من القواد ، وسرنا على إثرهم إلى سبتة منتهى المغرب الأقصى وباب الجهاد ، فما وصلناها إلا وقد أخذ أخذه العدو الكفور ، ومدت أجفان الطواغيت على التماون مجاز العبور ، وأتوا من أجفانهم بما لايحصى عدداً ، وأرصدوها بمجمع البحر حيث المجاز إلى دفع العدا ، وتقلصوا عن الانبساط في البلاد ، واجتمعوا إلى الجزيرة الخضراء ، أعادها الله بكل ماجموه من الأعاد لكنا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها في ذلكم العمل الجليل ، حاولنا إمداد تلكم البلاد بحسب الجهد ، وأصرخناهم بمكن أمكن من الجند وجهزنا أجفاناً مختلسين فرصة الاجازة ، تتردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه ، وأمرنا لصاحب الأندلس من المال بما يجهز به حركته لمداناة محلة حزب الضلال ، وأجرينا له ولجيشه العطاء الجزل مشاهرة ، وأرضخنا لهم في النوال ما نرجو به ثواب الآخرة . وجعلت أجفاننا تتردد في ميناء السواحل

وتلج أبواب الخوف العاجل لإحراز الأمن الآجل . مشحونة بالعدد الموفورة والأبطال المشهورة ، والخيل المسومة والأقوات المقومة ، فمن ناج حارب دونه الأجل ، وشهيد مضى لما عند الله عز وجل . وما زالت الأجفان تتردد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر ، ثم لم نقنع بهذا العمل في الامداد ، فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم الله تعالى مساهمة به لأهل تلك البلاد ، فلقي من هول البحر وارتجاجه ، وإلحاح العدو ولجاجه ما به الأمثال تضرب ، وبمثله يتحدث ويستغرب ، ولما خلص لتلك العدوة بمن أبقته الشدائد ، نزل بإزاء الكافر الجاحد ، حتى كان منه بفرسخين أو أدنى ، وقد ضرب بطعن يصابح العدو ويماسيه بحرب بها يُمنى .

وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته ، وقويت في الحرب إدارته ، يبلون البلاء الأصدق ، ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء في البعير الأورق ، إلا أن المطاولة بحصرها في البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ، ومنازلتها في البر نحو عامين معقوداً عليها الصف بالصف أدّى إلى فناء الأقوات في البلد ، حتى لم يبق لأهله قوت نصف شهر مع انقطاع المدد ، وبه من الخلق ما يربي على عشرة آلاف دون الحرم والولد . فكتب إلينا سلطان الأندلس يرغب في الإذن له في عقد الصلح ، ووقع الاتفاق على أنه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجح ، فأذنا له فيه الإذن العام ، إذ في إصراخه وإصراخ من بقطره من المسلمين توخينا ذلك المرام . هنالك دعي النصارى إلى السلم فاستجابوا ، وقد كانوا علموا فناء القوت وما استرابوا ، فتم الصلح إلى عشر سنين ، وخرج من بها من فرسان ، ورجال ، وأهل ، وبنين ، ولم يرزؤوا مالاً ولا عدة ، ولا لقوا في خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شدة . ووصلوا إلينا فأجزلناهم العطاء ، وأسليناهم عما جرى

بالجبـاء ، فمن خيل تزيد على الألف عتاقها ، وخلـع تربي على عشرة آلاف أطواقها ، وأموال عمت الغني والفقير ، ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير ، وكف الله ضر الطواغيت عمّا عداها ، وما انقلبوا بغـير قدرة عفـا رسمها ، وصم صداها . وقد كان من لطف الله حين قضى بأخذ هذا الثغر ، أن قدر لنـا فتح جبل طارق من أيدي الكفر ، وهو المطل على هذه المدرة ، والفرصة منهـا إن شاء الله متيسرة ، حتى يفرق عقـد الكفار ، ويفرج بهذه الجهة منهم مجاور هذه الأقطار ، فلولا اجلابهم من كل جانب كانوا سدوا مسالك العبور بما لجميعهم من الأجفان والمراكب لمـا بالينا بأضعافهم ، ولحللنـا بعون الله عقد اتفاقهم ، ولكن للموانع أحكام ، ولا راد لمـا جرت به الأقلام ، وقـد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد ، وتخيرنا له ولسائر تلك البلاد العُدد والعدد ، وعدنا لحضرتنا فاس لتستريح الجيوش من وعثاء السفر ، وترتبط الجياد ، وتنتخب العدد لوقت الظهور المنتظر ، وتكون على أهبة الجهاد ، وعلى مرقبة الفرصة عند تمكنها في الاتحاد . وعند عودنا من تلك المحاولة ، تيسر الركب الحجازي موجهاً إلى هنا لكم رواحله ، فأصدرنا إليكم هذا الخطاب ، إصدار الود الخالص ، والحب اللباب . وعندنا لكم ما عند أحنى الآباء ، واعتقادنا فيـكم في ذات الله لا يخشى جديدة من البلاء ، وما لمّ من غرض بهـذه الأنحـاء ، فوفى قصده على أكمل الأهواء .

موالي تتميمه على أجمل الآراء ، والبلاد باتحاد الود متحدة ، والقلوب والأيدي على ما فيه مرضاة الله عز وجل منعقدة ، جعل الله ذلكم خالصاً لرب العباد ، ومدخوراً ليوم التنـاد مسطوراً في الأعمال الصالحـــة يوم المعاد ، بمنه وفضله ، وهو سبحانه وتعالى يصل إليكم سعداً تتفاخر بـه

سعود الكواكب ، وتتضافر على الانقياد له صدور المواكب ، وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب . والسلام الأتم يخصكم كثيراً أثيراً ورحمة الله وبركاته . وكتب في يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبع مئة . وصورة العلامـــة وكتب في التاريخ المؤرخ .

نفح الطيب للمقري ٦/١٣٠-١٤٩

٢٣٣ - رسالة جوابية من الملك الصالح المملوكي (الصواب الناصر عماد الدين اسماعيل بن الناصر محمد) إلى سلطان المغرب أبي الحسن المريني عن رسالته سالفة الذكر ، وهي من إنشاء خليل الصفدي .

بعد البسملة .

عبد الله ووليه . صورة العلامة . ولده إسماعيل بن محمد السلطان الملك الصالح ، السيد العالم ، العادل المؤيد ، المجاهـد المرابط ، المثاغر المظفر ، المنصور عماد الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، منصف المظلومين من الظالمـين ، وارث الملك ، ملك العرب والعجم والترك ، فاتح الأقطـار ، واهب الممالك والأمصـــار ، اسكندر الزمان ، مملك أصحاب المنابر والأسرّة ، والتخوت والتيجان ، ظل الله في أرضـــه ، القائم بسنته وفرضه ، مالك البحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، سيد الملوك والسلاطين ، جامع كلمـــة الموحدين ، ولي أمـير المؤمنين ، أبو الفداء اسماعيل ابن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين أبي الفتح محمد بن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون ، خلد الله تعالى سلطانه ، وجعـل الملائكة أنصاره وأعوانه ، يخص المقام العالي الملك الأجل ، الكبير المجاهد ، المرابط

الثاغر المعظم ، المكرم المظفر ، المعمر الأسعد ، الأصعد الاوحد ، الأمجد الانجد ، السني السري ، المنصور أبا الحسن علي ابن أمير المسلمين أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق ، أمده الله بالظفر ، وقرن عزمه بالتأييد في الآصال والبكر .

سلام وشت البروق وشائعه ، وادخرت الكواكب ودائعه ، واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه ، وثناء اتخذ النفحات المسكية طلائعه ، ونبه للتغريد في الروض سواجعه وجلى في كأسه من الشفق الحمر من مدامه ، ومن النجوم مواقعه .

أما بعد حمد الله على نعم أدت لنا الامانة في عود سلطنة والدنا الموروثة ، وأجلستنا على سرير مملكة زرابيها بين النجوم مبثوثة ، وأحسنت بنا الخلف عن سلف عهوده في الاعناق غير منكورة ولا منكوثة ، وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم في الكفرة غاية أمله وسوله ، صلاة تحط بالرضوان سيولها ، وتجر بالغفران ذيولها ، ما تراسل أصحاب وتواصل أحباب ، ويوضح للملم الكريم ورود كتابكم المعظم ، وخطابكم الفائق على الدر النظيم ، تفاخر الخمائل سطوره ، ويصبغ خد الورد بالخجل منثوره ، ويحكي الرياض اليانعة ، فالالفات غصونه والهمزات عليها طيوره ، ويخلع على الآفاق حلل الايام والليالي ، فالطرس صباحه ، والنقس ديجوره (١) . لفظه يطرب ، ومعناه يعرب فيغرب ، وبلاغته تدل على أنه آية لأن شمس بيانها طلعت من المغرب .

فاتخذنا سطوره ريحاناً ، ورجّعنا ألفاظه ألحاناً ، ورجعنا إلى الجد فشبهنا ألفاته بظلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بأفواه الجراح ،

---

(١) النقس : المداد ، والديجور : الظلام الشديد .

وسطوره المنتظمة بالفرسان المزدحمة في يوم الكفاح،وانتهينا إلى ما أودعتموه من اللفظ المسجوع ، والمعنى الذي يطرب طائره المسموع ، والبلاغة التي فضح المتطبع بيانها المطبوع . فأما العزاء بأخيكم الوالد ، قدس الله روحه وسقى عهده وأحسن لسلفه خلفنا بعده ، فلنا برسول الله أسوة حسنة ، ولولا الوثوق بأنه في عدة الشهداء ، ما رأى القلب قراره ولا الطرف وسنه ، عاش سعيداً يملك الأرض ومات شهيداً يفوز بالجنة يوم العرض . قد خلد الله ذكره يسير سير الشمس في الآفاق ، ويوقف على نضارة حدائقه نظرات الأحداق ، وورثنا منه حسن الإخاء لكم ، والوفاء بعهود مودة تشبه في اللطف شمائلكم . وأما الهناء بوراثة ملكه والانخراط مع الملوك في سلكه ، فقد شكرنا لكم منحى هذه المنحة ، وقابلناها بثناء يعطر النسيم في كل نفحة ، ووقفنا عليها حمداً جمل الود علينا إيراده ، وعلى أنفاس سرحة الروض شرحه ، وتحققنا به حسن ودكم الجميل ، وكريم إخائكم الذي لايميد طود رسوخه ولايميل .

وأما ماذكرتموه من أمر المصحفين الشريفين اللذين وقفتموهما على الحرمين الشريفين ، وأنكم جهزتم كاتبكم الفقيه الأجل الأسنى الأسمى أبا المجد ابن كاتبكم أبي عبد الله بن أبي مدين ، أعزه الله تعالى ، لتفقد أحوالهما والنظر في أمر أوقافهما فقد وصل المذكور بمن معه في حرز السلامة وأكرمنا نزلهم ، وسهلنا بالترحيب سبلهم ، وجمعنا على بذل الاحسان إليهم شملهم ، وحضر المذكور بين أيدينا وقربناه ، وسمعنا كلامه وخاطبناه ، وأمرنا أمر في المصحفين الشريفين بما أشرتم ، ورسمنا لنوابنا في نواحي أوقافهما بما ذكرتم . وهذا الوقت المبرور جارٍ على أحسن عادة ألفها ، وأثبت قاعدة عرفها ، مرعي الجوانب محمي المنازل والمضارب ، آمن من إزالة رسمه أو إزالة حكمه ، بدره أبداً في مطالع تمه ، وزهره دائماً يرقص على كمه ، لايزداد إلا تخليداً ، ولا إطلاق ثبوته إلا تقييداً ، ولا عنق اجتهاده إلا تقليداً ، جرياً على قاعدة أوقاف

ممالكنا ، وعادة تصرفاتنا في مسالكنا ، وله مزيـــد الرعاية ، وإفادة الحماية ووفادة العناية .

وأما ماوصفتموه من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ، ومُني به من الكفار حزنها وسهلها ، فإنه شق علينا سماعه الذي أنكى أهل الايمان ، وعدد به نوب الزمان ، كل قلب بأنامل الخفقان ، وطالما فزتم بالظفر ورزقتم النصر على عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر ، ولكن الحروب سجال ، وكل زمان لدوائه دولة ولرجائه رجال ، ولو أمكنت المساعدة لطارت بنا إليكم عقبان الجيـاد المسومة ، وسالت على عدوكم أباطحهم بقسينا الموجة، وسهامنا المقومة ، وكحلنا عيون النجوم بمراود الرماح ، وجعلنا ليل العجاج ممزقاً ببروق الصفاح ، واتخذنا رؤوسهم لصوالج القوائم كرات ، وفرجنا مضايق الحرب بتوالي الكرات ، وعطفنا عليهم الأعنة ، وخضنا جداول السيوف ودسنا شوك الأسنة ، وخلقنا الصخرات بالصرخات ، وأسلنا العبرات بالرغبات ، ولكن أين الغاية من هذا المدى المتطاول ، وأين الثريا من يد المتناول ، ومالنا غير إمدادكم بجنود الدعاء الذي نرفعه نحن ورعايانا ، والتوجــه الصادق الذي تعرفه ملائكة القبول من سجايانا .

وأما مافقدتموه من الأجفان التي طرقها طيف التلاف ، وأمّ حرم فنائهـا الفناء ، وطاف به بعد الألطاف ، فقد روّع هذا الخبر قلب الإسلام ، ونوّع له الحزن على اختلاف الإصباح والإظلام . وهذه الدار مايخلو صفوها من كدر القدر وطالما أنامت بالأمن أول الليل وخاطبت في السحر ، ولكن في بقائكم مايسلي عن خطب العطب ، ومع سلامة نفسكم الكريمة فالأمر هين لأن الدر يفدى بالذهب .

وأما ما رأيتموه من الصلح فرأي عقده مبارك ، وأمر مافيه فارط غرم ، وإن كان فيتــدارك ، والأمر يجيء كما يجب لا كما نحب ، والحروب يزورها

نصرها تارة ويغب ، ومع اليوم غداً ، وقد يرد الله الردى ، ويعيد الظفر بالعــــدا .

وأما عودكم إلى فاس المحروسة طلباً لاراحة من عندكم من الجنود ، وتجهيزاً لمن يصل من عندكم إلى الحجاز الشريف من الوفود ، فهذا أمر ضروري التدبير سروري التثمير ، لأن النفوس تمل وثير المهاد ، فكيف ملازمة صهوات الجهاد ، وتسأم من مجالسة الشرب ، فكيف بممارسة الحرب ، وتعرض عن دوام اللذة ، فكيف بمباشر المنايا الفذة . وهذا جبل طارق الذي فتح الله به عليكم وساق هدى هديته إليكم لعله يكون سبباً إلى ارتجاع ما شرد ، وحسماً لهذا الطاغية الذي مرد ، ورداً لهذا النازل الذي قدم ورد الصبر لما ورد ، فمادة الألطاف الالهية بكم معروفة ، وعزماتكم إلى جهات الجهاد مصروفة ، وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من الرحمن يطرق ، وجبل يعصم من سهم يمر من قسي الكفار ويمرق .

وأما مامنحتوه من الخيل العتاق والملابس التي تطلـــع بدور الوجوه من مشارق الأطواق ، والأموال التي زكت عند الله تعالى ونمت على الانفاق ، فعلى الله عز وجل خلفها ، ولكم في منازل الدنيا والآخرة سرفها وشرفها ، وإليكم تساق هدايا أثنيتها وتحفكم تحفها .

وإذا وصل وفدكم الحاج ، وأنار له بوجه إقبالنا عليهم ليلهم الداج ، كانوا مقيمين تحت ظل إكرامنا ، وشمول إسعافنا لهم وأنعامنا ، يتخولون تحفاً أنتم سببها ، ويتناولون طرفاً في كؤوس الاعتناء بهم تنضد حببها ، وإذا كان أوان الرحيل إلى الحج فسحنا لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق ، وبلغناهم بحول الله تعالى مُناهم من مُنى ، وسؤلهم ممن إذا زاروا حجرته الشريفة حازوا الراحة من العنا ، وفازوا بالغنى ، وإذا عادوا عاملناهم بكل جميل ينسيهم مشقة ذلك الدرب ، ويخيـــل إليهم أن لامسافة لمسافر بين الشرق والغرب ، وغمرناهم

بالاحسان في المود إليكم ، وأمرناهم بما ينهونه شفاهاً لديكم ، وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم ، وتوفر لأخذ الثأر حماتكم ، وتخصكم بتأييد تنزلون روضة الأنضر وتجنون به ثمر النصر اليانع من ورق الحديد الأخضر ، وتتحفكم بسعد لا يبلى قشيبه ، وعز لا يمحو شبابه مشيبه ، وتحيته المباركة تغاديكم وتراوحكم، وتفاوحكم أنفاسها المعتبرة وتنافحكم بمنه وكرمه .

نفح الطيب للمقري ٦/١٢٩–١٣٥

٣٣٤ – خطاب وجهه إلى لسان الدين بن الخطيب السلطان أبو زيان المريني يجدده ويعيد له بموجبه الحظوة :

أكرم السلطان أبو زيان المريني ابن الأمير أبي عبد الرحمن ابن السلطان أبي الحسن لسان الدين بن الخطيب وأصدر بذلك مرسوماً هذا نصه :

للشيخ الفقيه الأجل الأسنى الأعز الأحظى الأرفع الأمجد الأسمي الأوحد الأنوه الأرقى ، العالم العلم الرئيس الأعرف المتفنن الأبرع ، المصنف المفيد الصدر الأحفل ، الأفضل الأكمل أبي عبد الله ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجل الأسنى ، الأعز الأرفع ، الأمجد الوجيه ، الأنوه الأحفل الأفضل ، الحسيب الأصيل الأكمل المبرور المرحوم أبي محمد بن الخطيب ، قابله ، أيده الله بوجه القبول والأقبال ، وأضفى عليه ملابس الانعام والأفضال ، ورعى له خدمة السلف الرفيع الجلال ، وما تقرر من مقاصده الحسنة في خدمة أمرنا العال ، وأمر في جملة ماسوغه من الولاء الوارفة الظلال ، الفسيحة المجال ، بأن يجدد له حكم ما بيده من الاوامر المتقدم تاريخها ، المتضمنة تمشية خمسمئة دينار من الفضة العشرية في كل شهر عن مرتب له ولولده الذي لنظره من مجبى مدينة سلا – حرسها الله – في كل شهر ، ومن حيث جرت العادة أن يتمشى له ، ورفع الاعتراض ببابها فيما يجلب من الأدم والأقوات على اختلافها من حيوان

وسواه ، وفيما يستفيده خدامه بخارجها وأحوازها من عنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك ، فلا يطلب في شيء من ذلك بمغرم ولا وظيف ، ولا يتوجه فيه إليه تكليف ، يتصل له حكم جميع ماذكر في كل عام تجديداً تاماً واحتراماً عاماً ، أعلن بتجديد الحظوة واتصالها ، وإتمام النعمة وإكمالها ، من تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن ، ومن الآن إلى مايأتي على الدوام ، واتصال الأيام ، وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعي والمحاشاة في السخر مهما عرضت ، والوظائف إذا افترضت ، حتى يتصل له تالد العناية بالطارف ، وتتضاعف أسباب المنن والعوارف ، بفضل الله ، وتحرر له الأزواج التي يحرثها بتاملغت من كل وجيبة ، وتحاشى من كل مغرم أو ضريبة بالتحرير التام بحول الله وعونه ، ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه ، وليمض ما أمضاه إن شاء الله . وكتب في العاشر من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمئة . وكتب في التاريخ .

نفح الطيب للمقري ٨ / ١١٧ – ١١٨

ز ـ المدجنون والموريسكيون

٣٣٥ ـ وثيقة مدجنية ، عقد شراء مؤرخ سنة ٦٤٤هـ في مملكة أراغون .

وثيقة مؤرخة في شهر ربيع الأول سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م تبدأ بالبسملة والصلاة على النبي ، وهي عقد شراء يشتري بمقتضاه « أحمد المران » من « محمد ابن مسلمة البريتالي » جميع ماله من أملاك وديار ببطرة قرية أبتورة . . . بثمن مبلغه وعدته تسعون دنيراً قناشر من القناشر الجارية بسرقسطة . . . وذلك كله على سنة المسلمين في طيبات بيوعاتهم ومرجع أدركهم وارتضاء ذلك البيعة

المذكور الشنيور من القرية المذكورة القسيس الأجل دون برتلماو وشنت جيل من أذن الاقسة من الكنيسة المذكورة . شهد على أشهاد المتباعدان المذكوران من أشهداه ، وسمع منها وعرفهم ، والجميع بحالة الصحة والجواز في شهر ربيع الأول من سنة أربع وأربعين وستمئة (١) .

نهاية الأندلس لعنان ـ ٥٨

٢٣٦ ـ وثيقة مدجنية ـ شهادة بأمانة .

وثيقة مؤرخة في ٩ أغسطس سنة ١٤٨٤ م ورد فيها مايلي :

الحمد لله وحده . أشهد على نفسه الكريم فرج الطليطلي الساكن بموضع قلعة التراب شهداء هذا الكتاب قولاً بالحق وانقياداً إليه ، أن عليه وفي ذمته وماله من المكرمان برول وكيتله من شنتمري ليور ، والسبداد ذاسرغوس وديعة محضة وأمان مؤتمن ، وذلك خمسون قفزاً قمح طيباً نقياً من مكايل مدينة سرقسطة .

وكتب هذه الوثيقة : محمد بن محمد الازرقة فقيه وخادم قلمة الزاب(١) .

نهاية الأندلس لعنان ـ ٥٨

٢٣٧ ـ وثيقة مدجنية ـ شهادة بإقرار بأمانة .

وثيقة مؤرخة في شهر فبراير عام أحدى وتسعمئة (١٤٩٦ م) تبدأ بالبسملة والصلاة على النبي وهي عبارة عن إقرار كل من « موسى الحسن وابن عبد الله محمد بن فرج المجه الساكنون في بلدة الحمام بأنهم يحبسون وديعة قمح » لمن يدعى « أبو باكر بن أبي باكر من أهل قلمة التراب ، وكاتب الوثيقة هو « إبراهيم البستاني أليني هليجي خديم جامع البلد المذكور »

نهاية الأندلس لعنان ـ ٥٨

---

(١) هذه الوثيقة موجودة في كاتدرائية سرقسطة (نقلاً عن نهاية الأندلس لعنان ـ ٥٨)

٣٣٨ ـ وثيقة مدجنية ـ إشهاد بالدين .

وثيقة موجودة في متحف بلدية بنبلونة تاريخها التاسع من شهر أبريل عام إحدى وثمانمئة (١٣٩٨ م) وهي عبارة عن إشهاد بالدين .

الوثيقة تبدأ بالبسملة والصلاة على النبي ومحررة أمام « القاضي الأروع الأورع أبي الحسن علي القرشي » وقد جاء فيها ما يأتي :

أشهدوا على أنفسهم : أبو الحجاج يوسف الحضرمي ، ومحمد بن محمد بن جعفر الزهري ، ويوسف بن زيد ، وأحمد بن المكحل ، ويوسف بن شداد بن جنبر مسلمان ساكنان في ربض المسلمين ببلدة برجة حاضرون يغايبون كل واحد منهم عنه وعن الكل ، بأنهم دانوا بالاشتراك الشابلي إسرابيل ساكن بـلده المذكورة ، أو لمن ظهر هذا العقد عنده ثلاثمئة واثنين وثلاثين فلرنياس ذهباً قالب أراغون من سكة طيبة موزونة .

وفي ذيلها عدة من أسماء الشهود المسلمين .

نهاية الأندلس لعنان ـ ٦٠

٣٣٩ ـ وثيقة مدجنية ـ عقد بيع بين المسلمين مدجنين ، ونصارى مستعربين . (١)

---

(١) هناك عدد كبير من العقود المدجنية ، وهي محررة على الأغلب بين المستعربين ، واحياناً بينهم وبين المدجنين بأسلوب عربي لابأس به ، وكلها تستهل بالبسملة مقرونة أحياناً بعبارة « وبه نستعين » او « الحمد لله وحده » وعلى كثير منها شهود مسلمون مدجنون الى جانب النصارى . وهذه الوثائق موجودة بدار المحفوظات التاريخية بمدريد ، وقد نقلت اليها من دير سان كليمنتي بطليطلة . وهي مجموعة ضخمة كلها عقود تعامل من بيع وشراء وهبة وإيجار ووصية وغيرها . ومعظمها مكتوب في القرن الثالث عشر ميلادي . نقلاً عن نهاية الأندلس لعنان .

وثيقة مؤرخة في «شهر دجنبر من عام سبعة وثمانين ومئة وألف من تاريخ الصفر» (١١٨٧ م) وبمقتضاها «باعت الراهبة دونه بويابيه وأختها كرشنينة بنتي تمام الرطاقي ومرتين، ودمنغة ابني بشتة بنت تمام الرطاقي ومرية، ولوقاذة بنتي تمام الرطاقي من دون ردريق منيوس ومن زوجته دونة مسيلية نصف الضيعة المعلومة لتمام الرطاقي بقرية دليش ماليز نوفه من عمل طليطلة، حرسها الله، وذلك سهم ونصق، والجنان كله الذي فيه البير إذ تبقت عواصة البيوت المعلومة لتمام المذكور بالقرية المذكورة ... بثمن عدته عشرون مثقالاً ونصف ذهباً مرابطية دفع المبتاعان بجميع الثمن إلى البائعين وقبضوه منها ... »

وعلى الوثيقة أسماء شهود مدجنين مثل دمنغة بن عبد العزيز، وأشتاق ابن حسان، وشهود من النصارى.

٣٤ - وثيقة مدجنية - عقد بيع وشراء.

وثيقة مؤرخة في شهر «أغشت من سنة ثلاث وسبعين ومئة وألف لتاريخ الصفر» (١١٧٣ م) بمقتضاها «اشترى الوزير دون ميقايال بيطاس - أعزه الله - من بهلول، وأخيه بيطرة ابني مرتين بن بهلول رحمه الله جميع الدار الكبيرة . والقرال المتصل بها من جهة الغرب، والقبلاريسة المتصلة بها أيضاً من جهة القبلة حدود ذلك كله في الشرق الطريق السالك وإليه يشرع الباب وفي الغرب دار ابن طورنية المسلم أمين الفخارين، وفي القبلة دار بيطرة البنا بن بهلول، وفي الجوف دار تبقت بيد البائعين، ودار سلمة بن حسان ... بثمن عدته ثمانون مثقالاً ذهباً مرابطية ... »

وتحمل الوثيقة أسماء عدة شهود مسلمين مثل عبد الله بن داود، وعامر بن تمام، وعلي بن عياش.

٣٤١ ـ وثيقة مدجنية ـ عقد بيع وشراء .

وثيقة مؤرخة في « العشر الآخر من شهر أكتوبر سنة خمس وأربعين ومئتين وألف للصفر » بمقتضاها « اشترى الوزير دون شانجه شقورة الغرايلي أدام الله عزته ، من دون خوان دمنغة ابن الصياغ ، ومن زوجته دونة مرية بنت تيان بيطرق جميع الكرم الكبير الذي لهما بحومة خندق عقرون من أحواز مدينة طليطلة حرسها الله ، وحده من الشرق كرم لورثة دون أندراش البرجمانس ، وفي المغرب مخدع سالك من نهر تاجه إلى الحقل ، وفي القبلة أرض بنضل لدون فرنندة بن بوارى عبد الملك ، وفي الجوف كرم كان للوزير المتشرف أبي عمر بن جوفار ، ومنزل الآن للقاضي دون يليان أقمانس . . . والثمن مبلغه وعدته ستون مثقالاً ذهباً من الذهب الأذفونشي الضرب ، ودفع المبتاع جميع الثمن المبايعين المذكورين وقبضاه منه . . . وخلص بذلك للمبتاع المذكور ملك جميع المبيع الموصوف . . . »

وعلى الوثيقة شهود مسلمون ونصارى .

نهاية الأندلس لعنان ٦٩ ـ ٧٠

٣٤٢ ـ رسالة موجهة من أحد فقهاء مراكش إلى الموريسكيين الذين يسميهم الغرباء ، وفيها نصائح لهم تتعلق بتمكينهم من ممارسة شعائر الإسلام خفية رغم الاضطهاد ، وتاريخها أول رجب سنة ٩١٠ هـ الموافق ل ٢٨ تشرين ثاني سنة ١٥٠٤ م .

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً إخواننا القابضين على دينهم ، كالقابض على الجمر ، من أجزل الله ثوابهم فيما لقوا في ذاته . وصبروا النفوس ، والأولاد في مرضاته ، الغرباء القرباء

إن شاء الله ، من مجـــاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته ، وارثو سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق ، وإن بلغت النفوس إلى التراق نسأل الله أن يلطف بنا . وأن يعيننا وإياكم على مراعات حقه ، بحسن إيمان وصدق ، وأن يجعل لنا ولـكم من الأمور فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجـــاً .

بعد السلام عليكم ، من كاتبه إليكم من عبيد الله أصغر عبيده وأحوجهم إلى عفوه ومزيده ، عبيد الله تعالى أحمد بن بوجمة المغراوي ثم الوهراني كان الله للجميع بلطفه وستره ، سائلاً من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء بحسن الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار ، والحشر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار ، وموكداً عليكم في ملازمة دين الاسلام آمرين به من بلغ من أولادكم ، إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتـكم فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس ، وإن ذاكر الله بين الغافلين كالحي بين الموتى ، فاعلموا أن الأصنام خشب منجور ، وحجر جلمود ، لا يضر ولا ينفع ، وأن الملك ملك الله ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، فاعبدوه واصطبروا لعبادته ، فالصلاة ولو بالإيماء ، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أورياء ، لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولـكن إلى قلوبكم والغسل من الجنابة ولو عوماً في البحور ، وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار ، وتسقط في الحـكم طهارة الماء . وعليكم بالتيمم ولو مسحاً بالأيدي للحيطان ، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء والصعيد إلا أن يمكنكم الاشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب طـاهر أو حجر أو شجر مما يتيمم به ، فاقصدوا بالايماء ، نقله ابن ناجي في شرح الرسالة لقوله عليه السلام : فأتوا منه ما استطعتم . وإن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجود للأصنام ، أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية وأنووا صلاتكم

المشروعة ، وأشيروا لما يشيرون إليه من صنم ومقصودكم الله ، وإن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام ، وإن أجبروكم على شرب خمر فاشربوه لابنيـة استعماله ، وإن كلفوا عليكم خنزيراً فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم ومعتقدين تحريمه . وكذا إن أكرهوكم على محرم ، وإن زوجوكم بناتهم فجائز لكونهم أهل الكتاب ، وإن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم فاعتقدوا تحريمه لولا الاكراه ، وأنكم ناكرون لذلك بقلوبكم . ولو وجدتم قوة لغيرتموه . وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم . ثم ليس عليكم إلا رؤوس أموالكم وتتصدقون بالباقي إن تبتم إلى الله تعالى . وإن أكرهوكم على كلمة الكفر فإن أمكنكم التورية والالغاز فافعلوا ، وإلا فكونوا مطمئني القلوب بالايمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك :

وإن قالوا اشتموا محمداً فإنهم يقولون له مُمَد فاشتموا مُمَدّاً ، تأويل أنه الشيطان ، أو مُمَد اليهود فكثير بهم اسمه ، وإن قالوا عيسى ابن الله فقولوها إن أكرهوكم ، وأنووا إسقاط مضاف أي عبد اللاه مريم معبود بحق . وإن قالوا قولوا المسيح ابن الله فقولوها إكراهاً ، وانووا بالاضافة للملك كبيت الله لايلزمه أن يسكنه أو يحل به . وإن قالوا قولوا مريم زوجة له فانووا بالضمير ابن عمها الذي تزوجها في بني إسرائيل ثم فارقها قبل البناء ، قاله السهيلي في تفسير المبهم من الرجال في القرآن ، أوزوجها الله منه بقضائه وقدره . وإن قالوا عيسى توفي بالصلب فانووا من التوفية ، والكمال ، والتشريف من هذه ، وإماتته وصلبه ، وإنشاد ذكره ، وإظهار الثناء عليه بين الناس ، وأنه استوفاه الله برفعه إلى العلو . وما يعسر عليكم فابعثوا فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله على حسب ماتكتبون به . وأنا أسأل الله أن يديل الكرة للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهراً بحول الله من غير محنة ، ولا وجلة ، بل بصدمة الترك الكرام . ونحن نشهد لكم بين

يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به . ولا بد من جوابكم والسلام عليكم جميعاً بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسع مئة عرف الله خيره .

يصل الغرباء إن شاء الله تعالى .

نهاية الأندلس لعنان ٣٤٢ - ٣٤٤

٣٤٢ مكرر - ملخص قصيدة قالها موريسكي مسلم اسمه محمد بن محمد بن داود يصف آلام شعبه والاضطهاد الذي يعانونه ، وقد ضبطت معه وارسلت إلى البلاط .

تفتتح القصيدة بحمد الله والثنـاء عليه والتنويه بقدرته ، وخضوع جميع الناس والأشياء لحكمه ، ثم يقول ان :

إستمعوا إلى قصة الأندلس المحزنة ، وهي تلك الأمـة العظيمة التي غدت اليوم ضعيفة مهيضة يحيط بها الكفرة من كل صوب . وأضحى أبناؤها كالأغنام الذين لاراعي لهم . وفي كل يوم تسام سوء العذاب ، ولا حيلة انا سوى المصانعة حتى ينقذنا الله مما هو شر وأدهى . وقد حكموا فينا اليهود الذين لا عهـد لهـم ولا ذمام ، وفي كل يوم يبحثون عن ضلالات وأكاذيب ، وخدع وانتقامات جديدة . ونرغم على مزاولة الشعائر النصرانية وعبادة الصور . وهي مسخ للواحد القهار ، ولا يجرؤ أحد على التذمر أو الكلام ، وإذا ما قرع الناقوس ألقى القس عظته بصوت أجش ، وفيه يشيد بالنبيذ ولحم الخنزير ، ثم تنحني الجماعة أمام الأوثان دون حياء ولا خجل .

ومن عبد الله بلغته قضي عليه بالهلاك ، ومن ضبط ألقي إلى السجن ، وعذب ليل نهار حتى يرضخ لباطلهم ، ثم يصف وسائل إرهاقهم ، والتضييق عليهم من التسجيل والتفتيش وغـــيرها ، وما يفرض عليهم من الضرائب الفادحة ، وكيف تؤدى عن الحي والميت ، والكبير والصغير ، والغـني والفقير ، وكيف يرهقهم القضاة الظلمة ولا يفلت من ظلمهم كائن ، وكيف

يلقى بهم في السجن ، ويرغمون على التنصير بالاعتقال والتعذيب وكيف تهشم أوصال الفرائس ، ثم تحمل إلى الميدان لتحرق أمام الجمع الحاشد ، وكيف تكدس المظالم على رؤوسهم تكديساً ، ويسومهم الخسف أصاغر النصارى ، وكل منهم يتفنن في ضروب الاضطهاد .

ثم يقول :

ولقد علقوا يوم العيد (عيد سقوط غرناطة) في ميدان باب البنود قانوناً جديداً وأخذوا يدهمون الناس في نومهم ويفتحون كل باب . يزمعون تجريدنا من ثيابنا ، وقديم عاداتنا ، ويمزقون الثياب ويحطمون الحمامات . ونحن إذ نيأس من عدل الانسان نستغيث بالنبي معتمدين على ثواب الآخرة ، وقد حثنا شيوخنا على الصلاة والصوم ، وأن نقصد وجه الله فهو الذي يرحمنا في نهاية الأمر .

نهاية الأندلس لعنان ٣٦٢ - ٣٦٣

٣٤٣ - فتوى في صورة سؤال وجهها أحد الفقهاء إلى فقيه المغرب محمد بن يحيى التلمساني حول البقاء في الأندلس المسلمين أو المهاجرة إليها .

لما سقطت حواضر الأندلس بيد الاسبان هاجر قسم كبير من أهلها إلى المغرب ، ولكنهم لم يجدوا فيها ما كانوا يؤملون من حياة سهلة رغدة واحترام ، وحنوا للعودة إلى أوطانهم ، وقد سمعوا أن ملوك قشتالة يتسامحون مع من بقي من المسلمين من رعاياهم فتمنوا العودة إلى ديارهم القديمة . وقد وجه أحد الفقهاء سؤالاً في صورة فتوى يطلب جوابها إلى أحد رجال الدين البارزين هو الشيخ التلمساني يطلب رأيه في الموضوع .

السؤال :

ماحكم من تمادى من المسلمين في ذلك ؟ وما حكم من عاد منهم إلى دار الكفر بعد حصوله في دار الاسلام ؟ وهل يجب وعظ هؤلاء أو يعرض عنهم ويترك

كل واحد منهم لما اختاره ؟ وهل من شرط الهجرة أن لايهاجر أحد إلا إلى دنيا مضمونة يصيبها عاجلاً عند وصوله جارية على وفق غرضه حيث حل من نواحي الاسلام ؟ أو ليس ذلك بشرط بل تجب عليهم الهجرة من دار الكفر إلى دار الاسلام ، إلى حلو أو مر أو وسع أو ضيق أو عسر أو يسر بالنسبة لأحوال الدنيا . وإنما القصد بها سلامة الدين والأهل والولد ، والخروج من حكم الملة الكافرة إلى حكم الملة المسلمة ، إلا ماشاء الله من حلو أو مر ، أو ضيق عيش أو سعة ، ونحو ذلك من أحوال الدنيا .

٣٤٤ ـ جواب السؤال السابق بصورة فتوى من الشيخ أحمد بن يحيى التلمساني الونشريشي عن هذه المسائل :

١ ـ إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الاسلام فريضة إلى يوم القيامة، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل .

وهو يؤيد قوله بطائفة من الأحاديث النبوية .

٢ ـ ولا يسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية على معاقلهم وبلادهم ، ولايتصور العجز عنها بكل وجه وحال ، لا الوطن ولا المال فإن ذلك كله ملغى في نظر الشرع . وأما المستطيع بأي وجه كان وبأي حيلة تمكنت ، فهو غير معذور وظالم لنفسه إن أقام . والظالمون أنفسهم إنما هم التاركون الهجرة مع القدرة عليها ، حسبما تضمنه قوله تعالى : (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) [1] . والمعاقب عليه إنما هو من مات مصراً على هذه الاقامة .

٣ ـ وتحريم هذه الاقامة تحريم مقطوع به من الدين ، كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير حق . . . ومن جوز هذه الاقامة ، واستخف

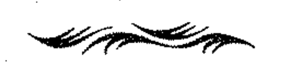
---

(١) سورة النساء الآية ٩٧ .

أمرها واستسهل حكمها فهو مارق من الدين ، ومفارق لجماعة المسلمين ؛ ومحجوج بما لامدفع فيه لمسلم ، ومنبوذ بالاجماع الذي لاسبيل إلى مخالفته وخرق سبيله. قال زعيم الفقهاء القاضي أبو الوليد ابن رشد رحمه الله في أول كتاب التجارة إلى أرض الحرب من مقدماته « فرض الهجرة غير ساقط بل الهجرة باقية لازمة إلى يوم القيامة . وأجاب باجماع المسلمين على من أسلم بدار الحرب أن لا يقيم بها حيث تجري عليه أحكام المشركين ، وأن يهجره ويلحق بدار المسلمين حيث تجري عليه أحكامهم» .

٤ ـ ثم لما نبمت هذه الموالاة النصرانية في المئة الخامسة ومابعدها من تاريخ الهجرة وقت استيلاء ملاعين النصارى ـ دمرهم الله ـ على جزيرة صقلية وبعض كور الأندلس سئل فيها بعض الفقهاء ، واستفهموا عن الأحكام الفقهية المتعلقة بمرتكبها ، فأجاب بأن أحكامهم جارية مع أحكام من أسلم ولم يهاجر ، وألحقوا هؤلاء المسؤول عنهم ، والسكوت عن حكمهم بهم ، وسووا بين الطائفتين في الأحكام الفقهية المتعلقة بأموالهم وأولادهم ، ولم يروا فيها فرقاً بين الفريقين[1] .

نهاية الأندلس لعنان ٦٠ ـ ٦١



(١) يقول الأستاذ عنان إنه أخذ هذه النصوص وهذه المعلومات من مخطوط عثر عليه في مكتبة الاسكوريال عنوانه « كتاب اسنى المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر » . وذلك في نهاية الأندلس .

فهرس الوثائق[1]

(١) يدل الرقم الموضوع امام الوثيقة على رقم الوثيقة لا رقم الصفحة .

١٨ ـ رسالة موسى بن نصير إلى مولاه طارق حول السفن .
١٩ ـ « جوابية من طارق إلى موسى .
٢٠ ـ « طارق إلى موسى لما اتصل بالجبل المذكور .
٢١ ـ « طارق إلى موسى يطلب منه المدد بعد قتله لذريق .
٢٢ ـ « موسى بن نصير إلى الوليد يبشره بفتح الأندلس .
٢٣ ـ « عبد العزيز بن موسى بن نصير إلى تدمير ملك أوريولة .
٢٤ ـ عهد سليمان بن عبد الملك بمقاضاة موسى بن نصير .
٢٥ ـ خطبة موسى بن نصير بين يدي سليمان لما أراه رأس ابنه عبد العزيز .
٢٦ ـ رسالة سليمان بن عبد الملك إلى عبد الله بن موسى بن نصير .
٢٧ ـ « سليمان بن عبد الملك إلى عبد العزيز بن موسى بن نصير .
٢٨ ـ « سليمان بن عبد الملك إلى كل فرد من أفراد الفريق المرسل إلى الأندلس.
٢٩ ـ خطبة يزيد بن أبي مسلم لما أصبح والياً على إفريقية .
٣٠ ـ رسالة أهل إفريقية إلى يزيد بن عبد الملك .
٣١ ـ جواب يزيد لأهل إفريقية .
٣٢ ـ رسالة أبي الخطار إلى هشام بن عبد الملك .
٣٣ ـ « جوابية من عبد الرحمن الغافقي إلى عبيدة القيسي .
٣٤ ـ « الصميل إلى عبد الرحمن الداخل .
٣٥ ـ « زوجة يوسف الفهري له تخبره بنزول عبد الرحمن الداخل ساحل الأندلس .
٣٦ ـ فقرات من رسالة يوسف الفهري للداخل قبل الحرب بينهما .
٣٧ ـ خطبة عبد الرحمن الداخل في جنده قبل معركة المصارة ضد يوسف .
٣٨ ـ « « « « « « أمام قرطبة .
٣٩ ـ قول عبد الرحمن الداخل لجنده يكفهم عن الاثخان في قتل أعدائهم بعد انتصارهم عليهم .

٤٠ ـ رسالة الداخل إلى سليمان بن يقظان يدعوه للبيعة .
٤١ ـ « إلى الداخل من مولاه بدر بعد أن هجره .
٤٢ ـ « جوابية من الداخل إلى مولاه بدر .
٤٣ ـ « أخرى من بدر إلى الداخل .
٤٤ ـ جواب الداخل .
٤٥ ـ رسالة أخرى من بدر إلى الداخل .
٤٦ ـ جواب الداخل .
٤٧ ـ حوار الداخل مع جندي من أفراد جيشه .
٤٨ ـ رسالة الداخل إلى أحد عماله وقد قصر في عمله .
٤٩ ـ توقيع الداخل لشخص قرشي وفد عليه يمت له بالقرابة .
٥٠ ـ كتاب أمان أصدره الداخل لجيرانه نصارى قشتالة .
٥١ ـ وصية الداخل لابنه عبد الله لما حضرته الوفاة .
٥٢ ـ وصية هشام لابنه وولي عهده الحكم قبيل وفاته .
٥٣ ـ رسالة إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة في مراكش إلى المصريين يدعوهم لطاعته .
٥٤ ـ مقتطفات من رسالة إدريس الأول إلى إبراهيم الأغلب يدعوه لطاعته .
٥٥ ـ رسالة خريش إلى إبراهيم بن الأغلب .
٥٦ ـ جواب إبراهيم إلى خريش .
٥٧ ـ رسالة وجهها الحكم الربضي إلى جميع عماله حول ثورة الربض .
٥٨ ـ « « « « إلى واليه على سرقسطة الفرج بن كنانة .
٥٩ ـ « أخرى من الحكم الربضي « « « « « « « .
٦٠ ـ « « « « « « « « « « « « .
٦١ ـ « الحكم الربضي إلى حبيش بن نوح وآخرين .
٦٢ ـ وصية الحكم لابنه عبد الرحمن قبيل موته .

٨٥ ـ كتاب الناصر إلى عماله بضرورة القيام بصلاة الاستسقاء .
٨٦ ـ » » » » يشرح ظروف وقعة الخندق .
٨٧ ـ مقتطفات من رسالة الوزير ابن شهيد للناصر .
٨٨ ـ رسالة ثانية من ابن شهيد للناصر .
٨٩ ـ » ثالثة » » » » .
٩٠ ـ » أرسلها الأمير الحكم بن الناصر بأمر أبيه إلى الفقيه المشاور أبي إبراهيم .
٩١ ـ جواب أبي إبراهيم .
٩٢ ـ رسالة جوابية من الأمير الحكم إلى ابن رحامس بحق ابن رفاعة .
٩٣ ـ » » » الناصر إلى القائد أحمد بن إسحق .
٩٤ ـ خطبة أحمد بن محمد الهمداني بين يدي الناصر .
٩٥ ـ نص الكتابة الموجودة على لوح حجري مثبت على باب جامع قرطبة يحمل أمر الناصر بتوسعة الجامع .
٩٦ ـ بيان الناصر ضد عقيدة ابن مسرة .
٩٧ ـ مقتطفات من رسالة إمبراطور القسطنطينية إلى الناصر .
٩٨ ـ خطبة القاضي البلوطي أمام الناصر في حفل استقبال وفود الروم .
٩٩ ـ أبيات من الشعر ختم بها القاضي خطبته .
١٠٠ ـ توقيع الخليفة الحكم بجعل مولاه غالب قائداً أعلى للجيش .
١٠١ ـ رسالة الحكم إلى عبد الرحمن بن يوسف قائد ثغر أصيلا في المغرب .
١٠٢ ـ » أخرى من الحكم إلى عبد الرحمن بن يوسف .
١٠٣ ـ وصية الحكم للوزير محمد بن قاسم بن طملس لما أرسله إلى المغرب الأقصى .
١٠٤ ـ رسالة قواد الحكم له عن الوضع في المغرب الأقصى .
١٠٥ ـ فصل من الكتاب السابق .
١٠٦ ـ رسالة من الحكم إلى قواده في المغرب الأقصى .
١٠٧ ـ فصل من رسالة الحكم إلى أحد قواده عن نفس الموضوع

١٣٠ ـ رسالة المنصور إلى الخليفة هشام المؤيد لما عقد الصلح بينه وبين أحد خصومه .
١٣١ ـ رسالة أرسلها إلى المنصور بن عبد البر .
١٣٢ ـ بلاغ المنصور إلى قواد وأفراد جيشه بعد غزوته الهائلة سنة ٣٩١ هـ .
١٣٣ ـ وصية المنصور قبيل وفاته لابنه عبد الملك .
١٣٤ ـ رسالة المنصور إلى الخليفة الفاطمي .
١٣٥ ـ « هشام المؤيد إلى عبد الملك بن المنصور يلقبه بالمظفر .
١٣٦ ـ مرسوم هشام المؤيد بتلقيب عبدالرحمن بن المنصور بالحاجب ناصر الدولة.
١٣٧ ـ « « « بجعل عبد الرحمن بن المنصور ولياً لعهده .
١٣٧ ـ رسالة جوابية من زاوي بن زيري إلى هشام المؤيد وأهل قرطبة .
١٣٩ ـ عهد الخليفة المستعين بالله بالخلافة من بعده لولده محمد .
١٤٠ ـ رسالة جوابية من زاوي بن زيري المتغلب على غرناطة إلى الخليفة المرتضى .
١٤١ ـ « ثانية من المرتضى إلى ابن زيري .
١٤٢ ـ جواب ابن زيري على رسالة المرتضى .
١٤٣ ـ رسالة جوابية من خيران إلى ابن زيري .
١٤٤ ـ بيان القاضي ابن عباد لما اكتشف شبيه الخليفة هشام المؤيد .
١٤٥ ـ رسالة المعتضد بن عباد إلى يحيى بن ذي النون .
١٤٦ ـ « « « « « ملوك الأندلس لما تآمر ضده ابنه اسماعيل وقتله .
١٤٧ ـ رسالة أرسلها الفتح بن خاقان إلى أحد ملوك الطوائف .
١٤٨ ـ « من شيخ مجهول إلى المعتصم صاحب المرية .
١٤٩ ـ « المعتمد بن عباد إلى المعتصم .
١٥٠ ـ « المعتصم إلى المعتمد .
١٥١ ـ جواب المعتمد إلى المعتصم .
١٥٢ ـ رسالة أرسلها إلى المعتصم ولده عز الدولة .

٢٤٦ ـ رسالة الخليفة أبي يعقوب إلى واليه على غرناطة الذي أرسل يخبره بانتصار الموحدين على ابن مردانيش .
٢٤٧ ـ رسالة أخي الخليفة إلى والي غرناطة عن المعركة السابقة .
٢٤٨ ـ « الخليفة أبي يعقوب إلى الموحدين في الأندلس للوعد بالجواز إلى الأندلس للجهاد .
٢٤٩ ـ رسالة ابن الخليفة الى والي غرناطة يخبره بانضمام ابن همشك المرابطي الى صفوف الموحدين .
٢٥٠ ـ رسالة ترجمان الخليفة أبي يعقوب الى أحد رعايا بيزة .
٢٥١ ـ منشور أبي يعقوب يوسف الخليفة الى الموحدين في إشبيلية .
٢٥٢ ـ صيغة مبايعة المنصور الوحدي .
٢٥٣ ـ رسالة كاتب المنصور أبي سعيد للمنصور مهنئاً بالخلافة .
٢٥٤ ـ « ملك الاسبان الأذفونش الى المنصور .
٢٥٥ ـ جواب المنصور للأذفونش .
٢٥٦ ـ رسالة المنصور الشفهية الى أفراد جيشه قبل معركة الأرك مباشرة .
٢٥٧ ـ منشور المنصور ضد ابن رشد .
٢٥٨ ـ رسالة والي سجلماسة من قبل المنصور الى ملك السودان وغانة .
٢٥٩ ـ وصية المنصور لأشياخ الموحدين لما اقتربت وفاته .
٢٦٠ ـ مقتطفات من مبايعة أهل قرطبة للناصر بالخلافة .
٢٦١ ـ رسالة من فتى مجهول عن ثورة الجزولي وانهزامه زمن الناصر .
٢٦٢ ـ نص بيعة المستنصر بالخلافة .
٢٦٣ ـ فقرات من رسالة المستنصر الى قواعد الأندلس .
٢٦٤ ـ رسالة جوابية الى المستنصر من أبي عمران .
٢٦٥ ـ « المستنصر الى أحد نوابه الذي نقض العهد على بعض النصارى .
٢٦٦ ـ « وزير المستنصر الى ملك قشتالة من أجل السلم .
٢٦٧ ـ « ملك أراغون الى المستنصر يستأذنه بالقدوم عليه ويسأله النصرة .

٢٦٨ ـ بيان الخليفة العالي الى قواعد الأندلس .
٢٦٩ ـ رسالة أخي العادل للعادل يخبره بنصره على الثائر البياسي في الأندلس .
٢٧٠ ـ بيان أذاعه الخليفة المأمون على جميع عماله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
٢٧١ ـ بيان أذاعه الخليفة المأمون لما تمكن من القضاء على جماعة نقضت بيعته .
٢٧٢ ـ مرسوم المأمون بإلغاء عصمة المهدي .
٢٧٣ ـ رسالة أحمد بن عبد الله لما أخذ الاسبان بلنسية لأبي العباس بن أمية .
٢٧٤ ـ « القاضي أبي الطرف لما أخذ الاسبان بلنسية لأبي جعفر بن أمية .
٢٧٥ ـ « الخليفة الرشيد بإسكان المهاجرين من الأندلس في مراكش .
٢٧٦ ـ « وجهها القاضي أبي المطرف إلى أحد الخلفاء الموحدين لأخذ ثأر بلنسية .
٢٧٧ ـ رسالة الخليفة المرتضى الى البابا أنوصان الرابع .
٢٧٨ ـ « أبي جميل زيان الى ملك قشتالة بشأن الصلح .
٢٧٩ ـ تقليد أرسله المستنصر العباسي لابن هود .
٢٨٠ ـ رسالة المستنصر العباسي لابن هود .
٢٨١ ـ « القاضي أبي المطرف لابن هود مهنئاً بوصول التقليد العباسي .
٢٨٢ ـ « ابن هود إلى أهل شاطبة يعلن تولية ابنه عهده .
٢٨٣ ـ « ملك مراكش المريني أبي يوسف إلى ملك قشتالة حول رسل قلاوون .
٢٨٤ ـ جواب ملك قشتالة .
٢٨٥ ـ رسالة ابن ملك قشتالة لرسل قلاوون .
٢٨٦ ـ « سلطان غرناطة محمد الثالث إلى الدون خايمي ملك أراغون .
٢٨٧ ـ فصول من معاهدة بين محمد الثالث والدون خايمي ملك أراغون .
٢٨٨ ـ معاهدة صداقة بين إسماعيل الأول ملك غرناطة ـ والدون خايمي ، ملك أراغون ـ

٢٨٩ ـ رسالة سلطان غرناطة إسماعيل إلى ملك أراغون خايمي .

٢٩٠ ـ « جوابية من سلطان غرناطة « « « « « .

٢٩١ ـ « « « « « « « « « « .

٢٩٢ ـ « رئيس جند غرناطة عثمان بن إدريس إلى ملك أراغون خايمي .

٢٩٣ ـ « سلطان غرناطة إسماعيل إلى ثابت ملك أراغون في أريولة .

٢٩٤ ـ « « « محمد الرابع إلى ملك أراغون خايمي الثاني .

٢٩٥ ـ « « « « « « « « « « .

٢٩٦ ـ « « « « « « « « الجديد دون الفنشه .

٢٩٦ ـ « « « يوسف الأول « « « دون بتره ،

٢٩٧ ـ « « « « « « « « دون الفنشه .

٢٩٨ ـ « وزير سلطان غرناطة رضوان زمن يوسف الاول لملك أراغوان الفنشه .

٢٩٩ ـ « سلطان غرناطة يوسف الأول لملك أراغون الفنشه .

٣٠٠ ـ « « « « « « « « .

٣٠١ ـ « وزير سلطان غرناطة رضوان زمن يوسف الأول لملك أراعون الفنشه.

٣٠٢ ـ « « « « « « « « « «الفنشه.

٣٠٣ ـ « « « « علي بن كماشة « « « « « الفنشه

٣٠٤ ـ « « « « « « « « « « « « لولد الفنشه الأكبر دون بطره .

٣٠٥ ـ رسالة سلطان غرناطة يوسف الأول لملك أراغون دون بتره .

٣٠٦ ـ « « « « « « « « « « .

٣٠٧ ـ « وزير سلطان غرناطة رضوان زمن يوسف الأول لملك أراغون دون بتره .

٣٠٨ ـ رسالة سلطان غرناطة يوسف الأول لملك أراغون دون بتره .
٣٠٩ ـ » » » » » » » » » .
٣١٠ ـ » » » » » » » » » .
٣١١ ـ » » » » » » » » » .
٣١٢ ـ » » » » » إلى السلطان أبي عنان المريني .
٣١٣ ـ مرسوم سلطان غرناطة الغني بالله بتقليد ولده يوسف مشيخة الأندلس .
٣١٤ ـ » » » » » » » أبي الحسن النباحي قضاء غرناطة .
٣١٥ ـ نداء وجهه الغني بالله لجميع المسلمين من أجل إغاثة الأندلس .
٣١٦ ـ رسالة الغني بالله إلى أبي سعيد عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان شكراً له لإرساله الأطعمة .
٣١٧ ـ رسالة الغني بالله إلى سلطان مصر المملوكي .
٣١٨ ـ » » » » الأمير يلبغا الخاصكي .
٣١٩ ـ » » » » ابن تفراجين شيخ الموحدين في تونس .
٣٢٠ ـ » » » » إلى سلطان بني مرين مبشراً بالنصر في إحدى غزواته .
٣٢١ ـ » » » الى الأمير أبي بكر بن السلطان أبي عنان المريني مهنئاً بالإمرة على جبل الفتح .
٣٢٢ ـ مرسوم الغني بالله بتعيين أبي العلاء إدريس مشيخة الغزاة في مالقة .
٣٢٣ ـ » » » » أبي عبد الرحمن إمرة الجهاد في الأندلس .
٣٢٤ ـ » » » » ولده يوسف قيادة الطبقة الأولى من المجاهدين في الأندلس .
٣٢٥ ـ مرسوم أبي الحجاج يوسف الأول ملك غرناطة بتقليد أبي الحسن قضاء الجماعة في غرناطة .
٣٢٦ ـ وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده عند موته .
٣٢٧ ـ الخطاب الذي وجهه فرناند ولقائد بسطة لما قرر تسليمها له .
٣٢٨ ـ شروط معاهدة تسليم غرناطة .

كشف هجائي عام

- ب -

- ن -

- هـ -

- و -

* * *

مصادر الكتاب

١ – ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي . **كتاب الحلة السيراء** تحقيق حسين مؤنس،القاهرة،الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣م، ٢ج

٢ – ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي . **الكامل في التاريخ** . القاهرة ، دار الطباعة المنيرية ، ١٣٥٦ هـ . ١٢ ج

٣ – ابن تغردي بردي . **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة** . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩ م ١٢ ج

٤ – ابن حيـــان الأندلسي . **المقتبس في أخبار بلد الأندلس** . تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، بغداد ، دار الثقافة ، ١٩٦٥ م .

٥ – ابن حيان الأندلسي . **المقتبس من أنباء أهل الأندلس** . تحقيق محمود علي مكي ، بغداد ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣ م .

٦ – ابن الخطيب ، لسان الدين . **الإحاطة في أخبار غرناطة** . تحقيق محمد عبد الله عنان . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٥م .

٧ – ابن الخطيب ، لسان الدين . **تاريخ اسبانيا الاسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام** . تحقيق ا . ليفي بروفنسال ، بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٥٦م .

٨ – ابن الخطيب ، لسان الدين . **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط وهو القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام للوزير الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب** . تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني ، الدار البيضاء ، دار الكتاب ، ١٩٦٤م .

٩ – ابن خلدون ، عبد الرحمن . **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر** . بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٩٧١م .

١٠ ـ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد . **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ م . ٦ ج

١١ ـ ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك . **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين** تحقيق عبد الهادي التازي ، بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٦٤ م .

١٢ ـ ابن عبد الظاهر ، محيي الدين . **تشريف الأنام والعصور في سيرة الملك المنصور**. تحقيق مراد كامل ، القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٩٦٩ م .

١٣ ـ ابن عذاري المراكشي ، أبو العباس . **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** . تحقيق ج ، ش ، كولون ، و ا. ليفي بروفنسال . بيروت ، دار الثقافة .

١٤ ـ ابن عذاري ، المراكشي ، أبو العباس . البيان المغرب ، **الجزء الرابع قطعة من تاريخ المرابطين** . تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٧ م .

١٥ ـ ابن الفرات ؛ ناصر الدين محمد . **تاريخ ابن الفرات** . تحقيق الشماع ، البصرة .

١٦ ـ ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم . **الإمامة والسياسة** . تحقيق محمد محمود الرافعي ، القاهرة ، مطبعة النيل ، ١٩٠٤م . ٢ ج في مجلد واحد

١٧ ـ ابن القطان . **جزء من كتاب نظم الجمان لابن القطان** . تحقيق محمود علي مكي ، الرباط ، كلية الآداب والعلوم الانسانية .

١٨ ـ ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة . **ذيل تاريخ دمشق** . تحقيق أمدروز ، بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨ م ، أعادت مكتبة المثنى طبعه بالأوفست .

١٩ ـ ابن القوطية . **تاريخ افتتاح الأندلس** . مجريط ، ١٨٦٧م .

٢٠ ـ أرسلان ، شكيب . **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** . بيروت ، دار مكتبة الحياة .
٢١ ـ القواتي ، عبد الكريم . **مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس** . الدار البيضاء ، مكتبة الرشاد ، ١٩٦٧م .
٢٢ ـ حايك ، سيمون **الناصر لدين الله أول خليفة في الأندلس** . دار النشر للجامعيين ، ١٩٦٢ م .
٢٣ ـ الحجي ، عبد الرحمن علي . **أندلسيات : المجموعة الثانية** . بغداد ، دار الارشاد ، ١٩٦٩ م .
٢٤ ـ حركات ، إبراهيم . **المغرب عبر التاريخ** . الدار البيضاء ، مطبعة دار السلمي ، ١٩٦٥م .
٢٥ ـ الخشني ، أبو عبد الله محمد بن حارث **قضاة قرطبة** . القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م .
٢٦ ـ دوزي ، رينهارد . **تاريخ مسلمي إسبانيا** . الجزء الأول الحروب الأهلية ، تعريب حسن حبشي ، القاهرة ، وزارة الثقافة والارشادالقومي ١٩٦٣ م .
٢٧ ـ سالم ، السيد عبد العزيز . **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** . بيروت دار المعارف ، ١٩٦٢م .
٢٨ ـ الشعراوي ، أحمد ابراهيم . **الأمويون أمراء الأندلس الأول** . القاهرة دار النهضة العربية ، ١٩٦٩م .
٢٩ ـ الضبي ، أحمد بن يحيى . **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس** : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ م .
٣٠ ـ طرخان ، إبراهيم علي . **المسلمون في أوربا في العصور الوسطى** . القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٦م .
٣١ ـ عبد الله . **مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة**

المسماة بكتاب التبيان تحقيق ليفي بروفنسال . القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٥ م .
٣٢ ــ علام ، عبد الله علي **الدعوة الموحدية بالمغرب** . القاهرة ، دار المعرفة ١٩٦٤ م .
٣٣ ــ علام ، عبد الله علي . **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي** . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١ م .
٣٤ ــ عنان ، محمد عبد الله . **دولة الاسلام في الأندلس** . القسم الأول ، طبعة رابعة مزيدة منقحة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٩ م .
٣٥ ــ عنان، محمد عبد الله . **دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**. وهو العصر الثاني من كتاب دولة الاسلام في الأندلس . طبعة ثانية مزيدة منقحة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٩ م .
٣٦ ــ عنان ، محمد عبد الله . **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**. القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٤م . ٢ ج
٣٧ ــ عنان ، محمد عبد الله . **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المستنصرين** . طبعة ثانية مزيدة منقحة ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦ م .
٣٨ ــ القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي . **كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا** . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩١٤-١٩١٩م . ١٤ ج
٣٩ ــ المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري . **الذيل والتكملة** . تحقيق محمد بن شريفة ، بيروت ، دار الثقافة .
٤٠ ــ المراكشي ، عبد الواحد . **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** . تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الاسلامي ، ١٩٦٣ م .
٤١ ــ المقري ، أحمد بن علي التلمساني . **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٤٩م .

٤٢ – مؤنس ، حسين . **فجر الأندلس** . القاهرة . الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٩ م .

٤٣ – النويري ، شهاب الدين ، أحمد . **نهاية الأرب في فنون الأدب** . الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩ م .

٤٤ – ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبدالله الرومي . **معجم الأدباء.** تحقيق أحمد فريد الرفاعي ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٣٦ م . ٢٠ ج في ١٠ مجلدات

المحتويات

الموضوع	الصفحة